أنور الجندي

جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام

دار الاعتصام



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

أن من طبيعة الفكر الإسلامى أن يعقد مقارنة بين جيل وجيل لتقييم ماطرحه الجيل السابق ووزنه بميزان الأصالة والتقدير الحقيق الحر البعيد عن الأهواء المتحرر من الولاء والخضوع لما خضع له الجيل السابق ، وقد تتابعت فى تاريخ الفكر الإسلامى عملية (إعادة النظر) وإعادة تقييم المراحل هذه ،حتى غدت مسألة طبيعية بل وضرورية لمواكبة سير الإنسانية على الطريق الصحيح إلى الغاية الأصيلة وتصفية الفكر الإسلامى فى كل مرحلة من الدخائل .

ومنذ ظهرت طلائع حركة اليقظة الإسلامية بمفاهيم المنهج القرانى الأصيلة بدأت عملية إعادة النظر فى كل ماكتب فى مرحلة النفوذ الأجنبى والاحتواء والسيطرة الأجنبية والتبعية للفكر الغربى المسيطر من خلال معاهد الارساليات والابتعاث إلى البلاد الأجنبية وما حمله هؤلاء العائدون من مذاهب ونظريات وماحاولوا من خلاله اخضاع الفكر الإسلامى وتاريخ الإسلام والتراث إليه من نظريات تقوم على أساس الفلسفة المادية والانشطارية التى عرف بها الفكر الغربى وتلك قضية كبرى معروفة تحت اسم : حركة التغريب والغزو الثقافى .

واليوم ترتفع صيحة فى معسكر التغريب والغزو الثقافى تعارض هذه المراجعة وتصد هذا التقييم الذى يقوم به رواد حركة اليقظة بمفاهيم الإسلام للفكر المعاصر الذى خضع فترة للنفوذ الأجنبى وجرت محاولة احتوائه وتدميره وتغريبه .

وهذه الصيحة اليوم تحمل رمزاً لامعاً خطيرا هو التساؤل عن الخطأ الذى يجرى فى مواجهة جيل العمالقة والقمم الشوامخ ، هؤلاء الذين قدموا للأمة ذلك الفيض الدافق من الطاقات والآراء والنظريات التى تقوم عليها الآن الدراسات العربية فى الأدب والشعر والفن وفى مختلف مجالات الفكر .

والحقيقة أن ماقدمته هـذه المدرسة التي يسمونها تارة باسم الرواد وتارة باسم جيل العمالقة والقمم الشوامخ ، ليس إلا عصارات من الفكر الغربي انتزعت من هنا أو هناك ، وخلاصات ومترجمات لمضامين ذلك الفكر الذي سيطر على الغرب تحت اسم الفلسفة المادية ومدرسة العلوم الاجتماعية والتحليل النفسي،وهو خلاصة ماكتب داروين ودوركايم وفرويد وسارتر وماركس وانجلز ومترجمات للقصص الجنسي والاباحي من الأدب الفرنسي ، وكان الصراع في أول الأمر قائما بين اللاتينيون والسكسون هؤلاء مع المدرسة الانجليزيه (العقاد والمازني وشكري) وأولئك مع المدرسة الفرنسية (خليل مطران وطه حسين وهيكل) .

ثم جاء الصراع الثاني بين المدرسة الليبرالية (لطفي السيد ـ طه حسين) وحسين فوزي وزكي نجيب محمود) ومن المدرسة الماركسية (سلامه موسى وحسين فوزى ومندور) ثم جاءت المدرسة الانسانية الماسونية (الهومنيزم) وعلى رأسها لويس عوض

وكل ماقدم في هـذه المرحلة منذ بدأت هـــذه المدرسة على يد أستاذ الجيل (لطفي السيد) وحتى اليوم هو فتات موائد الغرب بشقيه ، ولم يكن هؤلاء الأدباء والكتاب من أصحاب الأسماء اللامعة إلا قناطر بين الساحلين ، ولم يكن ما قيل خلال هذه الفترة سواء على لسان من قدموه على أنه فكرهم الخالص أو ماترجموه، لم يكن فكراً حراً خالصا أريد به خدمة هذه الأمة ، ولم يكن مقصوداً به ترسيخ الوجود الفكري الثقافي لأمة تملك مفهوما أساسيا جامعا للفكر والحياة والمجتمع ، وإنما كان فكراً متحيزا مقصود به تسميم قنوات الفكر الإسلامي وإفسادها وتحويل وجهة هذه الأمة وتغيير ملامحها والقضاء على ذاتيتها وأعرافها الإسلامية والعربية الأصيلة ، كان هذا واضحا في كل مانقل وماترجم حتى فيما أوصى به من احياء التراث الإسلامي العربي ، كان هدف ذلك كله الدعوة إلى إخراج هذه الامة من مقوماتها الاصيلة وصهرها في بوتقة الفكر الغربي المادي الملحد الوثني ربيب الفكر الاغريقي القائم على علم الأصنام ودفع هذه الأمة بعيدا عن طريقها الأصيل بوصفها صاحبة المنهج التجريبي الذى صنع الحضارة المعاصرة ، وصاحبة منهج المعرفة ذى الجناحين (الروح والمادة) والقائم على منهج الثوابت والمتغيرات إلى منهج إنشطاري مادي خالص ، وحتى في هـذا ماقال البعض : انهم أخذوا المنهج العلمي

التجريبي من المسلمين وأوردوا المسلمين إلى منهج أرسطو الذى رفضه المسلمون قديماً وهاجمته الحضارة المعاصرة فى عصر النهضة .

اذن فالحملة المثارة تحت عنوان خطير : (هدم الشوامخ من أجل من) هى محاولة جديدة لمحاولة تثبيت دعائم هذه المؤامرة القديمة التى تكشف مخططها ، ومغالطة واضحة تقوم على التعميم بهدم الشوامخ فمن هؤلاء الشوامخ الذى جرى هدمهم ، وهل من أجل أمثال طه حسين ولويس عوض وحسين فوزى وتوفيق الحكيم وزكى نجيب محمود يطلق اسم الشوامخ ، بينما حقيقة الأمر أن الشوامخ هم غير هؤلاء ، إنهم أولئك المجاهدون الصادقون الذين لا يذكرهم أحد ولا يتحدث عنهم أحد ، الذين وضعوا فى الظل وأقيمت حولهم مؤامرة الصمت ، لأنهم قدموا لأمتهم معطيات وافرة ودلوا أمتهم على طريق الأصالة والنهضة الحقيقية .

والحقيقة التى يتجاهلها اتباع التغريب والغزو الثقافى أن الشوامخ والعمالقة الحقيقيون ليسوا هؤلاء ، وإنما أولئك الذين نسيهم الناس وتجاهلتهم الصحافة وحجبهم الاعلام ، وإذا أثير أمر واحد منهم بتأليف كتاب عنه وقفت أمثال الدكتورة سهير القلماوى لتقول : من هذا ، من هو (عبدالعزيز جاويش) ذلك لأن جاويش ليس من مدرسة لطفى السيد وكان خصما لخصوم الاسلام والعربية ومدافعا عن اللغة العربية أمام المستشرقين الذين حاولوا اغتيالها فى مؤتمر الجزائر سنة ١٩٠٥ .

وكثيرون هم الشوامخ الحقيقيون ، ولكن طه حسين وهؤلاء ليسوا إلا أقزام من التغريبيين غلمان المستشرقين الذين أعطاهم النفوذ الأجنبى هذه الشهرة والمكانة وظل يدافع عنهم حتى اليوم ، حماية لوجوده من خلالهم وإلا فقل لى بربك من غير طه حسين يقام له حفل سنوى يدعى إليه المستشرقون من كل مكان فى أوربا ، ولماذا لا يقام هذا التقدير لمصطفى صادق الرافعى أو رشيد رضا أو شكيب ارسلان .

الحقيقة أن هذه الحملة تحت اسم هدم الشوامخ هى حملة باطلة وإلا فمن الذى هدم جمال الدين الأفغانى والمتنبى وابن خلدون فى العصر الحديث ، أليسوا هم أولئك الشوامخ فى تقدير التغريبيين .

٢ — تقييم المحصول الذى قدمه جيل الرواد

بميزان الإســـلام

إننا إذا أعدنا النظر فى تقييم هـذا المحصول الذى قدمه جيل الرواد وجدنا فيه الشىء القليل النافع الإيجابى ووجدنا أغلبه ممـا قذفتنا به رياح السموم ، هذه الاطروحات التى كتبهـا الأعلام الذين تصدروا الحياة الأدبية : ماوزنها فى مجال البحث العلمى : لقـد تبين أن رسالة الدكتور طـه للدكتوراه فى السربون عن ابن خلدون هى ترديد لأفـكار اليهودى الحاقد على الإسلام وأعلامه (دوركايم) وأنها تنتقص هذا الرجل انتقاصا شديدا ، ونجد أطروحة منصور فهمى عن (المرأة فى التقاليد الاسلامية) وهى ترديد صارخ لأكاذيب المستشرقين واتهامهم للنبى ﷺ بأنه استثنى نفسه من قانون الزواج وهى أفـكار دهاقنة اليهود ، وإذا نظرنا فى رسالة زكى مبارك عن (الأخلاق عند الغزالى) نجـدها ترديدا لأكاذيب المستشرقين عن الغزالى واتهامه بأنه متأثر بالمسيحية ، فإذا راجعنا كتاب مع المتنبى لطه حسين وجدناه مأخوذا من أحقاد المستشرقين وفى مقدمتهم (بلاشير)

فإذا راجعنا كتاب على عبدالرازق عن (الإسلام وأصول الحـكم) وجدناه مأخوذا بكامله من رسالة لمرجليوث ، وإذا نظرنا فى كتاب (الشعر الجاهلى) وجدناه مردداً لنظرية قدمها مرجليوث أيضا عن انتحال الشعر يرمى بها القرآن نفسه، أما آراء سلامه موسى فقد كانت منقوله نقلا مباشراً من كتابات : داروين وفرويد وماركس ودوركايم .

أما العقاد فقد تأثر تأثرا واضحا بنظريات مقارنات الأديان فى كتابه عن (الله) وتأثر بنظريات الوراثة فى كتاباته عن الصحابة .

كان الهدف هو إخضاع الفـكر الإسلامى فى مختلف جوانبه للنظرية المادية الغربية ، بدأ ذلك جرجى زيدان فى كتاباته عن الأدب العربى والتمدن الإسلامى والروايات الإســـلامية ، ومضى على الطريق كل من جاء بعد ذلك ، فكتاب

[حياة محمد] على ما به من دفاع عن الإسلام خرج من عباءة المستشرقين وكتاب التغريب وتبنى نظريات الكاثوليكى الفرنسى (دوركايم) وأنكر ماسوى القرآن من معجزات النبي ﷺ، ورفض مفهوم الإسراء بالروح والجسم وتبنى عديدا من مفاهيم الفكر المسيحى الغربى .

أما الذين قدموا مفاهيم الإسلام الأصيلة فقد أبقاهم النفوذ الغربى المسيطر على الحياة الثقافية فى مصر والبلاد العربية - ابقاهم فى الظل، فقد سبقت ولحقت كتابات هيكل عن الرسول ﷺ كتابات كثيرة : (محمد أحمد جاد المولى ، محمد مصطفى نجيب) .

ومن بعد جاء محمد الغزالى ، محمد سعيد البوطى ، أبو الحسن الندوى ، وكثيرون ولكن هناك تركيز فى دائرة الضوء على كتاب معين أو كتب بعينها وفى مختلف الميادين الفكرية والثقافية تجد التعتيم نحو تلك الأسماء الكريمة الأصيلة وهناك مؤامرة الصمت قائمة ازائها وإزاء كتاباتها :

أى الفريقين أحق بأن يوصف بالشموخ والريادة وجيل العمالقة : هؤلاء أتباع التغريب وغلمان المستشرقين والذين حملوا لواء تزييف الفكر فى كل مجال من مجالاته حيث سيطر لطفى السيد على الدعوى العامية أو قاسم أمين لاخراج المرأة من بيتها أم سعد زغلول لدعوة تعليم اللغة الانجليزية أم طه حسين للدعوة الأدب الفرنسى أم سلامه موسى للدعوى إلى داروين وفرويد وماركس ، أم حسين فوزى الدعوة إلى الموسيقى الصاخبة أم لويس عوض للدعوة إلى الفرعونية أم ساطع الحصرى للدعوة إلى القومية الغربية أم على عبدالرازق للدعوة إلى العلمانية . . . هؤلاء أحق بأن يوصفوا بأنهم الشوامخ وتقوم الأقلام لحمايتهم من كشف زيفهم ومن تعرية خبثهم ومن وضعهم فى مكانهم الصحيح فلاتخدع بهم الأمة أم هؤلاء الأبرار :

جمال الدين ، محمد عبده ، مصطفى صادق الرافعى ، رشيد رضا ، شكيب ارسلان محب الدين الخطيب ، أحمد زكى باشا ، طاهر الجزائرى ، أحمد تيمور ، المويلحى ، الكواكبى ، علال الفاسى ، عبدالعزيز جاويش ، البكرى ، المنفلوطى ، الزيات

الثعالبي ، عبدالرحمن عزام ، عبدالوهاب عزام، عبدالحميد بن ادريس ، حسن البنا ، حسن حسني عبدالوهاب ، فريد وجدي ، الغلاييني ، طنطاوي جوهري ، عبدالوهاب خلاف وآخرون .

هؤلاء في الحقيقة هم الذين صنعوا نهضة مصر والشرق والإسلام وخاصة في مجال النضال الوطني والتحرر من النفوذ الأجنبي ، هؤلاء هم الذين وضعوا قواعد البناء الفكري الإسلامي الحديث .

ولقد ادعى لطفي السيد وسعد زغلول وطه حسين أنهم أولياء جمال الدين أو محمد عبده ، ولكن طريقتهم وأسلوبهم كذب هذه الدعوة وكشف زيفها ، بل أن طه حسين نفسه أعلن خروجه على محمد عبده ، وأحمد زكي باشا ، والشيخ الخضري أساتذته وهاجمهم .

أن الحقيقة التي لايختلف فيها الآن بعد أن ظهرت عشرات الدراسات مصححة للوقائع ، في ضوء مفهوم اليقظة الإسلامية ، أن هذه الأسماء اللامعة التي ماتزال تتردد ، انما يراد بهاأن تحجب تلك الأضواء الساطعة ، وهي في الحقيقة لم تصنع تلك النهضة، وإنما صنعها أولئك الأبرار ووضعوا لها القواعد، هذه الأسماء المجهلة في ميزان الشهرة المعاصرة الكاذبة التي يوقد نارها التغريب والاستشراق ، أولئك المخلصون الصادقون فإن أحداً لم يذكرهم اليوم ، أما هؤلاء الذين خدعوا الناس بأن حملوا لواء قيادة الفكر فإنهم لايمكن وصفهم بالريادة ولا بالبطولة ولا بالقيادة لأن عوامل ذلك كله تنقصهم وأبرز عوامل قبول الأمة لهم وإيمانها بصدقهم وثقتها فيهم ، انهم لم يكسبوا شهرتهم نتيجة خصوبة فكرهم أو صدق إيمانهم وإنما لانهم عملوا في مجال السياسة والحزبية والصحافة يوما بعد يوم ، في ذلك الركام المضطرب الغامض من الصراع الحزبي والجدل السياسي والهجاء المرير فأعطاهم هذا كله : ذلك البريق وتلك الشهرة ، واستطاعوا أن يركبوا كل موجة فلما جاءت موجة الإسلام ركبوها ظنا منهم أن يسيطروا عليها ودفعا من سادتهم لكي يحولوا وجهتها .

هذا ماأعطاهم الشهرة (وهي ليست مقياسا حقيقيا للبطولة) أما جهدهم الحقيقي في مجال بناء النهضة فهو قليل بل هم المعوقين لها الذين شقوا جبهتها الموحدة ،

وأمثال هؤلاء الأمويين لم تكن كتاباتهم فى الأدب والفكر تساوى واحداً من مائة من كتاباتهم السياسية والحزبية المنسمة بأدنى ألوان الجدل والهجاء ، ولم تكن تساوى واحداً من ألف من كتابات ذوى الأصالة والثقافة والنتاج الجيد وأصحاب الأقلام الموجهة لخدمة كلمة الله الداعية لأن تكون كلمة الله هى العليا .

ولكن السياسة والحزبية والنفوذ التغريبى هو الذى أعطاهم لمعان الاسم حتى جاء اليوم الذين يسمون فيه بالقمم الشوامخ .

أن أسماء كثيرة هى التى أعطت النهضة الإسلامية دفعتها القوية من علماء ومن كتاب يمثلون الأصالة الحقة ، وليس أولئك المغربون هم الذين قاموا بهذا الدور ، ونحن لا ننكر عليهم أنهم شاركوا فيه بجهد ضئيل (ولكن ماقدموه وصف يوما بأنه أشبه بالخروب : حطب كثير وسكر قليل) وكانت لهم أخطاء وانحرافات وقليل منهم من صدق الله النية فى العودة إلى الحق ، ذلك أنهم كانوا غربيين بحكم الثقافة الأولى التى كونتهم ولذلك كان دخولهم إلى فهم الإسلام ليس نقيا النقاء الكامل بل كانت تختلط به شوهات الفكر المادى وتراكمات المفاهيم الاغريقية والرومانية والمسيحية المسيطرة على نتاج الفكر الغربى كله . ولأنهم بدأو كتاباتهم الإسلامية بمناهج الغرب – كانوا كالمستشرقين – أعجز عن فهم مناهج الإسلام فتخبطوا وأخطأوا ، ونقلوا عن كتب التبشير وكتب الاستشراق وعجزوا عن الأصالة الحقة .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : أن طه حسين والعقاد لا ينتميان أصلا إلى المدرسة الإسلامية من الناحية الفكرية ، ولكنهما ينتميان منذ نشأتهما الأولى إلى (المدرسة الليبرالية) المتحررة التى تعتبر (لطفى السيد) أستاذها الأول فى جيلهما ، والمدرسة الليبرالية تحكم العقل المجرد والمتحرر من كل المواريث الفكرية والسلوكية فى كل شىء ، ولا تبالى أن تلتقى مع الدين فى كل وجهات النظر أو بعضها أو تتعارض معه وتخالفه ، ولكن طه حسين كان أكثر عنفا وأكثر جرأة فى معارضة الدين ، وفى المجاهرة بما يثير الناس ليلفت إلى نفسه الأنظار ، لقد هاجم طه حسين أباه فيما كان يتلوه من أوراد فى أعقاب الصلاة وفى الليل (فى كتاب الأيام) غير أن طه حسين والعقاد قد اكتسحتهما الموجة الإسلامية العارمة فتتابعت كتبهما بعد

أن أصبح ذلك هو البدع الشائع الذى يغمر الأسواق ، ولم يعد التشدق بالكفر ونظرياته المستوردة سمة من سمات المفكرين ، تستهوى الاغرار من الشباب كما كان فى العشرينات . ويرجع هذا الانقلاب الفكرى إلى عدة عوامل عدلت بالناس وبكثير من المفكرين عن طريق احتذاء الحضارة الغربية والفكر الغربى وردتهم إلى طريق الإسلام منها موجة التنصير وهجرة اليهود إلى فلسطين وسقوط الخلافة على يد الكماليين ، وظهور جمعيات إسلامية عظيمة .

أن هناك قاعدة أساسية ينبغى أن توضع فى الحسبان حين يوزن الأدباء والمفكرون من وجهة النظر الإسلامية ، وهى أن الإسلام نظرية فى السلوك بمثل ما أنه نظرية فى المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامى أو أدب إسلامى من مفكر أو أديب لا يمارس الإسلام ولا يلتزم به ومعروف أن طه حسين والعقاد لم يكونا ممارسين الإسلام فى أصوله الأصيلة .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كتاب مصر هؤلاء : الشوامخ الرواد ، لم يحاربوا الاستعمار ولا الاستبداد ، وإنما حاربوا خصومهم السياسيين ، وكانوا يفرقون تفرقة واضحة بين موقف سياسى مع الاستعمار البريطانى وبين إيمان غامر بالثقافة الغربية والديمقراطية الغربية والليبرالية الغربية كمنهج حياة ، ففى نفس الوقت فان الذين كانوا يطالبون فيه بالحرية والاستقلال كانوا يؤمنون بعظمة الحضارة الغربية والمنهج الديمقراطى كأساس للحكم ، فهم أولا فى شهرة صنعتها السياسة والحزبية ولم يصنعها الفكر ، وكانوا خصوما ظاهرين للنفوذ الأجنبى وأصدقاء واضحين للفكر الغربى .

أولا : كان كتاب الأحزاب والسياسة (وهم صفوة الشوامخ والرواد) مسالمين الانجليز غير معارضين لهم بل كانوا يقبلون بالتفاهم معهم وهذا منطق مدرسة سعد زغلول المعارضة لمدرسة مصطفى كامل .

ثانيا : كان كتاب مصر وأبرزهم فى صف حزب الأقلية المعارضة للوطنية الشعبية (حزب الأحرار الدستوريين) لطفى السيد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وإبراهيم المازنى وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى ومنصور فهمى .

ثالثا : كان كتاب مصر فى هذه الفترة يعارضون النفوذ الانجليزى السياسى برفق شديد من داخل دائرة التفاهم معه ، ولكن كانوا فى نفس الوقت يقبلون أنظمة الغرب الليبرالية الرأسمالية بكل ما تمثل من إقطاع وسخره وسيطره ويؤيدونها ، بل كانوا يقبلون مذاهب الغرب فى النقد والشعر ويتصدون للدفاع عنها وحمل لوائها وقد حمل العقاد والمازنى لواء الدعوة إلى المدرسة الانجليزية فى النقد (هازلت وغيره .

رابعا : خدع كتاب مصر فى عدد من الشخصيات الموصومة :

١ ـ خدعوا فى (ماكس نوردو) اليهودى خليفة هرتزل وكرموه وكتبوا عنه فصولا مطوله تقديرا وإعزازا .

٢ ـ خدعو فى عباس البهاء قائد المذهب البهائى وحفلوا به ودعوا إلى نحلته (العقاد ، اسماعيل مظهر) دون أن تتبينوا أخطارها وسموها .

خامسا : كشفوا عن مفهوم التحلل واعلاء شأن الجنس فى الأدب سواء عن طريق ترجمة القصص الغربى المكشوف كما فعل طه حسين أو عن طريق القبول به كمذهب فى الحياة كما فعل غيره .

ولقد أشار الأستاذ المازنى إلى هذا فقال فى كتابه قبض الريح ص ٦٣ وما بعدها : ولقد لفتنى فى الدكتور طه فى كتابيه (حديث الأربعاء) وهو مما وضع و (قصص تمثيلية) وهى ملخصة : « إن له ولعا يتعقب الزناة والعشاق والفجرة والزنادقة » .

كما أشار الأستاذ الغمراوى إلى أسلوب الاباحة والكشف والواضح فى كتابات هذا العصر (مقالاته فى المعركة بين الرافعى والعقاد) [الرسالة مجلد ١٩٣٧] ونحن حين نكشف هنا وفى كثير من دراسات سابقة عن حقيقة هؤلاء ، لانستهدف إلا كشف فساد هذا التيار الوافد وخطره ، وقد ظل طه حسين مكشوفا لجيله أكثر من أربعين سنة ولم يغلب عليه طابع القداسة الكاذب إلا بعد أن مات الرافعى والعقاد وزكى مبارك ومحب الدين الخطيب وكل الذين كانوا يعرفون خبيئته وهدفه أن الذين يكتبون ليدافعوا عن التغريبيين تحت أسماء كثيرة كالشوامخ والرواد

لايخدعون أحداً ، مهما أفسحت لهم الصحف الكبرى الصفحات ومهما أفسحوا لأنفسهم أسلوب المغالطة والتضليل فإنهم إنما يدافعون فى الحقيقة عن شوامخ الهزيمة ودعاة الخروج من الذاتية العربية الإسلامية أمثال سلامه موسى وطه حسين وقاسم أمين وهدى شعراوى ولويس عوض وساطع الحصرى وتوفيق الحكيم ولكنهم يتخفون وراء عناوين ضخمة ويضعون أسماء أخرى ليست مهمة فى الحقيقة وإن كان مفهومها ليس سليما تماماً ، إنها المراوغة ، التى يجيدها هؤلاء التغريبيون الصغار فى الدفاع عن وجودهم وهم يرون هذا البرج الذى بنوه على الرمال على وشك السقوط فوق رءوسهم ، وإذا كانوا هم لا يؤمنون بقداسة شيء حتى الدين المنزل نفسه فلماذا يحاولون أن يحيطوا هؤلاء بقداسة ويصادرون الرأى عنهم ويمنعون مناقشة أفكارهم الزائفة التى خدعت الناس طويلا قبل أن يستفيقوا ويفهموا الحقيقة وتتكشف لهم المؤامرة التى كانوا يقودونها والتى خدعوا بها الأمة سنوات قبل أن ترتفع عن عينها الغشاوة .

وقد أعجبتنى عبارة للدكتور عبد الصبور مرزوق فى هذه المحاورة وذلك قوله :

« ان ضرب أسوار القداسة حول الكبار أخطأوا أم أصابوا إنما هما خيانة فكرية للأمة بأسرها وتزييف لهالات التقديس التى يحاطون بها من حملة القماقم أو خبئاء الطوايا وهذا مايؤدى حتما إلى إعادة فتح الملفات فور زوال العمى عن البصائر وبمجرد انحسار هالات المجد التى كان يعيشها الكبار من قبل » .

ومن حقنا أن نتساءل مع الدكتور عبد العزيز حموده :

ماهو المقياس الحقيقى للشوامخ : أليست الأمانة للوطن والأمة والأصالة وعدم التبعية ، فماذا يكون موقف هؤلاء إذا طبقنا عليها هذه القاعدة :

لماذا يخاف الدكتور زكى نجيب محمود ويهاجم فى ذعر بالغ هذه المحاولة لإعادة تقييم العصر وتراثه ، ان الشوامخ الحقيقيين لا خوف عليهم وإنما الخوف على المضللين الذين سيسقطون لأول وهلة ، والذين كشفتهم الأحداث والحقائق ، عند عودة الميزان الحقيقى لوزن الرواد والشوامخ فى ضوء الإسلام ، إن أغلب

الشوامخ فى الحقيقة مجهلون ومنكرون ومبعدون عن دائرة الضوء ، وأغلب الذين يلمعون هم المتسلقون .

وإذا جاء توفيق الحكيم اليوم لينكر ماقدم بعد الثلاثينات ، فنحن نقول له : وماذا قدم الجيل المسمى بالرواد غير أنهم كانوا قناطر للفكر الغربى وتابعين للفلسفات معجبون بدعاة للفلسفة المادية والولاء العقلى والنفسى للحضارة الغربية وقد صدق توفيق الحكيم فى مقولته التى أذاعها فى آخر حديث له (يوليو ١٩٨٤) حين قال : إن كل أعمالى التى تعبت العمر فيها لا قيمة لها ، ولقد ضيعت حياتى فى كتب كان يخيل إلى أن لها قيمة ، ربما فى الثلاثينيات والأربعينيات أما الآن فلا أظن » .

وهذا القول ينطبق على كل الرواد والقمم الشوامخ ، إنهم كانوا يعيشون لحظة بلحظة ، وينتقلون من مائدة إلى مائدة ويعلمون أن ماينقلون عمل خالد وهو ليس إلا هباء ، فما كانت هـذه الأمة فى حاجة إلى كل هذا ، الذى بهرها ثمة ، ثم عادت فاكتشفت أنه شيء زائف له بريق خادع ، انه هو الذى أوردها موارد النكسة والهزيمة فاستيقظت لتعرف أن لها فكراً أصيلا طالما جهلوه وغضوا من قدره وهو يتميز بالأصالة والفطرة الربانية حتى جاء الغرباء ليقولوا للمسلمين : إن لديكم كنوزاً ، قالها رجال القانون إزاء الشريعة الإسلامية وقالها جارودى وبوكاى وغيرهم ممن استوعبوا الفكر الغربى وكانوا من صانعيه ، إن كل قولة لهؤلاء هى بمثابة سهام محماة بالنار تقذف فى عيون التغريبيين وشوامخهم لأن أصحاب الحضارة الغربية أنفسهم اليوم هم الذين يعترفون بأن ما كتبه هؤلاء ونقلوه هو حصاد الهشيم وتجض الريح .

إن الدكتور زكى نجيب محمود إنما يدافع عن وجوده فهو لايستطيع أن يقدم نفسه إلا فى إطار طه حسين والعقاد وسلامه موسى ، لأنه ليس شيئاً مستقلا ، لقد عاش حياته كلها فى التجريبين الوضعية المنطقية ودعوه خرافة الميتا فيزيقا (أى خرافة الغيب) ولما رأى إزورار الناس عنه وجفاف أساويه ، عاد يخدع بالحديث عن عن الإسلام ولكن كتاباته عن الألوهية كشفت عن أنه يؤمن بوحدة الوجود

والحلول على حد تصويره الذى أورده فى حديث آخر ساعة (يونيو ١٩٨٤) وهو نفس التصور الذى يؤمن به ميخائيل نعيمه والباطنية .

ونرى عاطف العراقى يصل إلى القول بأن التأثر بالمستشرقين هو ظاهر صحية وأن كل مفكر لابد أن يتأثر بالسابقين ولماذا يتأثر برنيان ولا يتأثر بالغزالى وما هو التنوير العقلى الذى نادى به طه حسين : أليس هو حرية عرض المذاهب الملحدة والاباحية ، إن ما قدمه طه حسين لنا من سموم الاستشراق قد رفضته الفطرة الإسلامية العربية لأنها وجدته معارضا لطبيعتها المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

إن قصة الأخذ من الغرب لأن الغرب أخذ منا قصة أشبه بالمؤامرة ، فنحن نعرف كيف أخذ العرب العلوم ولم يأخذ العقائد ونحن الآن يشترط علينا أن نأخذ الفكر قبل العلوم ، إن طه حسين لم يأخذ من المفكرين الغربيين الاصلاء ولكنه أخذ من المستشرقين اليهود الذين كانوا يمهدون الطريق لمفهوم تقبلهم فى المشرق الإسلامى ، إن حركة اليقظة الإسلامية استطاعت أن تكشف المؤامرة :

لقد كشف الشيخ مصطفى صبرى أخطاء كتاب السيرة العصريين فى شأن معجزات النبى :

وفى مقدمتهم هيكل وكشف مصطفى عبد الرازق وتلاميذه (على سامى النشار) عن أصالة الإسلام وكشف مالك بن نبى مخططات التغريب وكشف الخالدى وعمر فروخ مخططات التبشير وكشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن دخائل لويس عوض وكشف الدكتور محمد محمد حسين عن كتب الغرب ، وكشف محب الدين الخطيب عن خطط الغارة على العالم الإسلامى وكشفت الدكتورة نفوسة زكريا سعيد مؤامرة العامية على الفصحى وكشف كثيرون خديعه طه حسين ولويس عوض وزكى نجيب محمود وتوفيق الحكيم ودعا فتحى رضوان منذ عشرين عاما إلى إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الرائد .

٣ — إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الرائد

ما قيمة ما كتبه الجيل الرائد (يقول الأستاذ فتحى رضوان) :

أول ما يستوقف النظر فى إنتاج هؤلاء الكتاب أنه كان جزئياً لا يتكامل لم يجرؤ أحدهم فى الغالب على إخراج كتاب إلا بعد أن تقدم العمر وطال عملهم فى الكتابة والصحافة المطال ان ما أخرجوه فى النصف الأول من حياتهم هى مجرد مجموعات تضم مقالاتهم (في أوقات الفراغ لهيكل) يقابله عن العقاد (مطالعات فى والكتب الحياة ، ساعات بين الكتب ، مراجعات فى الآداب والفنون وعند (المازنى) حصاد الهشيم وقبض الريح وصندوق الدنيا وعند سلامه موسى (مختارات سلامه موسى) .

لم يكن تأليف الكتب بطريق تجميع مقالات متفرقة مجرد مرحلة من مراحل الحياة الفكرية لهؤلاء الكتاب بل كان ذلك صفة من صفاتهم العقلية تكشف عن طبيعة تكوينهم وعن حدود قدراتهم ومواهبهم فقد كانوا منذ البداية عاجزين عن أن يكون لهم نظرة شاملة لشىء من الأشياء السياسية أو الأدبية أو الحياة ، كان الأمر عندهم تنقلا بين الشخصيات والأفكار والكتب ، وكان ما يصدر عنهم انطباعات سريعة من قراءات لا تستولى عليهم ، ولا تملأ حياتهم ولا وجدانهم ، وإنما أقصى ما تستطيعه هذه القراءات أن تدخل إلى نفوسهم نشوة الإعجاب بفكرة أو بشخص ، ولكنها لا تلبث أن تنطفىء لتحل محلها إعجاب بفكرة أخرى وشخصية تالية .

فهيكل الذى ألف كتاب عن (روسو) من جزئين لا يكاد يذكر روسو فيما كتب بعد ذلك وكأنه لم يقرأ له أو يقرأ عنه ، دع عنك أنه ألف كتابا طويلا عن حياته وأفكاره ، والمقالات التى تقرأها فى كتب العقاد أو المازنى عن نيتشه ودوركايم وغيرهما أشبه بشىء بقاعات فى متحف صور ، تبدو فيها إنتاج كل الفنيين فى حياد يقف من جميع على بعد واحد تقريباً .

ولذلك إذا فرغت من قراءة ما كتبه العقاد والمازني وهيكل فعلا ، لا تعرف بالضبط ما الذى يريده أى منهم ، ثم لا تعرف الفارق بين واحد منهم والآخر ، فيما عدا الفوارق المادية من حيث الوضوح أو الغموض ، أو جزالة الأسلوب ورخاوته ، فإنهم فى واقع الأمر أبناء مدرسة واحدة ، وقد انتقلوا جميعاً إلى التأريخ للإسلام ، والدفاع عنه ، وختموا حياتهم الفكرية بهذا الطور كأنهم كانوا جميعاً على موعد فى كل خطوة يخطونها ، ويسوغ لك أن تتساءل بعد أن تقرأ كتب العقاد عن عبقريات محمد وعمر وأبو بكر الصديق والصديقة بنت الصديق والإمام على والحسين وعن الإسلام بين حقائقه وأباطيل خصومه ، وكتب هيكل عن محمد وأبى بكر وعمر ومنزل الوحى ، وكتب غيرهم ممن ينتسبون إلى نفس العصور ونفس المدرسة عن الإسلام ، لك أن تتساءل بعد أن تفرغ من قراءة هذه الكتب الكثيرة ما الفارق بين هيكل والعقاد وغيرهما حينما لم يكونوا يذكرون القرآن إلا نادراً وهيكل والعقاد وزملاؤهم حينما وجهوا جهدهم الأدبى ووقفوا دراساتهم أو كادوا على الإسلام وأبطاله وأحكامه ، ومواقع معاركه دائرة فى الفكر الإنسانى ، وقد لا يروقك أن تعلم أنه لا شىء مطلقاً أو لا شىء تقريباً ، فكما كانا يؤلفان فى الماضى عن روسو وجيته وبيكون ، كتبا وكما كانا يكتبان مقالات عن فرانس ونيتشه وعن الفلسفة الغربية وعن زعماء الفكر الأوربى ، يكتبون الآن كتبا عن الإسلام ونبيه وصحابة رسوله ، وعن أثره وفلسفته ، فما من شىء فى حياتهما تغير بتغير موضوع دراستهما وكتاباتهما وما من شىء تأثر فى أسلوب تفكيرهما ، وكان من الطبيعى وقد بلغ الإعجاب عندهما بالإسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينعكس على مسلكهم فى الحياة العامة وعلى تفكيرهم السياسى وهم رجال سياسة وصحافة[1] ، هذا القدر من الإعجاب ولكنك لا ترى له أثرا ، وليس هذا إلا مظهراً كاشفا عن موقف كتاب هذا الجيل كله ، فالكتابة

---

(١) وإذاك تعجب بعد أن تولى هيكل وزارة المعارف وقد ألف كتاب محمد وكانت له آراء فى التغريب وأثره فى المدرسة والتربية فلم يعمل بها

عندهم لم تكن معاناة روحية ولم تكن إعلانا عن إيمان وعقيدة ، ولا ارتباط وتصميم .

بدأ هؤلاء الشبان حياتهم الفكرية وهم يتمنون أن يكونوا طليعة فكر (علمانى) لادينى ، طليعة حرة ، لمدرسة من الأحرار لاتخيفهم التقاليد الموروثة ولا القيم التى اسبغ عليها الخوف والكسل والتراخى العقلى والوجدانى هالات قداسة لاتستحقها بل لعلهم تاقوا إلى الذهاب إلى أكثر من ذلك بالدعوة إلى التحرر من الدين كله أو الإقلال من شأنه ، ولكنهم لم يجرؤوا فى البداية على التصريح بشىء من هذا ، وتركوا للجمهور أن يستنتج من مسلكهم العام أنهم لادينيون وأنهم يريدون أن يخلقوا حركة فكرية لاتهاب عمائم الشيوخ ولا الخرافات الشائعة بين الناس[١] وأن يقتحموا قلاع الرجعية الفكرية فماذا فعلوا ، كان أقصى ما استطاعوا أن يفعلوه أن يذكروا اسم الرسول مجرداً من لقب (سيدنا) وألا يتبعوه بالصلاة عليه ، فسيدنا محمد هو عندهم (محمد) كما أن سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر ليسا سوى أبى بكر وعمر وقنعوا بهذا وكفى الله المؤمنين القتال .

أما ماهم به طه حسين فى كتابه (فى الشعر الجاهلى) من الدعوة إلى استبعاد القرآن كمرجع تاريخى ، عند تحقيق العصور التى تعرض لها فى آياته فقد حذفه من كتابه فى الادب الجاهلى ، وآثر العافية ، وقد نهج نفس المنهج (على عبدالرازق) حينما أصدر كتابه (الإسلام وأصول الحكم) والذى قال فيه أن الخلافة لم تكن أصلا من أصول العقيدة الإسلامية ولا عنصرا من عناصر رسالة الرسول ﷺ وأن القرآن والسنة لم يبينا أصول الحكم ، فقد عزل من القضاء فكان كتابه هذا بيضة الديك وأمسك عن القول فى الإسلام والخلافة .

ثانيا : موقف هذه الجماعة من الاحتلال والملكية .

هـــذه الجماعة التى أرادت أن توهمنا أنها متوثبة ومتحررة أن تقف موقفا

---

(١) وأيد ذلك دفاع العقاد عن طـــه حسين ، وهجوم العقاد على لطفى السيد إبان الحركة السياسية ثم لانطواء فكره بعد أن وصل مجمع اللغة

لاهوادة فيه من عدوين خطيرين : الاحتلال والملكية فماذا كان موقفهما منهما ، كان العقاد أول الأمر أعنف فى مخاطبة الانجليز وفى مخاصمة الملك ، فكن مخاصمته للانجليز تأتى عادة فى المرتبة الثانية بعد العراك مع خصوم الوفد وخصوم سعد بل أن مخاصمة الانجليز والتصـــدى له كان فرعا عن مخاصمة عدلى ، فالانجليز ليسوا مكروهين لذاتهم ، بل مكروهين لأنهم يسندون عدلى ، وهم فى الواقع يداولون الحكم بين سعد وعدلى .

أما هيكل فكان بحكم كونه المتحدث باسم (الأحرار الدستوريين) أضعف صوتا فى مخاصمة الانجليز وإن لم يتورط فقط فى الثناء عليهم .

ولكن ماذا انتهى هذا الجيل من المفكرين فى شأن الانجليز والملك لقد هدأت المعركة مع الانجليز فقد استحال النضال الوطنى حربا أهلية بين الأحزاب يصيب الانجليز خلالها بعض الرشاش ، ولكن السهام والحراب والقذائف وجهت إلى الخصوم فى الداخل ولذلك هبطت الوطنية المصرية إلى مستوى كان له أسوأ الأثر على الفكر .

لم يكن الناس يسمعون ولا يرون شيئا يثير طموحهم الروحى ، ولا يحرك عواطفهم إلى مثل أعلى ، ولا يقودهم إلى تضحية نبيله ، أو مغامرة جليلة ، كان الصراع تافها وضئيلا ، وكانت أسلحة ضعيفة وصغيرة ، وكان كل ما يكتب مكررا ومعاداً فلم يؤثر فى كتابنا جميعا فى هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد ، كتب العقاد وهيكل والمازنى وعزمى آلاف بل عشرات الآلاف من المقالات السياسية الحزبية فلم يبق منها شىء معلقا ، بل أن العقاد شكا لى يوما فى بيته بمصر الجديدة أنه يشعر بأن ما يكتبه كأنما يلقى به فى بئر ولذلك لم يكن غريبا ألا يرتسم فى الذهن صورة المناضل العنيد للانجليز إذا ماذكر اسم واحد من كتاب العصر الذى نؤرخ له

قال كل منهم كلاما حاداً أو لينا ، متصلا أو متقطعا ضد الانجليز حسب مقتضيات ظروف الساعة ، فلما انقضت تلك الظروف لم يبق فى الذهن أثر لها فلم تكن مخاصمة الانجليز وإجلاؤهم عن البلاد شغلا شاغلا لواحد من كبار كتابنا بل

أن العقاد خلال الحرب كان يذيع من الاذاعة المصرية لصالح الحلفاء و توج جهوده بإصدار كتاب عن (هتلر) فلما قربت جيوش الألمان من الاسكندرية هاجر إلى السودان .

ولما فسد الملك وفسدت بطانته و توالت الفضائح لم نسمع لكبار كتابنا شيئا ذا قيمة فى هذه الكارثة القومية ، وكان من المنتظر من العقاد الذى بدأ حياته متنمرا يتوثب لمخازلة الملك ويهدد بتحطيم رأسه إن هو فكر فى المساس بالدستور أن يقود حملة ضد الملك فاروق فلم يفعل بل أن الحملة بدأها غيره وحمى وطيسها والعقاد لاصوت له فيها وكبار كتابها لايساهمون بقليل أو كثير بل أن بعض كتابنا ضفروا أكاليل الغار فوق رأس الملك فاروق وأحرقوا بين يديه البخور ، الأمر الذى يسجل كيف أفلس هذا العصر إفلاسا مروعا .

ولذلك أصبح من الهين أن يجتمع كبار الكتاب فى معسكر واحد ، فقد كانوا جميعا ينتموا إلى مدرسة واحدة هى مدرسة حزب الأمـــة ، ثم باعد بينهم حينا تنافس على الحكم ثم عادوا كما كانوا » .

٤ ـــ محاولة تغيير الهوية والانتماء والعرف الاسلامى

هذه تجربة الأستاذ فتحى رضوان أضعها بين يدى القراء دليلا كاشفا على واقع قضية جيل الرواد والقمم الشوامخ وهى صيحة مدوية لم يهدأ أوارها فإذا أضفنا إليها صيحة الأستاذ محمود محمد شاكر وجدنا أن الموقف يأخذ طابعه الاسبيل إلى التشكيك فيه .

يقول الاستاذ شاكر تحت عنوان : طه حسين هدمنى و نسفنى منذ خمسين سنة (جريدة الاخبار ١٩٨٤/١/٤) :

منذ أن تلورت فى ذهنى القضية التى صرت أحارب من أجلها وهى أن حياتنا الأدبية والثقافية والفكرية عامة قد بذرت منها بذور من العبث والاستخفاف والتحالم . ومع ذلك فان الذى رأيته فى شبابى أفضل مما أنا فيه الآن ، لأن الامور

الثقافية فى نزول لافى صعود وربما يسوء أبناء هذا الجيل أن يقال هذا ، ولكن هذه هى الحقيقة ، وليس معنى هذا أننى متشائم ، لقد بدأ الصراع منذ أيام طه حسين وكان طه حسين يهدم نفسى هدما وينسف أدبى نسفا ، لقد توصلت إلى حقيقة تشك الدكتور طه فى الشعر الجاهلى وهى أنه اقتبس مقالة المستشرق الاعجمى مرجليوث وادعى أنه امتلك ما اقتبسه ، ثم كان ماهو أبشع من هذا فقد كان من أساتذتنا مستشرقان أتى بهما طه حسين من إيطاليا أولهما « نلينو » ثم « جويدى » الصغير وكان أمرهما عجبا فهما يعلمان يقينا أن محصل مايقوله طه حسين إنما هو ما كتبه مرجليوث ولكنهما كانا معى شديدى المراوغة وكل ما كنت أظفر به منهما هو مطالبتى بتعظيم الدكتور طه وتوقيره بحق الأستاذية ثم استدراجى إلى تيه الألفاظ الغامضة ، البحث العلمى والأدبى ، وعالمية الثقافة ، وماشاب ذلك من ألفاظ التغرير فكنت امتنع عن التسليم لهما ، وهذا مازاد الامر بشاعة فى نفسى وسقطت هيبة الاستاذية ، ولم أبال بما أنا مقدم عليه من مفارقة بلادى وأهلى ومن هجر الدراسة الجامعية أيضا غير مبال ولا آسف ، صارت قضيتى هى قضية طلب اليقين فأحسست وأنا والجيل الذى أنا منه ـ وهو جيل المدارس المصرية ـ قد تم تفريغنا يكاد يكون كاملا من ماضينا كله ، من علومه وآدابه وفنونه ، وفى ظل هذا التفريغ وهذا التمزيق وهذه الكثرة التى تخرج مفرغه أو شبه مفرغة إلى (البعثات) وهذا التحول الاجتماعى والثقافى المضطرب ، انتعشت الحياة الادبية والثقافية انتعاشا غير واضح المعالم ولكن يقوم على أصل واحد فى جوهره وهو ملء الفراغ بما يتناسب آدابا وفنونا غازية ، المسرح مثلا : كان له شأن أى شأن يعتمد اعتمادا واضحا على المسرح الاوربى فى تكوينه كله وأيسر سبيل كان إلى امداده بمادته هو السطو على مؤلفات المسرح الاوربى مسلوخة يعاد تكوينها بألفاظ عربية أو عامية دون أى إشارة إلى هذه السطو وكانوا يسمون هذا حياء وفكرا : «التمصير» . والقصة أيضا كانت ضربا من السطو والتقليد هذه خطوط من صوره لجانب من الحركة الادبية والثقافية فى ذلك العهد وأكثرها باق إلى يومنا هذا ومقبول أيضا بلا استبشاع له ، لقد شهد طه حسين نفسه بهذا من موقع الاستاذية وقلته أنا من موقفى بين أفراد جيلى الذى أنتمى إليه وهو جيل المدارس المفرغ من كل أصول ثقافة أمته ، ولم ينتصب

أحد لوصف هذا التدمير الذى يشترك فى جريمته مثقفون كثيرون فى الأدب وفى الاجتماع وفى الفلسفة وفى الفن كله،من مسرح سينما وموسيقى وغيرها وكل منهم كما يقول الدكتور طه حسين : « ينفث السم ويفسد العقول ويمسخ فى نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة التجديد » وقد زاد الأمر فلم يبق مقتصراً على التعليم والكتابة والتأليف بل دخل كل بيت دخولا مفزعا عن طريق الإذاعة والتليفزيون . كنت من أكثر الناس تعلقا بانشاء المجمع (مجمع اللغة العربية ١٩٣٤) ولكنى أصبت بإحباط عندما رأسه أحمد لطفى السيد فهو فى رأيى ليس إلا (كرافته ودبوس) وهذا الرجل شديد التناقض ، ينبغى أن يعاد درسه،لأنه هو الرجل الذى كان يطالب بإحياء العربية باستعمال العامية .

هناك من يرى أن تراثنا العربى ماهو إلا فن (أرابسك) وأنه مجرد حفريات قديمة وهذه دعوة يروج لها المستشرقون وأعداء اللغة ، أن التراث بمعناه الحقيقى هو الانتماء ،ولا أكون موجودا إلا به،والذين يريدون فصلنا عن تراثنا لا يحبون التراث ولا اللغة العربية ولا العقل العربى وينظرون إلى التراث (الذى هو الانتماء) على أنه تحف ويبدو أن الدكتور زكى نجيب محمود ممن يعتنقون هذه الرؤية.أن كتابنا لا يقدمون شيئا مفيدا لمجتمعهم ولا لقضايا مجتمعهم ، ولو كانوا يسيرون فى طريق صحيح لكان لهم شأن آخر ، صحيح أنهم مجتهدون ، ولهم مجهوداتهم ولكنها ضئيلة وباهتة ، فعندما أنظر إلى الوجود الحقيقى لطه حسين أو توفيق الحكيم أو نجيب محفوظ أو إحسان عبدالقدوس أراه وجودا ليس مفيدا لقضايا مجتمعنا ومشاكل وطننا .

أن الثقافة العربية فى انكسار عام أمام الغزو الغربى وليس لدينا مثقفون بل أسماء ثقافية ، هذا الانكسار الذى يشكل ، تلك الثقافة التى حطمها الغرب بعد أن هزموا تركيا واتجهوا إلى هذه الأمة لأنها تملك لغة الإسلام فسعوا لتمزيق المنطقة أيضا ، فقد اختلفت المفاهيم وساء استخدام اللغة ، وأصبحت الألفاظ غير محددة، حتى مفاهيم الثقافة والازدهار والانحدار باتت كلها غير واضحة ، مايسمونه بفترة ازدهار ثقافى مصرى كان فى حقيقته مظاهر ارتباط بالحياة السياسية فى مصر خلال

الستينات ، فثقافة الأمة المفروض فيها أن تزيد ، لا أن تتوقف عند درجة معينة ، وأن تنمو بشكل مستمر ، وبالتالى فإن أزمة الثقافة ، هى أزمة فى الكيان الحقيقى للأمة الذى قهره الغرب ومزقوا أصالته عندما مزقوا لغته ، أن الثقافة الحقيقية هى ما يأتى من داخلك ، داخل أرضـــك ، لابد من البحث فى الذات والتعمق فيها ، واكتشاف موروثها الثقافى وتسييده والتخلص من أوهام العالمية والمعاصرة . أن مكمن الأزمة الثقافية هى سيادة (فكر العوام) ومايدعيه البعض من مظاهر جديدة للتعبير الثقافى سواء فى الأدب أو الفن هو فى حقيقته بعد عن التعمق وفهم الذات ومكوناتها فهما صحيحا والانطلاق منها لآفاق أرحب وصحقت ركيزة الاستمرار والتقدم وأصبح كل جيل يأتى أقل تميزا من الجيل الذى سبقه ، فهناك جيل شوقى والبارودى وغيرهما من الشعراء العظام ثم جاء جيل (على محمود طه وابراهيم ناجى) جيل عظيم ولكن ليس على مستوى تميز وتألق الجيل الذى سبقه وهكذا نلحظ أن انحدار المستوى الثقافى يرتبط بضآلة الجهد المبذول للحفاظ على نفس مستوى السابقين لأن الجهد الحقيقى للارتقاء بالحياة الثقافية لهذه الأمة لايجب أن ينعزل عن مكنون سته عشر قرنا ولا ينعزل عن ابداعاتها فلم يحدث مثل هذا الانقطاع فى صدر الإسلام ، فقد كان هناك شعر جاهلى عظيم ، وكان هناك شعر بعد الإسلام عظيم ، فلم يحدث انقطاع ، أما فى حياتنا الثقافية اليوم فإن الواقع يبدو رديئا ، فالشاعر تخلف عن فكره وإحساسه ولغته ولم يعد هناك مايشعرك بأن هناك قوة كامنة فى الداخل تماما ، حتى عندما حاول بعضنا أن يقدم الأعمال الدينية كان يقلد الغرب فيما يقلد ، فالدكتور طه حسين عندما كتب (على هامش السيرة) كان يقلد كتابا أوربيا كتب عن المسيح وهو نفسه اعترف بذلك ، وعلى مستوى آخر : ليس فقط كم المعارف ولكن الصيغة الأساسية لحركة الأمة ، فإذا كانت هى محركها ومكنونها الحضارى من ناحية فهى مؤشر السلوك وموجه الحركة العامة ، وهنا فإنى أسأل فى أى مجتمع يمكن أن يوجد مثل هذا الكم من الاعلانات؟ عن سلع تصنع فى دول أخرى ، وفى أية أمة يوجد هذا الكم من الأسماء الأجنبية لمواقع العمل ومحلات الخدمة ، أسبانيا يدخلها ٣٤ مليون سائح سنويا ولا يوجد اسم أجنبى لفندق أو مطعم أو محل ، ولا يعرض فيلم دون (دوبلاج) بلغة البلد . أن هناك جهلا بالقواعد الأساسية

لمكونات هذه الأمة ، وليس أدل على ذلك من أنه عندما تتمتع الأمة بتدفق الحياة في شرايينها ولديها علم كالفقه وأصول الدين فإن ذلك لابد أن يطرح قوته وحيويته على كل مظاهر الثقافة حتى على من يصنع عموداً في مسجد ، فالجو العام ينعكس على أدواته الفنية ومظاهرها ، فالأسس السليمة السائدة في مجتمع ما ، تفرز أشكالها على مظاهر السلوك فما ظنك بالآداب والفنون .

الحقيقة أنه ليس لدينا مثقفون ، بل هناك متعلمون ، هناك جيل (متغرب) ومع سلامة نيته تكون في إطار محدد ، اطار الثقافة والمعرفة الغربية ، ويعطى في هذا الإطار الذى صاغه الاستشراق الغربي لثقافة المنطقة ، وأنا أرى أن هـــذه الأسماء التي تتردد هي أسماء ثقافية وليست لمثقفين ، حتى أن الثقافة لبذرتهم بانت تفكير الغرب سلوكيا وفكريا وفصل الأمة عن ماضيها ، وأكثر من ذلك فإن نظام دنلوب الاستعمارى في التعليم ظل مستمراً في صياغة العقل الثقافي للأمة بطريقة استعمارية ، وباتت الأسماء المنتشرة تعكس أسماء عاجزة عما تدعى تقديمه تحت وهم (الابداع) وهي في الحقيقة تنقل فلسفات الغرب وأفكاره وأشكاله الأدبية والفنية والسينمائية لتبهر بها العوام وتدعى أنها امتلاك أساس الثقافة وذلك ليس بصحيح ، ما يمكن أن أقوله باختصار شديد أن ترديد تركيبات لغوية بدون مناقشة ، هو في حقيقته مأساة أخرى ولابد من العودة للجوهر الأصيل في مكنون الأمة أن ما يكتب الآن تحت شعار (التساؤل حول هوية مصر) أو عن تاريخ المنطقة ماهو إلا امتداد لتاريخ الاستشراق والتبشير في المنطقة والذى بدا من أكثر من ثلاثمائة عام ، والواقع أننا نعيش عصرا سخيفا افتقد فيه المثقفون الرؤية الحقيقية لما يواجهونه إن المعركة ببساطة شديدة هي العداء التاريخي بين الحضارة العربية الإسلام والحضارة الغربية المسيحية ، أى إغفال لذلك هو خطيئة ، عن نفسى لقد حددت قضيتى من أكثر من خمسين عاما وهي الدفاع عن كيان أمتى في مواجهة هذه الحضارة الغربية العنصرية الغازية ، فالغرب يريد أن استمر تابعا له ، ولا خلاص إلا بالتحرر من تبعيته ، لقد قسموا المنطقة سياسيا والآن يجتهدون في تمزيقها فكريا وثقافيا ، حتى تتمكن أوصر الأمة الإسلامية العربية أننا في حاجة إلى وقفة جادة لاستعادة توازننا التاريخي ، وعلى هذا الأساس فإني أنظر بريبة لكثير من القضايا الفرعية

التي يثيرها البعض الآن لأنها في حقيقتها لاتستهدف خير الأمة ، بل الاستمرار في حقيقتها لاتستهدف خير الأمة ، بل بالاستمرار في حلقة مفرغة ، بل انني اعتبر أن الذين يتحدثون عن مصر ، هل هي عربية أم إسلامية أم فرعونية أم متوسطية ينسجون في الواقع قصصا للخديعة بغرض الاستمرار في تمزيقنا لأنه لابد من النظرة الكلية للامور فأصحاب الحضارة الأوربية ينظرون لها بمنظور كلي ، فكيف نعجز نحن عن النظر لحضارتنا بنفس المنظور ، أين هو التاريخ الذى عند علمائه وانتصاراته مثلنا ، أين الذين تنكروا لحضارتهم مثل الكثير من مثقفينا ، لماذا لانتذكر تشرشل عندما قال أنه يدافع عن الحضارة المسيحية ، ولماذا فشلنا في رؤية ستالين وهو يضع يده في يد تشرشل من أجل نفس الهدف ، نعم كان ستالين يدافع عن نفس الحضارة المسيحية ونفس مايلتقي فيه الأمريكي الرأسمالي والشيوعي الروسي ، حتى عندما نادوا بالشيوعية في الاتحاد السوفيتي لم يتخلوا عن لغتهم بل وضعوها في القمة ، ستالين دافع عن لغته ، وظلت كما هي بكافة ألفاظها ومرادفاتها التي لاتتفق ومفاهيم الشيوعية ، لأنهم أدركوا حقيقة هامة هي أن اللغة هي أنا وبدونها لا أكون شيئا .

أن أخطر مايحدث لنا الآن أننا نردد المفاهيم التي أرادوا لنا ترديدها ، فالذين يتكلمون عن (العصر) الذى نعيشه ويجب أن يعلموا : أن العصر هو أنا ـ أنا الذى أوجد عصرى ، وأوربا ليست هي العصر الذهبي الذى يجب أن أركع أمامه ، بل أن الموقف الأهم هو كيف أكون شيئا صحيحا وليس شيئا تابعا ، على مستوى العالم ليس قرية واحدة ، بل أن كل أمة متميزة لها قضية تشغلها هم يعنيهم الأمة المسيحية بينما قضيتي أنا هي العالم العربي والإسلامي ، ولا يعني ذلك العزوف عن مبتكرات العلم والتكنولوجيا أو التخلي عن الطب أو الكيمياء ، لا بل أعرفها باستقلاليتي أنا لاغيرها بقدر إمكانياتي سواء أخطأت أم أصبت ، عصريتهم هم لا تنطبق على أنا ، ويجب أن نتذكر جيدا أن الحضارة الإسلامية كانت هي الحضارة المنتصرة والمهيمنة لأنه كان لديها مايضارع مالدى الأمم الأخرى فأخذت ماأرادت وبمحض إرادتها الواعية وليس تحت زعم العصرية وتعاملت معه على قدر زمانها ـ

أما ما أخذته أوربا فى العصور الوسطى ، فقد أخذوه للاستفادة به ، ولم يأخذوا معه العقائد والتقاليد أو اللغة أو حتى المنهج ، كما يطالب للأسف بعض مثقفينا .

أن موقفى هو أن مثقفينا مقلدون للغرب ولهذا لم أتردد فى القول بأنهم يسيرون فى الطريق الخطأ ، فمثقفونا مقلدون وليسوا مبتكرين فهم يقلدون نفس مصطلحاته، نفس الرؤى التى ينادى بها ، أن موقفى من أى كاتب هو فى حجم رؤيته لقضايانا الكلية ، وموقفه من المخاطر التى تتهددنا ، ليس بينى وبينهم خلافا شخصيا ،ولكن ذلك لا يمنعنى من الدعوة إلى إعادة تقييم كل هؤلاء الذين نعتبرهم أعلامنا الفكرية ونعيد النظر لتاريخنا ولكن المخاوف التى يرددها البعض ، ليس هناك أمم تعيش على بضعة أفراد فى مرحلة معينة ، أن ما يجهله البعض أننا نملك أعلام ستة عشر قرنا ونملك الوثيقة الإلهية الكبرى وهى القرآن الكريم فلا يمكن أن ننسى ذلك كله.

إذن فالدعوة إلى تقييم كتابات جيل الرواد والقمم الشوامخ ليس جريمة محرمة بل أنها طبيعة الأشياء ، على الأجيال أن تقيم ميراثها القريب وأن تعرضه على مفهوم الإسلام الأصيل لترى هل كان موافقا له أم معارضاً ، لقد علت سحابة التغريب والغزو الثقافى حتى حجبت الرؤيا الصحيحة سنوات طويلة ،حتى ظن أن كل ما يقدمه هؤلاء الذين لمعوا عن طريق النفوذ الغربى هو الحق والحقيقة وهو القول الفصل فى الأمور كلها ، ولكن سرعان ما يتبين أن هؤلاء لم يكونوا إلا قناطر للفكر الغربى إلى ساحة الفكر الإسلامى وأن أماناتهم لأمتهم وللقيم الأصيلة كانت ضعيفة واهية ، وأنهم خدموا أساسا بانبهارهم بالحضارة الغربية ثم كانت رسالتهم أن يخدعونا وأن يقدموا لنا النصح بأن طريق الغرب هو الطريق الصحيح وأن علينا أن نتجاوز ذلك (القديم) الذى وصفوه بالجمود والبلى لنأخذ (جديد) الغرب لنصبح مثله ولننهض به ، ولم تكن نصيحة صادقة ، أو مخلصة ، هكذا اعتقدوا أو خيل لهم، أو كان منهم المكرة الخادعون ، ولكن هذه الخنائر كلها التى طرحوها تتكشف اليوم فى ضوء شمس الإسلام الساطعة بأن كثيرا منها كان زائفا وفاسداً ، وليس هذا الذى يحدث اليوم من إعادة تقييم هذه المرحلة التى أطلق عليها (جيل الرواد والقمم الشوامخ) والتى امتدت منذ جاء لورد كرومر إلى مصر وأنشأ مدرسته :

مدرسة المتفرغين الذين يحكمون مصر بعقل الغرب والذين يؤمنون بالحضارة الغربية وينتقصون الأزهر والإسلام واللغة العربية ويذهبون وراء الليبراليه وحرية الفكر ومذهب الغرب فى السياسة والاجتماع ، هؤلاء الذين كون عقولهم قانون نابليون الذى ورث الشريعة الإسلامية التى حجبت وحجبت معها التربية الإسلامية والاقتصاد الإسلامى والمجتمع الإسلامى القائم على التوحيد والخلق والعدل الاجتماعى . فماذا يدهش العلمانيون والتغربيون اليوم حين يرون أن حركة اليقظة الإسلامية تقوم منذ فجرها على نقيض هذا الأسلوب الوافد فى جوانبه المعارضة للصراط الإسلامى المستقيم إيماناً بأن هذا الركام كله الذى اختلط فيه الخير والشر ، إنما يهدف إلى إزالة التميز الخاص والذاتية الإسلامية ويرمى إلى الاحتواء والحصار والانصهار فى بوتقة الأمم والتغريب وإخراج المسلمين من طابعهم الربانى الخاص ومنهج حياتهم وأسلوب عيشهم وليعلم التغريبيون والعلمانيون الذين يدهشون من حركة إعادة التقييم لهذه المرحلة ، أن المسلمين على مدى تاريخهم كان عليهم أن يخوضوا هـذه المعركة مرة بعد أخرى ، للمحافظة على كيانهم ووجودهم ، وأنهم لن يكونوا قادرين على مواجهة الاحتواء الغربى الذى يحاصرهم الآن إلا بفهم هذه الحقيقة والتحرر من هذا الأسر ، ومما ساعد على ذلك أنه ظهرت فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة وانكشفت مغالطات كثيرة وتصححت مسائل ظلت مغلفة بالضباب زمنا وتحطمت مسلمات كاذبة ظل النفوذ الأجنبى يخدع بها المسلمين أعواما ومع الأسف فإن أجيالا كثيرة قد نشأت على هذه الأخطاء بل أن جيلنا نحن نفسه قد خدع ثمة قبل أن ينكشف أمامه الفجر الصادق . وجرينا مـــع الخطأ حول السلطان عبدالحميد والاعجاب ببعض البطولات المعاصرة .

ومن ثم فإن (العودة إلى المنابع) هى صاب دعوة مدرســة الأصالة منذ أحمد بن حنبل حتى صاغها ابن تيمية وابن القيم فى منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله المجاهدون الأبرار جيلا بعد جيل فلم يخل منه جيل .

ويجب أن يعلم العلمانيون والتغريبيون العرب والمسلمون أن هناك مقاييس أصيلة قد أقامها الفكر الإسلامى فى النظر إلى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ تختلف اختلافا واضحا عن تلك المفاهيم المستمدة من الفكر الغربى الوثنى المادى

وريث الفلسفة اليونانية والقانون الروماني والمسيحية الغربية، هذه المفاهيم الإسلامية مستقاه من الفطرة الأصيلة ومن القيم الأساسية التي قدمها القرآن وعرفتها أمتنا منذ أربعة عشر قرنا بينما مفاهيمهم الوافدة لم تعش أكثر من مائة عام .

وليعلم التغريبيون والعلمانيون أن محاولاتهم لبناء فهم فكري تابع تحت اسم الخلط بين قديم الإسلام وجديد الغرب مرفوض تماما لأنه منهج زائف لا يرمى إلا إلى سيطرة الفكرة الغربية وهزيمة الفكرة الإسلامية، وهو تكرار لمحاولات الغاشين السابقين طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق ، وهو ليس أصيلا ولا مستمدا من تراث هذه الأمة أو ميراثها ، أنها محاولة لتبرير الوائع والخداع المستيقظين وتغيير الايمان لجلده ، لطرح مفاهيم مسمومة ترمى إلى الانخذال عن مفهوم الإسلام الأصيل فى مواجهة الأعداء .

وليعلموا أننا أمة واعية فطنة غير خادعة ولا مخدوعه، تفتح الأبواب لكل فكر (لنستفيد منه ونعى تجارب الأمم) وأمامنا تجارب الغرب كلها التى طبقها فى بلادنا وقد تكشف فسادها وتبين فشلها، تجارب الماركسية والقومية ، والعلمانية، والاقليمية ، والعالمية، والإنسانية (الهومنيزم) وإحياء الحضارات القديمة الفرعونية والفينيقية وكل هذا هزم وتحطم ، كذلك فإن فرض مجموعة من الطواغيت تحت اسم القمم الشوامخ، وهى بطولات وهمية أمثال طه حسين وغيره فقد أسقطت تماما فإن مقاييسنا فى ميزان الإسلام للبطولات والقيم تختلف .

٥ — سقوط المسلمات الباطله

لقد سقطت كل المسلمات الباطله التى جاهـد التغريبيون فى طرحها فى أفق الإسلام وعاشوا حياتهم يبثونها ويرددونها ويخدعون الناس بها ، فقد تكشف باطلهم وزيفهم وعرف المسلمون أنهم كانوا مضللين وأن هـؤلاء القادة الرواد الشوامخ كانوا غاشين لأمتهم خادعين لها لا يقولون لها الحق ولا يدلونها على الخير.

كذلك فإن اليقظة الإسلامية اليوم أصبحت قادرة على مواجهة هذا الزيف ، وقد رأى توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ولويس عوض ومصطفى مرعى ، وغيرهم من كيف واجههم الباحثون الحجة بالحجة فى أدب الإسلام الجم ، أنهم يعيشون اليوم مرحلة الهزائم وتنكيس الفكر الواقد لإعلامه ، فقد تبينوا أن هناك فارقا عميقا بين الشورى الإسلامية والديمقراطية وبين العدل الاجماعى وبين الاشتراكية، أنهم يحسون بالهزيمة عندما يرون سقوط الكثير من مفاهيمهم الضالة ، عن فرويد وماركس وسارتر ودوركايم وزعيمهم دارون كذلك فهم يعرفون اليوم هزيمتهم عندما يسمعون صيحة عودة المرأة إلى البيت وفشل دعوتهم بانفصال الدين عن الدولة وفصل العروبة عن الإسلام ، وفساد دعوى العقلانيه بالمعتزلة ، لقد كان لكل منهم مهمة: إحسان عبد القدوس للجنس ، وزكى نجيب محمود للمادية ، وأنيس منصور للوجودية وإدريس للماركسية وتوفيق الحكيم للفكر التلمودى وصلاح جاهين للعامية وبهاء وكامل زهيرى للمنتوجات الخادعة ولويس عوض للفرعونية والإنسانية والشرقاوى لتزييف تاريخ الإسلام ، أنهم يحاولون إعادة فكرة القومية والعلمانية بعد سقوطهما سقوطا نهائيا ، وهناك دعاة التصوف الفلسفى ، واحياء الفرق الباطنية ، أنهم يفرقون اليوم عندما يرون خطة العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، أنهم يدعون إلى تنحية الإسلام عن الحياة الاجتماعية للمسلمين وحصره فى مجموعة من الشعائر والطقوس ، وحصار القرآن الكريم والفصحى وأمهات التراث ، أنهم يدعوننا إلى الانصهار فى الحضارة العالمية والاممية وهى فى مرحلة الهزيمة والسقوط وينكرون الهوية الخاصة والتميز الذاتى ، ويعملون على تحطيم قاعدتين أساسيتين فى الفكر الإسلامى وهما الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،

٦ — رواد الأصالة ورواد التبعية

أنني أرجو من المثقفين المسلمين ألا يخلطوا الأوراق ولا يذهبوا في الحكم على الأسماء اللامعة مذهبا واحداً ، لأنهم شوامخ أو بارزين أو مشهورين فيضعون جمال الدين ومحمد عبده مثلا في صف طه حسين وسلامه موسى ، فهذا أمر يجب الحيدة فيه والحذر منه .

إذا كانت هناك دراسات جادة مخلصة تكشف عن انحراف بعض الأسماء اللامعة أمثال طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق وتوفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ، فإنه من قصر النظر تقبل ما يكتب عن جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والسلطان عبدالحميد على أنه داخل في دائرة واحدة ، هذه هي مؤامرة خلط الأوراق التي يعمل التغريب على وضعها للتضليل .

كذلك فإن الأمر يختلف بين كاتب له أخطاء وتجاوزات في بعض نظرياته وآرائه سواء في التاريخ أو الأدب أو الفكر أو الثقافة وبين كتاب أعدوا إعداداً تاما ليكونوا أداة من أدوات التغريب والغزو الثقافى .

ونحن في هذا المجال لانحيز وجها للمقارنة مثلا بين طه حسين والعقاد (وهم يحرصون على أن يضعوا الاسمين معا) في إطار واحد ، فارق كبير بين الكاتبين وبين أهدافهما وبين حساب كل منهم ، وهل حظى العقاد في هذه الفترة الأخيرة بمثل ماحظى به طــه حسين ، هل أقيمت المهرجانات واستقدم المستشرقون ليتحدثوا عنه وليطوفوا البلاد العربية يلقون المحاضرات له في الدفاع عنه .

وأننا قد نأخذ على بعض كتابنا أخطاء أو تجاوزات ولكن ذلك لايجعلنا نضعهم في دائرة المخاصمة ، ولكن كتابا آخرين قد نعترض تماما على الخط الذى رسموه وساروا به من أجل تحويل هذه الأمة عن قيمها وعقيدتها ، إذن فليس هناك حكم واحد ، ولكن هناك تقدير منضبط لايظلم ولا ينتقص الناس أقدارهم .

أقول هذا للذين كتبوا بحسن نية أو بسوء نية يخلطون بين جمال الدين الأفغانى

وطه حسين أو بين سلامه موسى والعقاد ،أن البعض يريد أن يخلط الأوراق ليدعى أن الحملة على التغريبيين ظالمة ، ولكن الواقع أن كتاب اليقظة يفرقون بين أخطاء الدكتور محمد حسين هيكل اليسيره فى السيرة أو تجاوزات العقاد فى مفهومه للعبقرية وبين تلك الوجهة الكاسحة من التغريب التى يقودها طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق وتوفيق الحكيم ولويس عوض وزكى نجيب محمود .

أما الذين لايريدون أن يصدقوا أخطاء لطفى السيد وسعد زغلول وطه حسين فهم أولئك الذين يخدعون أنفسهم بالجرى وراء وهم القداسة الكاذبة للشخصيات البشرية التى تخطىء وتصيب ، فانهم لايقبلون أن يفهموا حقائق التاريخ التى ظلت خافية عليهم زمنا طويلا .

أن أبرز الظواهر التى حققتها عملية إعادة تقييم مرحلة التبعية التى بدأها لطفى السيد وطه حسين واستمرت فى توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ولويس عوض هى انكشاف مخطط التغريب والغزو الثقافى ومؤامرة الاستشراق والتبشير .

١ ـ انكشاف ظاهرة المصطلحات الأجنبية المنقولة وهى المعبرة عن تصورات مصالح أجنبية غريبة عن كيان الأمة الإسلامية وعقائدها ومصالحها مع تأكيد أهمية الالتزام بمصطلحات نابعة من عقائد الأمــة وتاريخها ومواثها وجوهر شخصيتها الإسلامية .

٢ ـ انكشاف محاولة تفسير القضايا الكبرى تفسيرا خاطئا فما يقال عن أن الأديان الثلاثة واحدة ،ومحاولة دعوة العرب إلى بدأ جديد للفكر والأدب والثقافة منذ الحملة الفرنسية أو محاولة تجديد القومية والاشتراكية التى أثمرت نكسة ١٩٦٧

٣ ـ كشف زيف الاقتصاد الوضعى ، القانون الوضعى، التعليم العلمانى، سقوط منهومها الماركسى ، كشف خطأ تفسير معارك حطين والقدس ودمياط والمنصورة وعين جالوت على أنها معارك صراع عربى بينما هى معارك إسلامية أساسية .

٤ ـ انكشاف زيف أخبار الفكر الباطنى والوثنى والإباحى ، كتابات ابن سينا والحلاج وأبو نواس ورسائل اخوان الصفا وابن عربى وتهذيب الأخلاق

لابن مسكويه ، وكلها لاتمثل المفهوم الإسلامى الأصيل وإنما تمثل المفهوم الوافد من الفكر اليونانى .

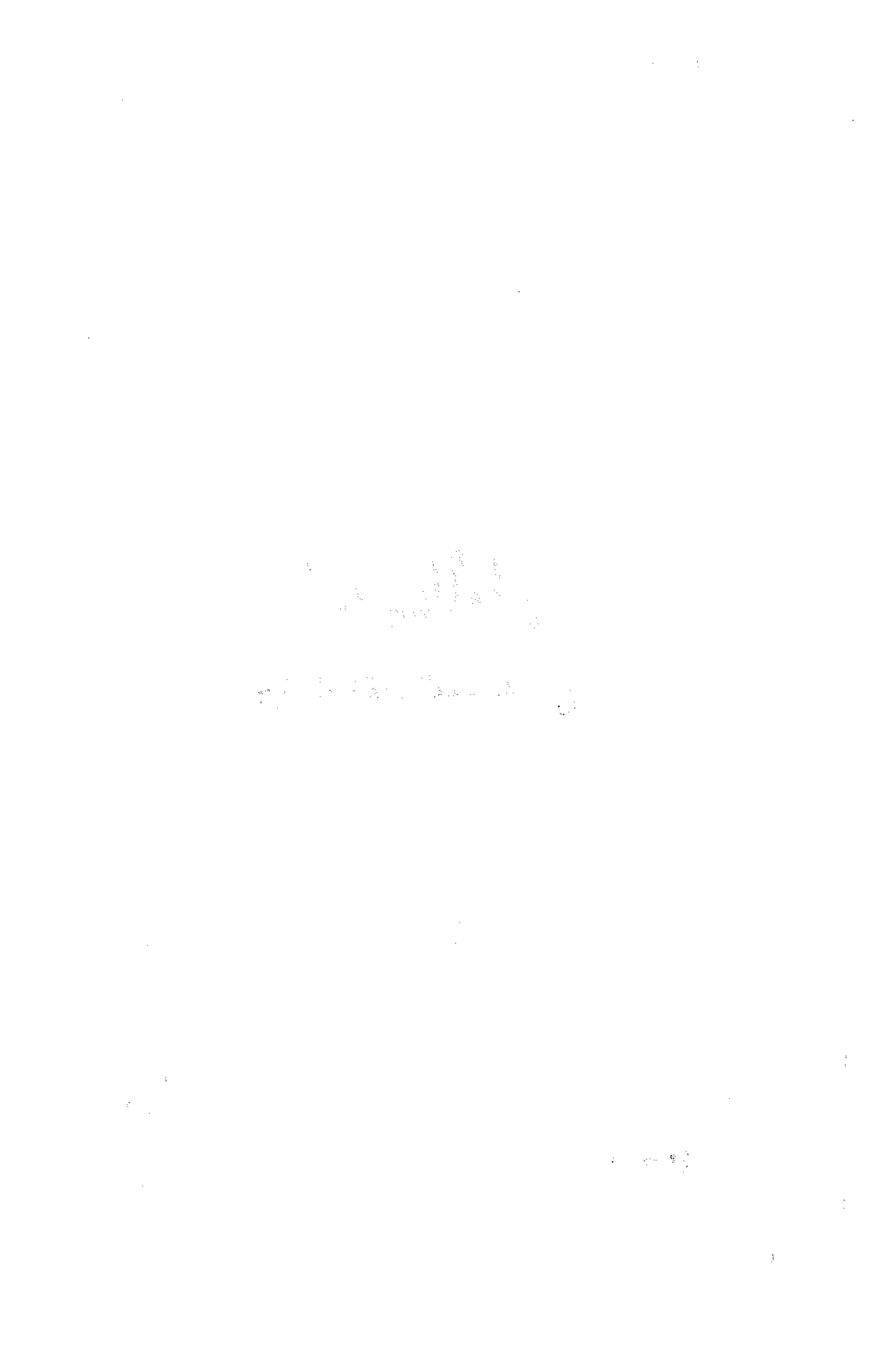
٥ - انكشاف أخطاء ايدلوجيات الفرس وفلسفاته لسارتر وفرويد وماركس ودوركايم وانكشاف الشخصيات التى لمعت بالباطل على المدى الطويل : جرجى زيدان ، لطفى السيد ، عبدالعزيز فهمى ، سعد زغلول ، قاسم أمين ، طه حسين ، على عبدالرازق .

٦ - انكشاف ظاهرة سيطرة القصاصين على الحياة الفكرية الحديثة مع أنهم لايملكون أدوات هذا العمل (يوسف إدريس، توفيق الحكيم، إحسان عبدالقدوس نجيب محفوظ) .

٧ - انكشاف فساد نظرية الاستلام لروح العصر وتبين أن روح الأمة أعظم من روح العصر ماهى إلا طائفة من التقاليد التى سيطرت على المجتمعات مع الزمن بصرف النظر عن القيم الإسلامية وفساد فكرة الولاء والتبرير والمتابعة وتحسين الواقع وتعميقه بالنسبة لانحراف المجتمعات وفروعها عن أمر الله وحدوده فيه ، فالإسلام لايقر الاستسلام لروح العصر أو التبعية للأوضاع التى رسمتها الظروف وتراكمت عليها شتات الأمم وأهواءها .

الباب الأول

جيل العمالقة والقمم الشوامخ



لطفى السيد
وأكذوبة أستاذ الجيل

خلفت لنا فترة التبعية للغرب مسامات خطيرة وكلمات دخيلة وحاولت سحب كثيرة من سحب الغزو الفكرى والتغريب أن ترسم صورة خادعة لبعض الشخصيات وكان أخطر ماأطلق فى هذه الفترة كلمة عميد الادب على الدكتور طه حسين وأستاذ الجيل لطفى السيد فإلى أى مدى كان هذا اللقب صحيحاً بالنسبة لمنشىء حزب الامة ومترجم أرسطو والخصم الأول للعروبة وللوحدة الإسلامية جميعاً

و فى الحق إن إسم لطفى السيد لمع لمعاناً شديداً وخدع به كثيرون وكان لإمتداد العمر وتغير الأوضاع وإقتناص بعض الفرص التى جاءت بها الظروف عاملا من عوامل القداسة التى منيت بها مثل هذه الشخصيات بالرغم من فساد جوهرها .

وليس علينا ان نصدر حكما جازما على شخصية ما، يسلم به الجميع ولكن علينا أن نلقى الأضواء الكاشفة على مثل هذه الشخصية من واقع التاريخ وبالوثائق الثابتة ثم ندع القارىء ليحكم هو : هل كان لطفى السيد حقيقة أستاذ الجيل وأى جيل

أولا : الدعوة إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان بإعتبار أنهم وحدهم الذين سيتولون الحكم ومقاومة تعليم سواء الأمة ومعارضة الإتجاه إلى المجانية وذلك حتى يمكن المحافظة على وجود طبقة معينة تتولى حكم البلاد دون أن يتاح ذلك لباقى أفراد الشعب .

وقد رد عليه مصطفى كامل صاحب اللواء رئيس الحزب الوطنى ولخص آراءه وكشف عن فسادها .

ثانياً : الدعوة إلى العامية : وقد سار فى هذا التيار مؤيداً الخطوات التى كان قد قطعها المستشرقون والمبشرون (مولار - وبلكوكس) وكان أبرز مادعا إليه إبطال الشكل وتغييره بالحروف اللينة وتسكين أواخر الكلمات وإحياء الكلمات العامية والمتداولة وإدخالها فى صلب اللغة الفصحى والنزول باللغة المكتوبة إلى

ميدان التخاطب العامى وكانت وجهة دعوته : تمصير العربية بإحياء العامية (مقالاته فى الجريدة خلال شهرى أبريل ومايو ١٩١٣). وقد رد عليه عبد الرحمن البرقوقى ومصطفى صادق الرافعى بما يكشف زيف هذا الاتجاه

ثالثا : مقاومة التضامن العربى الإسلامى وقد عارض مساعدة المصريين لجيرانهم فى طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالى الاستعمارى عام ١٩١١ وكتب فى هذا المعنى تحت عنوان (سياسة المنافع : لاسياسة العواطف) مقالات متعددة دعا فيها المصريين إلى إلتزام الحياد المطلق فى هذه الحرب الإيطالية التركية وإلى الضن بأموالهم أن تبذر فى سبيل أمر لايفيد بلادهم وقد أثارت هذه المقالات على لطفى السيد عاصفة بل وطعنا جارحا على حد تعبير تلميذه الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته .

رابعا : أيد وجهة النظر البريطانية الاستعمارية فى التعاون مع الجاليات المسيطرة المحتلة ودعا إلى أن تملك هذه الجاليات فى الأراضى المصرية فيكون لها الحق فى التملك والسيطرة على البنوك والتجارة وغيرها .

خامسا : مجد اللورد كرومر : الحاكم البريطانى الذى أذل المصريين لمدة ربع قرن مسيطراً على سياسة البلاد وساحقا لكرامتها ومغتصبا لثروتها وحياتها يوم خروجه من البلاد تحية الأبطال وقال عنه :

« أمامنا الآن رجل من أعظم عظماء الرجال ويندر أن نجد فى تاريخ عصرنا ندا له يضارعه فى عظائم الأعمال : هو اللورد كرومر وقال : لو بقى اللورد كرومر عاما واحدا فى منصبه لعيد عيده الذهبى فى خدمة دولته » نشر هذا فى الجريدة فى نفس اليوم الذى ألقى فيه كرومر خطاب الوداع فسب المصريين جميعا وقال لهم أن الاحتلال البريطانى باق إلى الأبد .

سادسا : رسم لطفى السيد خلال عمله فى الجريدة (١٩٠٨ - ١٩١٤) منهجا للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبى والاحتلال البريطانى والفكر الغربى تحت اسم عبارة ماكرة خادعة هى

(مصر للمصريين) وقاوم بهذا الفكر ذلك الاتجاه الأصيل الذى كان يحمل لواء دعاة الوطنية الصادقة والفكر الإسلامى النير وكون مدرسا تحقق لها بعد الحرب العالمية الأولى السيطرة على مقدرات الأمور بعد أن أقصى رجال الوطنية الحقة .

سابعاً : تبين أن مترجمات لطفى السيد عن أرسطو (التى ترجمت من الفرنسية) (السياسة . الكون والفساد . الأخلاق) وهى منسوبة إليه، تبين أنه ليس مترجمها وأن مترجمها الحقيقى هو قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية وذلك بشهادة عديد من معاصرى هذه الفترة .

ومنهم (الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب السابق ولا يزال حيا يرزق)

ثامنا : بالرغم من دعوة لطفى السيد العريضة إلى الدستور والحرية فإن الوزارات التى قبل الاشتراك فيها كانت كلها تتسم بطابع واحد فهى جميعا وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحريات العامة .

يقول الأستاذ فاروق عبد القادر : أن الباحث فى لطفى السيد ليس بوسعه أن يتجاهل هذا التناقض كيف للرجل الذى كتب مطالبا بالدستور مدافعا عن الحرية أن يشترك فى وزارات عبثت بالدستور وصادرت الحرية ، كيف يشترك فى وزارات طابعها الإرهاب والسطو على الحريات .

تاسعا : إن حزب الأمة الذى أنشأه لطفى السيد كان بإجماع الاراء صناعة بريطانية أراد بها اللورد كرومر أن يواجه الحركة الوطنية بجموع من الإقطاعيين والثراة والأعيان (الذين وصفهم بأنهم) أصحاب المصالح الحقيقية ، وقد كان هدف حزب الأمة والجريدة بقيادة الفيلسوف الأكبر لطفى السيد تقنين الاستعمار والعمل على ايجاد شرعية للاحتلال مع والدعوة إلى المهادنة مع الغاصب وتقبل كل مايسمح به دون مطالبته لشىء .

هذه مجموعة من الخطوط العامة نضعها بين يدى القارىء العربى المثقف دون أن نقدم حكما على لطفى السيد وندعه هو أن يصدر هذا الحكم . ولقد تعددت المصادر والأبحاث التى تكشف حقيقة هذا الرجل فليرجع إليها من يشاء وكلها تجمع على أن هذه الدعوة التى حملها لطفى السيد إنما هى خطة دقيقة محكمة من خطط الاستعمار

الغربى والنفوذ الأجنبى ، فإن اللورد كرومر أراد فى إطار عمل مرسوم أن ينشىء فى مصر جيلا جديدا يسير فى ركب الاستعمار معجبا به مقدراً له ومحبا ولذلك عمل خلال عشرين سنة أو يزيد على صياغة هذا الجيل عن طريق المدرسة وعن طريق الثقافة وكانت دعوته الملحة الحارة أن بريطانيا ستسلم مصر لأبنائها متى ظهر هذا الجيل الذى يعمل بالتعاون مع الاستعمار ولفت نظر الشباب المتعلم وهم جميعا من أبناء الطبقة التى أنشأها النفوذ الاستعمارى وسودهـــا وجعلها مركز القيادة السياسية إلى أنهم هم حكام مصر فى المستقبل القريب .. وكان حريصا على أن تتشكل هذه القوة أو هذا الحزب فى نفس الوقت الذى كان الاحتلال يضرب القوى الوطنية وأصحاب الأصالة ليقضى عليهم ويفرغ البلاد منهم ويسلمها لهذا الجيل الذى كان من قيادته : لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وقد تشكل حرب الأمة من مجموعة من أصحاب النفوذ وكبار الباشوات والملاك مثال محمود سليمان وحسين عبد الرازق وحمد الباسل وفخرى عبد النور وسليمان أباظة وعبد الرحيم الدمرداش والطرزى وغيرهم وكان رأى هؤلاء أن السلطة الفعلية قد آلت كلها إلى كرومر الذى يمثل سلطة الاحتلال وأن مصالحهم الشخصية تقضى عليهم أن يكونوا على وفق معهم فألقوا حزبهم بصفة رسمية فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ برئاسة محمود سليمان باشا وتولى لطفى السيد قيادة فكرهم وصحيفتهم التى جمعوا لها فى ذلك الوقت مبلغ ٣٠ ألف جنيه : وقد ظهرت الجريدة فى ٩ مارس ١٩٠٧ تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة وترى أن عدم الاعتراف بشرعيته لاتعنى عدم وجوده ولا يقلل من سلطته أو نفوذه وكانت ترى أن هؤلاء المحتلين ماضون فى طريقهم مستقلون بتصريف الأمور ، رضى المصريون بذلك أم كرهوا وأن التخلص من الاحتلال يحتاج إلى قوة لم تتوفر للمصريين وأن دعاة الحركة خياليون ينفقون الوقت فيما لاطائل تحته وأنهم أصحاب خيال وتهريج .

وبذلك إستطاع لطفى السيد أن يرسى مفاهيم الاقليمية المصرية الضيقة التى تكره العرب وتكره المسلمين وتعارض كل تقارب وكل صلة بل وتكره الإتصال بالفكر الاسلامى الذى هو أساس الثقافة والتعليم . وقد صور هذا المعنى مستشرق

غربي هو لبرت حوراني حين قال عن لطفي السيد مايلي : كان يرى أن بريطانيا قوية وأن لها مصالح جوهرية في مصر وأنها هي نفسها قد أعلنت عن لقائها في مصر إلى أن تصبح هذه قادرة على حماية المصالح وإذن لا يمكن إخراجها بالقوة .

وقد أعلنت بريطانيا تجديد احتلالها وخلقت الشعور بأنها باقية إلى الأبد وأن مصلحة مصر تقتضي التعاون معها في أي تدبير تتخذه في سبيل إنماء قوة البلاد وهكذا كان ينفث لطفي السيد سموم التثبيط والاسترخاء في وجه دعاة الوطنية ولا يقف عند هذا الحد بل يتهمهم بأنهم خياليون مغالون في الخيال ويتهم خطتهم بأنها ولاء لتركيا بينما لم يكن مصطفى كامل ومحمد فريد إلا دعاة إلى الحرية والاستقلال والجلاء دون أن يلينوا أي لين لتقبل وعود بريطانيا وكانوا في دعوتهم لا يستهدفون العودة إلى النفوذ التركي العثماني وإنما كانوا يؤمنون بأن حركة الحرية يجب أن تتم داخل إطار أوسع من الإقليمية ويجب أن تكون في إطار الجامعة الإسلامية والمفاهيم الإسلامية الأصلية التي كانت بريطانيا عن طريق حزب الأمة تهدف إلى تجريد المصريين منها ودفعهم إلى التبعية في التشريع والتعليم والاقتصاد لتكون مصر خاضعة تمام الخضوع للقانون الوضعي ولمفاهيم الغرب في التعليم والثقافة ولتنقطع الصلة تماما بين مصر وبين جيرانها عربا ومسلمين وبين الفكر والثقافة في مصر وبين الفكر الإسلامي الأصيل المستمد من القرآن والسنة .

ولقد كان لطفي السيد في دعوته هذه ينتقص أهمية الأرضية الإسلامية للفكر والثقافة والتعليم ويغالي في التبعية للفكر الليبرالي الغربي الذي كان في هذه الفترة خصيصاً الدين والأخلاق .

* * *

يقول ألبرت حوراني : « إن الانطباع الأقوى الذي تتركه قراءة مقالات لطفي السيد التي نشرها في الجريدة (وهي كل ثروته الفكرية) هو الاندهاش من الدور الصغير الذي لعبه الإسلام في تفكير رجل تتلمذ على (محمد عبده) لاشك أنه كان يشعر بأنه هو ومعظم مواطنيه مسلمون بالوراثة ، وأنهم جزء من الأمة ، لكن الإسلام لم يكن المبدأ المسيطر على تفكيره فلم يهتم بالدفاع عن الإسلام

كالأفغانى ، ولا يهتم كمحمد عبده بإعادة الشريعة الإسلامية إلى مركزها كأساس خلقى للمجتمع. وفى هذا يقول : لست مما يتشبثون بوجوب تعلم دين بعينه أو قاعدة أخلاقية بعينها ، ولكنى أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادىء تتمشى عليه المتعلم من صغره إلى كبره ؛ هذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر .

وهكذا ترى أن مفهومه للأخلاق والدين مستمد من الفكر الغربى ويعلق حورانى فيقول : وهكذا نرى أنه تخلى عن أول مبدأ من مبادىء محمد عبده واستعاض عنه بمبادىء جديدة . ويقول : لقد أخذ يطرح أسئلة جديدة لاتدور حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار المجتمع الإسلامى أو انحلاله . بقدر ما تدور حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار أى مجتمع أو انحلاله ، كذلك لم تكن للمفاهيم التى أجاب بها على هذه الأسئلة هى مفاهيم الفكر الإسلامى ، بل مفاهيم الفكر الأوربى حول التقدم والمجتمع الأفضل .

ويقرر حورانى أن لطفى السيد ورفاقه تأثروا بنمطين من التفكير الأوربى :

أولا : تفكير كونت ، ورينان ، وبل ، وسبنسر ، ودوركايم الذين ذهبوا إلى أن المجتمع البشرى متجه بحكم سنة التقدم نحو طور مثالى يتميز بسيطرة العقل واتساع أفق الحرية الفردية وحلول التعاقد الحر والمصلحة الفردية محل العادات والأوضاع الراهنة .

ثانياً : تفكير جوستاف لوبون الذى يقول بفكرة الطبع القومى ، وأن كل شعب له بنية ذهنية ثابتة بثبوت بنيته الجسدية .

ويقول الحورانى :

إن لطفى السيد يحدد فكرة الأمة على أساس الأرض ، لا على أساس اللغة والدين ، وهو لم يفكر بأمة إسلامية أو عربية بل بأمة مصرية هى : أمة القاطنين أرض مصر ، وكان شعوره بوجود مصر شديد بحيث أهمل الأحرار على عناصر الوحدة الأخرى . فمعظم القاطنين فى مصر يشتركون فى الأصل واللغة والدين .

ولا تستطيع أن نتجاوز عرض حياة لطفى السيد دون أن نذكر زيارته للجامعة العبرية فى القدس ١٩٢٤ واشتراكه فى استقبال الوفد الصهيونى إلى مصر بزعامة الدكتور وايزمان حيث أقيم له حفل شاى فى فندق الكونتيننتال ١٩٢٩ .

(٢)
الحملة على اللغة العربية الفصحى
والدعوة إلى العامية

كانت حملة لطفى السيد على اللغة العربية الفصحى هى أخطر الأعمال التى قام بها والتى دفعته بالتبعية لأنه يواصل الخطة التى بدأها الاستعمار البريطانى بقيادة ولكوكس وقد كانت محاولته ماكرة خبيثة بدأها فى ١٨٩٩ فى مجلة الموسوعات حيث ادعى أن اللغة العربية أصبح تعلمها أبعد منالا من تعلم اللغات الأجنبية ، ودعا إلى تسكين حروف الهجاء وفك الادغام، وإهمال الشكل، وسخر من هذه الضوابط كلها ، ثم وسع نطاق الدعوة عام ١٩١٣ فى جريدة الجريدة فكتب أكثر من سبع مقالات (أبريل-ومايو ١٩١٣) وهو فى هذه الحملة كان خادعا فهو لم يفاجىء القارىء بالحملة على اللغة العربية (وكذلك خصوم اللغـــة العربية يفعلون ذلك فلا يكشفون عن خصومتهم) بل يصدرون عن غيرة مفتعلة تدعوهم إلى إدعاء المحافظة عليها حين يوجهون سمومهم وهو لم يدع إلى ترك الكتابة بالفصحى إلى العامية بل تسلل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المكر والمداوره وكانت دعوته إلى إدخال الكلمات الأجنبية (الأتومبيل والبسكلت والجاكته والبنطلون وغيرها) إلى اللغة العربية وقال أنها دخلت اللغة فعلا وأننا لا نستطيع أن نضع لها ولا لغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة .

وقال الأسماء الجديدة مالها لو أخذناها (زى ماهيه).

وقال أن اللغة ملك الأمة وللكتاب الحرية فى الزيادة عليها بأساليب جديدة ألفاظ جديدة ، وأنه لاحرج على الكاتب أو المترجم أن يستعمل من الألفاظ ماشاء لما شاء من المعانى ، ويقول تريد أن لاتذر (اللغة العامية) أو لغة الشعب تموت بأبعاد عربيتها وفصيحها عن عالم الكتابة والعلم ونريد أن نرفع لغة العامه إلى الاستعمال الكتابي وننزل بالضرورى من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب

والتعامل، وقال أن العامية وأسماها لغة، لها مشخصات ثابتة تحددها من جميع الجهات وتجعلها مميزة تميزا تاما ودعا إلى استعمال العاميه فى الكتابة .

وقال أن كل الحروف تكون ساكنة ولا تتحرك إلا بحروف العله » .

هذه هى المؤامرة التى حمل لوائها لطفى السيد الذى أختير بعد ذلك رئيسا لمجمع اللغة العربية وقد عاشت هذه الأفكار قائمة فى حياته وفكره بل وعمل المجمع إلى تحقيقها بعد أنضم إليه عدد من خصوم اللغة العربية أمثال طه حسين وعبد العزيز فهمى الذى دعا إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ومن بعد ذلك عدد كبير من هؤلاء السطويين التغريبيين .

وقد وقف عبد الرحمن البرقوقى ومصطفى صادق الرافعى فى مجلة البيان موقفا حاسما جريئا فى الدفاع عن اللغة العربية وقد حملا لواء الاتهام للطفى السيد مؤمنين بأن القضاء على اللغة العربية هو قضاء على أقدس مقدسات الأمة الإسلامية .

وكتب مصطفى صادق الرافعى يرد عليه تحت عنوان :

الرأى العامى فى اللغة العربية الفصحى

زعموا أنهم يريدون أن تسهل الألفاظ وتنكشف المعانى وتكون الكتابة فى استوائها وجمالها كصفحة السماء فهل البلاغة العربية إلا تلك، وهل هذا أمر غير عربى بلى وهل يعرفون أصلحهم الله أن الطفل يرى كل مايدور فى مسمعه من ألفاظ والديه كأنه إنما يلفق لهما اعتصاما واعتساما واستكراها إذ لايفهم من كل ذلك شيئا إلا بمقدار مايعتاد وعلى حسب ماتبلغ حاجته .

ثم ماهو حكم العامى ـ وهو فى كل أمة الطفل العلمى ـ بجانب أهل العلوم ، أتراه يلقف عنهم إلا بميزان تلك الغريزة الفطرية فى الطفل الصغير مع أبويه فلم لاتحمى العلوم وألفاظها وأساليب التعبير عنها ونحو ذلك مما تتراخى به شقة الفهم إذا تعاطاه ذهن العامى أو حاوله ويكون سداد العلماء فيما تطيقه العامه وسداد العامه فيما يطيقه الأطفال .

وأنت إذا تخطيت أمر الطفل اللغوى والطفل العلمى وأسندت فى حد هذه

الطفولة لم تر إلا طراز أصحابنا وهم أطفال الأقلام فهل يكبر عليهم أن يكبروا ويشيدوا وأن يساوقوا الفطرة فى مجراها فيأخذو الشىء بأسبابه ويأتوا الأمر من بابه ، يصدرون رأيهم على جهل فإذا كشفت لهم معناه وبصرتهم بمصايره ووقفت بهم على حدوده وأريتهم وجوههم فى مرآة النصيحه أنكروا ماجئت به وحسبوك تمترى الكذب وأصروا واستكبروا استكبارا لأن رأس علمهم أن يظنوا لا أن يحققوا ما يظنون فالرأى هو الرأى فى ذاته لا مايتعلق به ولا ماينادى إليه .

اللغة مظهر من مظاهر التاريخ والتاريخ صفة الأمة فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها وجدتها الصفه الثابتة التى لاتزول إلا بزوال الجنسيه وانسلاخ الأمـــة من تاريخها واشتمالها جلدة أمة أخرى ، فلو بقى للمصريين شىء متميز من نسب الفراعنة لبقيت لهم جملة مستعملة من اللغة الهيروغليفه وأن فى العربية سراً خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذى يجب أن يؤدى على وجه العرب الصريح ويحكم منطقا واعرابا بحيث يكون الاخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيغ بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤداها ثم هذا المعنى الإسلامى (الدين) المبنى على الغلبة والمعقود على أنقاض الأمم والقيم على الفطرة الإنسانية ،والقرآن الكريم ليس كتابا يجمع بين دفتيه ما يجمعه كتاب أو كتب فحسب ، إذ لو كان هذا أكبر أمره لتحللت عقده ،وإن كانت وثيقة ولأتى عليه الزمان ، أو بالحرى لنفس من أمره شىء كثير عن الأمم ولااستبان من منه مساغ لتحريف والتبديل من غال أو مبطل ولكانت عربيته الصريحه الخالصة عذراً للعوام والمستعجمين فى إحالته إلى أوضاعهم إذا ثابت لهم قدره على ذلك .

وليس يقول بهذا إلا ظنين قد انطوى صدره على غل واجتمع قلبه على داخلة مكروهه وإلا جاهل من طراز أولئك لايستطيل نظره بتجربه ولا ينفذ بعلم ، وإنما هو آخذ بذنب الرأى لابوجهه ولكن يتوجه معه ولا يقبل به ولكن يدبر به الرأى .

إنما القرآن جنسيه لغويه تجمع أطراف النسبه إلى العربيه فلا يزال أهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسيه حقيقة أو حكما حتى يتأذن الله بانقراض الخلق

وطى هذا البسيط ، ولولا هذه العربيه التى حفظها القرآن على الناس وردهم إليها وأوجبها عليهم لما أطرد التاريخ الإسلامى ولا تراخت به الأيام إلى ماشاء الله ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحده الإسلامية ثم لتلاحمت أسباب كثيره بالمسلمين ونضب ما بينهم فلم يبق إلا أن تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الأمم على وجه من الجنسيه الطبيعية ـ لا السياسية ـ فلا تتبين من آثارهم بعد ذلك إلا ما يثبت عن طريق الماء إذا انساب الجدول فى المحيط، على أنك لو اعترضت على من يهجن العربيه ويزرى على سبكها لرأيته أجهل الناس بتركيبها وحكمه اشتقاقها ووجوه تصريفها ثم لرأيت له غرة فى تاريخ قومها فهو أن عرف منه شيئا فقد تجرد من ثمرة المعرفة كان يحفظ طلاسم لايتخبط فيها حتى يتخبطه الشيطان من المس ، ثم ترى الآفة الكبرى أنه مستدرج من حيث لايعلم فهو يكافىء محبة لغة أجنبيه أحكمها بعدواة لغته التى جهلها ويجزى منفعة تاريخ علمه بمضرة التاريخ الذى لم يعلمه والناس أعداء ما يجهلون .

٣٠ ربيع الثانى ١٣٣٠ (البيان)

(٣)

سياسة الجريدة

قال الدكتور محمد محمد حسين : أن الجريدة كانت تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة ، وترى أن الاعتراف بشرعيته لاتعنى عدم وجوده ولا يقلل من سلطته أو نفوذه وقد دعا لطفى السيد إلى الولاء للثقافة الغربية والفكر الغربى وهاجم الحركة الوطنية وتأول تصرفات الاستعمار البريطانى وبرر وجوده فى مصر وقدم مقاييس مختلفة عما كانت يؤمن به التوجه الوطنى والإسلامى فى ذلك الوقت وأيد سعد زغلول فى عدم تعليم العلوم باللغة العربية وتعليمها للغات الأجنبية ، ودعا إلى مقاومة تعليم سواد الأمة وعارض الاتجاه إلى المجانية ومجد مزايا السياسة البريطانية ومدح اللورد كرومر عدو الوطنية المصرية وقال عنه أنه رجل من أعاظم الرجال .

هذا هو المنهج الذى سارت عليه الجريدة لسان حال حزب **الأمة** .

قال الشيخ عبدالعزيز جاويش : أما الجريدة فإنها منذ اليوم الأول لها وهى موالية للاحتلال على نحو فيه ذكاء وبراعة فهى تدعى أنها تمثل وجهة نظر أصحاب المصالح الحقيقية وهم أصحاب البيوتات والقصور ومثلوا الطبقة الارستقراطية المصرية التى كونها كرومر وقدمت ولاءها للانجليز وتؤمن الجريدة بأن الاحتلال أمر واقع لاسبيل لمقاومته ومن المصلحه الانتفاع بما يمكن الحصول عليه ولكن المواقف المتوالية كانت تكشف تبعية الجريدة يوما بعد يوم ولم يكن طيبا من الجريدة على لسان لطفى السيد فيلسوف الحرية أن تؤيد عودة قانون المطبوعات ومن رأى جاويش أنها فعلت ذلك لأنها تعلم أنه لن ينفذ عليها :

« وفى الوقت الذى يدعو فيه الحزب الوطنى إلى مجلس الأمة المنتخب الممثل الأمة يذهب لطفى السيد إلى أن (مجلس الشورى) الذى صنعه الانجليز يصح أن يطلق عليه مجلس الأمة ويقول جاويش فى استهلال إحدى معاركه مع مدير الجريدة .

« إذا سألنا مدير الجريدة عن المجلس الممثل للأمة ، ذلك المجلس الذى نطالب

به ونلح فى طلبه ، لأننا الآن محرومون من مجلس يمثل الأمة تمثيلا بكافة طبقاتها، وإذا جارينا مدير الجريدة فى اعتبار مجلس الشورى ممثلا للأمة لاعتبر أن كل ماتقرره كأنه صادر عن مجموعها وهذا مالا يقول به أعضاء الشورى أنفسهم فأين هذه القواعد التى يقررها الآن مدير الجريدة من مبدأ سلطة الأمه الذى ينادى به فى كل حين ، هل ينفق هذا المبدأ الشريف السامى مع اعتباره مجلس الشورى بنظامه الحاضر ممثلا للأمة أمام السلطه التنفيذية .

و(يلاحظ أن مجلس الشورى ليس مجلسا منتخبا على النحو البرلمانى وليس رأيه ملزما للحكومة ، وقد صنعه الانجليز بعد أن ألغوا الدستور) ثم يعرض جاويش لما ذكره لطفى السيد من وصف (مصطفى كامل) صاحب اللواء بأنه لاينطق إلا بالكفر ، وأن سياسة اللواء خرقاء وكتاباته عصبية ليست من العقل فى شىء).

وقال جاويش : إذا كان ماتحتوى عليه خطبة الاسكندرية لمصطفى كامل كفرا فالإيمان فى مذهب (الجريدة) هو الرضا بالاحتلال وعدم المطالبة بالاستقلال وهل يمكن أن يقال أن حزب الأمة متحد مع الحزب الوطنى .

وأشار جاويش إلى موقف لطفى السيد من الذين هاجموا تكريم كرومر عند انتهاء مدة حكمه وحملة مصطفى كامل عليه إذ ذاك وقال جاويش :

(انسبت حملته الصادقه على الجريدة عندما كانت تدعو القوم إلى إقامة احتفال بلورد كرومر وتنشر فى صحيفتك الجريدة هذه العبارة :

(ومما يذكر لجناب اللورد كرومر من علو الهمة والثبات على مبدأه أن كبار الأعيان طلبوا إليه أن يقدموا له هدية تذكاراً لشخصه يذكر به المصريون الذين أقام بينهم هذا الزمن الطويل موفور القسط من الرفعه الذاتية والشمم وحسن اللقاء والحلم) .

وردد جاويش فى مجال تصوير الفرق بين مفاهيم الجريدة واللواء للوطنية قول مصطفى كامل (أن سياسة الجريدة تدلنا على أنها أشد الجرائد تعلقا بالاحتلال وحسبنا قدحا فيمن استنكروا الاحتفال باللورد كرومر أعدى أعداء المصريين

والطاعن على الإسلام والمسلمين (١٩٠٧/١١/١٨ اللواء) وأضاف جاويش: قوله ولا عجب من أن يكون مدير الجريدة هو الآلة الخاضعة لهذه السياسة.

وأشار جاويش إلى الفارق الواضح بين اتجاه الجريدة وحزب الأمة وبين اتجاه الحزب الوطني في موقف خطير، عندما هوجمت طرابلس الغرب فنهضت مصر كلها لتدافع عنها وتقدم لها الأموال والرجال والأسلحة لمقاومة الاحتلال الإيطالي الباطش، الذي كان يدمر السواحل الليبية جارة مصر، هنا لك تصدى لطفي السيد للأمر فسخر من المصريين لموقفهم من طرابلس وقال:

مالنا نحن وهذا الأمر، أن مايحدث هناك لايهم مصر ولا دخل لنا فيه ودعا إلى السياسة المنافع لا العواطف، ودعا الحكومة إلى محاكمة من يحاولون لواء الدعوة إلى مساعدة طرابلس.

وقال جاويش (لقد خسر الذين فتنتهم وساوس صدورهم، وأعمتهم عن الحق سخافات مكتشفاتهم، يحاولون أن يصرفوا الأمة المصرية الإسلامية عن تخفيف ويلات إخوانهم الذين أغارت عليهم دولة الخيانة والغدر، إخوانهم في الإنسانيه.

أن مساعدة المصريين للدولة العثمانيه مساعدة حربيه أمر لا يصح معه اتهامهم بالتعصب.

أي مدير الجريدة، أي عدو نفسه، هل نقمت منا أن ندعو المسلمين لنجدة المسلمين، وأن نستنفر الموحدين لإغاثة الموحدين، فماذا كنت تريد، أن الأمر لم يزد على أعمال الاعانة، أعمدنا إلى السيوف فسللناها وإلى البنادق فصوبناها وإلى الرماح فشددناها.

أي عدو بلاده، رأيت مصر العزيزة مشرفه على موسمها المالي، ثم رأيت بنظارتك كيف تجلب إلى ليبا الأموال من كل جانب فعز عليك أن تحسد ذا نعمة، وشق على نفسك أن يستفيد غيرك من أصحاب المزارع، ثم تعلم (ومثلك من تعلمه الفلسفـــة).

مكانك مكانك أيها الجبان فما لك بميادين تميتك صورتها وتصعقك ذكراها

إن لم تشأ فخير لك أن تحفر الأرض بأظافرك ، وأن تردى فيها ثم ارطم رأسك بالحجارة حتى يخرج من دماغك ذلك المخ الذى كان سبب شقائك وأصل بلائك».

وقد أخرجت مدرسة الجريدة جيلا من الكتاب عرف فيما بعد بحزب الأحرار الدستوريين وانطوى تحت لوائه فى هذه المفاهيم طه حسين ومحمد حسين هيكل ومحمود عزمى وعلى عبدالرازق ، وقد تمددت هذه الأفكار فى هؤلاء مقاومة للوحدة الإسلامية وللعروبة وقبول الاحتلال والتفاهم معه وقصر التعليم على أبناء البيوتات وحدهم والولاء للفكر الغربى والفلسفة اليونانيه والديمقراطيه الليبراليه الغربية .

(٤)

لطفى السيد

وترجمة مؤلفات أرسطو

« لم يكن أرسطو معلما للمسلمين » .

كان الأستاذ أحمد لطفى السيد (أستاذ الجيل) هو أول من ترجم فلسفة أرسطو بترجمة كتاب (الأخلاق) إلى العربيه عن الترجمة الفرنسية التى قام بها من اليونانية (بارتلمى سانهيلر) كمنطلق لتيار جديد أراد به (التغريب) إدخال الفكر الفلسفى اليونانى إلى الأدب العربى الحديث من طريق شخصية لامعة مثل (ارسطو طاليس) وكانت تلك خطة خطيرة غاية الخطوره ، ذلك أن العرب والمسلمون فى العصر العباسى عندما ترجمت الفلسفة اليونانية رفضوا أرسطو وهاجموه وكشف زيف منهجه وأنشأوا المنهج العلمى التجريبى الذى تبناه روجر بيكون وكان أول خطوات الغرب نحو التجريد بعد التبعية لعصر التأمل الذى كان سمة الفكر الاغريقى وهكذا نجد أن الغرب أخذ من المسلمين المنهج التجريبى فى أول عصر النهضة ، ثم جاء فأعطى المسلمين منهج أرسطو فى أول عصر النهضة العربية على يد لطفى السيد فى مقدمة ترجمة كتاب (الأخلاق) .

يقول : مع أن نقل كتب الفلسفة لم يكن مقصوراً على كتب أرسطو فإن فلسفة أرسطو هى التى غلبت على الفلسفة العربية وطبعتها بطابعها والواقع أن الفلسفة العربية ليست شيئا آخر غير فلسفة أرسطو طاليس طبعت بالطابع العربى وسميت الفلسفة العربية وبقيت صلة النسب بين الفلسفتين طيبة إلى حد أن الجامعات الأوربية فى العصور الوسطى كانت تدرس الفلسفة العربية باعتبار أنها فلسفة المشائين : أى فلسفة أرسطوا : هذا ما أورده لطفى السيد ، وقد علق عليه الدكتور صروف محرر المقتطف (يناير ١٩٢٥) فقال :

أن ما قاله الأستاذ (يعنى لطفى السيد) يؤيده الكتاب الأوربيون الباحثون فى الفلسفة العربية : أن ما يعرف بالفلسفة العربية ليس فيه من العربية سوى الاسم

واللغة فهو فكر يونانى منظم عبر عنه بلغة ساميه وحور بالمؤثرات الشرقية وأدخل بين أهل الإسلام بمؤازرة الواسعى الصدر من خلفائهم وبقى حيا بغيرة جماعة من المفكرين الذين لم يخشوا من المجاهرة بآرائهم على أن أمتهم أساءت بهم الظن وردد ماذكره لطفى السيد مما يراه سببا فى رجوع العرب والمسلمين والمصريين إلى فلسفة أرسطو فقال : وكما أن النهضة الأوربية الحديثة عمدت إلى درس فلسفة ارسطو من نصوصها الأصلية فكانت مفتاحا للتفكير العصرى الذى أخرج كثيرا من المواهب الفلسفية الحديثة فلا جرم أن نتخذ نحن من فلسفة ارسطو لاسيما أنها أشد المذاهب ائتلافا مع طباعنا والطريق الأقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا وتأقلمه فيها رجاء أن تنتج فى النهضة الشرقية مثل ما أنتج فى النهضة الغربية ، وقال إن فلسفة (المعلم الأول) خالدة ماجدها وطن وأخفى عليها زمن ، فقد بنت عليها كل مدينة صروح مجدها العلمى حتى مدينتنا الجديدة ، هذا هو الاتجاه الذى بدأ به لطفى السيد عمله مديرا للجامعة المصرية واتباعه بوصفه أستاذ الجيل رئيسا لها وفتح الباب لطه حسين وغيره فى الدعوة إلى الاغريق وأرسطو ومذهب علم الأصنام اليونانى .

والسؤال هو : هل حقا كان لطفى السيد أستاذ الجيل صادقا فيما قال وفيما دعا إليه العرب والمسلمين من اتخاذ ارسطو منطلقا إلى النهضة الجديدة وقد مضت كتاباته وكتابات طه حسين وغيره من بعد دعوة ملحة إلى هذا الطريق . أم أن الأمر كان فيه شبهة وخدعة . وهل كان حقا (ارسطو) هو منطلق الحضارة الغربية فى عصر النهضة وما بعدها ، أم أن أول عمل قامت به النهضة هو نقض ارسطو وتزييفه والحملة على منهجه واعتبار منهجه هو عامل التجميد الذى عاش فيه الغرب متقلا قرونا حتى جاء نور الفجر مع منهج التجريب الإسلامى الذى أطلق الطاقات إلى عصر العلم الحديث ، ندع هذا للباحثين ، لقد كان علماء المسلمين إنطلاقا من القرآن هم الذين أنشأوا المنهج العلمى التجريبى الذى كان أول حجر فى بناء الحضارة والعلم بشهادة :

درايبر وبريفولت وجوستاف لوبون فى القديم وسارتون وهونكه وغيرهم فى العصر الحديث ومن أهم الكتب فى هذا الشأن كتاب هونكه (شمس الله تشرق على الغرب) وكتاب (أوربا ولدت فى آسيا) .

إذن فلم يكن لطفى السيد صادقا فى دعواه ولم يكن عميد الأدب العربى طه حسين أمينا حين نقل إلينا هـذا المعنى ، ذلك أن المسلمين نقدوا ارسطو أولا (فى القرن الرابع الهجرى) ثم جاء الأوربيون فنقدوه ورفضـوه فى القرن (الخامس عشر الميلادى) واستعملوا أسلوب المسلمين فى نقده ، والتمسوا منهج المسلمين الذى دفعهم إلى ذروة الحضارة والعلم والتكنولوجيا الآن .

إذن فلماذا هذا التعارض : يسأل عن هذا الاستشراق والاستعمار ، ذلك بأنهم على حد تعبير الدكتور محمود قاسم : نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين (جابر وابن الهيثم والبيرونى) .

ذلك أن ارسطو هو الذى سيضع المسلمين مرة أخرى داخل القوقعية المنطقية التأملية ويحرمهم من ثمرات منهج التجريب الذى أنشأوه دعاة الغرب .

وهكذا نجد أن هذا المنطلق على يد لطفى السيد وطه حسين وجماعة من أتباعهم يتسع ويمتد حتى يقرر : أن العرب خضعوا لمنهج اليونان وارسطو فى القديم ولما كان الفكر الحديث هو ثمرة فكر اليونان فان تبعية المسلمين والعرب له لا يعد شيئا غريبا ولا جديدا ، لأنهم كانوا تابعين لليونان من قبل فلا عجب أن يتبعوا ماجدده أحفاد اليونان ، لم يكن أستاذ الجيل صادقا إذن ولم يكن الدكتور طه حسين صادقا فى هذا ، فإن المسلمين لم يقبلوا ارسطوا ولم يعتنقوا فكر اليونان وإنما العكس هو الصحيح ، ذلك أنهم قاوموه ونقدوه وأبانوا عن وجوه الخلاف العميق بينه وبين منطق القرآن وتصدى كثيرون منهم لهذا وفى مقدمتهم الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية .

وإذا كان الخلاف مازال واسعا حول ما كتبه الفارابى وابن سينا وهل هو فلسفة إسلامية أو متابعة للشائين اليونان من المشائين المسلمين ، فإن رجلا كريما قد ولى قسم الفلسفة فى كلية الآداب هو الشيخ مصطفى عبد الرازق قد فصل فى هذا الأمر على نحو صحيح ، ومن خلال دراسات الجامعة نفسها ، وبالرغم من سيطرة طه حسين على عمادة كلية الآداب حين قال : إنما نلتمس الفلسفة الإسلامية فى كتب المتكلمين والفقهاء ، وأن الإمام الشافعى واضع (علم أصول الفقه) هو

أول الفلاسفة فى الإسلام وأن مقامه فى العربية هو بمثابة ارسطو فى اليونانية ، وبذلك نشأت مدرسة الأصالة فى مجال الفلسفة وامتدت من بعد واتسعت وكان من أتباعها الخضيرى وأبو ريده وعلى سامى النشار ، ومنذ ذلك الوقت وقد صدر كتاب (تمهيد فى تاريخ الفلسفة الإسلامية) عام ١٩٤٧ وقد كان منهجه قد تقرر قبل ذلك بوقت طويل ، فقد تحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الأصالة فيها وهو مايزال عسيراً فى مجال الأدب والنقد الأدبى فإن التبعية لمذاهب النقد الغربى الوافد مازال قويا .

وقد أثبتت مدرسة الأصالة فى الفلسفة الإسلامية (مصطفى عبدالرازق - أبو ريده - النشار) أن المنطق الأرسطو طاليسى : هو منهج الحضارة والفكر اليونانى لم يقبل فى المدارس العقلية الإسلامية وأن المنهج التجريبى الإسلامى هو الذى عرفته أوربا بعد قرون من مطلع حضارتها الحديثة لمباينته للحضارة اليونانيه وأن اكتشاف وجود هذا المنهج لدى المسلمين يفسر روح الحضارة الإسلامية ، فالحضارة الإسلامية حضارة عملية تجريبيه تتجه إلى تحقيق الفعل الإنسانى فى ضوء نظرية حية ملموسة كذلك ، فقد كشفت الأبحاث المتعددة عن اضطراب خطير فى المراجع التى اعتمد عليها الفارابى وباعتراف الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا : « أن الفكر الذى نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كانت صورة زآئفة دخلت عليها مفاهيم السريانية والنساطرة المترجمين وعقائدهم وكانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية ، ومن هنا كان فسادها فى أن تعطى الفكر الإسلامى شيئا » ومن ناحية أخرى فقد تبين أن المقاومة للفلسفة اليونانية ومذهب ارسطو بالذات قد بدأت منذ أن تمت الترجمة وأن المعارضة بدأت منذ اليوم الأول ، ذلك أن الفكر الإسلامى كان قد تم تشكيله قبل الترجمة على أساس قيمه القرآنيه من التوحيد والأخلاق ، ومن الربط بين الوحى والعقل ، ولذلك فإنه كان من العسير أن تنصهر فيه الفلسفة اليونانيه أو ينصهر فيها ، خاصة وهى فلسفة مجتمع وثنى قام على العبودية واعلاء الشهوات وعبادة الجسد فضلا عن أن محاذير الترجمة من فساد وانتحال وتحريف نصوص وأن كانت طائفة من الفلاسفة أطلق عليهم إسم المشائين قاموا بمحاولة شاقة وعسيرة لإدخال الفلسفة اليونانية فى إطار الإسلام

ولكن المحاولة فشلت تماما ، وكانت وقفة الإمام الغزالى فى وجه الفلسفة اليونانية وقفة صارمة ردت السهم إلى صدور أصحابه فقد كشف عن الفرق بين الفلسفة الرياضية والطبيعية وبين الفلسفة الإلهية ورفض الأخيرة لأنها متعارضة مع التوحيد وأعلن أن الكلام فى الطبيعيات برهانى ،أما فى الالهيات فهو تخمينى . وفى الفلسفة الالهية عارض الغزالى القضايا الكبرى الثلاث :التى تقرها الفلسفة اليونانية وتختلف مع مفهوم الإسلام .

١ - مايقولون به من قدم العالم .

٢ - وأن الله (جل وعلا) لايحيط علما بالجزئيات .

٣ - وإنكارهم البعث ، وهاجم الفلاسفة التى جحدوا الصانع وزعموا أن العالم قديم كالدهرية والزنادقة ، والذين قالوا أن النفس تموت ولا تعود ومن أنكروا الآخرة .

ويقول الدكتور النشار : أن المنطق الارسطاليسى قد نقل إلى العالم الاسلامى وأثر فقط فى المدرسة المشائية الاسلامية وبقيت المدارس الأخرى المنبثقة عن النظام الإسلامى بعيدة كل البعد عنه ، تجاربه وتجاهده ، وكانت قد وضعت منطقا مختلف تمام الاختلاف فى روحه وجزئياته .

وقد وصل علماؤنا فى مجال البحث من منهج أرسطو إلى حقيقة أساسية هى أن: منطق ارسطو يعبر تعبيرا دقيقا عن المجتمع اليونانى العبودى المنقسم إلى سادة يتأملون وعبيد يعملون ، السادة هم الصورة والعبيد هم المادة ، ولكن المجتمع الاسلامى يختلف عن المجتمع اليونانى اختلافا كبيرا تقوم دولته على الأخوة والمساواة وتنطلق من نقطة النظر فى السموات والأرض والعمل والكسب والسعى والتجريب ومن هنا اختلف منهج المجتمع الإسلامى عن مجتمع اليونان من جملة جوانب أهمها : التوحيد وإلغاء العبودية والممارسة فى مجال العلم وبذلك بدأ ذلك التعارض الواضح العميق بين مجتمع ومجتمع وفكر وفكر خرج الفكر الإسلامى من الطبقة الارسطية التى ترى أن العلم لا يكون إلا بالكلى أما العلم الجزئى فليس علما ، فتقدم الفكر الاسلامى فحطم هذه القاعدة ، وبدأ النزعة التجريبية من الجزئيات وبذلك خرج

المفكرون المسلمون عن المفهوم الارسطى للحد والتعريف ، واستطاع رجال الأصول والفقه أن يقيموا نظرة جديدة للتعريف تقوم على أساس الواقع ، وأدى ذلك الخروج عن حدود القياس الارسطى إلى الحصول على نتائج عملية وأصبح طابع الفكر العلمى الاسلامى هو طابع التجريب ، ونقد المفكرون المسلمون قياس ارسطو وقال عنه ابن خلدون أنه قياس ذهنى ، أما المسلمون فقد عرفوا مالم يعرفه اليونان وخطو أخطر خطوة فى تاريخ البشرية وهى بناء قاعدة العلم الحديث نفسه : تلك هى التوحيد بين التأمل والممارسة العمليه وأولى المسلمون اهتمامهم بالرابطه العليه بين الأشياء وعلى هذه الرابطه بين الأشياء قامت التجارب ، وعلى هذه الرابطه العلية (البحث عن العلة) أقام البيرونى والرازى وجابر بن حيان وابن سينا تجاربهم العلميه وفى نفس الوقت قام المنهج العلمى فى الفكر حيث فسر ابن خلدون حركة التاريخ وتطور العلاقة البشرية .

وبهذه النظرة المتطورة للكون والانسان اختلف الفكر الاسلامى اختلافا كبيرا عن الفكر اليونانى المترجم وتناقض معه فى مختلف فروع الثقافة من علم وأصول وفقه وفلسفة عقلية ونظرة إلى الإنسان ولم يكن هذا الاختلاف عابراً أو طارئا وإنما كان نتيجه طبيعية لاختلاف التكوين الاجتماعى للدولة الإسلامية عن الحضارة اليونانيه وبذلك ظهر الفكر الاسلامى فى جوهره فكرا تجريبيا تجاوز منطق أرسطو وأطل على التجربة العلمية رابطا بين التأمل النظرى والممارسه العملية وخرج بذلك على الفلسفة الأرسطيه والأفلاطونية .

وقد صور كثير من الباحثين أثر منهج أرسطو فوصفه الدكتور محمود قاسم بأنه كان منهجا عقيما وأنه ضلل كثيرا من مفكرى العرب ثم وقف حائلا دون إزدهار الحضارة العربيه ويرجع عقمه إلى أنه كان خلوا من الخيال وأنه كان أكثر اهتماما بالقضايا العامه المجردة منه لدراسة التفاصيل والجزئيات ، يستدل على صدق دعوانا وتواضعها بتاريخ النهضة الأوربيه فإنها لم تتحرر من الجمود الذى فرضه عليها منهج اليونان إلا بعد أن عرفت مناهج العرب فى العلم والفلسفة ولنا أن نستشهد برنيان نفسه ، ذلك أنه يصف (روجر بيكون) بأنه الأمير الحقيق

للفكر الأوربي في القرن الثالث ، ويجب أن تعلم كيف جاءته إمارة الفكر ، إذ ليس في هذا المجال خالق من العدم ومن اليسير أن نكتشف سر أصالته إذا نحن بينا أنه أول من نادى بمهاجمة المنهج الأرسطاطليسي في أوربا ودعا إلى اصطناع نهج العرب فهو يأخذ على معاصريه بأنهم يصبون لعناتهم على الرياضة من أنه من الممكن أن يبرهن بالرياضة على كل ماهو ضروري لفهم الطبيعة ولولا الرياضة لاستحال علينا أن نعرف أشياء هذا العالم معرفة صحيحة تعود علينا بالنفع في الأمور الإنسانية والأمور الدينية أيضا ، كذلك يأخذ عليهم الانصراف عن استخدام الملاحظات والتجارب مع أن الطبيعة لاتكشف أسرارها إلا بدراسة الأمور الجزئية حتى تصعد بنا إلى القوانين الكلية) .

وهكذا انتصر المنهج الإسلامي على المنهج الأرسطي وحطمه في عقر داره بعد أن حطمه في مجال الفكر الإسلامي نفسه .

فإذا أردنا أن نتبين فكر أرسطو وجدناه يقول بالنظام العبودي اليوناني ويرى أن (نظام الرق) هو أصلح نظام للبشرية وأن العبد إذا تحرر من عبوديته فهو عبد والأمير إذا استعبد فهو أمير ، ومفهومه لله تبارك وتعالى ناقص وضال ومادية في التفكير بكونه أساس المذهب المادي واضح لاشبهة فيه ، ولذلك فقد كان لابد أن يصحح الفكر الاسلامي موقفه من أرسطو وفلسفته وخير مايذكر في ذلك ما كتبه الإمام الجليل ابن تيمية في كتابه منطق القرآن في مواجهة منطق أرسطو مما فصلناه في دراسات أخرى .

مراجعة عامة

فى مراجعة عامة لحياة لطفى السيد تتكشف مجموعة من الحقائق تلقى الضوء على شخصيته والدور الذى قام به :

أولا : أن مترجمات أرسطو (التى ترجمت عن الفرنسية) السياسة ، الكون والفساد والأخلاق هى منسوبة إليه ولكنه ليس هو مترجمها فى الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة فى دار الكتب المصريه وقد شهد بذلك الأستاذ أحمد عابدين أحد مديرى دار الكتب .

ثانيا : دعوته على قصر التعليم على أبناء السراة والأعيان .

ثالثا : حضانته وحمايته لطه حسين فى كل المواقف التى تعرض فيها طه حسين للخطر .

رابعا : كراهيته للعالم الإسلامى والعروبة ومعارضته للانضمام إلى أحدهما وإلحاحه حتى وفاته على الاقليميه المصريه .

(من حديث عبد الحميد الكاتب فى أخبار اليوم)

خامسا : أنشأ جريدة الجريدة شركة يرأسها محمود سليمان باشا من كبار المتعاونين مع المحتل ، لمواجهة الحزب الوطنى ودعوته إلى الجلاء ، اشترك فى انشائها الاقطاعيون المصريون أعوان الاستعمار وحزب الأمة الذى تولى جريدته هم الذين كان كرومر يطلق عليهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان لطفى السيد يرى أن السلطة الفعلية فى البلاد هى سلطة المعتمد البريطانى ويقف الوقف المهادنه مع الاحتلال .

سادسا : الوزارات التى اشترك فيها تتسم كلها بطابع واحد فهى جميعها وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحريات العامة ، والتى كتب لطفى السيد مقالات مطولة يطالب بها .

سابعا : هجومه الشديد على اللغة العربية الفصحى ودعوته إلى تطوير العامية واستعمالها ووصف زكى مبارك أسلوب لطفى السيد بأنه كالرحى التى تطحن القرون

ثامنا : تعد مدرسة الجريدة لطفى السيد هى الأساس للتيار العلمانى التغريبى الذى حملته من بعد جريدة السياسة بقيادة طه حسين وهيكل ومحمود عزمى وعلى عبدالرازق وكانوا يسمونها الفكرة الليبرالية وكانوا جميعا يكرهون الفكرة الإسلامية والوحدة العربية وعاشوا يحاربونها .

ومن العجيب أن عدو اللغة العربية هو الذى تولى رئاسة مجمع اللغة العربية فقاده نحو الأهداف التغريبية .

ويقول أحد الباحثين أن لطفى السيد هو أول من ضرب وحدة الفكر العربى الإسلامى وقسمه إلى تيارين : قومى ودينى وسارت الأحزاب المصرية المنبثقة من حزب الأمة (الوفد ، الأحرار الدستوريين) على نفس الطريق الذى رسمه كرومر ونفذه لطفى السيد والذى كان سعد زغلول أكثر إيمانا به ، وقد حمل لوائه سعد زغلول بعد ثورة ١٩١٩ واستطاع هذا الاتجاه أن يسيطر بعد الاستقلال وأن يمتلك نفوذ الحكم والسيطرة السياسية بينما وقف الاتجاه الإسلامى فى حدود ضيقة وبرز من خلال الجمعيات الإسلامية والأزهر بعد أن انتشرت حركة التبشير فى الجامعة الأمريكية وسقوط الخلافة وظل مسيطرا حتى أسلم نفسه لحركة يوليو التى عمقت خطر العلمانية تعميقا كبيرا وفتحت الباب واسعا أمام الماركسية اللينيه .

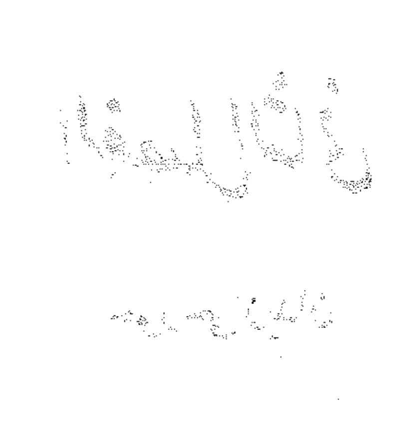
[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الثاني

جورجي زيدان



(١)

تاريخ آداب اللغة العربية

تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤلف ألفه مارونى تربى فى مدارس الشيوعيين هو جورجى زيدان وعلمه باللغة العربية وآدابها لايؤهله لفهم مؤلفاتها وهو الفرنسى الثقافة ، ولذلك كان الشيخ السكندرى يقظا فيما كتب عنه .

قال الشيخ السكندري : الأمور التى تؤخذ على الكتاب كثيرة :

أولا : الخطأ فى الحكم الفنى ، أى تقرير غير الحقيقة العلمية سواء أكان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد .

ثانيا : الخطأ فى الاستنتاج ، وهو مايعذر فيه المؤلف لأنه اجتهاد من عند نفسه .

ثالثا : الدعوى بغير دليل ، وهو مايقرره المؤلف من غير دليل عليه ، وقد يكون فى ذاته صحيحا ولكن سوقه ساذجا يتيح مجالا للشك .

رابعا : الخطأ فى النقل وهو آت من تصرف المؤلف فى عبارات المؤلفين بقصد اختصارها ، أو من تسرعه فى الجمع ، وقلة مراجعة الأصول .

خامسا : قلة تحرى الحقيقة بمراجعة الكتب المعتمدة والتواريخ الصادقة ، ووزن كل عبارة بميزان العقل والانصاف وقياس الأمور بأشباهها ، بل كثيرا ماتروج عند المؤلف أقوال الخصوم فى خصومهم ، وأقوال الكتب الموضوعة لأخبار الجان ، أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها .

سادسا : تناقض بعض أقوال الكتاب .

سابعا : الاختصار فى كثير من التراجم والمباحث ، واهمال ماليس من شأنه أن يهمل .

ثامنا : ادخال ماليس من موضوع الفن فيه ، لغير مناسبة أو لمناسبة ضعيفة جـــدا .

تاسعا : الاستدلال بجزئية واحدة على الأمر الكلي ، وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي أكثر استنتاجاته ودعاواه .

عاشرا : تقليد المستشرقين في مزاعمهم أو نقلها من غير تمحيص .

حادى عشر : اضطراب المباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها ، أو لعدم صفاء الموضوع للمؤلف .

ثانى عشر : اضطراب التقسيم والتبويب ، أما بذكر المباحث في غير موضعها ، وبعد رجال عصر في عداد رجال عصر آخر .

ثالث عشر : التحريف واللحن وهما كثيرا الشيوع في جميع كتب المؤلف .

رابع عشر : تهافت المؤلف على تطبيق قانون النشوء والارتقاء حتى على الأمور التي فيها تدل وانحطاط لانشوء ولا ارتقاء .

أولا : الخطأ في الحكم الفني :

١ ـ قول المؤلف (وكان أبو حنيفة لايحب العرب ولا العربية حتى أنه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به) .

وقد عزا هذه العبارة إلى (ابن خلكان ـ وفيات الأعيان جـ ٢) فالذي يثق بالمؤلف يصدق عبارته بعد أن تبرأ من تبعتها ونسبها إلى مؤرخ عظيم ، ولكنه إذا آخرها ابن خلكان في هذه الصفحة ، بل إذا قرأ ترجمة أبى حنيفة من أولها إلى راجع لم يشم منها رائحة هذه الألفاظ بل المعانى .

٢ ـ نقول المؤلف (وكان أئمة الفقه في المدينة ، فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام أهل الفرس لأنهم أنصارهم ـ أى العباسيين ـ وأهل دولتهم ، فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين ، فبنى بناء سماه القبة الخضراء محجا للناس (كذا) وقطع المسيرة عن المدينة ، وفقيه المدينة يومئذ الإمام

مالك الشهير فاستفتاه أهلها فى أمر المنصور ، فأفتى بخلع بيعته فخلعوها ، وبايعوا محمد بن عبدالله من آل على ... الخ .

ومن عبارته يفهم أن جمهرة أئمة الفقه كانت بالمدينة فقط ، وأن المنصور كان يكره العرب كراهية حملته أن يرتد عن الإسلام ويحاول صرف المسلمين عن تولية وجوههم شطر قبلتهم ، وأن أهل المدينة استفتوا مالكا فى خلع المنصور فأفتاهم .

وكل هذه اللوازم باطلة فلم تكن جمهرة الفقه بالمدينة بل كانت فى كل الأقطار ثم كيف يكره المنصور العرب هذه الكراهية وهو عربى ، وابن عم النبى ﷺ وخليفته فى أمته وشريعته .

أما عن الثالث فينافيه ما تقدم ، واعتذار المنصور بعد ذلك لمالك عما وقع ، كذلك فإن المنصور لم يقطع عن أهل المدينة إلا بعد مبايعتهم محمدا ابن عبدالله .

ومن خطئه فى الحكم عده طاهر بن الحسين ـ فاتح بغداد وقاتل الأمين ـ فى عداد المنشئين كتاب الرسائل ، مع أن هذا الاسم لا ينطبق عند علماء الأدب إلا على الكاتب فى ديوان الرسائل ، ولم نجد فيه طاهر بن الحسين منشئا قط .

ومن الخطا فى الحكم زعم المؤلف أن علم الكلام ومذهب الاعتزال نشأ فى العصر الثانى من حكم بنى العباس أى بعد ١٣٢ ﻫ مع أن المشهور فى التاريخ أنه لما كثرت الزنادقة والملاحدة فى زمن المهدى ، أوعز إلى العلماء أن يحاجوهم بالأدلة العقلية ويدون ذلك فى الكتب ففعلوا وسموا المتكلمين .

ومن الخطا فى الحكم جعله أبا منصور عبد الملك الثعالبى صاحب يتيمة الدهر ، هو صاحب التفسير الكبير المعروف بتفسير الثعلبى ، والثعلبى هو الامام الحجة الثبت (أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى) فهو شخص آخر غير أبى منصور الثعالبى .

ومن أخطائه قوله أن القصائد طالت فى العصر الثالث من حكم بنى العباس وطول القصائد لم يختص فى عصر دون عصر ، وقوله : أن العرب لم يدركوا شأو اليونان والفرس فى تطويل القصائد ، فإن المؤلف لم يفطن إلى الفرق بين الشعر الشعر العربى والإعجمى ، فإن الشعر العربى تنظم القصيدة فيه من بحر واحد

وقافية واحدة وروى واحد، وشعر الأمم الاعجمية ليس له قافية .

ومن الخطا فى الاستنتاج ، زعم المؤلف أن التصوف لم ينشا إلا فى العصر الثالث أى بعد ٢٢٤ هـ وينعى على ابن خلدون وغيره ممن يرى أن اشتقاقه من الصوف ، ويرى أن اشتقاقه من كلمة سوفيا اليونانية (بمعنى الحكمة) .

وأقول أن طريقة القوم قد اشتهرت بهذا الاسم قبل شيوع ترجمة الكتب اليونانية وانتشار الفلسفة .

ومن خطا الاستنتاج واضطراب الكلام واختلاطه : الفصل الذى كتبه المؤلف عن السيرة النبوية ، فقد جعل سيرة ابن اسحاق وابن هشام واحدة ، وابن هشام لم يكن راويا ، والحقيقة أن سيرة ابن اسحق سيرة كبيرة مستقلة عن سيرة ابن هشام ، وهى التى يطعن فى شعرها ولم يتفق على صحتها وأن ابن هشام لم يكن هو الراوى لهذه السيرة بل لخص سيرته النبوية عن سيرة ابن اسحاق وغيرها من كتب المغازى .

ثانيا : دعاوى المؤلف :

ومن دعاوى المؤلف بغير دليل دعواه أن ابن قتيبة أول من تجرأ على النقد الأدبى فالف فى أكثر فنون الأدب المعروفة .

فإن أراد المؤلف : أنه أول من كتب فى نقد الشعر ، فليس بصحيح إذ سبقه إلى ذلك كثير منهم محمد بن سلام الجمحى ، فى كتابه طبقات الشعراء ، وقبله ألف أبو عبيدة كتاب نقائض جرير والفرزدق .

ومن دعاوى المؤلف قوله : أن الشعر فى العصر الأول من بنى العباس قد بطل استعماله فى العصبية ، كما بطل استناد الخلفاء للشعراء بسبب انتصارهم لفريق على فريق .

والحقيقة أن الشعر بقى يستعمل فى العصبية طوال العصر العباسى الأول وبعض العصر الثانى ، بل لقد فتح الخلفاء العباسيون فى العصبية بابا شرا من عصبية القبائل وهو تفضيل العباسيين على الطالبيين .

ومن دعاوى المؤلف : قوله « ولم يكن للشاعر العربى بد من الرحلة إلى بلاد العرب لاقتباس أساليبهم » فليقل لنا المؤلف ماهى رحلات أبى نواس ومسلم

والحسين بن الضحاك ، ومطيع بن اياس وحماد عجرد وأبان اللاحق إلى بادية العرب .
أن الرحلة إلى بلاد العرب كانت خاصة بالعلماء ورواة الأدب واللغة أمثال الخليل والأصمعي وأبي عبيدة والكسائي .

ومن دعاوى المؤلف أن ابن المقفع كان يعرف اليونانية جيداً ، ولم نر في كتب الأدب والتاريخ من ذكر هذا .

ومن دعاوى المؤلف في الكلام على طريقة أبي الحسن الأشعري في علم الكلام : أن الناس عولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين الآراء ، فكيف يعقل أن مذهبا يسوى بين آراء كل الطوائف ، وفيهم من يناقض مذهبه مذهبه الآخر ، وغاية الأمر أنه اعتدل بين مذهبي المعتزلة والسلفية من أهل السنة .

ومن دعاوى المؤلف : عن المتوكل الخليفة العباسي أنه أهلك جماعة من العلماء ، وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله .

فمن أين للمؤلف هذا الكلام وكل هذه الغارة على المتوكل من جراء أنه رفع السنة بخلق القرآن ، ونهى الناس عن الجدل فيها بعد أن أنهكت دينهم وأخلاقهم وأنه أمر أهل الذمة بلبس شارات تميز زيهم وأنه صادر بختيشوع الطبيب وبعض الكتاب لخيانة ظهرت له منهم .

ومن دعاوى المؤلف أن الانشاء في العصر الثالث العباسي قد صار له طريقة خاصة سماها (كلاسيك) أخذ من اصطلاح الافرنج ، ثم أخذ يسرد شروطا للانشاء المدرسي ، والمتتبع لها يجد أن أكثرها لا يختص بعصر دون عصر ، وأن أغلبها أمور طبيعية وعادية في كل زمان .

ومن دعاوى المؤلف زعمه أن العرب نقلت محاضراتها عن اليونان ، وما نقله المؤلف من تعريف المحاضرات إنما يؤكد أنها فن عربي بحت كان يطلق قديما على عدة علوم من أنواع التاريخ والأخبار والنوادر والشعر ومنه كامل المبرد وآمال القالي وكثير من كتب الجاحظ وأبي حنيفة الدينوري .

ومن دعاوي المؤلف أن كتب (السيرافى) لم يصلنا منها شيء وعد منها كتاب النحويين البصريين والكتاب في دار الكتب المصرية في نسخة قديمة وأظنها من كتب الشنقيطي .

ثالثا — الخطأ فى النقل :

أخطأ المؤلف فى نقل عبارات المؤلفين أما بتصرف فيها تصرفا أفسد معناها . وأما بتحريف الكلم وأما بنقلها من نسخة معرفة من غير تمحيص . وهو كثير ..

ومنها خطأه فى تسمية أسم رجل واحد على مسميين (أحمد بن يوسف ابن صبيح) فقال أحمد بن يوسف وزير المأمون . وابن صبيح .

ومن نقصير المؤلف فى توضيح ما نقله عن السيوطى ، ناقلا عن كتاب العين ومختصر الزبيدى ، أحصاء المستعمل من الالفاظ العربية والمهمل منها . فاستخرج المؤلف من كتاب الزبيدى أحصاء المستعمل من الألفاظ العربية ٦٥٢٠ لفظا مع أن كتاب القاموس (وهو ليس إلا قطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل على ستين ألف مادة ، متوسط ما فى كل منها من المزيد والمشترك عشرون كلمة على الأقل أى نحو مئتى ألف كلمة فكيف ولسان العرب ، به ثمانون ألف مادة متوسط ما فى كل منها ثلاثون كلمة على الأقل .

رابعا — عدم تحرى الحقيقة والصواب :

إعتاد المؤلف أن ينقل إلى كتبه ما يعتقده بذاته ، أو ما يكون دائما على السنة عامة القراء والوراقين من غير تمحيص لحقيقتها . لكل من تعرض لتدوين التاريخ فى السياسة أو الأدب ألا يكتفى برواية كتاب واحد أو كاتبين أو بما يذيع على السنة الناس بل يجب عليه تحقيق الخبر وتمحيصه والاخذ بالرواية القريبة من العقل .

ومن ذلك نقله عبارة ابن خلكان عن أن الأمين جمع بين سيبوية والكسائي فى مجلس المناظرة وأن الكسائى زعم أن العرب تقول كنت أظن

الزنبور أشد لسعا من النحلة فإذا هو إياها . . والمشهور أن المناظرة جرت في مجلس يحيى بن خالد البرمكى .

ومن ذلك أنه لم يتحر الحقيقة والصواب فى تعداد كتب الواقدى .

خامسا — التناقض :

فمن ذلك ما ذكره عن ابن الرومى والمتنبى وما شككك من نسبة كتاب العين إلى الخليل ، وناقض المؤلف نفسه فى نشاة علم الجغرافيا فى العصر العباسى الثانى .

ومن تناقض المؤلف قوله : نشأ علم الجغرافيا فى هذا العصر (العصر الثانى العباسى) بعد نقل علوم القدماء إلى العربية وفى جملتها كتاب بطليموس ، وعليه معولهم فى تقويم البلدان .

على أن المسلمين بدؤو بوضع الجغرافيا قبل أطلاعهم على هذا الكتاب ، لأسباب غير التى دعت اليونان إلى وضعها الخ .

وهذا تناقض من المؤلف إذ ذكر الجغرافية أولى بمعنى الجغرافيا الرياضية ، وأعادها ثانيا باسم الجغرافيا التخطيطية ، التى كانت تسمى علم المسالك والممالك ، والمعروف أن العرب أشتغلوا بالجغرافية اليونانية قبل العصر الثانى ، والمأمون وعلماؤه ممن صحح أغلاط بطليموس وغيره ، فى محيط الأرض وقطرها ومقياس الدرجة الأرضية .

ومن تناقض المؤلف وتحيره قوله فى أبى العتاهية : ، قد نظم فى كل أبواب الشعر وأمتاز منها بالزهد ويؤخذ من سيرة حياته أنه كان مترددا متقلبا على أن تمنع أبى العتاهية عن قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة .

والرأى أن هذه العلل لو صدقت على كل شاعر يتكسب بالشعر لتبرمت الدنيا بكثرة المخرورين والموسوسين .

سادسا — الاختصار فيما يجب الاطناب فيه :

ومن أعجب أمور المؤلف أنه يعلم ، ويعلم أن الناس تعلم ، أنه يؤلف كتاب فى أداب اللغة العربية لا أداب اللغة اليونانية القديمة ولا الفارسية ولا اللغات

الأوربية ، ثم تراه إذا خاض فى ذكر بحث من مباحث الآداب العربية أو عدد النبغاء أو ذكر ترجمة شاعر أو كاتب ، أقتصر على ذكر نتف قليلة أو أقتصر على العدد القليل من مشهورى النبغاء وأختصر تراجمهم مكتفيا بذكر ما لا يلزم الناقد الاديب ويذكر الكتب التى يراجعها من شاء التوسع .

وأشار إلى تقصير المؤلف بأهماله ذكر الجرمى من نحاة العصر الثانى مع ترجمته لابن ولاد وأبى جعفر النحاس ، وأهماله ذكر الأوزان والقوافى التى طرأت على الشعر فى جميع العصور التى ذكرها كالمواليا والدوبيت ، وتخصيصه إثنى عشر صفحة من كتابه لموضوع أجنبي عن موضوع أداب اللغة العربية بالمرة ، وهو أداب اللغة اليونانية وأطوارها وتراجم فلاسفة اليونان .

وهو ذلك إسهاب المؤلف فى شرح الأدب والأنشاء عند الأفرنج وذكره لبعض قصص الأفرنج الخرافية .

ومن التطويل المخل بالنظام وضع الكلام فى مبحث تأثير القرآن الكريم اللغة العربية فى هذا الجزء ومن حقه أن يدرج فى الجزء الأول ومن التطويل تكرار الكلام فى موضعين أو ثلاثة لغير موجب مثل وصف التهتك والخلاعة عند الشعراء .

سابعا — الاستدلال بحادثة جزئية على أمر كلي :

أعتاد المؤلف فى كتبه أن يستنتج من حادثة جزئية أمراً كليا وهذه الخصلة من أكثر ما ينعاه عليه النقاد وقد عمل بها فى كتابة هذا غير مرة (وقدم الباحث فى ذلك نماذج متعددة) .

ثامنا — تقليد مستعربى الفرنجة حتى فى الخطأ :

للمصنف ولع بنقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وأدابهم ولو خالف الواقع . ومن ذلك نقله فصولا برمتها مشوبة بالخطأ من كتاب نيكلسن الانجليزى وبركلمان الألمانى مثل مقالة الشعر فى العصر الاول وغيرها .

من ذلك أن وضع ما يصلح أن يذكر فى أداب الفرانجة فى أداب العرب ، وما ينبغى أن يجعل فى عصور ظهور الاسلام جملة فى عصر بنى العباس ، ومن يجب أن يترجم له فى عصر معين أو فى طائفة بعينها ترجم له فى عصر غير عصره طائفة غير طائفته ، بحيث تضطرب المباحث وتداخل العصور .

من ذلك ذكره أن الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين حصل فى العصر الثانى وما بعده من عصور الدولة العباسية ، والحقيقية أنه حصل فى العصر الأول .

ومن ذلك تأخيره الكلام عن نشأة علم الفرائض إلى العصر الثالث مع قديم دون منذ دون الفقه فى العصر الأول .

عاشرا ــ تهافت المؤلف :

للمؤلف تهافت وولع بالشيء لا يؤبه له ، أو بالأمر يناسب مقاما خاصا فيقحمه فى كل مقام ، كما فعل هذا فى كتابة فى مواضيع شتى .

من ذلك حالة النشوء والارتقاء يقيس بها كل أمر حتى خرج به القياس إلى عكس ما يراد بها وذكر أن أضطراب الخلافة الإسلامية وإنحلالها إلى أمارات وممالك صغيرة متنافسة متشاكسة من دواعى النشوء والارتقاء فى حين يعده المؤرخون من دواعى الانقراض والفناء .

حادى عشر ــ اللحن والاغلاط اللغوية :

لا تكاد تمر بالقارىء صفحة إلا وهى مشتملة على خطأ لفظى ، أما فى النحو أو الصرف أو اللغة ، وإذ كانت هذه الاغلاط تعد بالعشرات بل بالمئات فاننا لا نستطيع تعدادها .

وفى النهاية يختم الشيخ السكندرى رحمه الله نقده ختاما مؤدبا حيث يقول :

والنتيجة أن الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لا يخلو من منافع فى موضوعه وغير موضوعه . وهى عبارة مؤدبة تعنى أن المؤلف لم يكن منضبط المنهاج فكان كلامه أحيانا يخرج عن موضوع الكتاب .

(٢)

تاريخ التمـــدن الإسلامى

يقول العلامة « شبلى النعمانى » المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء فى لكهنو بالهند (نشر النقد فى مجلة المنار والتى كان يصدرها الشيخ رشيد رضا رحمه الله على حلقات المجلد ١٥ « ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م ») :

« إن الدهر دار العجائب » ومن احدى عجائبه أن رجلا من رجال العصر (جرجى زيدان صاحب الهلال) يؤلف فى تاريخ تمدن الإسلام كتابا يرتكب فيه تحريف الكلم » وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب ، ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية) .

وينشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الإسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى بلاد العرب والعجم ، مع هذا كله فلا يتعطن أحد لدسائسه .

ولم يكن ليجترىء على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الأمر ، ولكنه تدرج إلى ذلك شيئا فشيئا ، فإنه أصدر الجزء الأول من هذا الكتاب ، وذكر فى مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الأمة وعواطفها ، ولما لم يتنبه لذلك أحد ، ولم ينبض لأحد عرق ، ووجد الجو صافيا ، أرخى العنان وتمادى فى الغى . وأسرف فى النكاية على العرب عموما ، وخلفاء بنى أمته خصوصا [.

« إن الغاية التى توخاها المؤلف ليست إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساويها ، ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة ، غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق » .

« بيان ذلك أنه جعل العصر الإسلام ثلاثة أدوار : دور الخلفاء الراشدين ، ودور بنى أمية ، ودور بنى العباس ، فمدح الدور الأول ، وكذلك الثالث ولما يغر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين ، وهم سادتنا وقدوتنا فى الدين ، وبمدحه فى العباس وهم أبناء عم النبى صلى الله عليه وسلم وبهم نفخرنا فى ثبت التمدن وأبهة

الملك ، ورأى أن (بنى أمية) ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ، ولا مدافع عنهم ، تفرغ لها وحمل عليهم حملة شنعاء ، فما ترك سيئة إلا وعزاها إليهم وما خلى حسنة إلا وابتزها منهم .

ثم لو كان هذا لأجل أنهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لكنا فى غنى عن الذب عنهم والحماية لهم ولكن ذنبهم أنهم « العرب » على صرافتهم ماشابتهم العجمة مطلقا . وقد حصر الباحث أخطاءه فى عدد من الأصول العامة :

أولا : عصبية العرب على العجم :

أطال المؤلف وأطنب فى اثبات هذه الدعوى ، وقال أن العرب يعاملونهم معاملة العبيد ، فى عديد من المواضع (العنوان العام فى الجزء الرابع صفحة ٥٨) .

وأعلم أن المؤلف فى اتقان باطله أطوارا شتى :

منها تعمد الكذب ، ومنها تعميمه لواقعة جزئية ، ومنها الخيانة فى النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة ، مثل كتب المحاضرات والفكاهات ، وغير خاف على من له ألمام بتاريخ الفرس والعرب ، أن الفرس كانت قبل الإسلام تحتقر العرب وتزدريهم ، ولما أرسل رسول الله ﷺ كتابه إلى كسرى العجم ، اشمأز وقال : عبدى يكتب لى ؟ وكتب يزدجرد إلى سعد بن أبى وقاص فاتح القادسية أن العرب على شرب ألبان الإبل وأكل الضب بلغ بهم الحال إلى أن تمنوا دولة العجم فأف لك أيها الدهر الدائر .

ثم لما شرف الله العرب بالإسلام ، انتصفت العرب من العجم ، واستنكفوا من سيادتهم عليهم وجاءت الشريعة الإسلامية ماحية لكل فخر ونخوة ، فقال رسول الله ﷺ فى خطبته الأخيرة فى حجة الوداع :

« أن لا فضل للعربى على العجمى ولا للعجمى على العربى ، كلكم أبناء آدم » حينئذ إرتفع التمايز وتساوى الناس ، ولكن مع ذلك بقيت فى بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة فى صدورهم ، كانت سببا لحدوث حزبين متكاملين يسمى أحدهما :

الشعوبية : وهى التى تحتقر العرب وترميهم بكل معيبة ، والثانى : المتعصبون للعرب وقد عقد ابن عبد ربه فى كتابه (العقد الفريد) بابا فى حجج كل من الطرفين وصدر هذه الأقوال بقوله (قال أصحاب العصبية من العرب) وأنت تعلم أن هذه العصبية ليست كل العرب ولا أكثرها ولا عشر معشارها ، فهؤلاء شرذمة مغمورون فى الناس ، ولكن المؤلف ما اقتنع بذلك ، بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم إلى العرب عامة .

وقد مضى جرجى زيدان فى دعواه متابعا كتابات المستشرقين فى اتهام العرب بانتقاص الموالى فقال أنهم منعوهم من المناصب الدينية المهمة (الجزء الرابع ص ٦) .

فقال الشيخ النعمانى : إن البلاد التى كانت عواصم الأقاليم وقواعدها فى عصر بنى أمية ، كان كل أئمتها من الموالى ففى مكة عطاء ، وفى اليمن طاووس ، وفى الشام مكحول ، وفى مصر يزيد بن أبى حبيب ، وفى خراسان ضحاك بن مزاحم ، وفى البصرى حسن البصرى ، ومع كونهم أعجاما وكونهم أولاد الإماء ، كانوا سادة الناس وقادتهم ، تذعن لهم العرب ويحترمهم خلفاء بنى أمية وولاة الأمور .

وقد عالج هذه النقطة بما عرض مطولا بما يؤكد أن الموالى كانوا فى أيام بنى أمية بأعلى محل من الشرف والمكانة وأن كل ما أورده جرجى زيدان وسابقوه من المستشرقين افتئات ظاهر وتجن وظلم .

استند جرجى زيدان على نص حاول فيه الادعاء بأن عمال بنى أمية كانوا يفرضون نوعا من الجور والشدة . يقول « وإذا أتى أحدهم بالدراهم ليؤديها فى خراجه يقطع الجابى منها طائفة ويقول : هذا رواجها وصرفها واستنده فى هذا على كتاب الخراج لأبى يوسف .

ويقول الشيخ النعمانى :

أيها المؤلف الفاضل : أليس لك وازع من نفسك ؟ أليس لك رادع من ديانتك ؟ أتجرؤ على مثل هذا الكذب الظاهر ، والمين الفاحش جهرة ، فإن

أبا يوسف ما تكلم فى شأن عمال بنى أمية ببنت شفة ، وإنما ذكر عمال هارون الرشيد واساءتهم العمل فى جباية الخراج .

وكتاب الخراج لأبى يوسف بين أيدينا . وأن ما استند إليه عن عمال هارون الرشيد ، فكيف يأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هى الطرق التى كان عمال بنى أمية يجمعون الأموال بها .

ثانيا : مساوىء بنى أمية :

ويقول الشيخ النعمانى : أن موضوع الكتاب ليس إلا بيان تمدن الإسلام ؟ فأى متعلق فى ذاك لإبداء مساوىء بنى أمية .

ولعلك تقول لابد فى تاريخ تمدن الإسلام من بيان منهج السياسة ، هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والنصفة ، فجر ذلك إلى كشف عوار بنى أمية عرضا ، أناشدك الله أما كان لأحد منهم مأثرة تذكر ومنقبة تنقل ، وسياسة تنفع البلاد ، وعدل يعم الناس ، نعم أن خلفاء بنى أمية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين ، وليس هذا عارا عليهم ، ولا فيه حط لمنزلتهم فإن إدراك شأن الراشدين واللحوق بهم أمر خارج على طوق البشر ، وليس فيه مطمع لأحد ، ولا موضع رجاء لمجتهد .

ولكن التوازن والتطابق بين الأموية والعباسية ، وإنما هم ملوك فيهم المحسن والمسىء والعادل والجائر بل الذى أعدلهم سيرة وأوفاهم ذمما لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر .

فلو لزم المؤلف جادة الصواب ، ووفى لكل أحد قسطه وأعطى كل ذى حق حقه ، لاستراح واسترحنا ، ولكنه مال إلى واحد فأطرى فى مدحه (العباسى) ونال من الآخر فأسرف فى تهجينه وذمه (الأموى) .

ثم أنه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب أى ذم العرب والحط من شأنهم فإنه ذم بنى أمية لأنهم العرب ، ومدح العباسيين لا لأنهم العرب ،

ولا لأنهم من سلالة بنى هاشم أو من أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم بل لأمر واحد : لأن دولتهم دولة أعجمية .

ثالثا : حريق خزانة الاسكندرية :

عقد المؤلف بابا لإثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب، وأطال وأطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (الجزء الثالث) أهمها رغبة العرب في صدر الإسلام في محو كل كتاب غير القرآن .

وقد كشف الشيخ النعماني أن هذا غير صحيح ، وأن المسلمين نظروا في كل الكتب ، ونقلوا في تفاسيرهم روايات مختلفة ، فيها الغث والثمين مما نقل إليها من الأديان الأخرى ، فلو كان أهل القرون الأولى يبغضون ماسوى القرآن ويمحون ماكان قبله من العلم ـ كما يدعى المؤلف ـ فمن روى الاسرائيليات وأقاصيص التلمود والتوراة وحشاها في التفسير ؟

ثانيا : أورد ماجاء في تاريخ مختصر الدول لأبى الفرج ثم نقل رواية الإحراق برمتها وأطال في إثبات أن أبا الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية ، بل ذكرها عبد اللطيف البغدادى عرضا في ذكره عمود السوارى وذكرها القفطى في تاريخ الحكماء .

ولا ننازع المؤلف في أن أبا الفرج مسبوق في ذكره هذه الرواية بالقفطى والبغدادى ، ولكن ماذا ينفعه ذلك ، فإن البغدادى وهو أقدمهما من أهل القرن السادس للهجرة ، قد ذكر الرواية من غير إسناد ومن غير إسناد ومن غير إحالة على كتاب .

ويقول : لقد تعود المؤلف من صباه قبول مختلقات أهل الكتاب وأوهامهم وسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامى بميزان غير ميزاننا ، ولذلك يصغى إلى كل صوت ويستمع لكل قائل ، ولكل فن أصول وقواعد ، وما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول اليقينية لا يلتفت إليها أصلا .

ومنها أن الناقل للرواية لابد أن يكون شهد الواقعة ، فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها ، حتى تتصل الرواية إلى من شهدها بنفسه .

ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ، وأنت تعلم أن البغدادى والقفطى من رجال القرن السادس والسابع ، فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول يذكر أنها من غير سند ولا رواية ولا إحالة إلى كتاب .

أما كتب القدماء الموثوق بها ، فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين وهذا تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة ، والأخبار الطوال للدينورى ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، والتاريخ الصغير للبخارى وثقاة ابن حبان والطبقات لابن سعد ، قد تصفحناها وكررنا النظر فيها ، ومع أن فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة ذكر .

والحاصل أن محققى أهل ريبه قضوا بأن الواقعة غير ثابتة أصـــلا ، منهم (جيبون) المؤرخ الشهير الإنجليزى و (دريبر) الأمريكانى و (سيديو) الفرنسى و (كارليل) الألمانى والمعلم (رينان) الفرنسى وعمدتهم فى أفكار ذلك أمران :

الأول : أن الواقعة ليس لها عين ولا أثر فى كتب التاريخ الموثوق بها كالطبرى وابن الأثير والبلاذرى وغيرها مما ذكرنا .

والثانى : أن الخزانة كانت قد ضاعت قبل الإسلام ، اثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن إنكارها .

رابعا : الضغوط على أهل الذمة :

ادعى المؤلف أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كتب عهداً لنصارى الشام ، وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى واعترف بأن فيه ضغطا على النصارى ، ثم اعتذر لعمر بأن نصارى الشام كانوا يميلون إلى قيصر الروم ، وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج إلى الشدة بهم والتضييق عليهم .

يقول الشيخ النعمانى : كل من له أدنى مسكة فى التاريخ يعرف أن الطرطوشى

ليس من رجال التاريخ ، وكتابه كتاب أدب وسياسة ، وهو من رجال القرن السادس ، وإنما المعول على المصادر القديمة الموثوق بها : كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الأثير وغيرها ، وهذا ما كان يخفى على المؤلف ولكن لأجل هوى فى نفسه أعرض عن كل هذا ، وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة بإسنادها ورجالها . وقدم الشيخ النعمانى رواية القاضى (أبو يوسف) فى كتابه الخراج ، وهى تكشف عن اعتراف أهل الذمة بوفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم .

خاتمة :

وقد أشار السيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ فى دراسة له عن جرجى زيدان « صاحب الهلال » بعد وفاته ، كشف فيها وجه هذا الشعوبى ، فقال :

أنه أظهر بعد الانقلاب العثمانى (١٩٠٩) نزعة جديدة ، هى إحياء لمذهب الشعوبية ، ذلك أنه زار الاستانة ولقى فيها بعض زعماء الاتحاد والترقى ثم عاد متشبعا بالنهضة التركية الزائفة ، مستنكرا عدم مجاراة العرب لإخوانهم الترك فى الانضمام على خطة الاتحاديين والترقى إلى تتريك العناصر وادغام العرب فى الترك .

وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة من مطاعن فى العرب ، أودعها بعد ذلك فى كتاب تاريخ التمدن الإسلامى ، وفطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها ، وزادهم التفاتا إليها ترجمة جريدة (أقدام) التركية لتاريخ التمدن الإسلامى ونشره بالتتابع ، وهذا ما حفز الشيخ شبلى النعمانى إلى الرد عليه وأخفى شبهاته .

الأستاذ والتلميذ :

وكان الأب لامنس اليسوعى قدوته فى نقد العرب وبنى أمية ، كما كان سوفان فلهوزن دليله فى الحديث عن ما اسماه الحملة على الموالى ، وهو أكبر متعصبى المستشرقين ، ولجرجى زيدان سموم أخرى فى كتابه عن أدب العرب .

(٣)

روايات جورجي زيدان لا روآيات الاسلام

بهدف افساد مفهوم الشخصية الاسلامية والبطولة

إن إعادة النظر فى كتابات جورجى زيدان تكشف بوضوح أنه يمثل اتجاه الاستشراق والتبشير والتغريب حاملا شباته وسمومه وعاملا على غوسها فى أبحاث التاريخ الإسلامى ، وقد كانت هذه الكتابات مجهولة المصدر إلى أن ترجمت دائرة المعارف الإسلامية ، التى كتبها متعصبو المستشرقين ، وتبين أنها تضاهيها من حيث وحدة المصدر .

ثم جاء بعد ذلك طـــه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى وغيرهم ، فأدخلوا التاريخ الإسلامى فى مراحل جديدة أشد خطورة ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ الأسلامى التى حمل لواءها عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

روايات جورجى زيدان :

أما المجال الذى استطاع جورجى زيدان أن يبث فيه سمومه ، فهو مجال القصص فقد ألف عددا من القصص تحت أسم روايات الإسلام ، دس فيها كثيرا من الدسائس والمؤامرات والاهواء ، وحاول أفساد مفهوم الشخصية والبطولة الإسلامية حيث أساء أساءة بالغة إلى الأعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبى ، وهارون الرشيد والسلطان عبد الحميد وعبد الرحمن الناصر ، وعبد الرحمن الغافقى وأحمد بن طولون . والأمين والمأمون ، وعبد الرحمن الداخل ، وشجرة الدر الخ . ومازالت هذه الروايات تظهر بين وقت وآخر مطبوعة طباعة فاخرة لتخدع الشباب بذلك الأسلوب القصصى المسموم ، وقد أقام جورجى زيدان تصوره على أساس خطير :

أولا : تصويره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذين يريدون

الوصول إلى الحكم بأية وسيلة ، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم ، مع تجريحهم وأتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات .

ثانيا : تزييف النصوص التى نقلها عن المؤرخين القدامى وحولها عن هدفها نحو لا أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصا غرامية باطلة .

ثالثا : أستهدف من حشد العلاقات الغرامية ، ذات المواقف المثيرة داخل روايات اريخ الإسلام أثارة غريزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين ، مستغلا ضعف ثقافة الكثيرين منهم وجهلهم بالغاية التى يرمى إليها فى رواياته مع الاستشهاد بالابيات الشعرية المكشوفة الساقطه ، التى تحرك الغرائز الدنيا .

رابعا : تبين من البحث الذى قدمه عالم أزهرى درس باستفاضة روايات جرجى زيدان أن معظم الأحداث التاريخية فى رواياته قد خرفت وبنيت على أساس فاسد فقد ظل جرجى زيدان ـ على حد تعبير الباحث ـ ينقب وينقر ويجهد نفسية فى مزج الحق بالباطل وتقديمه فى أسلوب براق جذاب معتمداً على فن أدبى ذىأثر بالغ ، وذلك هو فن القصة والرواية ، حيث لم يكن حريصا على تحرى الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحبكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقا ، وقد عمل جاهدا على طمس التاريخ الإسلامى وتشوية معالمة ، بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضى أبائهم المجيد .

خامسا : من أخطر شبهاته أنه قال ببشرية القرآن ، وشلك فى مصادر العربية الأول ، ومدح بنى العباس لأنهم أنزلوا العرب منزلة الكلاب (على حد قوله) ونسب أحراق مكتبة الأسكندرية إلى عمر بن الخطاب .

وقد طبع اللبنانيون ـ ودار الهلال فى مصر ـ روايات جرجى زيدان مزدانة بالصور الملونة والألوان الصارخة بقصد استهواء الشباب وحثهم على قراءة هذه الكتب التى لاتعطيهم إلا صورا مشوهة لتاريخ أمتهم وأخبارا ملفقة بغية التشكيك فى ذلك التاريخ .

سادسا : أعطى نفسه الحرية المطلقة فى تفسير أحداث التاريخ فى معظم رواياته ، استناداً إلى ما يسمى موقف الأديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متعسفه متكلفة ، تخفى محاولة لإثارة مشاعر السخط فى نفوس المسلمين .

سابعا : تفسيره لتصرفات هارون الرشيد مع أخته العباسية وجعفر البرمكى وما أثير حولهما من أخبار ، بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاما ويغزوا عاما ، بل وبما لا يتفق مع ايسر قواعد التفكير والمنطق السليم وفى رواية (الرمانوسة المصرية) - والتى تحكى قصة فتح عمرو بن العاص لمصر حاول أن يقول أن الحب بين أرمانوسة وأركاديوس قائد حصن الروم ، هو السبب فى هزيمة الروم وانتصار المسلمين ، واتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسلبون عندما فتحوا بلبيس ، وهو مناقض تماما لما أورده المؤرخون المنصفون من المسلمين وغير المسلمين .

فتاة غسان :

ثامنا : فى رواية [فتاة غسان] والتى تحكى فتوح الشام وبدء ظهور الإسلام أورد شبهة بأن النبى محمدا ﷺ أخذ تعاليمه من الرهبان ، وتأثر بتوجيهات الراهب بحيرا واتسمت كتابته بالسخرية والاستخفاف بوثائق العهد النبوى ووصف حادثة شق صدر النبى ﷺ بالغرابة ، وادعى أن هناك خصومة بين خالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وأخذ مصادره فى هذا من كتب المستشرقين .

تاسعا : فى رواية (عذراء قريش) - والتى تناولت عصر الخلفاء الراشدين ، أقام منطقة على تجريح الصحابة رضى الله عنهم ، واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات ، وأتهم السيدة عائشة رضى الله عنها بالميل إلى سفك الدماء والتزوع إلى الشر .

ووصف الخليفة عثمان رضى الله عنه بأنه رجل إمعة وذليل ومستسلم لابن عمه ، وأفترى على (على ابن أبى طالب كرم الله وجهه) وفسر الفتنة تفسيرا مغرضا وأتهم عليا رضى الله عنه بالتهاون فى المطالبة بدم عثمان .

عاشرا : وفى رواية ، العباسة ، التى تحكى قصة نكبة البرامكة ـ أتهم الرشيد بالاستهتار والمجون والاستبداد والظلم ، وقدم تفسيرا خاطئا ومغرضا لقتل بنى برمك ، وشوه شخصية العباسة أخت الرشيد .

الحادى عشر : فى رواية (شارل وعبد الرحمن) ـ والتى تحكى جزءاً من عصر الولاة بالأندلس ـ زعم بأن القواد وأمراء الجند من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى وقد فتنوا بجمالهن ، وأن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم فى ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يهتمون بالغنائم أكثر من أهتمامهم بما عداها ، وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم .

الثانى عشر : أجرى على لسان أبى سلم الخراسانى من الافتراء ، ما قال من أن العرب كانوا يحتقرون غير العرب ، ويسومونهم سوء العذاب ثم يفتخرون عليهم بالنبوة ، وطمس معالم التاريخ الإسلامى فى هذه الرواية بالدس والافتراء ، وقدم صورا باهرة للكنيسة ورهبانها ، وأشاد بالاديرة والرهبان حيث جعلها ملجأ الضعفاء وملاذ التائهين والخائفين .

وفى رواية الأمين والمأمون كان واضح التحامل على العرب ، واصفا أيامهم بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التى تربطهم رابطة الإسلام قبل كل شىء .

وفتاة القيروان :

الثالث عشر : فى رواية ، فتاة القيروان ـ التى تحكى أخبار الفاطميين ومن عاصرهم ـ حاول التشكيك فى إنساب الكثيرين من حكام المسلمين ، وكذلك عمد إلى التشكيك فى نسب الخليفة المعز لدين الله وأعتمد فى قصصه الغرامية على الخيال إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف فى جميع كتب التاريخ وخاصة حاكم سلجماسة الأمير حمدون ، بل أن صاحب سلجماسة فى كتب التاريخ يختلف تماما عما جاء فى رواية زيدان ، مما يؤكد ميل زيدان إلى التزوير والتحريف .

بل أن صاحب سلجماسة هو محمد بن داسول ، وليس الأمير حمدون ، ولم يقل ابن الأثير أن له بنتا شغلت القائد جوهر فخطبها لابنه ، وقد أعطى زيدان اليهود في روايته دورا أيجابيا ، وجعلهم أصحاب الفضل الأول في ازالة الدولة الاخشيدية ، وأقامة دولة الفاطميين مقامها .

الرابع عشر : في رواية صلاح الدين تلفيق وتزوير وأفساد للتاريخ ، فقد ذهب إلى أن الخليفة العاضد لما ضعف أمره استدعى صلاح الدين وأوصاه بأهله خيرا وأن صلاح الدين نقض هذا العهد بعد سويعات ، وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه .

ولا ذكر في كتب التاريخ لتلك الوصية والأشارة في كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه .

وهذه الوصية التي ذكرها (زيدان) لم ترد في الكامل لابن الأثير ولا غيره فهي ملفقة مزورة ، كذلك فقد زيف زيدان النصوص التي نقلها من أبن الأثير ، وحولها تحويلا أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصا غرامية باطلة .

ولم يعن المؤلف بالتصوير الحي لشخصية صلاح الدين ، ولم يسجل موافقة الحاسمة ، وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذي قام به صلاح الدين ، بالحديث عن مكائد الحشاشين ـ الأسماعلية ـ وتهديدهم لصلاح الدين ، وأعتمد على روايات طائفة الحشاشين ، تلك الجماعه الضالة المنحرفة ، وحاول أن ينسب إلى صلاح الدين قصصا غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفي رواية (شجرة الدر) والتي تحكي أحداث نهاية العصر الأيوبي وبداية المماليك في مصر ـ حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللائي يتاجرن بأعراضهن ، في سبيل الحصول على مايتطلعن اليه ، وليس معه أي دليل من التاريخ وهذه الدعاوى التي أودها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في الكتب التي أرخت لهذه الفترة من أمثال النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ، والمواعظ والأعتبار في الخطط والآثار ، وصبح الاعشى للقلقشندي .

التلاعب بالمراجع :

السادس عشر : وخلاصة ما يصل اليه البحث حول روايات جرجي زيدان :

(١) تحوير مواقف الشخصيات التاريخية .

(٢) أثارة الشكوك حول البطولات الأسلامية .

(٣) تعمد أغفال الحوادث التاريخية المهمة .

(٤) أضفاء حالات مثالية على الأديرة والرهبان ودور النصارى واليهود في التاريخ الأسلامي .

(٥) التلاعب بالمصادر والمراجع .

رأى مجلة الموسوعات

قالت مجلة الموسوعات (١٨٩٩) : لم يلتزم جرجي زيدان بتمحيص الحوادث التاريخية ، فاختلق شخوصا ونسب إلى بعض الشخصيات الأسلامية البارزة ماليس فيها ، مما أثار جمهور المسلمين .

فعذراء قريش (أسماء) بطلة الرواية لا وجود لها ، ألا في ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض العذر التأليفي كقاص ، ولكن الباطل أنه نسب لمحمد بن أبي بكر ، المعروف عنه الزهد عشق هذه العذراء ، بل أن صاحب الهلال بنى على هذه الباطل باطلا ، فاختلق سببا من عنده ليس له أسانيد تاريخية وفي تفسير بعض الأحداث وزعم أن عشق محمد بن أبي بكر (كان سببا) في أزدياد هياجه على عثمان رضى الله عنه ، ونسب إلى الحسين بن على رضى الله عنهما عشقه لهذه العذراء الوهمية ، وغيرة محمد بن أبي بكر منه .

وأدعى أن الأمام عليا رضى الله عنه أعجب بعذراء قريش ، عندما أدخلت عليه في زى رجل مع أن الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء بالرجال وقد عرف عن (على) كرم الله وجهه تمسكه بالدين ما ينفي عنه أنه يعجب بمثل هذا .

وقد أقر (جرجى زيدان) بخطئه فى هذه الرقائع (هلال مايو ١٨٩٩) وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذى وقع فى شبكة الصياد .

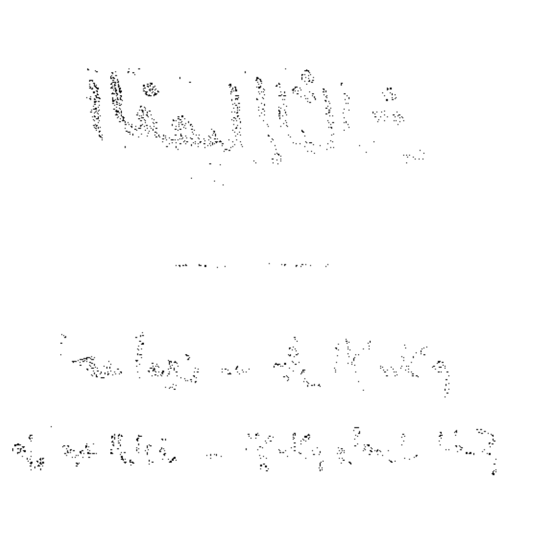
ونقول : (أن المجله أنطوت وبقيت القصة فى أيدى القراء ، يعاد طبعها دون التفات إلى هذه الملاحظات) وقد ارسل العلامة رفيق العظم ، إلى جرجى زيدان (١٨٩٩) يؤاخـذه على أغفاله الأعتبارات التاريخيـة ويستنكر تأليف التاريخ الأسلامى برمته فى قالب قصصى .

وهذه الملاحظة قد تكررت من الناقدين ، وقد إنتقدوه فى شأن هذه القصص وما أورد فيها من أخباره الكاذبة ، وثانيا بسب العشق والغرام إلى رجال سلفنا الكرام ، وقد أشارت جريدة المؤيد إلى ذلك فى التعليق على قصـة (الحجاج بن يوسف) فقالت : الحوادث الغرامية لم تسند إلى احد من رجال السلف العظام والأئمـة الذين يجلون عن هذه الانحرافات ، هذا فضلا عن الاخطاء فى الأمور التاريخية المشهورة .

الفصل الثالث

أحمد أمين — فجر الإسلام

على عبد الرازق — الإسلام وأصول الحكم



أحمد أمين — فجر الإسلام

يقول الدكتور مصطفى السباعى فى بحث مطول نشره فى مجلة الفتح (فى ١٤ حلقة) إن كتابى (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) للأستاذ أحمد أمين (عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية) ١٩٤٠ م ، من أشهر الكتب الحديثه المؤلفة فى تاريخ العلم والثقافة فى عصور الإسلام الأولى .

ومع أن المؤلف معروف لدى الأوساط العلمية بغزارة العلم ودقة البحث وحب التأليف ، فقد وقعت له فى هذين الكتابين أخطاء ، لا أحب أن أصفها ، حتى لا أتهم بالمبالغة ، وحسبى أن أقول : أنها مما لا يجوز السكوت عليها بحال من الأحوال .

ولما رأيت أن السكوت عن تلك الأخطاء والتحريفات جناية فى حق الدين والعلم فقد أسرعت بكتابة هذا البحث ، فى نقد فصل واحد من كتاب فجر الإسلام وهو فصل « الحديث » .. وسيرى القارىء أن الأستاذ أحمد أمين :

أولا : تأثر إلى درجة كبيرة ببحوث المستشرقين وكتاباتهم فى علم الحديث .

ثانيا : تأثر بأراء رؤوس المعتزلة وطوائف الشيعة ممن يتشيع لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم .

ثالثا : استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أساس علمى ولا مستند تاريخى صحيح .

رابعاً : لم يلتزم الأمانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والآثار .

خامسا : لم يعتمد فى تاريخ الحديث على كتب علوم الحديث ، بل اعتمد على كتب الأصول ، وخاصة كتاب (مسلم الثبوت) وشرحه ، ومن هنا أورد كثيرا من الأحاديث ، منها ما لم يعثر له على أصل فى كتب السنة ، ومنها ما جاء بأسلوب مغاير لما فى تلك الكتب .

وقد كان يستطيع الرجوع فى معرفة هذه النصوص إلى مراجعها الحقيقية ، لولا أنه يسعى إلى غرض معين فهو يتصيد الأدلة من هنا وهناك من غير تحقيق ولا تدقيق .

وللأستاذ احمد أمين أسلوب خاص فى بث آرائه التى يخالف بها الجمهور ، متبعا فيها بعض ذوى الأهواء من المسلمين أو ذوى الأغراض من المستشرقين ، ومن خصائص هذا الأسلوب أنه يأتى بالفكرة فلا يلقيها إليك فى كتابه دفعة واحدة ولا يظهرها لك على أنها رأى لمبتدع أو لمستشرق ، ولكنه يوزع شيئا منها هنا وشيئا هناك متلطفا فى الأسلوب ، متظاهرا بالبحث والتحقيق ، ولا ينسى أن يستند فى خلال ذلك الى نص محرف أو حديث ضعيف أو رأى هزيل أو ينسب إلى العلماء قولا له يقولوه ، وإلى بعض المذاهب آراء لم يذهبوا إليها ، فلا يكاد ينتهى من بحثه حتى يكون قد أحكم بث الفكرة فى ثنايا كتابه من غير إزعاج للقارىء ولا إستفزاز لشعوره .

وبهذا الأسلوب إستطاع الأستاذ أن ينجو مما لحق بزملائه من سخط الجمهور وأن ينال ثقته بإخلاصه وتجرده للحق والعلم .

وكم كان الأستاذ أحمد أمين بارعا فى التشكيك فى أحاديث السنة ، مما يدل دلالة قوية على أنه يشك فيها جملة ـ كما يقول كثير من المستشرقين ـ وكما قال من قبل بعض رؤساء المعتزلة والفرق الضالة والمبتدعة .

ومما يؤكد هذه الدلالة أن أحد المنتسبين إلى الإسلام فى مصر ، ممن تلقوا علومهم فى جامعات روسيا الشيوعية (يقصد : إسماعيل أدهم أحمد) قام منذ سنين بوضع رسالة عن تاريخ السنة ، انتهى به البحث فيها إلى أن هذه الأحاديث التى بين أيدينا ، مشكوك فى صحتها على العموم ، ومن مزاعمه أن ما ذهب إليه قد وافقه عليه : فلان وفلان ، والأستاذ أحمد أمين بكتاب أرسله إليه .

وانتظرنا من الأستاذ أن يكذب هذا الاتهام الفظيع الذى نسبه إليه تلميذه الشيوعيين فلم يفعل ، بل قرأنا له فى بعض المجلات الأسبوعية ما يفيد تألمه مما حصل لصاحبه ، وعد ذلك محاربة لحرية الرأى ، وحجر عثرة فى سبيل البحوث العلمية الخالية من كل تعصب وهوى .

قال أحمد أمين : ويظهر أن الوضع فى الأحاديث حدث فى عهد الرسول ﷺ

لحديث « من كذب علي عامداً متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار » يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة زور فيها على الرسول ﷺ أ . ه .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي : أن هذا الذى استظهره أحمد أمين لا سند له فى التاريخ ، ولا فى سبب الحديث المذكور ، أما التاريخ فقاطع بأنه لم يقع فى حياة الرسول (ﷺ) أن أحداً من الناس زور عليه كلاما ، ورواه على أنه حديث من أحاديثه عليه الصلاة والسلام ، ولو وقع مثل هذا لتوافر الصحابة على نقله لشناعته وفظاعته ، كيف وقد كان حرصهم شديداً على أن ينقلوا لنا كل ما يتصل به ﷺ .

أما الحديث المذكور فقد إتفقت الكتب والسنة على أن الرسول (ﷺ) إنما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم . وظاهر من الروايات أن النبى (ﷺ) وقد علم أن الإسلام سينتشر ، وسيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة فيه بصورة قاطعة حث على وجوب التحرى فى الحديث عنه ، وتجنب الكذب عليه بما لم يقله .

وليس فى هذه الروايات إشارة قط إلى أن هذا الحديث قيل لوقوع تزوير على الرسول (ﷺ) .

قال أحمد أمين : وحسبك دليلا على مقدار الوضع ، أن أحاديث التفسير التى ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : لم يصح عنده منها شىء ، قد جمع فيها آلاف الأحاديث ، وأن البخارى وكتابة يشمل على سبعة آلاف حديث ، منها نحو ثلاثة آلاف مكررة ، قالوا أنه اختارها وصحت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة فى عصره . أ . ه .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعى : أن كثرة الوضع فى الحديث مما لا ينكره أحد ، ولكنه عندما أراد أن يستدل على مقدار الوضع فاستشهد بشيئين : أحاديث التفسير وأحاديث البخارى - وظاهر عبارته فى أحاديث التفسير أنه يشك فيها كلها ، إذ ينقل عن الإمام أحمد انه قال (لم يصح منها شىء) مع انهم قد جمعوا فيها آلاف الأحاديث .

والإمام أحمد لا يخفى مكانته فى السنة . فإذا قال فى أحاديث التفسير (لم يصح منها شيء) كان ما روى فيها مشكوكا بصحته ان لم يحكم عليه بالوضع ، أليست هذه نتيجة منطقية لكلام الأستاذ .

الصحيح صحيح دون شك :

أما أحاديث التفسير ، فلا يخفى على كل من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئا كثيراً منها بطرق صحيحة لا غبار عليها ، وما من كتاب فى السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه بابا خاصاً لما ورد فى التفسير عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو الصحابة أو التابعين .

وقد اشترط علماء التفسير على أن ما يفسر كتاب الله عز وجل أن يعتمد فيه على ما نقل عن النبي ﷺ فى ذلك .

وقد جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول ، وأوجبوا على المفسر أن يرجع إلى الأول ويعرفه لو لم يصح منه شيء ، بل لو لم يصح منه شيء كثير ، لما فعلوا ذلك .

أما ما نقله عن الإمام أحمد ، فهو يشير بذلك إلى ما روى عنه من قولة : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازى » والكلام فى هذه العبارة من وجوه :

أولا : أن فى النفس من صحتها شيئا ، فإن الإمام أحمد نفسه قد ذكر فى مسنده أحاديث كثيرة فى التفسير ، فكيف يعقل أن يخرج هذه الأحاديث ، ويثبتها عن خيرة شيوخه فى مسنده . ثم يحكم بأنه لم يصح فى التفسير شيء ؟؟

وأيضا فمقتضى هذه العبارة : أن يكون كل ما روى عن أخبار العرب ، ومغازى المسلمين مكذوبا من أصله ، وليس هناك من يقول بهذا .

ثانيا : ان نفى الصحة لا يستلزم الوضع ، والضعف ، وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة نفى الصحة عن أحاديث وهى مقبولة ، وقالوا فى تأويل ذلك أن هذا اصطلاح خاص به .

ثالثا : ان الإمام أحمد لم يقل أنه لم يصح فى أحاديث التفسير شيء ، وإنما قال «ثلاثة ليس لهما أصل» ولا يخفى مابين العبارتين من فرق ، إذا يحتمل أن يكون مرادة نفى أن يكون للتفسير كتاب مأثور .

ولا يلزم فيه نفى صحة شيء من أحاديث التفسير .

رابعا : يحتمل أن يكون مراد الإمام أحمد ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح .

والكلام فى أحاديث البخارى :

وننتقل إلى أحاديث البخارى وقد زعم الأستاذ أحمد أمين أنهم قالوا : ان البخارى إختار أحاديث كتابة وصحت عنده من ستمائة ألف حديث ، ولا ادرى من قال هذا القول ؟؟

اما علماء الحديث ورجال المصطلح ، فقد ذكروا ان البخارى لم يجمع فى كتابه كل ما صح عنه ، فإذا كان العلماء يقرون ان البخارى لم يخرج كل ما صح عنده يكون ما نقله الأستاذ احمد امين عنهم نقلا غير صحيح .

وحاول الأستاذ احمد امين التشكيك فى عدل الصحابة فقال : الذى جرى عليه العمل من اكثر نقاد الحديث ـ وخاصة المتأخرين منهم ـ على أنهم عدلوا كل صحابى ولم يرموا أحدا منهم بكذب ولا وضع وأنما جرحوا من بعدهم .

ويقول الاستاذ مصطفى السباعى : مما أتفق عليه التابعون ومن بعدهم ، من جماهير المسلمين ونقاد الحديث قاطبة : (تعديل الصحابة) وتنزيههم عن الكذب والوضع ، هذا هو الوقع والمعروف فى هذه المسألة .

ولكن المؤلف لغرض فى نفسه ـ سبق التنبيه إليه ـ يريد أن يشكك فى هذه الحقيقة فزعم أولا أن (أكثر) النقاد عدلوا الصحابة ، مع أن النقاد قاطبة عدلوه لم يشذ فى ذلك أحد .

وزعم ثانيا : أن قليلا منهم من أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم ،

مع أن هؤلاء الذين تكلموا فى الصحابة ليسوا من نقاد الحديث ، ولكنهم من ذوى الاهواء والفرق المعروفة عند المسلمين ، بالتعصب لبعض الصحابة على البعض الآخر .

وزعم المؤلف ثالثا : أن هذا التعديل كان من أكثر نقاد الحديث ، وخاصة المتأخرين منهم ، مع أنه لم يؤثر عن أحد من المتقدمين من أهل العلم - من التابعين فما بعدهم - أنه طعن فى صحابى أو ترك الحديث عنه ، أو وضعه فى ميزان الجرح والتعديل .

وهناك ثلاثة مزاعم يأتى بعضها أثر بعض ، ليس من ورائها إلا تهوين القول بعدالة الصحابة على الاطلاق ، وتجرىء ذوى الاهواء فى حقهم ، إذا روى عن أولئك الاصحاب ما يخالف أهواءهم ، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ هم حماة الدين ونقلة السنة أمناء الشريعة .

لم يكتف المؤلف بهذا ، بل زاد على ذلك زعما آخر تأكيداً لما رمى اليه ، وتقريرا له فى نفس القارىء ، حيث قال بعد ما تقدم :

(ويظهر أن الصحابة أنفسهم فى زمنهم كان يضع بعضهم بعضا موضع النقد وينزلوا بعضهم منزلة أسمى من بعض . . الخ)

وحاصل كلامه فى هذا الموضوع أن الصحابه كان يشكك بعضهم فى صدق بعض ويضع بعضهم بعضا موضع النقد . . وما ذكره أحمد أمين من أن الصحابة كان بعضهم يضع بعضا موضوع النقد ، مع أن كل ما كان يقع من الصحابة من رد بعضهم على بعض ، أنما هو نقاش علمى محض مبنى على أختلاف أنظارهم وتفاوت مراتبهم فى الاستنباط أو الاجتهاد ، أو على نسيان أحدهم حديثا وتذكر الآخر له ، وليس ذلك ناشئا عن شك أو ريبة أو تكذيب واحد لآخر .

ويقول الاستاذ مصطفى السباعى : أن الاستاذ أحمد أمين كان لبقا فى توجيه المطاعن نحو (أبى هريرة) - رضى الله عنه - ومجاراة المستشرقين والنظام ومن شايعه من المعتزلة فى التحامل على هذا الصحابى الجليل ، لقد وزع طعونه فى مواضع

متفرقة من بحثه ، كان حديثه عنه حديث محترس متلطف ، يحاذر أن يجهر بما يعتقده فى حقه من سوء » .

ولكن أسلوب الأستاذ وتحريفه لبعض الحقائق فى تاريخ أبى هريرة ، وحرصه على التشكيك فى صدقة وتصديق الصحابة له ، كل ذلك قد نم على سريرة الأستاذ ، وأزاح الستار عن خبيئة نفسه (قال ﷺ) « من أسر سريرة ألبسه الله رداءها » .

ومن الانصاف ان نقول ان الأستاذ أحمد أمين لم يكن أول من إساء الظن بهذا الصحابى الجليل ، ولا أول من حرف تاريخه ، بل هو مقلد لأساتذته من المستشرقين ، المتعصبين الذين دأبوا على تشويه الحقائق .

وعندما ترجم أحمد أمين لأبى هريرة : أقتصر على ذكر نسبه وأصلة وتاريخ أسلامه وأشار إلى ما روى من دعابة أبى هريرة ومزاحه .

وكان من حق الأمانة العلمية : عليه أن يذكر لنا مكانته بين الصحابه والتابعين وأئمة الحديث ، وثناءهم عليه وأقرارهم له جميعا بالحفظ والضبط والصدق .

ولكن الأستاذ أحمد أمين لم يفعل شيئا من هذا بل تعرض لأمور يسيء ظاهرها لأبى هريرة جد الأساءة فكانت محاولة مستورة للطعن فيه تمشيا مع جولد زيهر وأضرابه من المستشرقين .

وقد أقتصر المؤلف على ذكر الشك فى حفظ أبى هريرة من بعض الصحابة ، دون أن يذكر لنا إقرار جمهورهم بحفظه وتثبيته ، ودون أن يذكر لنا ثناء أهل العلم عليه من التابعين من بعدهم ، وأعترافهم له بأنه أحفظ صحابة رسول الله ﷺ وأرواهم للحديث ، وهذا دليل وأضح على أنه لم يقصد بمقالته ألا الطعن الخفى فى صدقه والتشكيك القوى فى أحاديثه ومروياته وقد أعتمد المؤلف على دائرة المعارف الاسلامية فى هذا الأتجاه .

إذا تذكرت أن الأستاذ أحمد أمين تابع جولد زيهر (اليهودى) فى تجريح

أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ واتهامه ، علمت السر فى توخى الاستاذ لهذه المسالة هنا وتتبع خطرات جولد زيهر ، ثم رأيت إلى أى حد يكون التلاعب بالحقائق فى سبيل الأهواء .

ماذا يضر أبا هريرة أن ينحله الواضعون أحاديث كثيرة ، ثم كيف يكون الكذب عليه داعيا للشك فى أحاديثه كلها ، لو أن العلماء لم يميزوا الثابت عنه من المنتحل ، لكان هناك عذر فى التشكيك بأحاديثه كلها ، أما وأن أئمة الأحاديث ميزوا الصحيح من الموضوع وبينوا ما ثبت عن أبى هريرة مما لم يثبت ، بطرق هى غاية فى الدقة والتحرى ، فلا عذر لأحد أن يتشكك فى أحاديثه جملة ، ألا أن يكون صاحب هوى وغرض يتلمس لنشر هواه كل طريق ملتو معوج .

ولعل القارىء أدرك من كل ما كتبنا ، أن الأستاذ أحمد أمين تابع المستشرقين المتعصبين فى التحامل على ذلك الصحابى الجليل ومنزلته فى الحديث .

بماذا يفتخرون :

والاستاذ مغرم جدا بمحاكاة المستشرقين ونقل أقوالهم ، ومن ذلك قول زكى مبارك عنه :

أن أحمد أمين لايهمه أن يرد الحقوق إربابها ألا فى موطن واحد ، هو الموطن الذى يقول فيه : أنه استأنس بأراء المستشرقين ليقال أنه يطلع على أقوال المستشرقين .

والغرض الأول من نشر هذا البحث هو لفت أنظار الباحثين وخاصة علماء الأزهر الشريف إلى ما فى كتاب (فجر الأسلام) ، (وضحاه) من اخطاء يعتبر السكوت عليها بعد الأحاطة بها جناية فى نظر الدين والعلم ، وحتى لا ينصحوا تلاميذهم باتخاذ هذا الكتاب وغيره مرجعا اساسيا .

(٢)

على عبد الرازق ـ الاسلام وأصول الحكم

كانت القوى الأجنبية قد تآمرت على إسقاط الخلافة الإسلامية فى دورة طويلة تكاتفت فيها الصهيونية والغرب الاستعمارى وجماعة الاتحاديين الذين اسقطوا السلطان عبد الحميد واستولوا على الحكم فى الدولة العثمانية تمهيداً لتسليم فلسطين إلى الصهيونية العالمية ، وجاء دور مصطفى كمال اتاتورك بعد انتهاء الحرب العالمية التى دخلتها الدولة العثمانية وهزمت فيها ، وكان لسقوط الخلافة رنة اسى وتطلع ضخم إلى هذا الحديث الذى اصبح من بعد عهداً من عهود حركة اليقظة الإسلامية بإعادة الخلافة .

فى هذا الجو المضطرب ـ الذى انحل فيه عقد الجامعة الإسلامية وبرزت دعوات الإقليمية والقومية وتمزيق العالم الإسلامى إلى قوى محلية ـ صدر كتاب الشيخ على عبد الرازق (الإسلام واصول الحكم) الذى كان بمثابة صيحة تغريبية جائرة تحاول ان تقضى على مفهوم الإسلام الجامع دينا ودولة بإثارة شبهة ماكرة لئيمة خادعة هى القول بأن الإسلام دين عبادى وان الرسول ﷺ لم يكن فى ذات الوقت حاكما اقام دولة .

وقد صدر الكتاب فى مجال معارضة الخلافة الإسلامية لأسباب سياسية كانت بريطانيا والنفوذ الأجنبى تؤازرها وكانت تعمل دون عودة هذا النظام الإسلامى الجامع .

ولكن الخطر الحقيقى من وراء كتاب الشيخ على عبد الرازق كان هو : هدم مفهوم الإسلام بوصفه ديناً ودولة ونظام مجتمع ومنهج حكم جامع .

ولقد إهتزت دوائر الأزهر والعالم الإسلامى لهذا الكتيب المزور واعلنت هيئة كبار العلماء فساد المنهج الذى قام عليه ، وان المؤلف قد اخطأ خطأ بالغا حين (جعل الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى امور

الدنيا ، مع ان الدين الاسلامى على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات هى لاصلاح امور الدنيا والآخرة ، وان كتاب الله تعالى وسنة رسولة يشتملان على احكام كثيرة فى امور الآخرة .

كما اشار حكم هيئه كبار علماء الأزهر إلى ان المؤلف :

اولا : زعم ان الدين لا يمنع من ان جهاد النبي ﷺ كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثانيا : زعم ان نظام الحكم فى عهد النبي صلي الله عليه وسلم كان موضع غموض وإبهام او نقص موجب للحيرة .

ثالثا : زعم ان مهمة النبي صلي الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا من الحكم والتنفيذ .

رابعا : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لابد للأمة من يقوم بأمرها فى الدين والدنيا .

خامسا : أنكر أن القضاء وظيفة شرعية وقال أن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا من الخلافة .

سادسا : زعم أن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده – رضى الله عنهم – كانت لا دينية . وهذه جرأة لا دينية .

صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم عام ١٩٢٥ سابقا لكتاب الشعر الجاهلى لطه حسين ، وقد كشفت الأيام من بعد كيف أن هذا الكتاب من تأليف المستشرق اليهودى مرجليوث المقيم فى لندن وأنه أهداه لعلى عبدالرازق عندما زارها دارسا(١).

وقد ظل هذا السر محجوبا إلى وقت قريب حين كشف عنه الدكتور ضياء الدين الريس فى كتابه (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث) الذى صدر عام ١٩٧٢ تقريبا وكان المظنون خلال أكثر من خمسين عاما أنه من تأليف الشيخ عبدالرازق، وقد عد هو وكتاب طه حسين عن الشعر الجاهلى من الأسس التغريبية التى اعتبرها الشيوعيون والعلمانيون مرجعا لخطتهم وأهدافهم فى هدم مفهوم الإسلام فى السياسة

---

(١) درس على عبد الرازق فى انجلترا عام ١٩١٢ لاكسفورد ثلاث سنوات واضطر إلى العودة تحت ظروف الحرب العالمية .

وفى الأدب ، وقد قوبل الكتاب عند صدوره بمعارضة شديدة وألفت كتب كثيرة فى ارد عليه وكتبت فصول عديدة فى الصحف ومن ذلك كتاب الفاضل ابن عاشور ، ومحمد بخيت ورشيد رضا وكثيرون .

وجد المنحرفون ضالتهم :

ولقد كان كتاب (الأسلام وأصول الحكم) لعنة على الشيخ على عبد الرازق فقد اصاب حياته بالظلام والغربة ولا حقته لعنته مدى حياته حتى أنه عندما اراد الماركسيون اقناعه بأعادة طبعه قال لهم : ان هذا الكتاب اثار عليه متاعب كبيرة ، ومع ذلك فأن بعض الماركسيين اعاد طبعه وقدم له ، رغبة منهم فى تأكيد مفهوم فاسد لا يقره الاسلام ، ويتخذ الكتاب الماركسيون - المعارضون لمفهوم الاسلام بوصفه دينا ودولة - من هذا الكتاب خطة عمل توالى بث سمومها فى الصحف والمؤلفات والمؤتمرات ، ويولى كبر ذلك امثال محمد عماره ومحمد احمد خلف الله وحسن حنفى وعبد الله العروى وسيكون هذا الكتاب لعنة عليهم كما كان لعنة على على عبد الرازق ، فمات الكتاب قبل أن يموت صاحبه ، وانطوت صفحته وصاحبه حى " .

ومع الاسف فقد كان صدور مثل هذا الكتاب مما تلقفه المستشرقين ليثيروا به دعوى عريضة بأن فى الاسلام مذهبين : أحدهما ان الاسلام دين ودولة والآخر يقول أن الإسلام دين روحى ويضعون على عبد الرازق على رأس الفريق الذى يقول هذا القول ، والواقع أنه ليس فى الإسلام غير رأى واحد ، وهو الرأى الأول ، وأن ما ذهب إليه على عبد الرازق عام ١٩٢٥ م لم يكن من الإسلام فى شىء ، ولم يكن على عبد الرازق إماما مجتهداً ، وإنما كان قاضيا شرعيا تلقفته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم « التجديد » حيث دعى إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التى تروج للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام وهدم مقوماته ، وأهدى أصل هذا الكتاب الذى وضع عليه إسمه مترجما إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التى يستطيع إقتباسها من كتب الأدب .

أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قرم من أقرام الاستشراق وداعية من دعاة الصهيونية واليهودية العالمية هو المستشرق مرجليوث الذى شاءت الصدف أن يكون هو نفسه صاحب الأصل الذى نقل منه كتاب الأدب الجاهلى والذى أطلق عليه الأستاذ : محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويمكن (حاشية على عبد الرازق على بحث مرجليوث) وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور أن يطلق الآن اسم : ضياء الدين الريس فى بحثه القيم « الإسلام والخلافة فى العصر الحديث .

وهكذا نجد أن السموم المثارة فى أفق الفكر الإسلامى توضع أساسا من رجال التغريب ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتذيعها إيمانا بأن الاسم العربى أكبر تأثيرا وأبعد أثراً فى خداع الجماهير .

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلى) و (الإسلام وأصول الحكم) على أنهما دعامتان للنهضة « التغريبية فى الفكر الحديث » .

ومع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطاءه فإن قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات إضافية يكتبها شعوبيون يخدعون الناس بأقلامهم وأسمائهم ، وهم يجدون فى هذه المرحلة التى يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث السموم مرة أخرى ولن يجديهم ذلك نفعا فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنتشر وتدحض باطل المضللين مهما تجمعوا له وقدموه فى صفحات برأفة مزخرفة وأساليب خادعة كاذبة .

إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ محمد بخيت الذى رد على الشيخ على عبد الرازق فى كتابه « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » وهو واحد من الكتب التى صدرت فى الرد عليه حيث قال :

« لأنه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع إسمه عليه فقط ، فهو منسوب إليه فقط ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار وألبسوه ثوب الخزى إلى يوم القيامة » .

وقد علق على عبد الرازق على هذا المعنى بأن هذا الكتاب كان شؤما عليه ، وقد ألصق به كثيرا من المتاعب والشبهات ، والحقيقة أنه بعد أن طرده الأزهريون من هيئة العلماء ظل منفيا ومهجورا وعاش بقية حياته منقطعا عن الحياة العامة بالرغم من أن محاولات جرت لإسقاط الحكم وضمه إلى مجمع اللغة العربية وجعله وزيراً، فقد كان الكتاب أشد شؤماً على حياته من كل ما ألم به .

ومن هذا الخيط الرفيع الذى ألقاه الشيخ محمد بخيت بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الريس فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة وهى أن كاتب الكتاب هـو المستشرق مرجليوث اليهودى الأصل ، وهو أول من شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده « بريطانيا » كانت فى حرب مع دولة الخلافة ، وقد أعلن الخليفه العثمانى الجهاد الدينى ضدها ، والنصوص فى الكتاب قاطعة بأنه كان موجها ضد الخلافة العثمانية فإنه يذكر بالاسم « السلطان محمد الخامس » الخليفة فى ذلك الوقت الذى كان يسكن فى « قصر يلدز » وهناك نص على « جماعة الاتحاد والترقى » وهى التى كانت تحكم تركيا : أى دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالميه الأولى .

ويقـول الدكتور الريس : أن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين وقد تربوا فى محافلهم واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين ، وكان السلطان عبد الحميد قد رفض عروضهم ، وكانوا هم (أى الاتحاديين) أداة الصهيونية العالمية فى إسقاط هذا السلطان المناضل .

ورجح الدكتور الريس أن مرجليوث اليهودى الذى كان أستاذا للغة العربية فى جامعة اكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب ، لأن أراء الكتاب هى أراؤه التى كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندها الدكتور الريس فى كتابه :

« النظريات السياسية فى الإسلام » واثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية ، وهو يكتب عن الإسلام بنزعة حقد شديد ، ويتسم اسلوبه بالمغالطات والمعلومات المضللة والقدرة على التمويه ، كما يتصف بالإلتواء ، وهذه الصفات كلها تظهر فى هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ على عبد الرازق ، ومعروف ان الشيخ ذهب

إلى بريطانيا وأقام فيها عامين فلا بد أنه كان متصلا بالمستر مرجليوث ، أو تتلمذ عليه ، وكذلك توماس أرنولد الذى يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة فقد ألف كتابا عن الخلافة بشكل عام والعثمانية بوجه خاص ، وقد نقدناه .

يقول الدكتور الريس فى كتابة : « النظريات السياسية الإسلامية » :

والقصة تتلخص فى أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحرب دائرة بين الخليفة العثمانى وبريطانيا أعلن الخليفة الجهاد الدينى ضد بريطانيا وداعا المسلمين أن يهبوا ليحاربوها ، أو يقاوموها ، وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين الهنود بالذات ، أو ثورتهم عليها ، فى هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحـــد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام ويشوه تاريخها ليهدم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين .

وقد إستخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب فى الهند وفى غيرها ، وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه ، هذا إن لم يفترض أن هذا كان بإتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذى اتصل به حينما كان فى انجلترا أو فى بعض الجهات البريطانية التى كانت تعمل فى الخفاء على هدم فكرة الخلافة ، أو التى تحارب الإسلام ، فأخذ الكتاب فترجمه إلى اللغة العربية أو أملح لغته أن كان بالعربية ، وأضاف بعض الأشعار والآيات القرآنية التى يبدو أنها لم تكن فى أصل الكتاب وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجه للناس على أنه من تأليفه ظنا منه أنه يكسبه شهرة ، ويظهره باحثا علمياً ، ومتفلسفاً ذا نظريات جديدة ، غير مدرك ما فى آرائه أو فى ثناياه من خطورة ، ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعى هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله ، وإلغاء لوجوده وكانت هذه البدعة السائدة فى ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم « حزب الأحرار الدستوريين » وهذا هو الذى فهمه الأستاذ الجليل أمين الرافعى فكتب فى جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ على عبد الرازق على إصدار هذا الكتاب لما عرفه عنه من الضعف فى تحصيل

العلوم ، والإلحاد فى العقيدة ، ثم قال : هذا إلى أنه انغمر منذ سنين فى بيئة ليس لها من أسباب الظهور سوى الافتيات على الدين وتقمص أثواب الفلاسفة والملحدين وصار خليقاً باسم « الأستاذ المحقق » والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ أمين الرافعى أن المؤلف الحقيق ربما كان غير الشيخ على عبد الرازق ، ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك وهناك قرائن أخرى أوردها الدكتور الريس :

أولا : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة ١٩٢٤ بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ وأنها ذكرت إسم السلطان محمد الخامس وقيل فى الهامش أنه كتب فى عهده وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبى عنهم وهم منفصلون عنه ، فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول (عندنا) أو (العرب) أو نحو ذلك كما يقول المسلم ذلك .

ثالثا : يكرر الشيخ عبد الرازق (عيسى وقيصر مرتين) ويكرر هذه الجملة التى يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن مسلماً صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير ، وأن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام وشنوا الحرب على المسلمين فيدافع عنهم فى نفس الوقت الذى يحمل على رأى أبى بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله ﷺ فينكر خلافته ويقول أن محاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين ، ولكن كانت نزاعا فى ملوكية ملك ولأنهم رفضوا أن ينضموا لوحدة أبى بكر وما هى وحدة أبى بكر يا عدو أبى بكر والإسلام ؟

أليست هى وحدة المسلمين ، ويقول « حكومة أبى بكر » ، أو ليست هى حكومة الإسلام والمسلمين ، ويتكلم عن أبى بكر هكذا بغير احترام أو تبجيل ، كأنه رجل عادى أو كما يتكلم عدو .

هل هذا هو أسلوب المسلم ، فضلا عن تهافت الشيخ فى الكلام عن الصحابة وهم أفضل الناس وأحبهم إلى رسول الله ﷺ وخير من دافعوا عن الإسلام وجاهدوا فى سبيل الله عز وجل .

وخامسا : أن الأسلوب الذى كتب به الكتاب أسلوب غريب ، ليس مألوفا فى الكتب العربية ، فهو أسلوب مناورات ومراوغة ويتضمن بالالتواء واللف والدوران ، فهو يوجه الطعنة أو يلقى الشبهة ثم يعود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويفلت منها ثم ينتقل ليقذف شبهة أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب) وحين يهاجم يصوغ عبارته فى غموض وهذا يدل على أسلوب رجل سياسى متمرن فى المحاورة والخدعة ، وهو أشبه بالأسلوب الافرنجى . وأسلوب الدعايات السياسية أو الدينية التبشيرية وليس هـذا ابداً اسلوب العربى الصريح ، فضلا عن اسلوب أحد الشيوخ المتعلمين فى الأزهر وهذا مما يغلب الراى بأنه كتاب مترجم .

سادسا : لم يعرف عن الشيخ على عبد الرازق - من قبل - انه كان كاتبا تمرس فى الكتابة ومرن على التأليف فيكتب بهذا الأسلوب ويتعمد الطعن فى الإسلام وتاريخه وعظماء رجاله ، ولم يعرف للشيخ كتاب او مقالات قبل هذا الكتاب (أى فى السياسة والتاريخ) بل ما كتب من قبل كان (كتيبا) فى اللغة أو فى علم البيان ، وهذا كل إنتاجه فى اربعة عشر عاما بعد تخرجه من الأزهر ، ثم بعد أن كتب هـذا الكتاب ظل اربعين عاما لم يكتب كتابا آخر فى نفس موضوعه أو مثله ولم يحاول او لم يستطع حتى ان يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعا : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى ان يرجح صحة الخبر الذى رواه فضيلة المفتى الشيخ محمد بخيت ، نقلا عن كثيرين من اصحاب الشيخ على عبد الرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير

المسلمين ، وقد غلبنا نحن انه أحد المستشرقين ، ولكننا نقيد هذا الخبر بان الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذى أورد الآيات من القرآن .

والظاهر أنها محشورة حشرا مجموعات فى كل مكان ، وأبيات الشعر التى استشهد بها ، كما كتب المقدمة التى زعم فيها أنه بدأ البحث فى تاريخ القضاء منذ ١٩١٥ وذلك ليغطى المقارنة الظاهرة بين وضع الكتاب ووقت صدوره ، فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

وفى مثل هذه المسائل بالذات فإن هذه الحالة أسهل ، لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول ، أو كانت المسألة بتصريح أو إتفاق لخدمة غرضين فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية ، والطرف الثانى له مأرب سياسى ولكن الدافع الذاتى أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الغرور ، (وقد انتفعنا فى هذا البحث بدراسة الدكتور الريس وبحث مجلة المجتمع الكويتية وكتاب المعارك الأدبية) .

الحقيقة أن كتاب « الإسلام وأصول الحكم » من الأعمال التغريبية والاستشراقية الخطيرة التى أريد بها هدم القاعدة الأساسية للإسلام وهى قاعدة أن الإسلام دين ودولة فى محاولة تنصير الإسلام وجعله مشابها للنصرانية التى هى بمثابة دين قائم على الوصايا وليس له تشريع ، لأن تشريعه فى اليهودية ، وهذه القضية هى مفتاح الغزو الفكرى الذى واجه به النفوذ الاستعمارى بلاد المسلمين من أجل هدم هذه القاعدة وحصر الإسلام فى المساجد وفى الصلاة والصوم وفرض الأيدلوجيات الغربية فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية ، ومن هذا فتح الطريق أمام القانون الوضعى وكسر الحدود التى وضعها الاسلام شأن والقضاء على محرمات اسلام : الربا والزنا والسرقة والإختلاس والميسر وإباحتها وجعلها فى نظر الناس مشروعة ، ومن وراء ذلك إمبراطورية الربا التى ترمى إلى تحطيم الضوابط والحدود وذلك للسيطرة على الاقتصاد الإسلامى وهدم المجتمع الإسلامى وإذاعة روح التحلل والترف وتغليب مفهوم المجتمع

الإستهلاكى القائم على الشهوات واللذات والإباحيات وهدم قاعدة « أخلاقية المجتمع وهدم مفهوم المسئولية الفردية للإنسان والتزامه الأخلاقى فى بناء المجتمع الربانى فى الأرض .

وهكذا نصل إلى أن هذا العمل كان من المؤامرات الخطيرة والتى ما تزال تتخذ سورا يقذف منها الإسلام على أيدى خصومه والراغبين فى هدم شرعته .

وبالجملة فإن كتاب الشيخ على عبدالرازق أحدث شرخا استغله خصوم الشريعة إعتمادا على أن كاتبه رجل من الأزهر ومن علماء الإسلام وليس الأمر كذلك فى الحقيقة وإنما هى المؤامرة الشعوبية الضخمة التى قام بها التبشير والاستشراق لإحتواء أمثال على عبد الرازق وطه حسين وهى مؤامرة مآلها الهزيمة والفشل بإذن الله . .

الفصل الخامس

سعد زغلول



(١)

دعوة صريحة إلى الكتاب المؤرخين :

انشروا مذكرات سعد زغلول المخطوطة لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية الخادعة ولتضعوه فى مكانه الصحيح من تاريخ مصر .

إن الحقائق تكشف عن دور سعد زغلول :

أولا - تجميد اللغة العربية وإتاحة الفرصة للغة الإنجليزية بوزارة المعارف .

ثانياً - بعث قانون كرومر للمطبوعات لمحاكمة الصحفيين والكتاب الوطنيين .

ثالثاً - التعاون مع الأجانب لأدخال الحضارة الغربية إلى مصر الإسلامية .

سعد زغلول

كان من أهم الأسئلة فى ندوة الأعتصام ما قدمه عدد من الشباب استفساراً عن صحة مانشر عن تاريخ سعد زغلول من فصول فى إحدى الصحف اليومية ومدى تطابق هذا مع واقع التاريخ ومن خلال نظرة إسلامية صحيحة .

ولا ريب أن شخصية سعد زغلول هى واحدة من أكثر شخصيات العمل الوطنى فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى ، ولكنه لا يمكن دراستها ، ألا بفهم الأطار السياسى الذى بدأ منذ أن أحتلت بريطانيا مصر وواجهت الحركة الوطنية التى قاومت النفوذ الأجنبى بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وعدد من المجاهدين الذين عملت القوة البريطانية على تصفيتهم وتقديم جيل جديد من أصحاب الولاء للنفوذ البريطانى وفى مقدمة هؤلاء أحمد لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى .

هذه المرحلة السابقة لظهور هيئة الوفد المصرى التى قادها سعد زغلول لها أهميتها فى الكشف عن الدور الذى قام به سعد زغلول فى معارضة الحركة الوطنية وكبح جماحها ، وتقديم رجالها للمحاكمة كما فعل مع قديس الوطنية محمد فريد إبان توليه منصب وزير الحقانية ، وكذلك دوره فى تجميد اللغة العربية وهو وزير المعارف وإتاحة

الفرصة للغة الأنجليزية ، وكذلك دوره فى إعادة بعث قانون المطبوعا القديم الذى كان كرمر قد أجازه ثم أوقفه وذلك لمحاكمة الكتاب والصحفيين الوطنيين والحكم بأقسى العقوبات ، هذه الصفحة لسعد زغلول يجب أن تعرف قبل أن يقدم على المسرح كزعيم وطنى بعد الحرب العالمية الأولى .

ولقد اختلفت حول سعد زغلول كتابات المؤرخين والباحثين ، فوضعه كتاب الوفد وأصحاب الولاء لحزبه موضع القداسة (وفى مقدمة هؤلاء الأستاذ العقاد) وكشف عن حقيقته مؤرخو الحزب الوطنى (وفى مقدمة هؤلاء الأستاذ عبد الرحمن الرافعى) وجاءت كتابات كثيرة بعد ذلك لتضع سعد زغلول فى فى حجمه الصحيح، وكان فى مقدمة ذلك تلك الدعوة الصريحة الموجهةإلى المؤرخين والكتاب والباحثين أن ينشروا مذكرات سعد زغلول التى كتبها بخط يده فإنها هى وحدها القادرة على أن تقدم للناس بغير ولاء ولاخصومة حقائق هذه الشخصية ودورها وعلمها وحقيقتها من خلال كتابات صاحب المذكرات نفسه ، تلك التى كتبها بكل حريته وإرادته خلال فترة تزيد على ثلاثين عاماً من أكتوبر ١٨٩٧ إلى ١٩٢٦ ، وتضم مراحل عضوية الجمعية التشريعية وتوليه الوزارة وفترة المنفى وفترة رئاسة الوزارة وتضم ثلاثاً وخمسين كراسة فقد كان يسجل الأحداث يوما بعد يوم عقب وقوعها مباشرة .

تكشف هذه المذكرات عن أشياء كثيرة أهمها :

أولا : علاقة سعد بالأنجليز :

يقول عن اللورد كرومر : « كان يجلس معى الساعة والساعتين و يحدثنى فى مسائل شتى كى تنور منها فى حياتى السياسية (مذكرات سعد زغلول كراس ٢٨ ص ١٥١٦) والمعروف أن كرومر فى تقاريره السنوية كان حريصا على أن يذكر أنه يعد جيلا جديداً من الشباب المصرى المتفرنج الذى يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطانى وقبول العمل معهم .

ومن هنا كان صلة كرومر بسعد زغلول عن طريق صهره (مصطفى فهمى)

الذى كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال ، والذى قضى فى الحكم ثلاثة عشر عاما ، وكان أثير الإنجليز محبوبا عندهم ، وقد أعبر إليه سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصرى . ولعل من الحقائق العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧ أعلن أنه يترك مصر مستريحا . لأنه أقام فعلا القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال وكان فى هذا العام قد ألف حزب الأمة ، وأصبح لطفى السيد هو حامل لواء (الجريدة) وسعد ناظراً للمعارف ، وقد كرومر سخر فى خطبة الوداع الذى أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء النفوذ الأجنبى من المصريين جميعاً ، ولم يمدح فى خطابه إلا رجلا واحداً : هو سعد زغلول .

ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب فى مذكراته أثر استعفاء كرومر من منصبه فى ١٩٠٧/٤/١١ وكان يجلس معه كل من حسن باشا عاصم ومحمود شكرى عندما تلقوا خبر الاستعفاء فقال : أما أنا فكنت كمن تقع ضربةشديدة على رأسه أو كمن وخز بآلة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها (كراس ٦ ص ٢٤٠) . وكتب فى موضع آخر يقول : (قد أمتلأت رأسى أوهاما وقلبى خفقاناً وصدرى ضيقاً) (كراس ٢٤٦/٦) .

ويقول لورد كرومر فى تقريره السنوى عن تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف « لم يكن السبب الرئيسى فى تعيينه كما يظن أحياناً أنه إستثناء من الحالة التى كانت تسير عليها مصلحة المعارف العمومية فلا زالت قاصرة فى أن توفر أية بادرة لتغير جذرى فى السياسة التعليمية ، إنه يرجع أساساً إلى الرغبة فى ضم رجل قادر ومصرى مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالاصلاح فى مصر » .

وقال كرومر : « كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم (جيروند) الحركة الوطنية المصرية » والذى كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر ، الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد فى قيام الوطنية المصرية .

وكان سعد فى مقدمة الداعين لاقامة حفل لتوديع اللورد كرومر وكتب فى مذكراته يعلن ضيقه بالذين انتقدوا كرمر عقب استعفائه وقال : إن صفاته قد اتفق الكل على كمالها (كراس ٦/٢٤٥) وأشار إلى علاقة غورست خليفة كرومر به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة البريطانية .

ثانيا : أخلاقيات سعد .

وتكشف المذكرات أخلاقيات سعد ومواقفه المتعددة من الحياة الاجتماعية : وأبرز هذه الجوانب علاقته بالقمار وقد كتب فيها طويلا فقال فى (كراس ٢٦ - ص١٢٩٠) « كنت أتردد بعد عودتى من أوربا على الكلوب (أى نادى محمد على) إلى لعب الورق ، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض فأنى لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسى من التردد على النادى ومن اللعب وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود وخسرت فيه مبلغا طائلا .

وقد بدأ ذلك حوالى ١٩٠١ فقد كتب فى أبريل ١٩١٣ يقول : كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار واحتقر المقامرين وأرى أن اللهو من سفة الأحلام واللاعبين من المجانين ثم رأيت نفسى لعبت وتهورت فى اللعب وأتى على زمان لم أشتغل إلا به ولم أفتكر إلا فيه ولم أعمل إلا له ولم أعاشر إلا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالا وثروة (مذكرات سعد - كراس ٣ / ١٢٩) .

وكتب خلال زيارته لأوربا صيف ١٩٠٨ (أفطر مع الست والباشا (أى مصطفى فهمى) وحسين (ابن محمود صدقى) فى الساعة تسعة وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلا نعود إلى البيت لنلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة ثمانية ونتمشى قليلا ثم نعود لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ مساء وقد أنفعل أثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان يعاكس وكان الزهر حسين سعيد ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر غير أن خسارتى كانت من طريقين : طريقى وطريق الست (كراس ١٣٠٠ — ١٣٠١ ص٢٤) .

ويتساءل سعد عن الأسباب التى دفعته إلى المقامرة فيكتب ما يلى :

أريد أن أعرف ما أريد حتى أتمكن من معالجة نفسى من هـذا الداء ، هل أريد بسطة فى الرزق ، أنه يقبضه فى الكثير الغالب ، هل أريد سعة الجاه ، أنه يضيقه بما يحط من القدر فى نفوس الناس هل أريد تناسى آلام تتردد على النفس عند خلوها من الشغل وهو كثير ، لا أشعر بهذه الآلام ، ويقول : ما كنت أصغى لنصائح زوجتى ولا أرق لتألمها من حالتى ولا ارعوى عن نفسى ، واشار إلى توباته المتعددة ، وعودته عنها فيقول : وقد يخيل لى ان كتابة هذه الخواطر وتسجيل هذه الواردات مما يساعد على الاستمرار فى ارتكاب هذا الإثم ، كأن النفس تجد فى هذه الاعترافات المكتوبة والاشمئزازات المرسومة ، فضيلة تكفها عن الانصاف بها وعن الإقلاع عن نفس الرذيلة او ان الاعتراف كفارة عن الذنب والجريمة المرتكبة ترجيحا .

ويقول : إنى اوصى كل من يعيش بعدى ممن لهم شأن فى شأنى انى إذا مت من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنازتى ولا يحدوا على ولا يجلسوا لقبول تعزية ولا يدفنونى بين أهلى وأقاربى وأصهارى ، بل بعيداً عنهم وأن ينشروا على الناس ما كتبته فى اللعب حتى يروا حالة من تمكنت فى نفسه هذه الرذيلة وبئست العاقبة . الكراسة ٢٨ ص ١٥٧١) :

وتفيض مذكرات سعد زغلول بالتفاصيل المسهبة التى تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ومحاولة الإقلاع عنها وللتخلص منها وعودته إليها المرة بعد المرة فقد وردت تفاصيل إضافية فى الكراسات ٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ فى أثنى عشر موضعا من هذه الكراسات .

وقد أشارت المذكرات بوضوح إلى أثر القمار فى حياة سعد وخاصة حياته الاقتصادية كما يشير إلى ذلك الدكتور (عبد الخالق لاشين) فقد وقع سعد الذى اقتنى الضياع الواسعة تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه عام ١٩١٠ إلى أن يبيع الضيعة التى اشتراها بناحية قرطسا (بحيرة) لقاء أثنى عشرة ألف جنيه يقول : (بعت هـذه الأطيان وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم أستفد منه فائدة) كما باع الضيعة الأخرى بمسونس ومطوس عام ١٩١٨ بمبلغ ١٦ ألف جنيه وضاع كل

إيرادات سعدى فى مد عامين **وكانت** ٢٠٠٠ جنيه مرتب الناظر (الوزير) و١٢٠٠ جنيه إيجارات باقى أطيانه وأصبح مدينا بمبلغ ٦٥٥٠ جنيها وبذلك بدد سعد الكثير من ممتلكاته يقول فى مذكراته (٢٥ مارس ١٩١٢) :

أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أنم ليلى بل بت طوله ساهراً تساورنى الهموم والأحزان وأتنفس الصعداء على فرط منى من اللعب وضياع الأموال التى جمعتها بكد العمل وعرق الجبين وسيرورتى إلى حال سيئة .

وهكذا أجهز القمار على ثروته التى كونها من المحاماة وكانت لا تقل عن ٤٠٠ فدان و ١٨ ألف جنيه فضلا عما ورثه من صهره مصطفى فهمى : الذى كان يملك ٦٤٨ فدانا و ٨٦٠٠ جنيه وألف أردب قمح وألفى جنيه مواشى وكانت صفية زغلول التى أطلق عليها أم المصريين واحدة من ثلاث بنات خلفها مصطفى فهمى جلاد شعب مصر ثلاثة عشر عاما .

وبعد فهل هذا وحده ما تكشفه مذكرات سعد زغلول التى نطالب بطبعها وإذاعتها لترسم صورة حقيقية لهذه الزعامة التى اختلف فيها الرأى فرفعها بالهوى والصداقة والولاء السياسى إلى مكان آخر ، وما نريد أن نظلم أحدا ولكننا نطالب بالكشف عن الحقائق عن طريق الوثائق وما يمكن أن توجد وثيقة أشد صدقا من مذكرات كتبها الرجل عن نفسه .

ومن خلال المذكرات سوف تتكشف أشياء كثيرة خطيرة ومثيرة .

(٢)

سعد زغلول

رأس المدرسة الحزبية فى مصر

ظل الناس وقتا طويلا يظنون أن سعد زغلول زعيم وطنى ، وذلك تحت تأثير التهريج السياسى . والأوهام التى صنعتها الصحف الحزبية وأيدها تجار الوطنية منذ عام ١٩٢٠ حتى اليوم . فلما أنقسمت الحزبية وأخذت تتصارع ونقدت عند الناس مظهرها وأمطار الزعماء بعضهم البعض وأبلا الأتهامات تكشفت الحقائق .

كان الناس يظنون أن سعد قديسا وقد كذبتهم حقائق التاريخ . فسعد رأس المدرسة التى جاءت بعد ثورة ١٩١٩ ، هو الثمرة الأولى لحزب الأمة الذى صنعه اللورد كرومر عام ١٩٠٨ ليحارب به الحركة الوطنية التى كانت ممثله أذ ذاك فى جهاد الحزب الوطنى : مصطفى كامل ومحمد فريد وقد أعلن حزب الأمة منذ اليوم الأول أنه يقبل الالتقاء بالأنجليز فى منتصف الطريق .

وليس صحيحا ما يقال من أن سعد وشعراوى وعبد العزيز فهمى هم الذين وضعوا بذور الثورة . فلم يكن من المعقول أن لقاء هؤلاء بالمندوب البريطانى هو العامل الرئيسى فى أندلاع ثورة ضخمة جليلة الخطر كالثورة المصرية عام ١٩١٩ ولاتقوم الثورات نتيجة لمثل هذه المقابلات ، وأنما تقوم نتيجة لتوجيه دائب طويل المدى يتغلغل فى نفوس الأمة زمنا طويلا حتى يأتى اليوم الذى ينفثىء فيه هذا الشعور وينفجر بصرف النظر عن الأشخاص .

وقد سمى ذلك اليوم المهين الذى قابل فيه الزعماء الثلاثة المندوب البريطانى بعيد الجهاد (١٣ نوفمبر ١٩١٨) ولو أننا قرأنا المضبطة الرسمية للحديث الذى دار فى ذلك لخجلنا حتى من مجرد ذكره .

فى ذلك اليوم قال سعد للمندوب البريطانى هذه العبارات بالنص : « متى ساعدتنا أنجلترا على استقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانه معقولة على عدم تمكن أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة أنجلترا . فنعطيها ضمانا فى طريقها للهند . هى قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عن الاقتضاء . بل نحالفها ونقدم لها ما تستلزمه المحالفه من الجنود » .

وفى حديث سعد ثلاث هنات : تسليم قناة السويس . وقبول الاحتلال . والموافقة على الدفاع المشترك .

وأذا كان ما قيل من أن كرومر خلال وجوده فى مصر كان يهدف إلى أعداد مصريين ليحكموا مصر باسم بريطانيا فهذا يعنى أن هذا الهدف قد تحقق إلى أبعد مدى فى إختيار سعد زغلول .

ونستطيع أن نرجع إلى تاريخ سعد زغلول قبل ثورة ١٩١٩ وقبل الحرب العالمية الأولى فنراه واضحا لا غموض فيه نقد عاصر حركة عرابى وهى أكبر حركة شعبية فى عصره فلم يعرف له فيها دور واضح . وعندما قام مصطفى كامل بحركته وقف فى صفوف حزب الأمة وحارب الحزب الوطنى الفتى . وعندما صاهر مصطفى فهمى صديق الأنجليز الوحيد فى مصر ، والوزير الذى حكم مصر أثنى عشر عاما متواليه كان أنما يريد أن يؤهل نفسه لمناصب الوزراه .

تولى مصطفى فهمى وزارة الاستسلام المطلق للانجليز من نوفمبر ١٩٨٥ أى نوفمبر ١٩٠٨ وفى خلال حكمه باع البواخر المصرية بابخس الاثمان إلى شركة (الن والدرسن) وعددها ١١ باخره قدرت بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه ونصف مليون وقد باعها الوزير الشريف بمبلغ ١٥٠ ألف جنيه .

وقال مصطفى فهم أننا مدينون لانجلترا بثروتنا وسعادتنا وهنائنا .

وفى عهده وقعت أتفاقية السودان . وأنشىء حزب الأمة . وأحتفل بوداع كرومر .

وقد عين مصطفى فهمى صهره سعد زغلول وزيراً فماذا فعل سعد زغلول

انسحب من لجنة مشروع الجامعة عقب هذا التعين وكان نائبا للرئيس وتبين أن انسحابه كان تحقيقا لرغبة الاحتلال لكي يحبط المشروع . وقد أصاب المشروع الفتور فعلا بعد أن تركه سعد .

قال مصطفى كامل : كيف يهتم سعد المستشار بالاستئناف بمشروع على ثم ينسحب منه بعد أن يصبح وزيراً للمعارف .

واتجه سعد إلى إنشاء الكتاتيب بعد أن جمد مشروع الجامعة . وطلبت الجمعية العمومية جعل التعليم فى المدارس الأميرية باللغة العربية فاعترض وزير المعارف على هذا الأقتراح وقال بالنص :

أننا أذا فعلنا ذلك أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا أساءة كبرى .

وقد كانت صدمة زغلول أن رفضت الجمعية العمومية أقتراحاته وأقرت المشروع بالأغلبية العظمى ودافع سعد مع الأسف عن سياسه الاحتلال فى التعليم .

كتب مصطفى كامل يقول : أن الناس قد فهموا الآن بأوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا أختار لورد كرومر لوزارة المعارف صهر رئيس الوزارة الأمين على وحيه ، الخادم لسياسته .

وعندما احتفل بترديع كرومر طعن المصريين ولم يعلن تقديره إلا لسعد وقالوا أن سعد زغلول قاوم دنلوب وقيل فى الرد على ذلك أنه فعل ذلك ليكون أشد على مصر من دنلوب واخلص منه لرغبات الإنجليز .

وأن كان سعد قد اصطدم بدنلوب ـ وهو مالم يحدث ـ فانما فعل ذلك لاعتداده بشخصيته وليس لمصلحة مصر . ولم يعرف عنه أنه اختلف معه فى أمر من أمور الوطن .

وعند ما قام فريد بالدعوة إلى المطالبة بالدستور وأجمعت الأمة عليه ، صرح سعد زغلول بأن مصر لا تصلح للحكم النيابى .

وعندما عين وزيراً للعدل سن قانونا بأحالة تهم الصحافة إلى محاكم الجنايات وفى عهده ـ ١٩١١ ـ حوكم محمد فريد بايعاز منه وحكم عليه بالحبس ستة شهور كما حوكم عبد العزيز جاويش . وأغلقت صحف الحزب الوطنى واحده بعد الأخرى .

وقد اشترك فى وزارات مصطفى فهمى وبطرس غالى ومحمد سعيد ووافق على اتفاقية السودان .

ثم جاء الوقت الذى حدده الانجليز للدور الذى قام به سعد زغلول :

نفى الإنجليز جميع زعماء الحزب الوطنى إلى الخارج . واندلعت الحرب واعلنت الحماية على مصر . فكان سعد زغلول أول من استقبل مندوب الحماية وأدلى إلى « المقطم » الأغر ! بحديث قال فيه أنه استبشر خيرا بقدمه .

وتولى سعد زعامة الأمة أعتباطا ، كان فى سن مرتفعة . وكان مريضا معتل الصحة فى الوقت الذى وكلت اليه زعامة الأمة !

ولكن سناده فى زعامتها كان شيئا هاما هو رضاء الإنجليز عنه وأعجاب الإنجليز بتلميذ كرومر وصهره مصطفى فهمى أما ماضيه فلم يكن شيئا يشرف أو يحمل على الإعجاب .

ومن صفحات ماضيه غير ماذكرنا موقفه يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٠

عندما وقف وحده فى الجمعية التشريعية يدافع عن مطالب شركة قناة السويس لمد عقد امتياز القنال أربعين عاما بعد موعد نهاية عقدها أى من ١٩٦٨ إلى عام ٢٠٠٨

وكان الوزير متحمسا لذلك . شديد الحماس . قوى العارضة فى تأييد المشروع . يوافقه رئيس الحكومة « بطرس غالى باشا » الذى قتل فى ٢١ فبراير ١٩١٠ قبل أن يتم نظر المشروع . وقال التحقيق أن تاييد المشروع هو سر اغتياله .

وفى ٤ أبريل ١٩١٠ عاود هذا الوزير تأييد المشروع . ولكن المجلس لم يأخذ برأيه ورفض أغلب النواب المشروع . وصفق النواب . وصفقت الشرفات الخاصة بالزئراين . وانهزم سعد والمندوب البريطانى .

وبدأت مظاهره لم تتكرر فى تاريخ مصر : خمسة عشر ألفا من المصريين كانوا قد تجمعوا خارج القاعة . فما أن عرفوا بالقرار حتى طافوا شوارع القاهرة بموسيقاهم وأعلامهم .

وكانت أول مظاهرة ضد الاحتلال : ثم ماذا ؟

ثم أصبح هـذا الوزير بعد ذلك زعيم مصر قاطبة . وأصبحت هذه الألوف الخمسة عشر التى هتفت بسقوط مشروعه ، تهتف له : يالسخريه القدر حين يصبح صنيعة الأستعمار زعيما لوطنه .

يقول جورج لويد فى كتابه [مصر منذ عهد كرومر] يصور سعد زغلول « بفضل مجهود اللورد كرومر أنشىء فى مصر فى اكتوبر ١٩٠٧ حزب جديد هو حزب الأمة وصحيفه الجريده .

كان أكثر أعضاء هذا بعثا للامل رجل أصبح أسمه فيما بعد أهم الاسماء فى تاريخ مصر الحديثة . ذلك هو سعد زغلول . ولما كان سعد قد أختار لنفسه مهنة المحاماه فقد وقع عليه أختيار الأميرة نازلى فاضل ليكون محاميها ووكيل قضاياها .

وقد أوحت اليه أن يتعلم الفرنسيه . وكانت الخطوة الثانية من خطواته أقترانه بأسم مصطفى فهمى رئيس الوزراء الذى كان صديقا لدولتنا . مواليا لبريطانيا .

وقد كان سعد فى تلك الفترة من حياته قد ظفر بعلاقات سياسية من طبقة عاليه وكان مؤمنا بالصداقه البريطانية . وخصما شديدا قويا لسياسه الخديو ونشاطه السياسى ولذلك كان لامناص لكرومر إذا اراد أن يشجع الرأى العام المصرى السياسى الموالى لبريطانيا وإذا أراد فى الوقت نفسه أن يقدم عربونا لصديقه مصطفى فهمى أن تختار سعد زغلول لوزارة المعارف المنشأة حديثا » اه .

بقى أن أحدثك عن الدور الذى قام به سعد :

كانت الأحكام العرفية قائمة فى ذلك الحين . وكانت الصحف لا تكتب حرفا واحداً ألا بأذن الرقيب . وكان فى أمكان السلطات الغاصبة ـ أذا شاءت أن تجعل خبر القبض على سعد فى نطاق حديدى لا ينفذ منه ولكنها هى التى سمحت للصحف بنشر الخبر والتعليق عليه .

بل طبعت السلطة على نفقتها مئات الألوف من النشرات معلنه أمر القبض على سعد وصحبه . ونشرتها على طول البلاد وعرضها . لتلفت نظر الامة إلى الزعيم

الجديد فى الوقت الذى كانت السلطة تخشى فيه أن يستعيد الحزب الوطنى سيطرته على الجمهور فيوجه الحركة التوجيه الصحيح الذى تحاول انجلترا تفاديه .

وحدث ماتوقعه الانجليز ، فبالرغم من ماضى سعد وموقفه من الحركة الوطنية فأن الشعب الطيب نسى كل ذلك .

وهكذا اشتعلت الثورة وتعالت الأصوات هاتفة « بالاستقلال »

ووصلت ابناتها إلى سعد وصحبه فى منفاه فاندهش لها لأنهم لم يعملوا لها ولم يكونوا يتوقعونها .

وخدعت مصر أى خدعة بوطنية سعد زغلول فاسلمت قيادها له مغمضة العينين تحت أغراء الألفاظ الرنانه .

أنه زعيم المصادفة البحتة . الذى تسلم آمال شعب فى الوقت الذى خلا فيه عرين الأسد . الأسد هنا هو بالطبع : [قديس الوطنية « محمد فريد »] تسلم هذه الآمال التى رباها مصطفى كامل ومحمد فريد وضحيا فى سبيلها بحياتهما وما يملكان .. وضعت هذه الآمال الغالية بين يدى الرجل الذى كان خصم الحركة الوطنية وجلادها .

وبفضله حدث الانحراف الذى أصاب الوطنية المصرية فانتقلت من الطريق السليم الثابت الصريح إلى أسلوب القضايا والمحامين . الدوار الملفوف المضطرب .

لم يجر على لسان سعد كلمة « الجلاء » ، كلمة الحزب الوطنى الصريحة الواضحة . ولكن سعد قال كلمة أخرى : « الأستقلال » وهى كلمة غامضة مبهمة مطاطه غير واضحة ولا محددة .

وحارب سعد الحزب الوطنى أعنف الحرب وسخر منه وحارب سعد كل خصومه بكل وسيله ولو كانت غير شريفه .

كانت الفاظه تنطوى على الخداع والتضليل . فيها مظهر براق يثير النفوس ولكنه فى حقيقته « الماء » الذى وضعه سعد على نار الثورة التى قامت بغير قيادته وفى غيبته .

ولما أسلمت الأمة له قيادها . مزق وحدتها فى سبيل الخصومة الشخصية . ولم يستطع أن ينكر ذاته وغروره فى سبيل الحفاظ على القوة التى فى يده ، فضرب الإنجليز به خصومه وضربوا خصومه به . فمكن للخلاف الحاد وأمات الروح الوطنية الفواره .

ونقل معركة الوطنية من ميدانها الأصيل فى الصراع مع الغاصب المحتل إلى الصراع بين أبناء الوطن نفسه . وسلك سبيل التنازع على العظمة التى ألقاها لهم الإنجليز وأطلقو عليها « الحياة الدستورية » .

ومن يومها أصبحت الحياة السياسية المصرية سلسة من المؤامرت والمناورات فى سبيل سقوط وزير وتولى وزير آخر .

وتحت ضغط شهوة الحكم رفض سعد أن يظل زعيما وطنيا . وكان هذا أول الوهن فقد خدعه ماكدونالد خدعه كبرى حين قال له أنه يستطع أن يحل معه « القضية » المصرية وهما يتناولان فنجانا من القهوة .

وسعد زغلول هو أول من قبل بدأ « المعارضة » والجلوس مع الغاصب على مائدة واحدة وأول من أجاز فضل قضية السودان وتجميدها ، ولم يلبث أن صرح هذا التصريح الخطير « الإنجليز خصوم شرفاء معقولون » ولم يكن قدوة للشعب فى تصرفاته . بل كان متعاليا وأرستقراطيا . ولم يؤثر عنه أنه اتصل بالفلاحين أو العمال على وضع شعبى .

وفى بياناته عن مشروع ملنر أظهر روح الرجل اليأس الميئوس الذى يرى أن شيئا خير من لاشىء . ولم تكن فكرة « الجلاء » يوما من برنامجه .

وعندما طرد الجيش المصرى من السودان وسئل عن موقفه قال : ليس عندنا تجريدة . وكانت صيحة سعد الانتخابية « الإخلاص فوق الكفاءة » .

وعندما قتل زعيما حزب الأحرار الدستوريين حسن عبد الرازق واسماعيل زهدى وهاجم الوفديون دار الأخبار التى كان يحررها أمين الرافعى ولما سئل سعد قال : لا تطلبوا منى حماية أنصارى من خصومى .

ولم يتقدم للأمة ببرنامج كامل وكانت سنة استنها الزعماء من بعده .

وعندما أصدر التوكيل اختلف مع الأحزاب على صيغته، وغلب على ألفاظه الإجمال والإبهام . وقال أن وكالة الأمة قانونيا وشرعيا تسقط يوم اجتماع مجلس الأمة . ولكن سعد ظل يذكر التوكيل . والواقع أن التوكيل كان لهيئة خاصة تفرقت وتمزقت .

وعندما قتل السردار فر من الميدان فراراً مخزيا واستقال وأعطى الفرصة لمن خلفه للتسليم بكل مطالب الإنجليز وأذعن لرأى الإنجليز حين أصروا على ألا يكون رئيسا للرزراء .

واختلف رأى سعد فى الدستور قبل الحكم حين قال : أننى كلما قرأت دستور ثروت باشا أعترتنى الحمى، وأخذنى الدوار » . وحين وصل إلى الحكم بعد شهور . وقال عنه أنه موضوع على أحدث النظم العالمية .

وعندما ولى الوزراء أسند المالية إلى توفيق نسيم ورئاسة مجلس النواب إلى أحمد مظلوم وقد كانا من خصوم الوطنية .

وقد وضع سعد نفسه موضع القداسه حتى انتشرت على السنة الناس الألفاظ الدعيمة المليئة بالأكاذيب والتضليل ..

ومن هذا عباراته « أن فى إحراج زغلول إحراج للأمة . لو رشح الوفد حجرا لانتخبوه . الاحتلال على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى » .

ووقف سعد من خصومه موقفا غاية فى الضعة . فقد كان ديكتاتورا بطبعه عنيفا فى خصومته يرى شخصية أهم من القضية الوطنية .

حارب وفد المفاوضات برئاسة عدلى . وأرسل المندوبين والبرقيات للانتقاص من قدره . واعتمد على ثقة الشعب .

ولم يعرف بالإناه . بل عرف بقلة الصبر وسرعة الغضب ، مما صرف عنه أعوانه وأنصاره . ولم يبق حوله إلا الخاضعين الذين يطمعون فى المناصب دون الأهداف .

وقال سعد فى هـــذا الاتجاه « الأنانى الفردى ، وددت لو أن أجعلها دولة

زغلولية لحما ودما ... » مبررا بذلك تصرفاته فى تعيين أهله وأقاربه وبالرغم من أزهريته ، تنكر للذين ودافع عن القوانين الأوربية ، ولجأ إلى الصلاة لغرض واحد هو كسب الأزهريين إلى صفه .

وقد وصف ملنر الوفد على عهد سعد زغلول «أن هيئة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسو من الغلاة المتطرفين . بل أصلهم من حزب الأمة القديم ، الذى كان غرضه التقدم الدستورى تدريجيا بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة الإنجليز ... » .

وقال ملنر ، أن الهيئة المستحقة للاعتبار هى المعروفة بالوفد والتى يرأسها سعد زغلول باشا والتى تتسلط على العقول المصرية تمام التسلط .

ولو فى هذا الحين على الأقل — مؤلفه أعضاء أكثرهم ليسو من الغلاه المتطرفين ، بل أصلهم من حزب الأمة القديم . الذى كان عرضه التقدم الدستورى تدريجيا بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضه البريطانيين .

ومن أدلة غطرسته وطغيانه أن طلب إليه ثروت العودة إلى الوحدة فكتب إليه سعد يقول : «أمامك المنابر العامة فاعلها أن وجدت سميعا . والجرائد السيارة فاكتب فيها أن وجدت قارئا . والنوادى الخاصة فتحدث فيها أن وجدت نصيرا ما أنت بزعيم فى هذه الأمة ولا رئيس حزب فيها حتى تكون هناك أهمية لخلافك أو وفاقك ... » .

وبالرغم من هذا فإن سعد عندما فرض الإنجليز ثروت رئيسا للوزارة دعته قبل هذا الوضع وصافح ثروت .

ومن آيات « شرفه » أن محمد فريد الزعيم المصرى المنفى فى برلين أرسل برقية إليه بعد تشكيل الوفد المصرى هذا نصها .

« نحي فيكم الوطن الغائب . ونرجو لكم كمال التوفيق والنجاح » ورفض سعد أن يجيب .

وعندما ذهب الطلاب إلى سعد فى باريس يعلنوه بأن محمد فريد مريض فى برلين وفى حاجة إلى الدواء وطلبوا إليه من مال المصريين الذى أرسل إليه ما يعين الزعيم البطل ، رفض سعد بشدة وقال أنه لا يعطى لمجنون .

وقال : مصطفى الشوربجى أن سعد زغلول كان يريد أن يكون ملكا على مصر قال علوبه باشا (٧ ديسمبر ١٩٢٣) أن سعد بعد وصوله إلى باريس من منفاه للدفاع عن القضية المصرية وعلم أن ولسون رئيس الولايات المتحدة قد اعترف بالحماية على مصر . « بدأ سعد يقول لنا يكرر قـــوله بألا أمل لنا فى شىء وأن واجبنا قد انحصر فى تنظيم هزيمتنا . وبإن علينا أن نرجع إلى مصر متفرقين حتى لا تقع علينا مسئولية الفشل . . . » وقال الشوربجى « أن سعد ألح على عدلى فى الحضور إلى باريس لحضر . وسعى سعد حتى مهد لنا طريق المفاوضات مع ملنر . . وكان يطمع فى الملك .

ومما سجله عبد العزيز فهمى فى مذكراته « أن سعد كان يقول لملنر : شعبى يريد كذا وأنه حين فاتح ملنر فى عرش مصر صدمه ملنر صدمه ولحقه اليأس من أول صدمة فى الوقت الذى كانت الأمة فيه تنادى باسمه .

وبعد فلعل هـذه الصورة تعطيك حقيقة المدرسة السياسية التى صنعها سعد زغلول وعاش عليها زملائه وتلاميذه بعد ثورة ١٩١٩ إلى أن تلاشت بعد حركة يوليه ١٩٥٢

(٣)

سعد زغلول واللغة العربية

كانت الحملة الأولى على اللغة العربية قد بدأت بقيادة ولكوكس ثم انتهت إلى لطفى السيد فى جريدة (الجريدة) لسان حال الإنجليز تحت اسم أصحاب المصالح الحقيقية ، غير أن الاستعمار تابع هذه الحملة بحملة أخرى فى مجال التعليم نفسه فعمد إلى فرض لغته على تعليم جميع المواد باللغة الإنجليزية فى مختلف فروع التعليم .

وكان كرومر قد أشار بتعيين (سعد زغلول) ناظراً للمعارف فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ واستقبل تعيينه بالتحفظ من جانب الوطنيين الذين تمنوا له أن يحقق آمال البلاد فى تعليم العلوم باللغة العربية وخفض مصاريف التعليم وتحقيق مشروع الجامعة ، غير أن سعد زغلول لم يلبث أن انسحب من مشروع الجامعة وقيل أن ذلك تحقيقا لرغبة الاحتلال فى إحباط المشروع ، وكانت بريطانيا قد وضعت مخططها منذ اليوم الأول لاحتلالها على أساس القضاء على اللغة العربية فقد أشار مستر دوفرين فى تقريره الذى وضعه لتنظيم الاحتلال عام ١٨٨٢ إلى خطر اللغة العربية فى مصر وقال :

إن الأمل فى نجاح تهذيب العــــلم فى مصر لايزال ضعيفا مادام الصبيان لايتعلمون اللغة العامية بدلا من تعلمهم لغة القرآن الشريف كما يفعلون الآن ، فإن نسبة العامية إلى الفصحى فى اللغة العربية هى كنسبة اللغة الإيطالية الحديثة إلى اللغة اللاتينية القديمة » .

ثم لم تلبث أن توالت الدعوات إلى العامية والتى وجدت من الرد عليها وتفنيدها ماحمل بريطانيا على تأكيد عملها بوسيلتين :

الأولى : التعليم باللغة الإنجليزية وجعلها اللغة الأساسية على أن تصبح لغة

ثانوية وقد أيد هذا الاتجاه « سعد زغلول » وزير المعارف إذ ذاك ودافع عن اللغة الإنجليزية .

الثانى : هو قيام المصريين أنفسهم بالدعوة إلى العامية وقد بدأ لطفى السيد حملته هذه عام ١٩١٣ وتبعه قاسم أمين .

وقد هبت الجمعية العمومية (مارس ١٩٠٧) فى مصر بالدعوة إلى التعليم باللغة العربية وطالبت بها وألقى الشيخ على يوسف خطابا ضافيا فى هذا الموضوع أمام الجمعية العمومية .

قال : من القواعد التى لا خلاف فيها أن تعليم العلوم بلغة الأمة أكثر نفعا وأعظم فائدة ، على نحو لا يقدر من تعلمها بلغة أجنبية ، ذلك لأن التعليم بلغة الأمة ينقل العلوم لطالبها إليها بخلاف التعليم باللغة الأجنبية فإنه ينقل أفراد الأمة المتعلمين فقط من هذه الأمة لهذه العلوم ، وإذا كان بالعلم حياة الأمم فهو لا تحيا إلا إذا دب فى جسمها كالدم فى الشرايين ولا طريق له فى خلاله سوى اللغة التى هى إله التفاهم .

لذلك كانت الحكومة المصرية أول مافكرت فى إنشاء المدارس المنظمة على سنن الحكومات الراقية قد جعلت اللغة العربية أساسا للتعليم حتى كان الأستاذ الأوربى يعلم والمترجم المصرى بجانبه حتى وجد من المصريين الأساتذة الأكفاء فى جميع العلوم العصرية لأنهم كانوا يترجمون الكتب ويؤلفونها بالعربية فى جميع العلوم .

ولكن حصل خطأ فى طريقة التعليم فى المدارس الأميرية من بعض الذين كانوا قابضين على أزمتها منذ بضع عشرة سنة إذ قال باستعمال اللغات الأجنبية أداة للتعليم فى المدارس العاليه ثم حصل التوسع فى هذا الخطأ بمقادير تزيد كلما طال الزمن لأنها منحصره فى ثلاث علل كما يقولون :

(١) قلة الأساتذة الوطنيين الأكفاء (٢) الكتب العربية المؤلفة فى العلوم

المدروسه . (٣) فقر اللغة فى الاصطلاحات الفنية التى تزيد كل يوم فى العلوم باللغات الأجنبيه .

والمعتقد أن ما يسمونه علاجها فى الواقع نتائج معلوله لعله واحده هى هجر تعليم العلوم لأن هذا الهجر إستدعى جلب الأساتذة من غير المصريين وفى كل عام منذ تقرر التعليم باللغات الأجنبيه يزيد عددهم فى مدارس الحكومه وهذا الجلب أفضى إلى قلة الأساتذة المصريين الأكفاء بالضرورة كما أفضى إلى قلة الكتب المدرسية بل إلى فقدانها بالمرة .

ولما كان إستمرار طريقة التعليم باللغات الأجنبيه مؤديا ولا ريب إلى حصر العلم فى دائرة ضيقه جدا من الأمه ، ومقللا بالضرورة للأساتذة الأكفاء من الوطنيين وملاشيا للكتب العلمية والفنية التى بلغة البلاد ومميتا لهذه اللغه شيئا فشيئا وكل هذه النتائج مضار كبرى تلحق بالأمه المصريه ولا علاج لها إلا تعديل طريقه التعليم الجاريه الآن باللغة الأجنبيه ، فأنا ألتمس من هيئه الجمعية العمومية الموافقه على طلب تعليم العلوم فى مدارس الحكومه وإمتحان طلبتها باللغة العربية وأن يكون الشروع فى ذلك من السنه المقبلة (المؤيد ٢ مارس ١٩٠٧) .

وكانت هذه هى وجهه نظر جميع الوطنيين الغيورين ، غير أن سعد زغلول بوصفه ناظر المعارف ألقى كلمه فى الجمعية العمومية رداً على وجهة نظر أصحاب هذا الرأى معارضا إياه معارضة تامة فقال :

أن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو إتباعا لشهوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحه الأمه ، أن مركز الأمه من الأمم الأخرى وإحتلالها بالأجانب وإشتباك المصالح الأجنبية بالمصالح الوطنيه كل ذلك أوجب تعلم العلوم باللغه الانجليزية لكى يتقوى بها التلاميذ فيها كما ينبغى ، ويمكنهم أن تستفيدوا من المدنيه الأوربيه ويفيدوا بلادهم بها ويقووا على الدخول مع الأجانب فى معترك الحياة : حياة العلم والعمل ، شعرت الأمه بهذه الضرورة

قبل شعور الحكومة بها فأرسلت كثيراً من إثباتها إلى المدارس الأجنبية كمدارس الفرير والجزويت والأمريكان التى تعلم العلوم فيها بلغات أجنبية .

واضطرت الحكومة أن توجب التعليم باللغة الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية) وعندما أنشئت مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التى أنا أحد مؤسسيها رأينا أن لا تدخل اللغة الأجنبية فيها ولكنا لم نلبث أن شعرنا بهذا الخطأ فعدلنا عنه واضطررنا لإدخالها ، وفى الحقيقة إذا فرضنا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية فإننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن الذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا فى الجمارك والبريد والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة التابعة للحكومات والشركات والبنوك ، وإذا قطعت النظر عن هذا كله صادفتنا صعوبة مادية هى قلة المعلمين الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة باللغة الوطنية ويستحيل مع وجود هذه الصعوبة الشروع الآن فى التعليم باللغة العربية وإذا كنتم مع ذلك توافقون على الإقتراح المقدم لكم عن (تعليم العلوم باللغة العربية) كنتم كمن يحاول الصعود إلى السماء بغير سلم ! » أ . هـ .

هذا هى وجهة نظر زعيم الأمة فى اللغة العربية فهو يرفض تعلمها ويصر على إبقاء اللغة الإنجليزية هى لغة التعليم فى مختلف العلوم (ماعدا اللغة العربية نفسها) وقد رد الشيخ على يوسف صاحب المؤيد على إقتراحات سعد زغلول فقال :

إن ما فعلته نظارة المعارف من نسخ التعليم باللغة العربية وجعله باللغات الأجنبية لم يكن لحاجة البلاد وليس سببه إقبال الأمة على المدارس التى كانت تعلم باللغات الأجنبية كما تقول ناظر المعارف بل الأولى أن تعلى إن إقبالها على مثل مدارس الجزويت والفرير كان منشؤه ضعف التعليم من حيث هو فى مدارس الحكومة ، وقد قال ناظر المعارف إن التعليم فى مدارس الحكومة ضعف إلى حد أننا نلتجىء إلى إرسال أبنائنا إلى المدارس الأجنبية .

هذا وقد وافق المجلس على التعليم باللغة العربية ، غير أن ناظر المعارف وضع عبارة مآلها إنه لا يمكن تنفيذ المشروع الآن للصعوبات الموجودة ومتى زالت الصعوبات أمكن تنفيذه .

ومما يذكر أن أحمد حشمت عند تولى وزارة المعارف جعل التعليم فى أكثر المدارس باللغة العربية .

هذا وقد هاجمت كبريات الصحف الوطنية سعداً وإتجاهه ولم تدافع عنه إلا جريدة الأخبار لصاحبها يوسف الخازن التى كانت تسير فى فلك الإستعمار تحت عنوان اللغة العربية وسعد زغلول فى ١٠ مارس ١٩٠٧

ويقتضينا الموقف هنا أن يتحدث عن موقف سعد من دنلوب ، فقد أثار العقاد وبعض أنصاره أنه عارضه دنلوب وكان يتجاهله وتلك أكذوبه لها طابع زائف ، فكيف يمكن أن يعارض سعد دنلوب والذى هو وزير المعارف الحقيقى وقد اختير سعد عن ولائه للإنجليز الذى هو مصدر الثقه فيه ، وإذا كان سعد قد إتخذ موقف مامن دنلوب فإن هذا من المسرحيات الإستعمارية التى تريد أن تعطى أول وزير مصرى إختاره كرومر من تلاميذه صورة البطولة والوطنيه الكاذبه وهل من المعقول أنه جاء وزيرا على غير رغبه المستشار الإنجليزى وأصحاب السلطة الفعلية فى البلاد .

(٤)

مواقف سعـــد

وتستطيع أن تلخص مواقف سعد على النحو التالى :

أولا : موقفه من المعتمد البريطانى فى مقابلة ١٣ نوفمبر وعبارته معروفة [متى ساعدتنا انجلترا على إستقلالنا التام فإننا نعطيها ضمانه مقبولة على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا ، فنعطيها ضمانه فى طريقها إلى الهند وهى قناة السويس ونجعل لها دون غيرها حق إحتلالها عند الاقتضاء بل ونحالفها على غيرها ونقدم لها ما تستلزمه هى المحالفة من الجنود .

وقال سعد : لا نلتجىء لسواك هنا ولا فى الخارج إلا لرجال الدولة الإنجليزية .

ثانيا : موقفه من اللغة العربية فى التعليم وهى واضحة تماما حتى بعد أن صدر قرار الجمعية العمومية بالموافقة فقد وضع سعد زغلول العقبات دون تنفيذه ، وقد هدد سعد المصريين فى خطابه بقوله . أن عدم تعلمهم باللغة الإنجليزية سيحول بينهم وبين التوظف فى الجمارك والبريد والمحاكم المختلطة وقـــد أغضب هذا التصريح الوطنيين وحمـــل عليه الشيخ عبد العزيز جاويش حملة قاسية تحت عنوان : (ظلموك يا سعد) .

ثالثا : موقفه من تجديد إمتياز قناة السويس وقد كان معروفا أنه فى صف الإستعمار وأن الأمة كلها خرجت تهاجم القـرار وتأيد سعد له بل أن الجمعية العمومية رفضته أيضا .

رابعا : موقفه من زعيم الأمة محمد فريد ، حين رفض معونته وهو فى أزمة مرضية فى برلين وكانت البلاد قد جمعت لسعد زغلول قبل سفره إلى أوربا بضعة ألوف من الجنيهات .

خامسا : القائد الحقيق لثورة ١٩١٩ هو عبد الرحمن فهمى وهى ثورة جاءت وليدة الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل ومحمد فريد . وقامت بعد سفر سعد زغلول وقد دهش لها حين علم بها .

سادسا : عين سعد زغلول وزيرا المعارف ثمنا لموقف شقيقه (فتحى زغلول) الذى كان رئيسا لمحكمة دنشواى ، وما كاد يلى وزارة المعارف حتى إستقال من عضوية لجنة إنشاء الجامعة الأهلية معتذراً بأن أعماله ومشاغله تحول بينه وبين إستمراره فى عضوية اللجنة بينما كانت اللجنة هنا أدخل فى عمله كوزير للعليم منها فى عمله كمستشار يفصل فى قضايا الناس .

وقد قال مصطفى كامل :

كان سعد زغلول أول وزير رحب المصريون بدخوله الوزارة وكان قد أختير رئيسا للهيئة التى تألفت لإنشاء الجامعة المصرية الأهلية وكان لورد كرومر يرى فى إنشاء هـذه الجامعة ما لا يتفق مع سياسته فى أن الغرض من التعليم فى مصر هو تخريج موظفين للحكومة لكنه لم يكن يستطيع التصريح بهذه المعارضة من غير أن يجد مسوغاً لتحويل التيار إلى ناحية أخرى لذلك بدأت أبواقه تذيع أن نشر التعليم الأولى بين فئات الشعب أجدى على البلاد من إنشاء الجامعة وأخذت الحكومة تشجع إنشاء الكتاتيب فلما عين سعد وزيرا للمعارف قيل أن الغرض من تعيينه أن يترك رئاسة مجلس الجامعة أضعافا لهذا المشروع .

وقال عبد الرحمن الرافعى (فى كتابه مصطفى كامل ص٤٠١) : وقد تبين أن إنسحاب (سعد زغلول) من رئاسة اللجنة كان تحقيقا لرغبة الإحتلال لكى يحبط المشروع وقد أصابه الركود فعلا بعد إنسحابه من اللجنة وبخاصة لأن الحكومة خلقت فى هذا الحين بإيعاز من الاحتلال حركة إنشاء الكتاتيب » .

أما ما ذكره العقاد من أن سعد كان مع حركة اللغة العربية وإنشاء الجامعة فهو دفاع غير مؤيد بسناد حقيقى .

سادسا : إنتماء سعد إلى الماسونية :

نشرت المصور (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٧) تحت عنوان الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم) : أشارت إلى وفد البنائين الأحرار الماسون فى تشييع جنازة الزعيم فقد كان رحمه الله قطبا من أقطاب الماسونية وقالت جريدة المقطم : الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ فى الصفحة الأولى ما يلى :

حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم :

فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضداً كبيرا وفضلا كثيرا وزخرا وفيرا كانت تعتز بفضله وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن عن موعدها فيما بعد .

وقالت المقطم : إن درجة سعد زغلول فى الماسونية ورواد صالون نازلى فاضل فى التنظيم الماسونى يفسر لنا نوع الصداقة مع قاسم أمين ويوضح الخط الفكرى الذى سار فيه رائد تحرير المرأة وإهدائه كتاب المرأة الجديدة إلى سعد زغلول.

ونشر المحفل الأكبر الوطنى المصرى (المقطم ٢٥ أغسطس ١٩٢٧) بيانا إلى الأخوان الماسون جاء فيه .

لقد ريعت البناية الحرة من الفاجعة الأليمة التى أصابت عشيرة البنائين الأحرار خاصة والأمة المصرية عامة بموت زعيم مصر وواحدها المرحوم المغفور له سعد باشا زغلول الأستاذ الأعظم الفخرى الخ الخ .

وأشارت المقطم إلى تاريخ سعد زغلول فقالت :

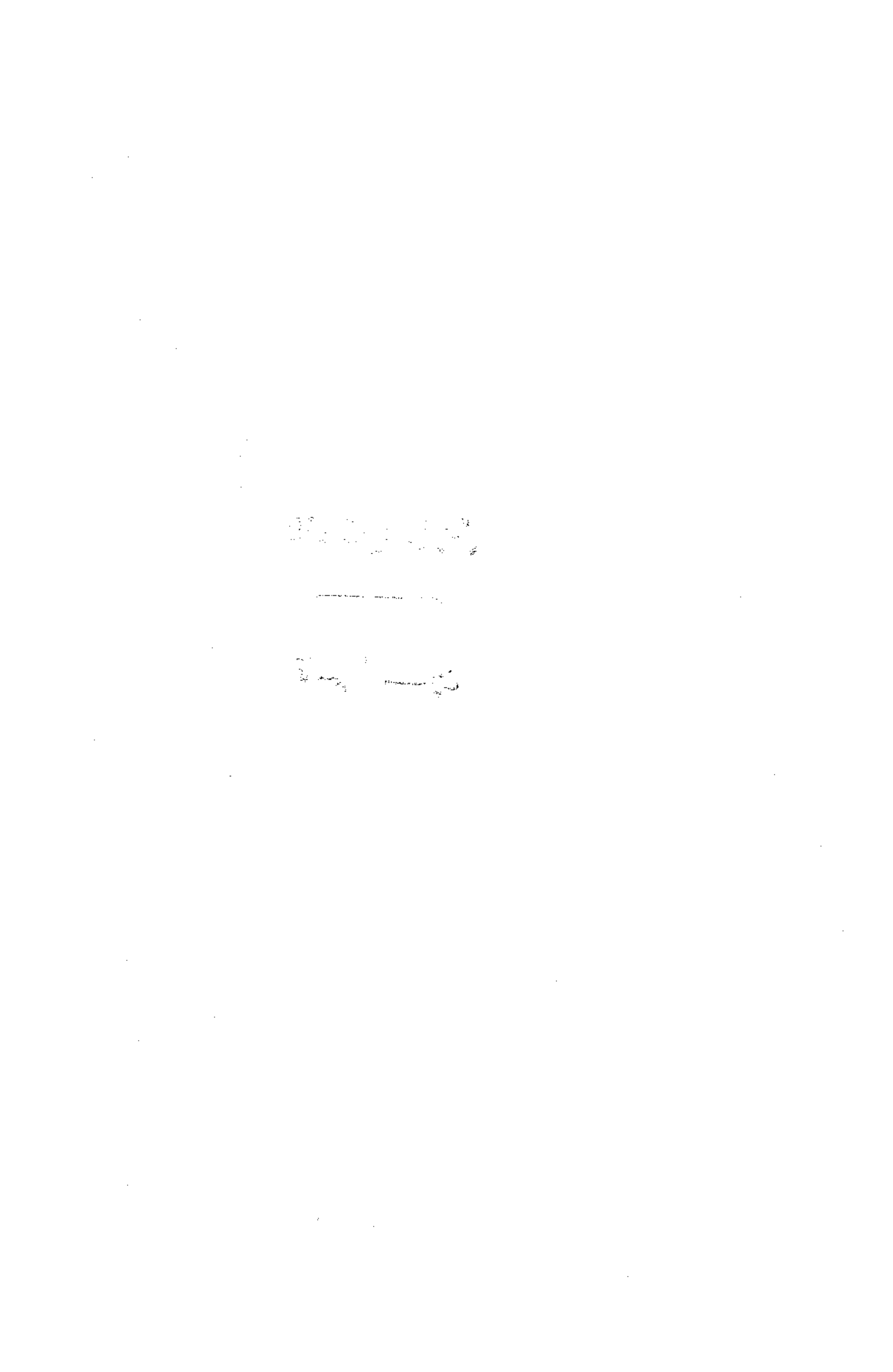
كان سعد زغلول من المتأثرين بتأثير الشيخ محمد عبده ، وكان الشيخ أول من لفت نظر اللورد كرومر إليه وقال أنه يتفاءل بأن يكون من خير دعاة الاصلاح والتجديد المصريين وأنه مستعد لأن يعمل مع انجلترا ولما خطب اللورد كرومر خطبة الوداع فى القاهرة ١٩٠٨ قال : أن زغلول رجل نزيه

مقتدر شجاع وأن مجال التقدم أمامه متسع وقد دفع زغلول باشا عن الاقتراح الذى إقترحته بريطانيا لإطالة مدة إمتياز قناة السويس فلقى معارضة شديدة دبرها الخديو السابق غير أن زغلول أدى المهمة التى عهد إليه بها بشجاعة وبلاغة » .

وقالت المقطم فى ١٨ مايو ١٩٢٤ : تحت عنوان [أول دليل ماسونى] شرع داود تضمياس أفندى، من واضعى الدليل المصرى الكبير بموافقة المحفل الأكبر الوطنى المصرى بإصدار دليل مفيد يجمع بين دفتيه كل ما يهم الاخوان الماسون وغيرهم معرفته مصدرا برسم ذى الرئاستين الأخ الكلى الاحترام صاحب الدولة سعد باشا زغلول المهدى له الدليل بصفته الرئيس الفخرى الأعظم علاوة على رسوم زعماء العشيرة ... » الخ .

الفصل السادس

قاسم أمين



(١)

كانت حركة تحرير المرأة التى قادها قاسم أمين مؤامرة إستعمارية تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم حتى قال محمد فريد : إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً فى الآداب العامة وأحدثت إنتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبة وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن .

لقد تراجع قاسم أمين بعد قليل من دعوته إلى تحرير المرأة وجاءت [هدى شعراوى] فاحتضنها دوائر الماسونية والتغريب واليهودية العالمية .

فى محاولة لتقويم حركة قاسم أمين لتحرير المرأة بعد أن تسربت وثائق عدة تكشف عن خطة أشبه بالمؤامرة وراء هذه الدعوة ، وتطرقت الأسئلة إلى أم المصريين « صفية زغلول » وإلى زعيمة النهضة النسائية فى مصر « هدى شعراوى » التى دعت بعض الأقلام التى تجهل الحقيقة أو تخدع كتابها إلى إقامة تمثال لها والحقيقة أنه لكى تعرف خلفيات هذه القضية يجب أن نذكر شيئا مهما هو أن كتابا ظهر فى مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الاحتلال البريطانى بعام واحد لمحام مصرى موال لكرومر وللنفوذ الأجنبى يدعى « مرقص فهمى » تحت عنوان « المرأة فى الشرق » صور فيها خطة الاستعمار فى المطالبة بتحقيق أربعة أغراض :

أولا : القضاء على الحجاب الإسلامى .

ثانيا : إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثا : تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

رابعا : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامسا : إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

وكان هذا المخطط هو النواة الأساسية للنفوذ الأجنبى الذى تدرس على ضوئه حركة قاسم أمين وهدى شعراوى . . ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » ، فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض وما يزال يظن سلامتها ونقاءها وبعدها عن الهوى وتحررها من أى خلفية موحية .

فما هى هذه الخلفيات لذلك الحدث الخطير ؟

أولا : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام بجريدته الصادرة فى ٤ مايو ١٩٢٧ مقالا :

فقال فيه : إن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور « المصريين » ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند إتهاماته ، ولما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية ، فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالداعيات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاضل تعريضا بها . . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاضل ولها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامعين إلى تولى السلطة فى مصر تحت قيادة النفوذ البريطانى وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود بركات متابعا :

وقد أشير على جريدة المقطم — وهى لسان الإنجليز فى مصر فى ذلك الوقت أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم فى هذا الاتجاه ، ودفاعه عن الحجاب ، وإستنكاره اختلاط الجنسين . ثم أوقفت الحملة بعد إتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى « الرواق العباسى » بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور فى مراجعتها ومما أورده لطفى السيد أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول

وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

ثانيا : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا فى مجلة الحديث (الحلبية) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

« إنه ظهر كتاب للدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعنا مرا ، ويخص النساء بأكبر قسط منه .. إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتهن فى المجتمع .. فاهتاج الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه .

ويستطرد فارس نمر يقول :

وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا ندرة فى مصر .. هذه الحقيقة أن كتاب قاسم أمين الذى رد فيه على « دوق داركور » لم يكن فى صف النهضة النسائية التى كانت تمثلها الأميرة نازلى .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسى ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعده دليـــلا على كمال المرأة ، ويندد بالداعيات إلى السفور ، وإشتراك المرأة فى الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحى ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول .. ورأوا فيه تعريضا جارحا بالأميرة نازلى ، وتشاوروا فيما بينهم فى الرد ،واتفقوا أخيراً أن أتولى الكتابة عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ماجاء به خاصا بالمرأة ، وبدأت فى الكتابة سلسلة مقالات عنه .

ولكن ذلك النقد لم يرق فى نظر قضاة محكمة الاستئناف ، ورأوا فيه مساسا بهم .. لأن قاسم أفندى كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكى أعكف عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلى فاضل لكى تطلب إلى ذلك وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة .. وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحى .. وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة فى هذا الشأن .. فالتفتت إلى سموها وقالت لى : أنها لا تجد

بأسا فى أن أكف عن الكتابة فى الموضوع . . وكانت هى لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعـــو إليه . . فلما رأى ذلك محمد المويلحى قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها . . فبدت الدهشة عليها ، وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها . . وعبثا حاولت أن أقفل باب الحديث فى هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف . . فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . . لأنه توسط فى هذا الموضوع . . ومرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحى وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة . . فقبلت إعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . . وكلما مرت الأيام إزدادت فى عينه ، وإرتفع مقامها لديه . . وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذى كان الفضل فيه للأميرة نازلى والذى أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب .

(إنتهى كلام فارس نمر) :

ثالثا : أشارت هدى شعراوى فى محاضرة لها إلى هذا المعنى ، وكشفت هذا السر الذى ظل خافيا زمنا طويلا ولم يكشف إلا بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة :

غير أن الذى يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعد ، وتبين له أنه أخطأ الطريق . . وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين فى حديث له إلى صحيفة « الظاهر » التى كان يصدرها المحامى محمد أبو شادى حيث أعلن رجوعه عن رأيه وأعلن أنه كان مخطئا فى (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة .. هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » فى أكتوبر ١٩٠٦ .

قال قاسم أمين :

« لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى إقتفاء أثر الترك بل الإفرنج فى تحرير نسائهم وغاليت فى هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب . وإلى

إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم . . ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس . . فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة إحترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى وأستنفر الناس إلى معارضتى . . رأيتهم ما مرت بهم أمرأة أو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحاما فى طريق مرت به إمرأة إلا تناولتها الأيدى والألسن جميعا . . أننى أرى أن الوقت ليس مناسبا للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل » .

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التى جاءت إستدراجا ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهى الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق . . أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وإنطفاء نفوذ نازلى فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعه . . وربما كان لبعض التجارب أثرها فى نفسه . . ومما يروى أن صديقا عزيزا زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم . . كيف يطلب مقابلة زوجته . . فقال له صديقه : ألست تدعو إلى ذلك ؟ ! إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . . فأطرق قاسم أمين صامتا . . ومما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح .

وقال محمد فريد وجدى :

أن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعا فى الآداب العامة ، وأحدثت انتشاراً مفزعاً للمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم خاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن .

ونعت الدكتورة بنت الشاطىء ما تكشف من حركة تحرير المرأة مما أسمته مهزلة أليمة موجعة .. تقول بنت الشاطىء :

« إن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون معنا لحسابنا . ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم ولكنهم كذبوا فى هذا المزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمه والضجر فى دنياهم » .

ثم قالت بنت الشاطىء :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنا للتطور ويكفى أن أشير فى إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذى شوه نهضتنا .. وأعنى به إنحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعى وترفعها عن التفرغ لما تسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد .. ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن .. أما الأبناء فتركوا للخدم .. وقد نشأ هذا الإنحراف الضال نتيجة أن نادت مناديات بحذف نون النسوة فى اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار .. وأهدر الإعتراف بالأمومه كعمل من الأعمال الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة .. يقصد بالرئة المعطلة هؤلاء الباقيات فى بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج .

إنتهى كلام الدكتورة بنت الشاطىء .

أما ما هى ملابسات زعامة هدى شعراوى للحركة النسوية .. فالواقع أن هناك عدة ملابسات لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية فى مصر لرجلين : أحدهما والدها محمد باشا سلطان والآخر زوجها على باشا شعراوى .

أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعى فى كتابه « محمد سلطان أمام التاريخ » :

إنه كان من أعلام الثورة العرابية ، ولكنه تنكر لها فى أحلك أوقاتها ، ومشى

فى ركاب أعدائها : الخديو والإنجليز ، حتى نال حظوته من الخديوى بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير ، وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا فى كتابه : « الأستاذ الإمام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذى لعبه محمد سلطان فى خدمة مخابرات الإنجليز فى سبيل الوصول إلى معسكر العرابيين فى التل الكبير وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العرابية ، وطاف ببور سعيد والاسماعيلية لمعاونة الجيش الإنجليزى الزاحف والإيقاع بجيش عرابى معلنا الثقة فى الجيش الغازى ومطمئنا الأهالى على حياتهم . وقد أفهمهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد ، بل يستهدفون تأديب العصاه .

وتابع سلطان نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عرابى ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدو الهنادى المقيم فى الصالحية ويدعى سعود الطحاوى والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على إستمالة العربان ولم يكتف محمد سلطان بنشاطه فى الجاسوسية وبث الدسائس فى منطقه القناة وفى ميدان المعركة ، بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضى على كل معاونة شعبية لحركة عرابى ، ووافق « ولسلى » قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان .

كما كانت الأموال التى أعدها الخديوى لرشوة شيوخ البدو فى سلطان عهده (راجع بلنت : التاريخ السرى ومذكرة سلطان إلى الخديوى فى الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) .

وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيمة عرابى ، ودخل سلطان القاهرة مزهوا يتطلع لفجر جديد فى حياته بعد أن سجل خيانته ، وكتب تاريخها بنفسه ، وقلده الخديو النيشان المجيدى الأول رفيع الشأن ووضعه على صدره بيده ، وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضا للأضرار التى لحقت به ثم عينه رئيسا لمجلس شورى القوانين .

ولكن ضربة القدر لم تمهله ليتمتع بما إشترى من أطيان فداهمه مرض

السرطان واشتد به المرض وتوفى فى أوربا سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وسان جورج الذى يخول صاحبه لقب « سير » .

هذه هى خلفية الحياة الإجتماعية لقائدة النهضة النسوية والتى تزوجت وهى فى الرابعة عشر من رجل غنى موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو على شعراوى باشا أحد الثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطانى بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغلول وعبد وعبد العزيز فهمى) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالى للإستعمار البريطانى لعرض مطالب البلاد .

ولم يلبث شعراوى باشا أن توفى وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاء البريطانى والتعامل مع الإنجليز والشاخبين لمفاهيم الحزب الوطنى فى المفاوضة قبل الجلاء .

ولقد وجدت السيدة هدى شعراوى الفرصة سانحة التبريز خاصة وأن السيدة صفية زغلول إبنة مصطفى فهمى الذى حكم مصر بالحديد والنار خـــلال أول الإستعمار البريطانى ثلاثة عشر عاما وزوج سعد زغلول والمسماه بأسماء الأضداد « أم المصريين » تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالا جديداً تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة وأنها نزعت نقابها فى ثورة ١٩١٩

ولقد تلقفتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنبثة فى أوربا وخاصة فى باريس وبرلين وبروكسل والتابعة للمحافل الماسونيـة ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيراً سمينا فدعتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التى كانت الصهيونية العالمية تدبرها من وراء ، والتى كانت تستهدف بأحداث الضجيج حول حقول المرأة السياسية فى البرلمان والحكم خلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها إلى طريق الإنهيار .

والمعروف أن هدى شعراوى لم تنطلق فى دعوتها من أى منطلق إسلامى ، بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة برزة لها صالون ويتحلق حولها عدد من الرجال المجندين لكتابة الخطب والكلمات التى كانت تلقيها فى الاحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان باشا التى دفعت ثمنا الثورة العرابية ، وكان فى

مقدمة هؤلاء إبراهيم الهلباوى باشا محامى دنشواى والشيخ محمد الأسمر الشاعر . .
وقد إستطاعت أن تجند بعض الشباب ، وأن ترسل بهم فى بعثات تعليمية خاصة
على حسابها إلى أوربا ومنهم من عمل فى الصحافة من بعد ، وحمل لواء الدعوة إلى
تقديس هدى شعراوى ودعا إلى تلك الأفكار التى تحرض المرأة على التحرر من
القيود الاجتماعية ، والإنطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سألته :

« لو كنت بغير أولاد لقلت لك إتركيه ورزقك على الله » والمعروف أن
السيدة هدى شعراوى لم تكن تعبأ فى دعوتها بالمفهوم الإسلامى للمرأة ، أو تصدر
عن فهم حقيقى لرسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك فى هذا الاطار . . وإنما
كانت تضع أمامها المرأة الغربية كمثل أعلى . . وذلك فقد شجعت أسباب الزينة
والأزياء والمودات المستحدثة . وكانت أجنحتها من المثقفات ثقافة فرنسية وذات
الولاء الماركسى والصهيونى ، ولم يكن للمفهوم الاسلامى لديهم أى أهمية .

ويقول الأستاذ حسين يوسف :

إنه لم يكن عجبا أن يعمل الاتحاد النسائى بزعامة هدى شعراوى الأهداف التى
يحرص الاحتلال على الوصول إليها ، وأن يردد فى عام ١٩٧٣ نفس المبادىء
التى نادى بها مرقص فهمى من قبل ، وتورط فيها قاسم أمين . ولما كان دعاة تدمير
مفاهيم المرأة المسلمة لاينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوى
بإقامة تمثال لها . . والهدف هو دعم هذه الأفكار المسمومة التى تستهدف تدمير
الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

(٢)

المرأة المسلمة وموقفها من قضية تحرير المرأة

منذ مطلع اليقظة الإسلامية ، وقد استبان حقيقة موقف قاسم أمين وجماعة صالون نازلى هانم فاضل من المرأة ومن الحجاب ومن مختلف قضايا المجتمع الإسلامى فى ضوء تيار الغزو الثقافى والتعريف الكاسح الذى كان يشكل وجوده .

ومن أجل ذلك كان سعد زغلول هو الرجل الذى أهداه قاسم أمين كتابه (المرأة الجديدة) وكان لسعد موقفه من المرأة فى المظاهرات حيث انتزع النقاب من وجه إحدى السيدات علامة على الدخول فى عصر السفور .

وهكذا مضت خطة كرومر إلى غايتها	: الصحافة : لطفى السيد
	: التعليم : سعد زغلول
	: تحرير المرأة : قاسم أمين

وتأخر دور عبد العزيز فهمى قليلا حتى انشيء المجمع اللغوى فدعا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية .

ويهمنا الآن أن نعرف موقف المرأة المسلمة من قضية تحرير المرأة .

تقول السيدة صافى ناز كاظم :

« فى مولد هذا الشعار البراق (تحرير المرأة) انفسح المجال أمام الرواد العظام من تجار الثقافة القادمين من أوربا ومن أمريكا أخيرا ليصولوا ويجولوا محلين بأشكال وأنواع بضاعة الثقافة الغربية بموروثاتها الجاهلية اليونانية الإغريقية ، ومعها نماذج المرأة الأوربية والأمريكية التى كانت قد نالت حريتها حديثا متشكلة من رصيد فكرى واجتماعى ودينى خاص بها .

كانوا يعرفون الكلمة التى تقال تبهر وتجتذب والبضاعة التى تدس لتسكت

وتندهش الآن (من صهاينه وصليبيين وماسون) دعوتهم إلى هجر التأصيل من الذات لحساب التبعية الفكرية لغرب يمقتنا ، دينا وجنسا وتاريخا ، ويمارس علينا تفوقا وغطرسه وإحتقاراً وهو يقذف الأنشوطه وراء الأنشوطه لتلتف حول أعناقنا جاذبه جباهنا عند أقدامه .

جباهنا نحن : المسلمين أصحاب العزة من الله (ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين) كان مطلبهم أن ننظر بإكبار لإنجازات أوربا بسبب ماوصلت إليه من قوة البخار والكهرباء ، ونضعها أمامنا قدوة ومثلا أعلى نسعى للوصول إليه ونتشكل بشكله ومن ثم يصير كل شيء ينتسب إلينا أو ننسب إليه يتعلق بنا إذ يتعلق به من أصولنا يصير سلفيا جامدا مرفوضاً .

كان المطلوب أن نعتقد معهم بأن أوربا والغرب قلعة للحرية والديمقراطية والتمدن وإحترام الإنسان بينما يدوس النعل الأوربي الغربي وجه الوطن الإسلامي إغتصابا وإرغاما وسحقا تاما للإنسان وحريته وكرامته وإستقلاله .

هؤلاء يكتب عنهم لويس عوض ممثلهم اليوم يؤيد أباثهم أبنــاء الثقافة الغربية والوثنية الفرعونية (القومية المصرية) ويضعهم موضع الاستحسان والإفتخار ، مما يثبت لنا أن عمليتنا الحسابية سليمه حيث نضعهم نحن موضع الاستياء والإدانة .

جعلوا القضية : قضية تحرير المرأة مع إسقاط التعيين (المسلمه) ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة فى العالم ، كأنما صارت هناك قومية خاصة إسمها القومية النسائية تربط المرأة المسلمة بالمرأة المسيحية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقر والأوثان بالمشركة بالملحدة ، كأن قضيتهن واحدة ومطالبهن واحدة وأهدافهن واحدة ومعتقداتهن واحدة وكان السعى فعلا حثيثا لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها وتفريطها حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التى ظلت معتزة بزيها الخاص (السارى) وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينيها .

كذلك كان الدأب الأهم لفصل قضية تحرير المرأة المسلمة عن قضية تحرير الوطن المسلم وفصل قضية الظلم الواقع عليها من الرجل المسلم ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن جعلت المرأة المسلمة تقف خصما أمام لوطن المسلم، ضد شريعتها تمتلىء رعبا وهلعا .

كما قيل لها هناك من يطالب بتطبيق حكم شريعتك وتتفرح أساريرها فرحة بانتصار إنهزامى كلما خرجت النظم العلمانية بقانون خائب للأحوال الشخصية مستلهم من قوانين العرب المستعمر لبلادها ، المهمين على مقدرات أهلها ، المستذل لناسها ، المقيد لحرياتها .

وكان قاسم أمين ممن أسهموا بجدارة فى إلتواء النهضة المصرية عن إنبعاثها العربى الإسلامى لتكون نهضة ثقافيه إجتماعيه صورية مستهلكة لاتباع مصانع الفكر الغربى ونافذة عرض دعائى له تدعو بحماس وتدقرق معه الدموع أحيانا لتقليد رجاله ونسائه ونظام معيشته .

إن دعوة قاسم أمين خدمت أهداف الماسونيه الداعيه إلى إضعاف سيطرة الاسلام الأيدلوجيه بإعتباره دنيا ودولة ، إن دعوة قاسم أمين فى حقيقتها هى دعوة لمحاكاه أوربا .

إن قضيه السفور حاله طارئه بدأت على إستحياء منذ ما يقرب من خمسين عاما ولم يكن السفور مسيطرا إلا على شريحة صغيرة من تعداد المرأة المصرية (المسلمة والقبطيه على السواء) فإن المرأة الريفيه والصعيدية لم تتخل أبدا عن الحجاب .

كانت المحجبة هى الحرة والسافرة هى الأمة (العبدة) ومن هنا فإن هناك علاقه بين الماسونيه والصهيونيه فى الاستراتيجيه مع إختلاف التكتيك للقضاء على الاسلام بمقتضاها هذا نعطى السفور بعدا سياسيا .

إن الاستعمار يستهدف الاسلام ويضرب أى صحوة إسلاميه فقد تركز على اللغه العربيه — لغه القرآن — وعلى المرأة المسلمه وأضيف إليهما أن تمسك المرأة

الجزائرية بحجابها كان سلاحا ضـــد فرنسة المرأة وصناع سمعتها العربيـة والإسلامية .

وتكشف السيدة صافى ناز كاظم سموم قاسم أمين فى كتابه المرأة الجديدة حيث يهاجم المدنية الاسلامية ويدعو إلى التغريب :

يقول : نحن : لا نستغرب أن المدنية الاسلامية أخطأت فى فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنهـا فليس خطؤها فى ذلك أكبر من خطأها فى كثير من الأمـور الأخرى .

ثم يقول : الذى أراه أن تمسكنا بالماضى إلى هذا الحد هو من الأهواء التى يجب أن ننهض جميعا لمحاربتها لأنه ميل إلى التدنى والتقهقر ، وهذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر إلى علاجه وليس له من دواء إلا أننا نربى أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وأثارها .

فإذا أتى هذا الحين ونرجو أن لن يكون بعيدا — إنجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمه التمدن الغربى وتيقنا إنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة .

ولا يمكن أن يوصف هذا الكلام إلا أنه (ردة) من مستشار وصف بالعقل والحكمة ولكنه إنزلق مع المنزلقين إلى مطامع المناصب الكبرى والحظوة فى صالون نازلى فاضل .

والمعروف أنه بعد أن دافع قاسم أمـين عن حجاب المرأة المسلمة فى كتابه (المصريون) حدثت مؤثرات من الأميرة نازلى على قاسم أمين مما أدى حدوث متغيرات فى فكر قاسم عرفت فى كتابه تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة .

وكان كتاب تحرير المرأة نوعا من الاعتذار للأميرة التى أغضبها كتابه الأول ، وقيل أن الشيخ محمد عبده ومحمد المويلحى وسعد زغلول إتفقوا على أن يقدم قاسم الاعتذار للأميرة نازلى (عندما هاجم المرأة غير المتحجبه فى كتابه

المصريون) ودفع قاسم أمين الثمن غاليا يتجنى على الحقائق ويحاول أن يلوى عنقها حتى خرج كتابه (تحرير المرأة) .

وجاء فى كتابه (المرأة الجديدة) فخرج عن أفكاره الأصلية التى كانت تعلى من شأن المدنية الإسلامية .

وإتجه إلى حجاب المرأة المسلمة وأخذ يحاول أن يدلل على أن حجاب المرأة ليس من الإسلام وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن صحائح الإسلام .

ومما عليه الإستشراق إياه : القول بأن الشريعه ليس فيها نص يوجب الحجاب ، على الطريقه المعهـــودة ، وإنما هى (عادة) عرضت للمسلمين من مخالطة الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وألبسوها لباس الدين ونسى قول الله تبارك وتعالى :

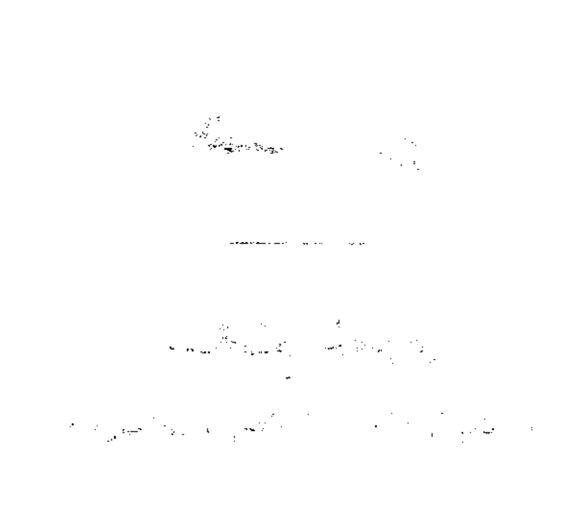
« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن وليضربن بخمرهن على جيوبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .

حاشية : وفى رسالة السيدة صافى ناز كاظم (فى مسالة السفور والحجاب) . تجاهلت تماما موقف صالون نازلى فاضل (سعد زغلول ، محمد عبده . إلخ) وموقف الأميرة من كتاب المصريون وموقف جريدة المقطم كما أنها لم تذكر نصوص قاسم أمين فى تكريم المرأة المسلمة أولا (يراجع أحمد خاكى فى كتابه قاسم أمين) كما لم تذكر تراجع قاسم أمين عن دعوته قبل وفاته .

الفصل السابع

ساطع الحصرى

«عرب نعم ، إسلام لا : أنا (لا بيك) »



(١)

سقطت نظرية ساطع الحصرى فيلسوف القومية العربية ، لأنها قامت على على أساس التفسير الغربي للتاريخ ، ففصلت العروبة عن الإسلام وهو أول من جعل العنصرية والعرق والدم بديلا لمفهوم الإسلام الذى يقوم على الأخاء الإنسانى، وهو أول مسئول عن التعليم العالى التركى فى الوزارة التى شكلها الاتحاديون بعد سقوط الخلافة مباشرة وأول من صرح بأن قومية إسرائيل تقوم على الدين وأن الأسلام دين تعبد وينكر أنه نظام حياة ومجتمع ، والحقيقة أنه ما ذنب العروبة والإسلام إذا كان ساطع الحصرى غربى الفكر والذوق أعجمى النطق يتجاهل أن لغتنا لغة فكر وعقيدة وأن ديننا يجمع بين المادة والروح وبين العقل والقلب وبين الدنيا والآخرة .

حدثنى الدكتور مختار الوكيل مدير مكتب الجامعة العربية فى جنيف ، وهو رجل صادق مؤتمن ، أنه فى خلال عمله زار الأستاذ ساطع الحصرى سويسرا ورأى السيد عبد الفتاح حسن السفير المصرى دعوته إلى طعام للغداء فلما قدم مع الدكتور الوكيل حياه السفير المصرى فقال :

مرحبا بالمناضل الكبير فى خدمة العروبه والإسلام ، وقد عجب الرجلان من ساطع الحصرى الذى رد فى عنف وحدة .

« عرب نعم . . إسلام لا . . أنا لا ييك » .

وكلمة « لا ييك » تعنى أن صاحبها علمانى أو لا دينى .

ما تزال ندوة الأعتصام تركز على تاريخ الإسلام والعرب المعاصر وعلى الأعلام البارزين : سعد زغلول ، لطفى السيد ، ساطع الحصرى الخ وقد أحرز ساطع الحصرى شهرة وافرة فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية باعتباره فيلسوف القومية العربية ، حيث روج لنظرية خطيرة كانت بعيدة الأثر فى حجب العروبة الأصيلة المرتبطة بالأسلام فكراً وعقيدة ، وبالعالم الإسلامى تكاملا وإخاء . . لقد كان دعاة حركة اليقظة فى البلاد العربية يرون أن الجامعة الأسلامية

قائمة بين العرب والمسلمين (فرساً وتركاً) بعد زوال الدولة العثمانية . ولكن ساطع الحصرى كان من أوئل الدعاة إلى فصل العرب عن المسلمين بمفهوم القومية الغربى الوافد الذى طرحه فى أفق الفكر السياسى العربى . وهذا يرجع إلى أن ساطع الحصرى كان ثمرة من أنضج ثمار المدرسة الاتحادية التركية ، وأكبر الدعاة الذين نقلوا مفهوم القومية الطورانية التركية إلى أفق العروبة التى كانت ترتبط بمفهوم الإسلام فى العلاقة بين الشعوب التى جمعها التوحيد والقرآن ونبوة محمد ﷺ والفكر الإسلامى الأصيل .

لقد كان ساطع الحصرى مديراً للتعليم فى الدولة الاتحادية التى حكمت تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد بمفهوم العلمانية والطورانية .

وقد تعلم فى مدرسة الاتحاديين ، وآمن بفلسفتهم ، ونقل فكرهم ومضامينهم إلى العرب ، وذلك فى سبيل تمزيق الوحدة الأسلامية الجامعة عرباً وتركاً وفرساً ، وخلق أسلوب القوميات والأقليميات التى تقـــوم على الصراع والاستعلاء بالجنس والعنصر .

وهو أول من حمل لواء العنصرية والعرق والدم بديلا لمفهوم الأسلام الذى يقوم على الأخاء الأنسانى . وقد كان فلاسفة الفكر القومى التركى من الاتحاديين: تلاميذ الفلسفة الوضعية متشبعين بالنزعة الطورانية العدوانية . وقد استمد ساطع الحصرى مفهومه للعروبة من مفهوم القومـــية الغربية ، والنظرية التى طبقها الاتحاديون فى تركيا . فقد ركز على اللغة والتاريخ وعزلهما عن الفكر الأسلامى الجامع ككل كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن وحدة الفكر الأسلامى .

ونظرية ساطع الحصرى التى روجت لها بعض الأحزاب السياسية العربية قد أثبتت خلال أكثر من ثلاثين عاماً فشلها الذريع ، وعجزها عن العطاء ، لأنها فرغت مفهوم العروبة من قيمة وتاريخه وعناصره الأخلاقية الروحية وجعلته مفهوماً مادياً خالصاً .

وقد اعترف ساطع الحصرى بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين ورفض

إعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً (بمفهوم اللاهوت) . ذلك أن مفهوم ساطع الحصري للإسلام ناقص ، فهو يراه ديناً لا هوتياً وليس ديناً ومنهج حياة ونظام مجتمع على النحو الذى يؤمن به دعاة العروبة الإسلامية .

لقد فهم الإسلام على أنه « دين عبادى » كما فهم الأوربيون المسيحية ، ولم يفرق بين الدين بعامة والإسلام ، ولم يفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التى يختلف فيها عن مفهوم القومية فى أوربا .

ولقد كان مفهومه للعروبة ناقصاً . فلم يصل إلى مفهوم العروبة المترابط مع الإسلام ، هذا الترابط الجذرى الذى لا سبيل للانفكاك عنه .

ويرى كثير الباحثين أن ساطع الحصرى لم يعايش المناخ العربى قبل أن يضع مجموعة آرائه ، وأنه استهدى بمناخ البلقان والنظرية الألمانية فى حركته القومية التى رفع فيها شعار اللغة فى مواجهة الدولة العثمانية للتحرر منها ، وأنه كان حاقداً على الترك حقد المحافل الماسونيـة التى احتضنت الأتحاديين ووجهتهم وجهتها ، ودفعتهم إلى الدعوة إلى الذئب الأغبر كرمز لها بديلا للقرآن .

وقد كان أكبر أساتذته فى مفهوم القوميات « ماكس مولر » « ونوردو » وهما فيلسوفان يهوديان قصدا من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القومية اليهودية .

وقد أعتبر ساطع الحصرى اللغة أساس القومية ، وعارض نظرية الأرض التى دعا إليها أنطون سعادة دون أن يتنبه إلى أن الفكر لااللغه هو مصدر الوحدة .

وقد أجرى ساطع الحصرى الجدل حول عديد من النظريات الأوربيه فى القوميه دون أن يواجه جوهر المفهوم العربى الإسلامى المصدر والجذور : هذه الجذور التى تجعل من العسير فصل اللغه عن الفكر وإعتبارها مقوماً منفصلا ، أو الأعتماد على نظرية بقاء اللغه أو ضياع اللغه مع أن الأساس هو بقاء العقيدة والفكر الذى يحمى وجود الأمة الحقيق .

والواقع أن ساطع الحصرى كان غربى الفكر أساساً بل وغربى الذوق

أعجمى النطق ، وأن تركيبه الثقافى والإجتماعى يحول بينه وبين تبنى نظرية عربية إسلامية أصيلة مستمدة من واقع الأمة الإسلامية وكيانها ، وذاتيتها التى لاتنفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه . وفى ذلك مغالطة أو جهل . ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمه فحسب ولكنها فى نفس الوقت لغة فكر وعقيدة ، فإذا كان العرب وهم مائه مليون يتحدثون بها فإنها لغة العقيدة والفكر لألف مليون من المسلمين يرتبطون بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وذلك التراث الضخم من الفقه والعلم والتاريخ . وأن اللغة لاتنفصل عن الفكر وأن تاريخ العرب لا ينفصل عن تاريخ الإسلام .

ومرجع ذلك إلى أن ساطع الحصرى نشأ — كما ذكرنا — فى بيئه الاتحاديين الأتراك الذين كانوا صنائع للفكر الغربى ، والذين نشأوا فى أحضان المنظمات الماسونيه ، وحملوا لواء الإيمان بالفصل من الدين والمجتمع ، وفهموا الإسلام فهما غربياً على أنه دين لاهوتى .

وعلى هذا الفهم الخاطىء القاصر قامت نظريه ساطع الحصرى التى لمعت سنوات تحت تأثير الخداع والأهواء حتى أن بعض دعاة الماسونية فى العالم العربى راح يفسر عن طريقها تاريخ الإسلام كله فيرى أنه تاريخ قومى عنصرى عربى . ومن ثم وجهت عبارات الحقد والخصومه إلى الأمه الأسلاميه وهذا هو الثمرة الحقيقة التى تهدف إليها حركة الغزو الثقافى التغريبى من طرح هذه النظريه القوميه ، الأقليمية الضيقه العدوانية الوافدة . بديلا عن المفهوم الأصيل العروبه فى إطار الإسلام كما كان يفهمه شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وحسن البنا ومصطفى السباعى ومحمد المبارك .

هذه النظرية المضطربة التى خدع بها ساطع الحصرى الكثيرين ، التى سايرها كثير من المثقفين قبل أن يعرفوا سمومها العميقه . فلما عرفوها هاجموها وكشفوا زيفها .

والنظرية مضطربة من أساسها . ولو كان ساطع الحصرى حسن النيه لصحح

موقفه من فهم الدين فهماً غربياً لا ذكياً وفهم الإسلام بمعناه الجامع بين العقيدة ونظام المجتمع . لقد أعتمد أساس نظرية مفهوم الدين اللاهوتى بمفهوم أوربا والغرب للدين ، ولذلك عجزت النظرية عن أن تنجح فى إطار الفكر الإسلامى ، بل إن كل العناصر التى عالجها كانت عناصر البيئة الغربية فى مواجهة الصدع بين الجامعة المسيحية الأوربية وبين القوميات الأقليمية والتى كانت وراءها اليهودية الصهيونية لتمزيق هذه الوحـــدة والسيطرة على كل قطر على حدة . وهو نفس ما أرادته بالنسبة للجامعة الإسلامية التركية التى وقفت أمام دخول الصهيونيين إلى فلسطين وموقفهم من السلطان عبد الحميد واضح معروف .

إن كل التحديات التى تعالجها نظرية القومية الوافدة لا توجد أساساً فى المناخ الإسلامى هذا فضلا عن اختلاف مفهوم (العروبة) عن مفهوم القومية فى الغرب فضلا عن أختلاف مفهوم الإسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ومصدر خطأ ساطع الحصرى أنه عجز عن فهم أبعاد الفكر الإسلامى وأعماقه ، وعلاقة العرب بالإسلام ، وعاش فى مؤلفاته خادماً لنظرية القومـــية الأوربية الوافدة التى قدمها النفوذ الأجنبى من بين ماقدم ليحطم الوحدة العربية الإسلامية الجامعة بعد أن عجز عن فرض الأقليميات القائمة على التاريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والأشورية والبابلية .

وذلك أنه لما رأى هذه المحاولات تتهاوى ورأى أن العرب يتجهون إلى الوحدة أراد أن يفرغ هذه الوحدة من مضمونها العقائدى الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة إلى مفهوم اقتصادى مادى صرف ، وبذلك فشلت نظرية القومية الوافدة كما فشلت مناهج التعليم الغربى ، والقانون الوضعى وأسلوب التنظيمات السياسية الليبرالية وغيرها .

ولقد وقف ساطع الحصرى فى وضوح موقف الخصومة والحقد والتعصب على الإسلام كلما عرض له ، وقد تجاهله طويلا فى أبحاثه كأن العرب لم يعرفوه خلال تاريخهم الطويل . وكانت محاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامى

من ناحية . وبين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام محاولة ساذجة . ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين أعترف بالقومية اليهودية القائمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين فى فهم القرميه العربية وإن كانت كلمة (دين) لا تؤدى معنى الإسلام حين يكون البحث حول العروبة .

وقد ثبت أن ساطع الحصرى قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التى كان النفوذ الغربى حريصاً على تلقينها للعالم العربى . وهى ليست إلا صورة من مفهوم الأقليمية اللبنانية والمعروف أن ساطع الحصرى كان من أعمدة وزارة المعارف فى تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين فى تركيا العثمانية إلى أن انتهت الحرب الأولى . وإنه كان من أخطر الموجهين للبرامج التربويه والتعليميه فى العراق . حيث عمد إلى فصلها عن الإسلام فصلا تاماً . وكان دوره أشبه بدور الدكتور طه حسين فى التعليم المصرى .

لقد حاول ساطع الحصرى أن يقيم (فكراً عروبياً إقليمياً) منفصلا عن الإسلام فى روحه ومضامينه وشريعته . ولقد تجاهل أعماق الأثر تركه الإسلام فى الفكر والثقافة ، واللغه والتاريخ وتجاهل أثر القرآن الكريم فى اللغه العربية وفى العرب ، ومدى ترابط ذلك إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنه بالأمة الوسطى الحنيفية السمحاء التى جاء بها إبراهيم عليه السلام فربطت هذا العالم الوسط (عالم العرب والإسلام) بروابط تاريخية وثقافية عميقة دعمتها الأديان السماوية التى نزلت فى أرض الرافدين ، وختمتها رسالة الإسلام العالمية التى نزلت فى الجزيرة العربية .

(٢)

عجز الحصري عن فهم الفارق بين الكتلة الإسلامية

والقومية الغربية وبين العروبه والإسلام

أشار وليام ل . كليفلاند فى كتابه [ساطع الحصرى من الفكرة العثمانية إلى العروبة] إلى «التربية الحصرى (غير الإسلامية) من أثر فى توجيه القومى فيما بعد مؤيداً فى ذلك فلسفة الحصرى التى نسبت إلى التربية خطراً عظيما فى تكوين الآراء والأهواء والاتجاهات فالحصرى تعلم فى المدرسة الملكية فى إستانبول ولم يستظهر القرآن مثلما كان يفعل معظم تلاميذ السلطة العثمانية فى عصره .

ويركز كيفلاند على هذا الفعل فى حياة الحصرى ويرى أنه هو السبب فى أن ظهر فى كتاباته بصورة المعادى للإسلام لا لسبب واضح إلا أن النمط القومى الأوربى معاد للكثلكة لسبب تاريخى أوربى خاص .

فالدين فى أوربا أخفق فعلا فى منع إتحاد أولئك الذين قدر لهم الارتباط بأسباب تتعدى الدين ، كما يقول كليفلاند : لكن الإسلام إستطاع أن يوحد شعوبا لم تكن العوامل الأخرى قادرة على توحيدها .

لقد أشار كليفلاند إلى تأثر الحصرى بموقفه المتناقض الحاد بين القومية والكثلكة فى أوربا وهو ما ليس له مثيل فى المجتمعات الإسلامية بل أن كليفلاند يرى أن موقف الإسلام من القوميات يختلف عن موقف المسيحية فى الغرب .

ويرى أن الإسلام كان قادراً على التوحيد الحضارى الذى يقوى على الزمن ، حيث ينزع الباحثون إلى إتخاذ عروبة القرآن نموذجا على عوامل التوحيد الحضارى وإن كان الاسلام أحدث نتاجات حضارية أخرى فأنشأ تراثاً غنياً إستدعاء أن

يوحد مجتمعات لم تكن جميعها مسلمة بالضرورة فالفتوحات الاسلامية دفعت المسلمين إلى دراسة الجغرافيا والعلوم العسكرية وتدوين الوقائع والتاريخ وتنظيم الادارة وتطوير النظم الضريبية والرياضيات والموسيقى والعمارة ، وهذه جميعها شكلت حضارة إسلامية ذات سمه خاصة وهي سمت الانسان المنتمى إليها أيا كان دينه أو مذهبه .

أما الانتاج الحضارى فى أوربا فى عصر ظهور القوميات فسلك مسالك مختلفة أهم ما فيها اللغات العامية هى التى عبرت عن هذا الانتاج الحضارى فكأنه لابد من أن تثور القوميات الناشئة على السلطة الأسمية التى كانت تمثلها الكثلكه ، فى مؤسساتها وسلطانها ، أما الاسلام فلم يكن له يوما تلك المؤسسة الدنيوية المركزية الكهنوتية ولا احتكرت فيه التشريع جهة من الجهات وكانت له فى المقابل لغة واحدة لجميع المسلمين ا هـ .

هذه هى الفوارق العميقة بين الاسلام والعروبة وبين المسيحية والغرب والقوميات التى عجز ساطع الحصرى عن فهمهما حين حاول أن يطبق النموذج الغربى فى العلاقة بين المسيحيه والقوميات على الاسلام والعروبة .

ومن هنا كان فشله وسقوط نظريته وعجزها عن الاستجابة الحقيقية ، على هذا النحو الذى كشف عنه وليام كليفلاند فى كتابه عن ساطع الحصرى .

ويقول كليفلاند : أن الاسلام لم ينقض العروبة بل أغناها وأمدها بكاجات حضارية جعلتها صفه وسمة خاصة بين الأمم وأمكنها من أن ترث مرمه مقارعة الغرب التى حملها الفرس على عاتقهم عشرة قرون منذ ما قبل الاسكندر ، وأصبحت هذه الحضارة الاسلامية عند العرب من سمات قوميتهم وملامحهم المميزة أيا كانت عقيدتهم الدينيه .

وغاية ما يقول كليفلاند : أن التناقض الحاد بين القومية والكثلكه فى أوربا

لا نجد له مثيلا فى المجتمعات الاسلامية ، وهذا هو سر موقف الحصرى الجاف من الاسلام غير أن البعض يرى : أن ساطع الحصرى إنتقل من مفهوم الاتحاديين حول القوميه الطورانية إلى العروبة أو نقل مفهوم الاتحاديين إلى العروبة أو حاول تقديم المفهوم العلمانى الذى تجمع حول فكر الطورانية الذى قدمه أعداء الاسلام وأصحاب الولاء الغربى ، حيث حاول تقديم هذا الفكر فى قضية الاسلام والعروبة ومن هنا كانت تجاوزاته ومحاذيره .

الفصل الثامن

سلامة موسى

(١)

محاولة إعادة سلامة إلى الحياة محاولة خاسرة وقد بآءت بالفشل الذريع . سلامة موسى الرجل الذى لم يعرف فى تاريخه الطويل موقف يدعو فيه لتحرير مصر من الاستعمار البريطانى وقد سقطت جميع آرائه وكشفت حركة اليقظة عن زيفها وفسادها .

لقد كانت كل كتابات سلامه موسى وأفكاره فى حقيقتها جماع خيوط المخطط الماسونى التلمودى بباطله وهدمه وأخطاره ولقد عرف أن سلامه موسى كان يلفظ الإسلام والمسيحية معاً وهو الذى أضاف إلى قائمة الرسل والأنبياء: فرويد وماركس وداروين ولينين .

كان السؤال الهام فى الندوة عن الظاهرة الخطيرة التى حاولت بها بعض الجهات طرح كتب سلامه موسى فى السوق مرة أخرى بأعداد كبيرة ، ونشرت عديداً من كتبه ماعدا كتابه (اليوم والغد) الذى قال بعض أصحاب الولاء أنهم لن يعيدوا طبعه والسر أن هذا الكتاب يكشف حقيقة سلامه موسى ، ودعوته المسمومة ، والشعوبية والماركسية جميعاً .

والحق إن كتابات سلامه قد تجاوزها الزمن ، ولم تعد تمثل أى عطاء ثقافى بعد أن سقطت كل هذه الدعاوى التى روجها الاستشراق والتغريب فى الثلاثينات والأربعينات . . شأنه فى هذا شأن طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ومن تبعهم أمثال حسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض وغيرهم .

والواقع أن النفوذ التغريبى لا يهدأ ولا يتوقف عن غاياته وإن بدا أنه يغير جلده بين حين وآخر ليخدع أجيالا جديدة بتلك السموم التى قدمها على أيدى عملائه ثم تكشف زيفها .

دعا سلامه موسى إلى استعمال العامية وهدم العربية ، وجدد الدعوة

لويس عوض فى مصر ويوسف الخال وانيس فريحه فى الشام وكانت النتيجة هى الفشل المحقق .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ، وجدد الدعوه بعده كثيرون ولم يصلوا إلى شيء .

دعا سلامه موسى إلى الفرعونية ، وجدد الدعوة إلى إبطال حكم من أحكام الدين وذلك بشأن ميراث المرأة ، وقد لقنه الباحثون درساً قاسياً مريراً .

دعا سلامه موسى إلى الماركسية وقد كشفت الأيام زيف دعوته وفساد وجهته .

والحقيقة أن سلامة موسى لم يكن إلا رجلا يحمل التراب فيذروه فى وجه الناس حقداً وكراهية لهذه الأمة أن يتحقق لها أمتلاك إرادتها وخدمة لكل التيارات الحاقدة عليها والكارهة لها . ولقد كان الكاتب فى هذه الفترة يعترف بأنه ماركسى أو غربى أو داعيا لفرنسا أو انجلترا ولكن سلامه موسى كان يعمل لكل هذه الجهات عن طريق الماسونية والمخطط الصهيونى الذى كان يحتضن كل فكر هدام .. فكان ينثر من كتاباته مقتطفات عن (دارون) ومذهبه ، وعن (فرويد) ومذهبه ، وعن إقليمية مشوبة بالفرعونية ، وعن العامية مشوبه باللاتينيه ويحتضن كل كتاب هذه السموم من (ولكوكس) إلى (ماركس) ويدعى ويناقض دعوته بمدح الخديو إسماعيل ، وموالاة الاستعمار البريطانى ولاريب فقد تخرج سلامه موسى من مدرستين :

من مدرسه تربيه أبناء العرب الذين يقعون فى فخاخ القوى العظمى فقد ذهب سلامه إلى بريطانيا وفرنسا فى ذلك الوقت الباكر وجند لهذه الغايه أما الأخرى فقد كان تابعا لمدرسة شبلى شميل ، جورجى زيدان ، وفرح أنطون ، ويعقوب صروف . هذه المدرسة التى كونها التبشير فى بيروت ، ثم قذف بها إلى مصر والبلاد العربيه فتولت مقاليد الصحافه والثقافه وحملت حقدها الوافر على الإسلام والخلافه الإسلاميه ، واللغه العربيه ، وتاريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ .

إن هناك وقائع خطيرة كاشفة لحقيقه سلامه موسى بعد أن فضحه أصحاب

دار الهلال الذى كان يعمل عندهم ، ويتصل من ورائهم ببعض الجهات ليشى بهم (أبريل ١٩٣١ ـــ مجلة الدنيا الجديدة) وقد نشرت بالزنكغراف خطاباته التى يقول فيها المسئول :

« فأنا أكتب لسعادتكم وإدارة الهلال تهيء عددا خاصا من المصور لسعد زغلول تستكتب فيه عباس العقاد وغيره من كتاب الوفد ومثل هذا العمل يتفق مع التجارة ولكنه لا يتفق مع الدعوة للحكومة الحاضرة ومشروع المعاهدة . لأن الاكبار من ذكرى سعد . وتخصيص عدد له هو فى الحقيقة إكبار من شأن الوفد ودعوة إليه ـــ إنى مستعد للدعوة للمعاهدة فهل لى أن أنتظر معاونتكم » .

كتب هذا أبان وزارة اليد الحديدية التى شكلها محمد محمود ، وتاريخ الخطاب ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ وهو لا يزال فى دار الهلال ما يزال يتقاضى مرتبه منها ، ويدخلها كل يوم يبتسم فى وجه أصحابها ، ويظهر لهم الود والاخلاص وفى الوقت نفسه يدس لهم ، ويتجسس عليهم ، ويرسل التقارير إلى وزارة الداخلية .

ثم عاد يتمسح بالوفد (إبريل ١٩٣١) فكشفت دار الهلال هذه الوثيقة وقالت : « أنت تتمسح اليوم بأعتاب الوفد ، وتتملق بزعماء الوفد . إن لدى دار الهلال البرهان القاطع على تلونك وغدرك » .

ولم تقف الأمر عند هذا الحد . . فقد أرسل خطابا (نشرت صحف دار الهلال) صورته الزنكغرافية موجها إلى الأستاذ حسين شفيق المصرى فى ٣ نوفمبر ١٩٣٠ هذا نصه :

عزيزى حسين :

بعد التحية : تعرف الخصومة بينى وبين السوريين (أى أصحاب دار الهلال) فأرجوك أن ترسل لى خطابا على لسان سورى وقح يشتمنى فيه بإمضاء إسكندر مكاريوس أو غيره من الهكسوس . وأنا فى إنتظار الخطاب .

أخوك سلامه موسى

وقد علق الأستاذ حسين شفيق المصرى على هذا يقول :

كان يريدنى أن أزور خطابا ، وأن أفترى على أمة ، وأن أنزل إلى الدرك الأسفل من النزالة بالكيد لقوم ليس بينى وبينهم غير الصداقة والمودة .

هذا اللعب من لعب الصبيان فعجيب أن يكون منه وهو يتادى بأنه فيلسوف من علماء النفس ، أغفر له كل شيء إلا أن يظن بى ماظن من الجهل والحمق . وهو يدعونى إلى كتابة ذلك الكتاب الذى أشتمه فيه بتوقيع رجل برىء لا ذنب له إلا آن فى الدنيا رجالا لا يحاسبون ضمائرهم ، ولا يرون أبعد مما بين أنوفهم وجباههم » .

بل ويذهب سلامه موسى إلى أبعد من ذلك فيقول :

« ومما يدل على أن حركتنا الوطنية بأيدى ناس غير قادرين على الاضطلاع بها أن الحركة التى قامت فى العام الماضى وكانت غايتها إصطناع القبعة قاوموها زعماؤنا وقتلوها فى مهدها . فأثبتوا بذلك أنهم لايزالون آسيويين فى أفكارهم، لا يرغبون فى حضارة أوربا إلا مكرهين . وقد أدرك مصطفى كمال الذى لم تنجب بعد نهضتنا رجلا مثله ولا ربعه ولا يعرف مقدار ما للقبعة من القيمة والإعلان بالإنسلاخ عن آسيا ، والانضمام إلى أوربا ، ولم يمنع إستعمال السيف فى هذا » .

ويقول :

هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب وفى كل ما أكتب أحاول أنأغرس فىذهن القارىء تلك النزاعات التى إتسمت بها أوربا فى العصر الحديث ، وأن أجعل قرائى يولون وجوههم نحو الغرب ، ويتنصلون من الشرق ... ليس هناك حد يجب أن نقف عنده فى إقتباسنا من الحضارة الأوربية .

ويقول :

وليس علينا للعرب أى ولاء ، وإدمان الدرس لثقافتهم مضيعة للشباب ،

وبعثره لقواهم . وكيف يمكننا أن نعتمد على جامعة دينية بينما فى العالم نظرية تقول: أن الإنسان لم يكن راقيا فانحط كما تقول الأديان . بل هو كان منحطا فارتقى تعنى بها نظرية التطور بل كيف يمكن لانسان مستنيرا قرأ تاريخ السحر والعقائد أن يطلب منه أن يخدم جامعة دينية . إن الجامعة الدينية فى القرن العشرين وقاحة شنيعه » .

ويقول :

« لا عبرة بما يقال من أن الاسلام أمر بالشورى فإن خطب جميع الخلفاء تثبت أنهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم نظرا بأبويا بل البابا نفسه إذا قيس إليهم فى بعض الأشياء يعد دستوريا » .

ويقول :

« إن أكبر تجربة إجتماعية رآها العالم هى الشيوعيه الروسيه الحديثه وظهور الشيوعيه هو بمثابة حاجز بين الماضى والمستقبل فهى تفصل الاثنين فصلا واضحا وهى على ما فيها من نقائض اليوم وعلى ماينال الناس البعيدين عنها من الرعب فإنها ستكون بذرة لجلة أنظمه إجتماعيه فى المستقبل » .

وهكذا تحوى كتابات سلامه موسى كل السموم التى علموه أن يثيرها فى أفق العرب والمسلمين يوما بعد يوم ، علموه أن الاشتراكيه هى الهدام الأكبر للمسلمين وازدراء كل ما هو عربى ، والدعاية الشيوعيه ، وكذلك الدعاية للإباحيه .

يقول سلامه موسى :

« ليس من مصلحه الانسان أن يعيش فى قفص من الواجبات الأخلاقيه ، يقال له هذا حسن فإتبعه وهذا سيء فإجتنبه » .

وعلموه الدعوة إلى التبعيه للغرب والإستعمار .

يقول سلامه موسى أيضا :

« أجل يجب أن ترتبط بأوربا ، وأن يكون رباطنا بها قويا نتزوج من أبنائها وبناتها ، ونأخذ عنها كل ما يجد فيها من اكتشافات واختراعات وننظر للحياة نظرها ، ونتطور معها تطورها الصناعى ، ثم تطورها الاشتراكى والاجتماعى ، ونجعل أدبنا يجرى وفق أدبها بعيداً عن منهج العرب ، ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها » .

هذا هو سلامة موسى الذى يريدون أن يحيوه مرة أخرى ويجددوا فكره ، هذا الفكر الذى تجاوزه المسلمون والعرب اليوم وإن كانوا قد خدعوا به هناك يوم كان دعاة التغريب تحوى كتاباتهم بالسموم ! !

إن ما قدمه سلامة موسى عن الماركسية والفرويدية والدارونية هى كلمات مجمدة قد جاوزها البحث العلمى الآن ، وكشف زيفها فقد ظهر الآن فساد مادعا إليه دارون وتبين أن وراء إذاعة دعواتها ونشرها كانت التلمودية التى تريد أن تقول أن الانسان حيوان لتمهد لفرويد اليهودى نظريته فى الجنس وكانت الماركسية والفرويدية والداروينية من أدوات الفكر الصهيونى ، الذى حاول أن يؤسس مدرسة فى البلاد العربيـــة والإسلامية . كما دعا إلى البهائية التى عرفها فى لندن سنة ١٩١٠ عندما اتصل بجماعة الدهريين ولم يدع كتابا من كتبهم لم يقرأه وكانت معظم مؤلفاتهم فى نقض الأديان السماويه — على حد تعبيره — ولا بد أنه اتصل بمحافل الماسونيه ، وتعلم فيها فأن كل اتجاهه كان ماسونياً تلموديا ولم تعرف حقيقته إلا بعد أن ترجمت بروتوكولات صهيون إلى اللغة العربية عام ١٩٤٨ وأن كل محاولاته وخططه كان ثمرة هذه التبعيه الماسونيه التلموديه وقد أشار كثيرون إلى أنه لم يكن مسيحياً صادقا وإنما كان ولاؤه لفرويد وماركس .

وقالوا الشجرة الفاسدة تثمر ثمرا رديئا وكل شجره لا تثمر ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار .

ولا ريب أن دعوة سلامه موسى إلى وحدة الأديان هى من مفهوم البهائيه ، وأن اهتمامه بالسلطان « أكبر » الهندى الذى أجرى هذه التجربه داخل فى دعوته

كذلك دعوته إلى وحدة الوجود ، ومذهب (سبينوزا) فى وحدة المادة والقوة والروح والجسد هى من طريق خطه الواضح وكذلك فهو يرى أن حرق جثمان الميت أطهر وأنظف !!

وقد تمنى سلامه موسى أن يحرق جسمه بعد موته ، وقد عمل على نشر آراء تولستوى وغاندى لأنها تحاول مواجهه مفهوم الإسلام الجامع ومفهوم الجهاد وحتى ديانته المسيحيه فإنها لم تسلم من هجومه وهو يعتقد أنها حجبت عن عقول الناس نور الثقافه اليونانيه وحريتها ، وأن هذا الحجب والحجر ظل ألفاً وخمسمائه سنه حتى بدأت بشائر النهضه الأوروبيه التى كان أساسها الخروج عن سلطان الكنيسه وأطباقها على النفس والعقل البشريين ، والعودة إلى أسس الثقافه اليونانيه وحريتها .

وقد بشر بدين جديد دعا إليه ودخل هذا الدين فى عقيدته، أنه [دين البشريه] كما يسميه، وهو ما دعا إليه (أوجست كونت) ويرى أن دين البشريه بذره من ديانه بوذا وهو دين لا يدعو إلى الإيمان بالله ، أو الخلود فى العالم الثانى ، ولا ريب هذا الاتجاه الذى استكمله بأنبياء آخرين آمن بهم هم ماركس وفرويد يوحى بماسونيته وولائه التلمودى الصريح ، كذلك فإن دعـــوته إلى العالميه هى دعوه الصهيونيه العالميه التى تريد هدم الأمم المسلمه فى مرحلة ضعفها واحتوائها للسيطرة عليها وتذويبها فى أتون الأمميه .

ولا ريب أن حملة سلامه موسى على اللغة العربية الفصحى ، والشعر والأدب العربى هى دعوه مبطنة للحملة على الإسلام والقرآن وهى الدعوه التى حمل لواءها لويس عوض من بعد وتؤكد دعوته فى مجموعة موالاة الدعوة الشعوبية التى ترمى من وراء القضاء على العرب وكيانهم إلى القضاء على الإسلام باعتبار أن ذلك هى قاعدته الأساسيه .

لقد كانت أصدق كلمه لباحث معاصر أنه لم يعرف لسلامه موسى مقال وطنى واحد دعا فيه إلى تحرير مصر من الاستعمار البريطانى .

أن محاولة إعادة سلامه موسى إلى الوجـود محاولة باطلة فقد شقطت آراؤه جميعا وكشفت حركه اليقظه عن زيفها وفسادها .

ماهو رأى مصطفى صادق الرافعى فى سلامه موسى ؟

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى :

رأيى فى سلامه موسى معروف . لم أغيره يوماً . فإن هـذا الرجل كالشجرة التى تنبت مراً . لاتحلو ولو زرعت فى تراب من السكر ، مازال يتعرض لى منذ خمس عشره سنه ، كأنه يلقى على وحدى أنا تبعه حماية اللغة العربية وإظهار محاسنها وبيانها ، فهو عدوها وعدو دينها وقرآنها ونبيها ، كماهو عدو الفضيلة أين وجدت فى إسلام أو نصرانيه .

دعا هذا المخذول إلى استعمال العاميه وهدم العربيه ، فأخزاه الله على يدى ، وأريته أنه لا فى عيرها ولا نفيرها . وأنه فى الأدب ساقط لا قيمه له . وفى اللغة دعى لا موضع له ، وفى الرأى حقير لا شأن له فلما ضرب وجهه عن هذه الناحية وافتضح كيده دار على عقبيه واندس إلى غرضه الدنىء من ناحية أخرى ، فقام يدعـو إلى (الأدب المكشوف) فأخزاه الله مرة أخرى ولم يزد بعمله على أن انكشف هو ، فلما خاب فى الناحيتين ، اتجـــه إلى الشارع الثالث فانتحل الغيرة على النساء والإشفاق عليهن ، وقام يدعو المسلمين إلى إبطال حكم من أحكام دينهم وإسقاط نص من نصوص قرآنهم ظناً منه أنهم إذا تجـرأوا على واحدة هانت الثانية ، وانفتح الباب المغلق الذى حاول هذا الأحمق فتحه طول عمره من نبذ القرآن وترك الإسلام وهجـــر العربية كأن إبليس لعنه الله قد كتب على نفسه (كمبيالة) تحت إذن وأمر (سلامه موسى) إذا محيت العربية أو غير المسلمون دينهم أو أبطلوا قرآنهم ، فـكانت البدعة الثالثة أن يدعو المسلمين جهرة إلى مساواة الرجل بالمرأة فى الميراث ، فأخزاه الله .

ثم قام هذا المفتون يدعو إلى الفرعونية . ليقطع المسلمين عن تاريخهم ، وظن أنه فى هذه الناحية ينسيهم لغتهم وقرآنهم وآدابهم ، ويشغلهم عنها بالمصرولوجيا ، الوطنولوجيا ، ثم أتم الله فضحه بما نشره أصحاب دار الهلال ،

ويقول الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى تحت عنوان :

سلامه موسى ليس بشىء إن لم يكن دجالا !!

بضاعته بضاعة الحواة المشعوذين وله حركاتهم وإشاراتهم وأساليبهم . يزعم نفسه أديبا ، وتعالى الأدب عن هذا الدجل ، ويدعى العلم ، وجل العلم أن يكون هذا دعاؤه ، ويحاكى الملاحدة ليقول عنه المغفلون أنه واسع الذهن ، وليتسنى له أن يغمز الإسلام ويبسط لسانه فى العرب ،والحقيقة أنه لا أديب ولا عالم ، وإنما هو مشعوذ يقف فى السوق ، ويصفر ويصفق ويصخب ، ويجمع الفارغين حوله بما يحدث من الصياح الفارغ والضجة الكاذبة .

لقد آن لمن تعنيهم كرامة الأدب أن يقتلعوا هذه الطفيليات ، وأن يطهروا من حشراتها ونباتها رياضه ، وأن يقصوا عن مجاله هؤلاء الوآغلين الذين يتخذون اسمى ما فى الدنيا وأجل ما فى النفس طبولا لهم ، ويتذرعون بالتهجم على الدين ـ على دين واحد فى الحقيقة — وعلى العلم والفلسفة والأدب لنيل ما يستحقون ، ويفسدون عقول الناس ، ويبلبلون خواطرهم بما يغالطونهم فيه ويخادعونهم» ،

(٢)

سلامة موسى : دارون ونظرية التطور

حاولت قوى التغريب دفع أفكار سلامه موسى إلى أبعد مدى بعد أن هلك، ولكن لم يكن ذلك ليجد أى صدى ، فقد تقادم العهد الذى كانت كتاباته تملىء نفوس الشباب ببريق خاطف ، وتبين فساد النظريات الثلاث التى دافع عنها وسقوطها :

(١) نظرية اللادينيه والعلمانيه وهذه قد تداعت فى داخل المجتمعات التى دعت إليها وظهرت بها .

(٢) نظرية داروين التى تكشفت الأخطاء عن فسادها وزيفها (على النحو الذى يراه القارىء فى الفصل التالى .

(٣) نظرية التحليل النفسى لفرويد وقد اعتورها زيف كبير وتكشف عن أنها نظرية تلمودية تستهدف تدمير الإنسان وتحطيم وجوده .

يقول الأستاذ لمعى المطيعى : أن سلامه موسى وجه سهم قلبه مباشرة إلى عقيدة المصريين جميعاً ، حيث ترجم فى وقت باكر كتاب (نشوء فكرة الله) لجرانت إليه ، فهم يؤمنون إيمانا راسخاً بالخالق (خالق السموات والأرض) فلماذا يأتى هذا الكاتب ليعرض عليهم هذه الأفكار ومامدى إقتناعه هو نفسه بها سيما وإن كان قد تتلمذ على أفكار شبلى شميل وكتب عن الداروينيه ونظرية التطور ودعا إلى العلمانيه .

وقال : الانطباع الأول هو الانطباع الأخير » .

لقد غفل الكاتب عن حقيقه جوهرية ، وهى أن الأمة العربية تحرص على التطور والتقدم والتحديث من خلال المحافظة على العقيدة وليس عن طريق التناقض معها أو مواجهتها إذ أن الشعوب العربية تؤمن بأن العقيدة لا تتناقض مع العلم بل أنها تدعو إليه .

ومن أعماله أنه طالب باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيه فى الكتابة على زعم أن الكتابه بالحروف اللاتينية أيسر ، فثار أهل العربية — على حق — ضد هذه الدعوة ووجدوا منها سنداً جديداً على اتجاه الكاتب : (المعادى لعقائد الناس ولغتهم) .

وقـــد تتلمذ سلامه موسى على أفكار لطفى السيد وفرح أنطون ويعقوب صروف » .

ويقول نعمان عاشور الذى كان يحضر مجالسه الخاصه : أن آراءه واتجاهاته كانت تجنح فى معظمها للتطرف الجارف والخروج عن المألوف ، وكان يخفى نزعته الطائفية وراء ستار رقيق من العلمية ، ولكنه إضطر أن يكشفها فى مقالاته فى جريدة مصر ، وكان يكشفها لتلاميذه فى اجتماعاته الخاصة مع دعواه الدائمة فى كتاباته إلى نبذ التعصب وابعاد الدين عن الخلافات السياسية والمذهبيات الاجتماعيه والتطلعات الوطنية والقومية .

وقد دعا إلى الفرعونيه، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وكانت له نظرات محددة فى معالجة الجنس فضلا عن النظرة الإشتراكية .

وقد عمل سلامه موسى فى جمعية الشبان المسيحية ،ما وصفه نعمان عاشور بأنه « حدبه على الشباب » وندواته ومحاضراته ومناظراته التى كان يشترك فيها وملتق كبير من الشباب المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يؤمنون بما يعتقده .

(١) الاتجاه إلى المذاهب الاشتراكية .

(٢) الإيمان بالغرب .

(٣) كراهية الإسلام .

وكان يوزع على الجالسين ورقه صغيرة يكتب كل منهم رده على ما سيوجه إليهم من أسئله كشباب ليعطوها له فى آخر الجلسة حيث يقوم بعمل حصر ميدانى لمشاكل الشباب .

وقال أنه صودر فى حمله عام ١٩٤٦ مع زكى عبدالقادر وعصام الدين حفنى ناصف

وكان قد أقام فى لندن أربع سنوات تأثر فيها بالحركة الإشتراكية الفابية وكان معجباً ببرنارد شو وتتلمذ على يعقوب صروف وفرح أنطون ، وكان له دورة فى مجلة الهلال » .

ولا ريب أن كتابة « نعمان عاشور » تكشف الكثير وتلقى الضوء على الخطة التى كانت تقوم عليها جمعية الشبان المسيحية فى الثلاثينات بالاشتراك مع الجامعة الأمريكية من ناحية أخرى فى التبشير واجتذاب الشباب ، ومع الدور الذى كان يقوم به طه حسين فى كلية الآداب ، ومدرسة السياسة (محمود عزمى وعلى عبد الرازق) فى حزب الأحرار الدستوريين .

وذلك مخطط مدروس كشفنا عنه فى كثير من الدراسات وهو نمو طبيعى لمدرسة سعد زغلول ولطفى السيد فى التعليم والصحافة والأحزاب الموالية لكرومر والاستعمار .

ولو أفصح الأستاذ نعمان عاشور لقال أن سلامه موسى كان يجتمع بالشباب بعد إختياره والتعرف عليه فى غرفة مغلقة فى جمعية الشبان المسيحية وكان يتناول أخطر المسائل بالنسبة للإسلام والقرآن بعد التأكد من أن الحاضرين عليه يحتقرون الاسلام ويسخرون منه وكان ذلك كله مدداً لمعهد شارع المناخ الذى كان يديره (هنرى كوريل) اليهودى الميسور الذى أنشأ فى مصر خلايا الشيوعيه وأحزابها والذى ينتسب الى التلمذه عليه عدد كبير من الأسماء اللامعه الآن فى مجال اليسار والشيوعيه .

وعندما نطالع مواد العدد الأول من المجلة الجديدة (ديسمبر ١٩٢٩) التى أصدرها سلامه موسى بعد أن فصل من دار الهلال نجد أنه أراد أن يسجل برنامجه التغريبى كاملا فأورد هذه الموضوعات :

العلم وحده (محمود عزمى)

المجددون يقولون بالتطور (سلامه موسى)

داروں ، الفرعونية ، الإغريق

الصراحة فى المسائل الجنسية

البهائية ، الرجعية ، الوطنية والعالمية

التجديد فى تركيا

الشرق شرق والغرب غرب

المصريون أمه غير شرقية

دين البشرية

الأزمة الدينية فى العالم

اللغة العربية

المادية

العقل وحده ، غاندى

السفور فى العالم الإسلامى

فولتير ، ها فلوك إليس ، نيتشه

البشرية دين جديد

التعليم

السلفيون والمجددون

أرأيت أيها القارىء المسلم أهذه الموضوعات : هل غادرت قضية واحدة من قضايا التغريب ، ما أحوجنا إلى بحث جامع فى الرد على العدد الأول من المجلة الجديدة !

واليوم وبعض أبناء سلامه موسى يجددون تراث أبيهم نراهم يخافون طبع كتابه (اليوم والغد) لأنه يكشف خطته ومؤامرته على العروبة والإسلام واللغة العربية (وهو كتاب قرأته وأنا فى السابعة عشره) ولكنهم يطبعون كتاب

(الثورات) الذى هو خدمة أساسية للفكرة الماسونية التى تعمل على تحطيم الأنظمه الروحية والاجتماعية والأخلاقية فى العالم الإســلامى ، معليا من شأن الثورة الفرنسية على أساس أنها قمة الثورات ، وإعلان الإعجاب بها مع عدم تعمق الفهم للدوافع والغايات التى أحاطت بها ، وأنها هى ثورة الماسونية الحقيقية التى أخذت تعد لها منذ عصر فولتير ، وروسو ، وديدرو والتى غيرت وجه أوربا كله فى سبيل تمكين اليهود للخروج من الجيتو وإحلال الإنتماء الوطنى بديلا الإنتماء الدينى ، والقضاء على التنظيمات المسيحية التى حاولت وقف خطرهم وسيطرتهم ، وتحطيم وحدة الجامعة المسيحية فى أوربا ، بل أن البروتستانتين كما يبين من بعد كانوا فى خدمة أهداف الماسونيه والصهيونية وأنهم حتى الآن هم المؤيدون لفكرة وجود اليهود فى إسرائيل » .

وبعد فإن مفتاح شخصية سلامه موسى هى كراهيته للإسلام والعمل فى كل معسكر معاد له ، ويبدو أن سلامه موسى حين ذهب إلى لندن جندته الماسونية العالمية فى ذكاء خارق وإستغلت نحلته على النحو الذى أستغل شبلى شميل فى مهاجمة الدين بصفه عامة والإسلام بصفه خاصة .

نظرية داروين

كانت نظرية داروين من أولى السموم التى طرحها الفكر الغربى الوافد فى أفق الفكر الإسلامى ، لقد جاءت مع الرياح الصفراء التى هبطت على بلاد المسلمين بعد الأحتلال البريطانى لمصر ومع مقدم جماعة خريجى الأرساليات التبشيرية : صروف ونمر ومكاريوس أصحاب المقطم والمقتطف ، ومعهم الدكتور شبلى شميل الذى كانت مهمته الدعوة لنظرية داروين والذى ترجم أشد الكتب الغربية تطرفا فى فهم هذا المذهب كتاب « بخنر » الذى يعد من أشد المتطرفين فى المذهب المادى الملحد .

وهكذا كان شبلى شميل رائد هذه المدرسة التى سار فى طريقها فرح أنطون ، واسماعيل مظهر وسلامه موسى مع اختلاف فى الفرعيات ومحاولة امتصاص سخط المسلمين ، حتى كان أصحاب المقتطف حملة رسالة التغريب وأعداء اللغة العربية والقيم الإسلامية

الأساسية كانوا يظهرون الخلاف معه ، وذلك أنه درس الطب ولم يدرس العلوم الطبيعية ولكنه بعد أن سافر إلى أوروبا وقع الحادث الذى غير حياته كلها فقد التقى هناك بأحد علماء المادية ذلك الذى استطاع أن يدفعه فى عنف نحو ذلك الطريق الذى جرى فيه ليصادم عقائد الأمة وأن كان خلافه فى الأساس قائما مع معتقداته فى مجال الفكر النصرانى الغربى .

لقد لقى أحد علماء المادية الذى قال له كلمة هدمت معتقداته هدما ، لقد كانت حملة شبلى شميل على النظم الأجتماعية والقيم والدين المنزل أساسا ولم يكن مذهب دارون ودراسته ألا مدخلا إلى هذه الحملة المادية التى كان يراد بها أن تجتاح الإسلام أساسا ، وتقيم فلسفة الإجتماع على القوانين الطبيعية ، ولقد واجه السيد جمال الدين الأفغانى هذا المذهب عندما نشره الإستعمار البريطانى فى الهند وفى مصر بكتابه (الرد على الدهريين) وتناول الرد على شميل كثيرون فى مصر والبلاد العربيه فى مقدمتهم العلامه فريد وجدى الذى وهب حياته لمهاجمه الفلسفه المادية وكشف زيفها .

ولقد حاول اسماعيل مظهر أن يقدم منهج النشوء والارتقاء على أنه ليس معارضا للأديان فى محاولة أخرى لتقبله بين الجماهير ولكنه فشل ، كذلك فقد عرض سلامه موسى نظرية التطور ولم تلق رواجا وقابلها الناس بمزيد من العبث وعدم الثقة فقد كانت تخالف مفهوم خلق الإنسان الذى جاء به القرآن الكريم واضحا صريحاً حين أعلن أن الإنسان خلق مستقلا تمام الاستقلال عن الأنواع الأخرى .

ولقد عرضت القوى الاستعمارية (نظرية التطور) ومفاهيم دارون على دراسات العلوم الطبيعية فى أغلب بلاد العالم الإسلامى ، وأحدثت آثاراً بعيدة من الشكوك والازدواج بينها وبين مفاهيم الإسلام عن قصة الخلق وقد تعالت الصيحات فى الغرب تطالب بإسقاط هذه النظرية من مناهج الدراسة وفى الغرب رفعت القضايا فى المحاكم للفصل فى هذا الأمر .

أولا : ليس الخطر الحقيقي في نظرية (دارون) ، ذلك أن دارون نفسه أعلن أنه على غير يقين من دعواه عن الصلة بين القرد والإنسان ، وقد قال في صراحة تامة : أن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها ، ولكن الخطر في علماء الفلسفة المادية الذين يصدرون عن مفاهيم التلمود والذين يطمعون في إسقاط صفة الانسانية عن البشرية وإحلال صفة « الحيوانية » عليها ، فهم الذين حملوا هذه الأفكار ووسعوها ودفعوها دفعا وفرضوها على علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والدين والأدب ، كمنطلق للصهيونية اليهودية الراغبة في تدمير المجتمعات الانسانية بنشر دعوى المادية والحيوانية وغيرها ومن هنا إصطنعت فكرة (التطور المطلق) الذي يعارض طبيعه الحياة ومفهوم الفطرة ومقررات الدين الحق ، ومن الجائز أن يكون (دارون) لم يكن يدري مدى الخطورة من وراء قوله بأن الأجناس كلها من أصل واحد ، وأن الانسان من أصل حيواني فإنه قد فتح بابا خطيرا من الشبهه التقطه أعداء الانسان وساروا به للدعوة إلى « حيوانيه الانسان » الذي كرمه الله تبارك وتعالى وفضله على كثير من خلقه ولم يتنبه دارون إلى مفهوم الدين الحق الذي أعلن كرامه الانسان وإستخلافه في الأرض ولقد كان لنظرية التطور وتحولها من نظرية بيولوجيه إلى نظريه إجتماعية أبعد الأثر في ضرب القيم الثوابت ومنها العقيدة والشريعة والأخلاق .

ثانيا : أن دارون لم يفهم العلاقة بين الطبيعه والانسان ولقصور نظرته وقلة أداته أكبر من شأن التنازع (تنازع البقاء) وقد حال هذا بينه وبين رؤية (التعاون) بين الحيوان والنبات الذي هو أوسع وأكبر من التنازع .

ويرى العلماء أن (دارون) أخطأ خطأ فادحا عندما زعم أن تنازع البقاء هو كل شيء ، أو يكاد يكون كذلك ، فقد تبين للعلماء أن التعاون في الطبيعة أكثر من التنازع بل لا يكاد يكون هناك تنازع في عالم الحيوان بالمعنى البشري الذي نفهمه لهذه الكلمه .

ثالثا : فساد نظرية الانتخاب الطبيعى التى جاء بها دارون فقد أعلن العلماء فى الأخير : أن هذا التفسير الذى تقدمه نظرية التطور والارتقاء قد اهتزت أساساته من جذورها ، وقد انفتح الباب أمام نظرية جديدة تفسر اختلاف أجناس المخلوقات .

ويقول جين روستند (عضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم وعميد علماء البيولوجيا الفرنسية) أن نظرية التطور التقليدية بمعناها الحرفى قد غدت الآن شيئا ماضيا ، وأنه لا يجوز تفسير التطور بمثل هذه التعبيرات السطحيه التافهة كاصطفاء الطبيعة للجنس الأصلح لمجرد أن علماء البيولوجيا قد أخفقوا حتى الوقت الحاضر فى إثبات ما إذا كان بالمستطاع التأثير على تغير الأجناس أو التحكم به أو خلقه عن طريق العملية نفسها .

رابعا : راجع العلماء مفهوم التطور المطلق الذى أضفى على نظرية التطور فأثبتوا أن حقائق الأشياء ثابته لا تتغير وإنما الذى تغير هو الصور فقط فنزعة الطعام لا تزال ثابتة وإنما الذى تغير هو صور الطعام وكذلك فيما يتعلق بنزعة اللباس والقتال واتخاذ السكن، وبرهنوا على أن التطور ليس قانونا أخلاقيا وليس كل طور أفضل من الطور الذى سبقه فإن التطور قانون اجتماعى يتحرك فى إطار الثوابت ولا يقتضى مطلقا تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقه والتطور غير التطوير ، والتطور ليس كله تقدما والجديد ليس الأصلح دوما ، وهم بذلك قد زيفوا زعم (سبنسر) بأن التطور الاجتماعى تطور حتمى لا شعورى .

خامسا : كشف الباحثون أن الدارونيه قد استغلت فى محيط السياسة مما أدى إلى إيجاد جو مضطرب أطلت منه مذاهب العنصرية ، فقد كان قول دارون بأن العناصر الضعيفة يجب أن تموت أو تستأصل مما استغلته حركه الاستعمار العالمى كنظرية لتطبيقها على البلاد المحتلة .

سادسا : اتخذت نظريه التولد الذاتى (التى قال بها دارون ولامارك وأرنست

هيكل) منطلقا إلى الالحاد وجعلها البعض سندا فى انكار العقيدة الدينية ، وأتخذت منها فلسفة ضالة لنفى الخالق وإعطاء المادة صفة القادر على كل شيء ومن ثم دعا هيكل إلى (تأليه الطبيعة)وإنكار وجود الله تبارك وتعالى والقول بوحدة الوجود .

سابعا : اتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على الأديان والقوانين وذاتية الأمم باعتبار أن كل شيء بدا ناقصا شيئا يثير السخرية والإحتقار ثم تطور فلا قداسة إذن لدين ، ولا وطنية ولا قانون ولا لمقدس من المقدسات وبدا كأنما أخرجت النظرية لخدمة رجال الاستعمار والسياسة أكثر مما أخرجت لعلماء الأحياء نقد تركت آثار الصراع من أجل البقاء فى أوساط السياسة والحرب ، وكان لمبدأ بقاء الأصلح أثره فى مخططات الاستعمار وإبادة الأجناس المغلوبة على أمرها ، وظهرت من خلال نظرية التمييز العنصرى والاستعلاء باللون ، وفكرة الشعوب المختارة (الألمان واليهود) ، صيغت من خلال ذلك نظرة القوة عند (نيتشه) ومن ذهب مذهبه من علماء الجرمان ، وبها انتفع دعاة الارستقراطية فوجدوا فيها سلاحهم فأعلنوا أنفسهم بأنهم الممتازون والمختارون الذين ورثوا مزايا الأمه سادة البشر ومالكى العروش وصانعى التاريخ،وتلقفها معلنوا الحرب على الأديان فأخذوا يضربون بها جدار الدين ويعلون من شأن العلم عليه .

ثامنا : أكد العلماء أن التطور قانون إجتماعى وليس قانونا أخلاقيا وإنه يتحرك فى دائرة الثوابت ولكنه لا يقتضى مطلقا تفضيل تطور الأخير على الطور السابق له فليس كل طور أفضل من الطور الذى سبقه ، لأن التطور فى الحياة قد يكون إرتقاء وقد يكون ترديا وإنتكاسا .

تبين من عبارة بروتوكولات صهيون ، أن دارون ليس يهوديا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها فى تحطيم الدين ، لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم يتبين من هذه العبارة الهدف من

هذه العبارة الهدف هو ترويج نظرية دارون ، ولما كان كل باطل لا يستقر ولا بد أن تحترقه عوامل الفساد فقد تكشف اليوم وبعد مائة سنة فساد نظرية دارون ، وقد أعلن العلماء أنها أسطورة قد إنهارت ، كذلك فقد أثبتت الحفريات التي ظهرت في مختلف البقاع ، إن الانسان خلق خلقا مستقلا وأنه لم ينحدر من فصيلة القرد ، وقد عارض العلماء البيولوجيون إفتراض أن الخليقة كلها من أصل واحد وأن الانسان فرع من فصيلة الحيوان في أرقى درجات وهو القرد، وعرف أن قوى كبرى كانت وراء ترويج ذلك ، وقد جاء العلماء اليوم ليعلنوا في صراحة تامة أنه لا علاقة للانسان بالقرد ولا تجانس بينهما .

أولا : البحث العلمي أسقط النظرية :

(١) جال بيغتو رئيس المجمع العلمي الفرنسي : لقد وقف هذا العالم نصف قرن تقريبا على دراسة أصل الانسان وإستطاع أن يؤكد أخيراً أن الانسان ليست له علاقة تجانس بالقرد وأن النظرية التي تقول بذلك مفتقرة إلى البرهان الحاسم ، وأن هذه المشابهات بين القرد والانسان غير كافية للجزم بوجود أصل مشترك للانسان والقرد .

ثانيا : الحفريات أسقطت النظرية :

(٢) الدكتور رونالد جونسون : أستاذ علم الأجناس البشرية يقول : أن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بنسبة ٩٩٫٩٩ ٪ من الدقة أن الانسان سار منتصبا على قدميه منذ بداية تاريخه الانساني منذ ثلاثة ملايين سنة ، أعلن ذلك في مؤتمر صحفي (مارس ١٩٧٤) وهو يمسك في يديه بخمس قطع من العظام يرجع تاريخها إلى ثلاثة ملايين سنة عثر عليها في أواخر عام ١٩٧٣ في أثيوبيا ، وقد ظهر الانسان كائنا فريدا في نوعه وسط دنيا من الوحوش الكاسرة ،وأن هذه العظام قد سدت الثغرة التي ظل العلماء يتحدثون عنها تحت إسم « الحلقة المفقودة » وأن ما وصل إليه الدكتور رونالد جونسون كان خاتمة حفريات كثيرة تمت خلال سنوات ١٩٦٩ وما بعدها في كينيا ووادي أفار في الحبشة ومن أهم ما تقرر أن

الجماجم فريدة فى نوعها تتميز بسعة الدماغ مما جعل العلماء يخرجون بانطباع عام وهو أن سلالة مشتركة تطورت مع إنما كانت له سلالته الخاصة المستقلة .

(٣) الدكتور بير برسون الأخصائى فى علم الوراثة (جامعة اكسفوود) أصدر بالاشتراك مع ثلاثة من زملائه قانونا اشتهر بإسم « قانون القرد » حظروا فيه على المدارس والجامعات أن تدرس المذهب الداروني — مذهب النشوء والارتقاء — وذلك لبطلان النظرية التى كانت تقول : أن الانسان هو الحلقة الأخيرة من تطور انطلق من أول أنواع القرود .

وبالجملة فقد أصبح العلماء الآن عن طريق الكشوف الأثرية وتقريرات العلم التجريبى — لا الفلسفة — متأكدين مما جاء به الدين الحق وجاء به الاسلام من أن الانسان خلق مستقلا وأنه سيد المخلوقات ، وصدق الله العظيم « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ومع ذلك فإن البحث لم يتوقف لتأكيد فساد نظرية دارون ففى السنوات الأخيرة رويت تجربة العالم ليكى مدير المتحف الوطنى فى كينيا التى استمرت ثمانية وعشرين عاما قبل أن يصل إلى اكتشافه العام وكان أول إكتشافاته عام ١٩٥٩ عندما عثر على جمجمة وبقايا عظام متحجرة فى شمال كينيا لها صفات تختلف كثيرا عن صفات القردة ثم اكتشف بعد ذلك جمجمة لانسان أسماه (هوموهاپلس) أى الرجل البدوى ومن عام (٦٠ — ١٩٦٤) اكتشف مجموعة من المخلوقات فى جبل كينيا وهى تتميز بأصابع سبابة تشبه أصابع الانسان وحجم مخه أكبر ثم اكتشف ليكى فى أحد جبال كينيا جمجمة وعظاما هزت الأوساط العلمية إذ بعد قياس عمرها الجيولوجى بواسطة أجهزة الاشعاع الذرية وجد أنها ترجع إلى مليون وستمائة ألف سنة تقريبا وأهم مايميزها هو حجم المخ فقد وجد أنه حوالى ٨٠٠ سنتيمترا أى ضعف حجم مخ القرد الجنوبى ويزيد عليه مليون سنه .

ثم أذاع العلماء بعد ذلك ما يلى :

أولا : أنه لا يوجد دليل على واحد من ألف على أن الانسان من سلالات القرود وأن الانسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً .

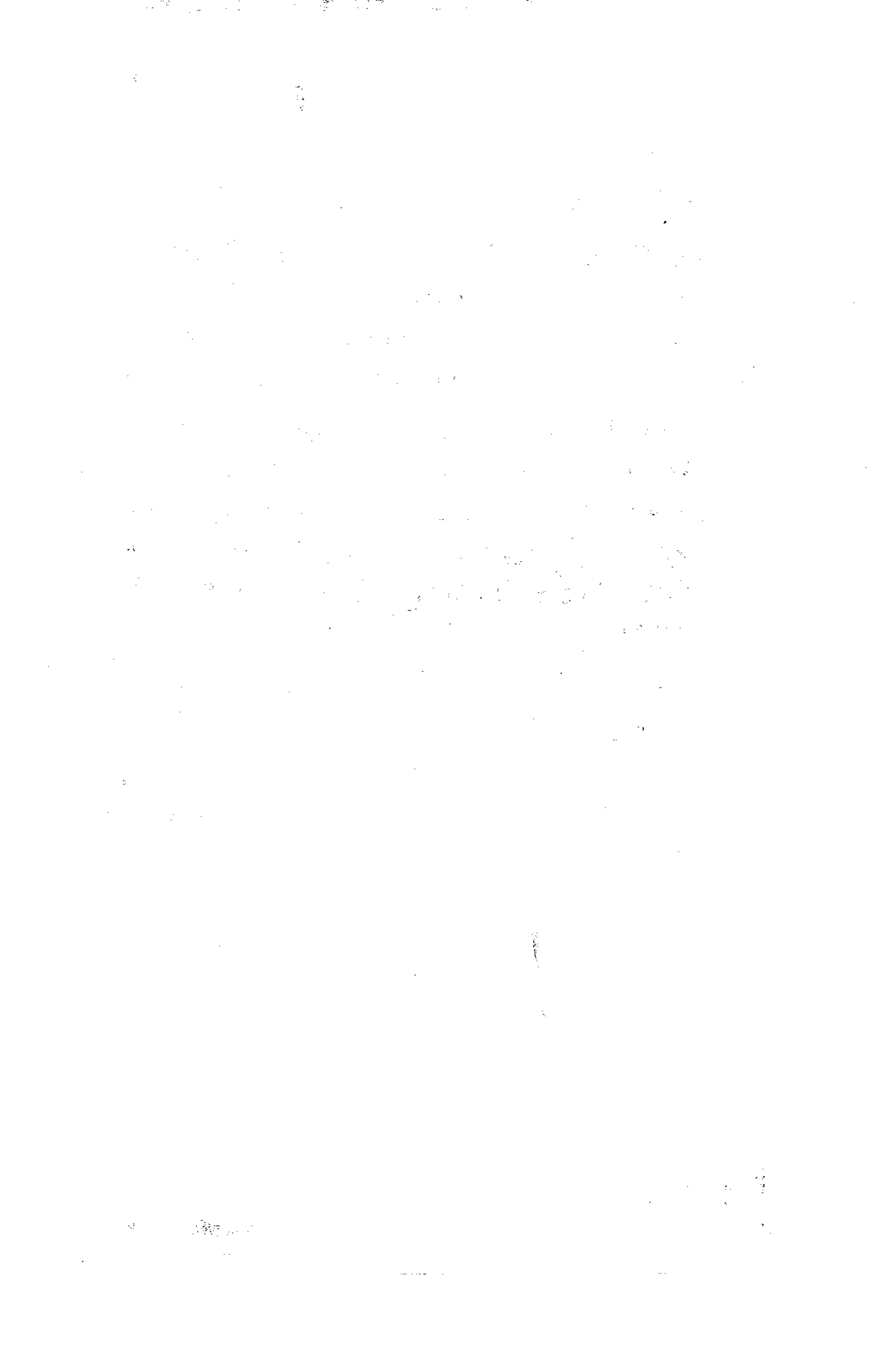
ثانيا : الكائنات إنما خلقت مستقلة استقلالا تاما فمنها الحيوان الذى يمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطنها .

وصدق الله العظيم إذ يقول (ومنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء) .

ثالثا : أعلن العلماء ظهور الكشف العلمى الذى هدم نظرية التطور هدما تاما وهو اكتشاف وحدات الوراثة التى أثبتت إستحالة تطور الكائن الحى وتحوله من نوع إلى نوع آخر ، فقد ثبت أن هناك عوامل وراثة كامنة فى خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه وتحتم أن يظل فى دائرة النوع الذى نشأ فيه فلا يخرج قط من نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوراثة هو الإرتقاء فى حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر .

هذا الكشف العلمى هو الذى أعدم نظرية داروين وأقبرها وقضى عليها .

ويبقى بعد ذلك أن نقول أن كل ما كتبه سلامه موسى فى هذا الموضوع هو من ركام الزيف .



الفصل التاسع

زكى نجيب محمود

(١)

كان السؤال فى الندوة عن مخططات التغريب والغزو الثقافى فى هذه المرحلة لمواجهة حركة اليقظة الإسلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبشير ، وافتضاح كل خيوط المؤامرة التى جند لها عدد كبير من التغريبيين بقيادة (المعلم) طه حسين . ثم تحطمت كل هذه المخططات قبل رحيله .

والحقيقة أن النفوذ الأجنبى قد غير جلده بعد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاً جديداً بانتقادات جديدة بعد أن هلك هذا التغريبى الكبير ووضع أمر ذلك فى عدة خطوات اتخذت بسرعة لتغطية الفراغ . . منها عقد مؤتمر ثقافى مغلق فى الكويت ضم مجموعة من اتباع الاستشراق والتغريب ، واليساريين ، واتباع الفلسفة المادية . وكان على رأسهم (زكى نجيب محمود) و (محمد النويهى) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذى كان يمر فى السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضار .

وكذلك كلف المستشرق (جاك برك) بالطواف فى البلاد العربية .

ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين فى محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطمت هذه تماماً نتيجة للأبحاث التى كشفت عن دخيلته وخاصة ما كتبه محمود محمد شاكر ومحمد نجيب البهبيتى وكاتب هذه السطور .

كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام فى عهد هيكل أن تجمع فى نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمثال توفيق الحكيم الذى وصف إسرائيل بأنها دولة متحضرة . وحسين فوزى الذى تنكر لعروبته واعتز بفرعونيته ورضى لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراة من جامعات العدو . ونجيب محفوظ الذى عرف بتلمذته لزعيم التغريب سلامة موسى وهى ما تزال تحتفظ بهم إلى اليوم بعد أضيف إليهم أنيس منصور ويوسف إدريس .

وقد بدا فى السنوات الأخيرة أن الأضواء كلها قد ركزت تماماً على الدكتور زكى نجيب محمود كقائد لهذه الكتيبه التغريبية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن أنه أعاد النظر فى التراث الإسلامى (وأسماه العربى) فى محاولة لخداع البسطاء ولتغطية ماض طويل فى الفكر المادى كانت قمته كتابه المعروف (خرافة الميتافيزيقا) أى بمعنى صريح إنكار مفهوم الغيب الذى جاء به الإسلام والادعاء بأنه خرافة. وإنكار كل ماسوى المحسوس والمعقول متابعة فى ذلك للمذهب الفلسفى الذى أعتنقه طوال حياته مقلداً فى ذلك فيلسوفاً أوربيا مادياً ملحداً ينكر الأديان المنزلة ويفاخر بأنه يمثل مدرسته (أوجست كونت) . وفى طريق كسب الأنصار والتقرب إلى الشباب الواعى المثقف يتحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن الايمان بالله وعن الايمان باليوم الآخر ، وعن أعلام التراث : الغزالى وغيره ، ذلك كله محاولة لالقاء حاجز بين الماضى والحاضر وإحراز الثقة التى تمكنه من بث المفاهيمه وآرائه .

ونحن لا نتهم أحداً فى عقيدته ولا نتعقب العورات ولا نلتقط ما تتكشف عنه السرائر من وراء الوعى ولكننا نقرر بداءة بأن المنهج الذى يدعو إليه زكى نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة وخاصه بالنسبة لتلك القضية الكبرى التى يثيرها فى كل كتاباته وهى مسألة العقل والعقلانية فالإسلام لا يعطى العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . وإنما يرسم للعقل طريقاً كريماً فى ضوء الوحى . والعقل فى الإسلام مناط التكليف ولكنه ليس حكماً على كل شيء ، ذلك لأن العقل أداة تصلح تكوينها وتفسد إذا تكوينها . وهى إن اهتدت بالوحى أضاءت وأشرقت عليها أنوار الفهم . أما إذا اهتدت بالفكر البشرى، فإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل أهواء النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذى يدعو إليه زكى نجيب محمود نظرية مادية صرفة ومرفوضة تماماً . وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والتغريبيين يعتزون من التراث بالجانب الخاص بالمعتزلة فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا إنحرافاً فى مفاهيم الفكر الإسلامى . فالمعتزلة خرجوا عن مفهوم الإسلام الجامع المتكامل بين العقل والقلب، والروح

والمادة ، والدنيا الآخرة . وأعلوا مفهوم العقل . فانحرفوا وتحطموا وحكمت عليهم الأمة كلها بأنهم خرجوا عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا الخلفاء على المسلمين والعلماء . وقد هزمهم الله شر هزيمة على يد الإمام أحمد بن حنبل ، وأعاد الإسلام مفهومه الأصيل الجامع .

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعوة إلى التصوف كمنطلق وحيد لفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها ولقد كان هوى زكى نجيب محمود فى دراساته فى التراث مع ذلك المفهوم العقلانى الذى انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذى استمد مادته من الفلسفات اليونانية الوثنية المادية ، والالحادية الإباحية التى غامت سحابتها على الفكر الإسلامى ثم انقشعت تحت تأثير أضواء المفهوم القرآنى الأصيل .

كذلك فإن مفهوم الدكتور زكى نجيب محمود للألوهيه مفهوم قاصر وقاصر لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذى أورده فى مقاله فى الهلال) .

لقد مرت البشرية بمراحل كثيرة فى فهم الألوهية ناقصة ومنحرفة وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق فلم يعد هناك مجال لإعادة ترديد هذه المفاهيم بعد مرور أربع عشر قرنا على نزول دعوة التوحيد الخالص .

إن الذى يقبله شباب الاسلام اليوم الباحثين هو مفهوم الله الحق لامفهوم الآلهة كما فهمه الوثنيون أو الملحدون ، أو المشركون الذين كانوا يؤمنون بالله خالقا ولا يؤمنون به مصرفاً للأمور كلها . . وقد جاء الإسلام ليكشف هذه الحقيقة وحدها ، ويدعو إليها : (إسلام الوجه لله) .

أما مفهوم الإيمان بالله على النحو الذى كتب عنه الدكتور زكى نجيب محمود فهو مفهوم عرفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام . ولعل من أكبر الخطأ عرض مفهوم أرسطو وافلاطون فى الألوهية ومحاولة تفسيره بمفهوم الإسلام مع أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك بل إن القرآن الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية والوثنية والغنوصية لنقصها وقصورها . وخاصة

ما أدعاه هؤلاء من أن الله تبارك وتعالى يدير ظهره للكون ولا يعلم الجزئيات ، وأن المادة خالدة إلى غير ذلك من تلك التفاهات ، بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون للألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأصنام) فكيف يقدم هذا المفهوم للشباب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحقة ؟! ولقد كشف علماء المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشرى ونقصه . وكيف أنها منحرفه . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس) .

وأن هذا الكون ليس مخلداً ، ولا باقياً ، وأن له نهاية كما كانت له بداية ، وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الكون لحظة ، ويديره ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقوله الفلاسفه هراء .

المسلمون يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيرت مفهوم الألوهية الحقة (الله رب العالمين) فنسبه البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود وربهم وحدهم . وقال الآخرون بأن لله ولداً وكذبوا « ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه »

وليس مفهوم الألوهية صحيحا ولا كاملا إلا فى الأسلام وحده فهو مفهوم إسلام الوجه لله (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولقد حاول الفكر البشرى أن يزيف مفهوم الألوهية الحقة . وأخطأت الماسونية حين قالت « المهندس الأعظم » وهناك انحرافات الباطنية والماديين والوجوديين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على النحو الذى عرف عن كثيرين . وهناك مفهوم الإسلام بوصفه ديناً لاهوتياً . والحقيقة أن المطلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى ولكن المطلوب معرفة حقيقة هذا الوجود بعيداً عن هذه المفاهيم المنحرفة ويستتبع الإيمان بالله تبارك وتعالى ، الإيمان بشريعته .

ولكن الدكتور زكى نجيب محمود لا يلبث أن ينتقض من شأن هذه الشريعة

ويصفها بأنها قاصرة ومجافية للعصر ويطالب بتخطيها فى سبيل تحقيق المعاصرة ، وهو يقبل بالحضارة الغربية كما كان يقبل بها سلفه طه حسين (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب) فما عرف عنه أنه دعا المسلمين إلى أخذ العلوم مثلا دون أسلوب العيش ولكنه يدعو إلى شيء غريب هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة وهو ادعاء باطل وظالم .

فكيف يمكن أن يقال لأصحاب القرآن الذى وضع منهجاً للحياة والمجتمع غاية فى الأحكام جربته الشعوب والأمم ألف عام فأقام لها حياة الرحمة والعدل والأخاء البشرى . كيف يمكن أن يقال لهذه الأمة إنها لا تمتلك منهج حياة .

وكيف يقبل وهو العقلانى الحصيف هذا المنهج الذى يعيشه الغرب سواء الغرب الليبرالى أم الماركسى فى ذلك الخضم العفن الفاسد المتآكل من الشهوات والإباحيات والانحراف والتحلل والضراوة بشهادة كتاب الغرب والشرق على السواء .

وكيف يغضى وهو الأمين على الكلمة عن أزمة الحضارة وأزمة الانسان الغربى . وقد قرأ عشرات من الكتابات آخرها ماكتبه (سلجوستين) ودمغ به حضارة الغرب التى يكبرها زكى نجيب محمود وحسين فوزى وتوفيق الحكيم . ويفخرون بها ويغوصون بأقلامهم فى تلك الحمم من الدماء والعفن والفساد . وهم يقولون لا إله إلا الله على الأقل وراثة ، ويرون كيف يقدم الإسلام ذلك المنهج النقى الطاهر الأخلاقى الكريم الذى يرفع من قدر الانسان . وكيف يحق لأمة تحمل لواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخلى عن رسالتها فى تبليغ كلمة الله الحق إلى العالمين وتنصهر فى بوتقة الأممية والحضارة المنهارة التى تمر بآخر مراحلها .

وهل من الأمانة أن يدعو هؤلاء أمتهم إلى هذا وهم روادها والرائد لا يكذب أهله ولا يغشها . إن مسئولية القلم وريادة الفكر وهى أضخم المسئوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب ، وقد كان أولى بهم جميعاً أن يصدقوا أمتهم

النصح ويدعونها إلى أن تقيم حضارة الإسلام مجددة فى إطار (لا إله إلا الله) والأخلاق والرحمة والأخاء الانسانى وأن يلتمسوا أسلوب العيش الإسلامى ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً نقياً تتطلع إليه النفوس والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها من جديد . ولن يكون غير الإسلام . وسوف يدمغهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير مؤتمنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم فى سجل الذين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوا لأمتهم وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد مناهجه وأساليب حياته ، وعرفوا أن هذه الأمة الإسلامية الكريمة على الله أعز من أن تسحق فى أتون الشهوات وأن تدمر بأيدى أبنائها ودعاتها الذين تلمع أسماؤهم وتخدع الناس شهرتهم .

إن الدكتور زكى نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامى ذلك الفهم الذى جعله يكرم أمثال (ابن الراوندى) و (مزدك) ، و (مانى) ، و (الحلاج ، و (الباطنية) ، و (الشعوبية) و (إخوان الصفا) وتلاميذهم .

كذلك فهو مؤمن بمجموعة من المسلمات الخاطئة من عصارة مفاهيم الفكر البشرى الوثنى المادى فضلا عن أن إيمانه بالعلم والعقل وحدهما وهو فى مفهوم الأسلام قصور شديد عن المفهوم الجامع .

وإنى لأسأل الدكتور زكى نجيب محمود : هل يؤمن بالوحى ؟ هذا هو مقطع المفاصلة بيننا وبينه . وإذا كان يؤمن به فلماذا لم يعلن فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) ولماذا لا يؤمن بهذا الوحى الذى جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة ؟

وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود قد تراجع عن « خرافة الميتافيزيقا » وغيرها من آرائه . أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفه بعض الناس .

إن محاولة انتحال مكان طه حسين اليوم هو أمر مضيع . فقد انتهى ذلك العهد ومضى

الناس وخطت حركة اليقظة الاسلامية خطوات واسعة فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الزائفة التى قدمها الآباء العتاه الذين كانوا يستقبلون أبناءنا فى الجامعات الأوربية وهم من اليهود أمثال مرجليوث ودوركايم وغيره .

أما قول الدكتور زكى نجيب محمود أن الثقافة الاسلامية فى العصر العباسى قد اغترفت ثقافات الدنيا بغير حساب فهـــو قول باطل . لقد وقفت الثقافة الإسلامية موقف التحليل والغربلة لكل ما ترجم ، وأخذت منه ما وجدته صالحا ومطابقاً لمفهوم التوحيد الخالص . أما ما عدا ذلك فقد رفضته وشنت عليه حرباً عنيفة ، وأخرجت دعاته من طريق الفكر الإســـلامى فأطلقت عليهم اسم (المشـاقون المسلمون) إعلاناً لتبعيتهم للمشائين اليونانيين ، ولم تقبل منهم ما جاءوا به .

وأعلن المسلمون أن منهج اليونان أو منهج الغنوصية الشرقى كلاهما باطل وأن للإسلام منهج خاص مستقل كما نفعل نحن اليوم إزاء مايقدمه التغريبيون من فكر الشرق والغرب عـا هو ليس مقبولا فى الإسلام بحـال . كذلك فإن نظرية زكى نجيب محمود بالتوفيق بين المترجم الوافد الغربى وبين المجدد من التراث الإسلامى (وهو ما يسميه بالعربى استنكارا) هـذه نظرية ليست مستحدثة بل هى نظرية طه حسين وهيكل والزيات وغيرهم . وهى نظرية اتضح بطلانها . أما ما تعارفت عليه اليقظة الإسلامية فهو أن يقوم أساس إسلامى أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع) وفى ضوئه يحاكم التراث كله والوافد كله ، ولا يقبل إلا ما يزيد المنهج قوة ودعماً مع الاحتفاظ بأسلوب العيش الإسلامى (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) ودعوى زكى نجيب بالمواءمة مرفوضة . فالمسلمون على استعداد التضحية بالتقدم المـادى فى سبيل الاحتفاظ بالقيم الأساسية التى هى فى حقيقتها ليست معوقة للتقدم المـادى ولكنها حائلة دون فساد الحضارة الغربية وزيفها وانحلالها الذى يود هؤلاء القوم إغراق هذه الأمة فيه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(٢)

يتابع الدكتور زكى نجيب محمود دعوته إلى « التغريب » فى مقالات أسبوعية محومة على نفس مفهوم الدكتور طه حسين (أن نأخذ الحضارة حلوها ومرها) ولكنه لأن الوعى الإسلامى أصبح قويا يتنازل عن فكرته التى ظل يدافع عنها ويدعى أنه قرأ التراث وأنه يقبل — فضلا منه ومنة - أن نأخذ التراث ونأخذ حضارة الغرب ، أما الأخذ من الغرب فهو بدون تحفظ ، إما التراث فيمكن أن نأخذ منه مايتفق مع العصر ،أن كلمة التراث التى يستعملها عملة زائفة ومغشوشه ، لأنه يجعلها بديلا للاسلام (القرآن والسنه) .

فهو يضمها جميعا تحت كلمة (التراث) مع أن التراث هو العمل البشرى الذى قام به المسلمون فى تفسير وشرح القرآن والسنه تحت إسم الفقه وتحقيق السنة وتفسير القرآن وغيره من العلوم .

إن الدكتور زكى نجيب محمود لم يطور نفسه كما ينبغى لتصبح مقبولا لدى الشباب المسلم اليوم لأنه مازال يكتب بأسلوبه الجاف الذى أنشأته دراسته للفلسفة (الوضعية المنطقية) فلا يستطيع أن يتحرج منها ويقف الجفاف عثرة أمام دعوته ، يقول : (المصدر الذى استقيت منه معظم ثقافتى هو الثقافة الأوربية بصفه عامة والانجليزية بصفه خاصة) وقد لبثت مع الأسف الشديد طويلا وأنا لا أعرف من التراث العربى إلا شذرات ، حتى تنبهت له منذ سنوات .

نعم ، لقد كان لابد أن يتحدث عن التراث (ليخدع) إناسا مثل الذين خدعهم طه حسين حين كتب (هامش السيرة) إن القيادات التغريبية تريد أن تجعل الأمور أكثر يسرا ، ولكن زكى نجيب محمود لم يطور نفسه كما ينبغى مع تطور النقطة الاسلامية من ناحية ومع تطور الفكر الانسانى نفسه وظهور عوامل كثيرة

تجعل الغرب يعيد النظر فى فكره ، إن زكى نجيب محمود لا ينظر إلى الظواهر الخطيرة التى تبدو فى كتابات فيلسوف العصر جارودى والطبيب بوكاى .. ويصر على قديمه ويعد الأساليب خدعة مع بقاء المضمون الذى يملأ نفسه فى عناد .

إنه يتحدث عن العلم وهو يعنى الفلسفة ، إن ما يدعو إليه ويسميه العلم ليس هو العلم ، فالعلم هو ما يجرى فى المعامل ، أما الفلسفة فهى محاولات الخداع بفرض الفلسفة المادية فى ميادين العلوم الانسانية والأخلاق والاجتماع والنفس .

واصراره على [تقديس العقل] يوجد له نفوراً شديداً فى بيئة الاسلام ، ذلك لأن الإسلام لا يقدس العقل ولكنه يؤمن بأن العقل مناط التكليف ولكن له حدوده وهو يهتدى بالشرع ولا يستطيع أن ينفرد بتوجيه لأنه إذا وكل إليه الأمر أخطأ وإنحرف ، لأنه فى الحقيقة إبن بيئته التى شكلته وليس له قدرة إستقلالية فى الحكم على الأمور ، وهو مدخل كبير للهوى والزيف والانحراف .

إن زكى نجيب محمود يخطىء حين يدعو المسلمين إلى أخذ التكنولوجيا والعلوم الحديثة مفروضة مع فكرها ، والمسلمون لا يأخذون أدوات الحضارة ولهم أسلوب عيش خاص بهم وكذلك فعل الغربيون حين أخذوا أدوات الحضارة من مسلمى الأندلس .

كذلك يخطىء حين يظن أن المسلمين أخذوا ثقافة اليونان وبنوا عليها فكرهم (وقولى : أن الثقافة الاسلامية أخذت بغير حساب كل ما عرفته الدنيا من ثقافات وأجرتها فى شرايينها) قول باطل فهى حين أخذت غربلت ونقدت وكشفت وجه الخطأ وكل ما أخذته إنما أخذته كمادة خام لهـا حرية تشكيلها فى إطار مفهومها الاسلامى الذى تختلف عن أرجانون اليونان الذى يقوم على العبودية والرق بينما يقوم مفهوم الاسلام على التوحيد والعدل والاخاء البشرى .

وكما تخطىء مفاهيمه للعقل تخطىء مفاهيمه للتقدم (الذى هو عند المسلمين جامع بين المعنوى والمادى ولا يضحى بالمعنوى من أجل المادى) ومفهومه للاصالة

والمعاصرة ناقص من حيث يقول : لا بد من مصدرين هما التراث وحصاد الفكر الأوربى وتلك معادلة فوق أنها ساذجة لم يعد يقبلها الآن أحد فى باطله ، فما هو التراث (هل هو تراث الباطنية والمعتزلة والشعوبية الذى أغرم به زكى نجيب محمود فعاش مثلا فترة يدرس مسيلمه الكذاب كما قال فى الجزائر وهل تكفى عبارة (حصاد الفكر الأوربى) لقبوله بكل ما فيه من سموم وفساد وإنحلال ، إنه لا يتحدث عن أى تحفظ عندما يتحدث عن حضارة العصر فهو يقبلها كاملة ، ونقول للدكتور زكى أن هذه المعادلة لم تعد مطروحة اليوم ، وكان يقول بها البسطاء من المفكرين المسلمين قبل خمسين سنة عندما لم يكونوا قد اكتشفوا المؤامرة التى تبحث عن العبارات الساذجة ، كذلك لم يعد هناك هذا التقسيم الذى يتحدث عنه جماعة يسدون الأبواب فى وجه الثقافة الأوربية وجماعة يدعون إلى إمتصاص الثقافة الأوربية ، بل أن هناك إجماع على شيء واحد : هو عرض التراث والوافد جميعا على قاعدة [بناء الأساس الإسلامية] القائمة على الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع وماذا يقصد زكى نجيب محمود حين يقول (الرأى نأخذه من غيرنا ، فنحن أتباع لا أصحاب آراء مستقلة) من هم غيرنا ، هل هو القرآن والسنة ، أم هم العرب الذين نزل عليهم ، الحقيقة أننا نؤمن منهج ربانى له أسسه وقوانينه وحدوده وضوابطه ولا يكون هناك حين أخذ من الاسلام الرأى أى إنتقاص لوجودنا وكياننا لأننا لا نؤمن بأن لا كيان لنا بدونه وهى عبارة يلوكها التغريبيون ليخدعون بها بعض البسطاء الذين يتحمسون للتبعيه ، أى تبعيه : هل التبعيه للإسلام خير أم للغرب الملحد المادى الوثنى الذى يستخدم هذه الأقلام وتلك الصحف المفتوحة أمام ثرثرتهم التى أصبحت غثة وتافهة ـ ومن أخطائه : قوله أن المسلمين استخدموا منطق أرسطو فى فهم الإسلام وهذا الخطأ جرى تصحيحه منذ وقت بعيد ، وقد أعلن علماء المسلمين أن للقرآن منطقاً (وليقرأ إن شاء إبن تيميه فى منطق القرآن لا منطق أرسطو) وهو يغض من شأن إبداع المسلمين وأصالتهم فى تقديم منهج التجريب ومنهج المعرفة ذى الجناحين من أجل أن يربط ولاء كاذبا مع المدرسة اليونانية بولاء متجدد يراد به مع المدرسة الغربية .

وأخطر تمويهاته هى أنه يتكلم عن العلم وهو يقصد الفلسفة كما فعل طه حسين من قبل ، إن كل ما يتكلم عنه زكى نجيب محمود لا يدخل فى باب العلم ، إن العلم لم ينحرف عن الإيمان بالله ولا يطالبنا بالتبعيه ودعوته (الوضعيه المنطقية) تدور فى حاقتها الموصدة عليه حياته كلها وقد تجاوزتها الفلسفات والأحداث فى الغرب ولكنه مازال مصراً عليها وهى عنده (إنكار الغيب) على نحو ما كتب فى (خرافه الميتافيزيقا) ويقوم على الواقع التجريبى المحسوس وإنكار ما سواه ، والإيمان بالجبر الذاتى والاحتكام الصارم إلى العقل (صنيع الظن وما تهوى الأنفس) .

والوضعية المنطقية منهج مؤداه أن يستخدم العقل وحده وهو مذهب يريد أن يفسر الكون ويفسر الإنسان مع إنكار ما وراء الطبيعة ، وإذا شاء أن يتحدث عن الله تبارك وتعالى كان عباراته هى عبارات أصحاب وحدة الوجود والحلول .

وهو يتناقض مع نفسه فى رأيه فى التراث فيقول : أن العـــودة إلى الشريعة الإسلامية رجعية ، فالعلمانيين الذين لا يؤمنون بالغيب مجددون ، والمؤمنين الذين يصلون الماضى بالحاضر رجعيين ، فالعودة إلى المنابع رجعية والتقدمية هى الانسلاخ من القيم الخلقية وهذه مفاهيم معكوسة .

* * *

وفى جملة الأمر نجد العناصر التالية فى فكر زكى نجيب محمود :

أولا : التبعيه للفكر الغربى ومحاولة إحتواء المسلمين فى إطاره لقبول فكر الغرب لا المدنية والصناعة .

ثانيا : إحياء التراث الذى كتبته الباطنية والشعوبية .

ثالثاً : إعتماد (الوضعية المنطقية) التى هى فلسفة الرأسماليه التى تبرر سيطرتهم على الشعوب

رابعاً : تقديس العقل مما يعارض مفهوم الإسلام الجامع بين العقل والقلب ، والروح والمادة .

إن قضية سلطان العقل قضية مضلله وقد رفضها الإسلام من المعتزله قديما .

خامسا : الجمع بين التراث والمعاصرة ، تراث ينتقى ، وفكر غربى يؤخذ كله .

سادساً : السخرية من الشريعة الإسلامية واعتبار عقوبة قطع اليد أمراً وحشياً يهدد كرامة الآدميين مع عدم فهم الحقيقة من وراء ذلك وهى : الحيلولة دون وقوع جريمة السرقة .

سابعا : مهاجمة حجاب المرأة المسلمة .

ثامنا : الأصرار على فكرة إنكار الغيب (خرافة الميتافيزيقا) .

تاسعا : تعلقه بأهـــداب طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وجميع الملاحدة وإعتبار نفسه إمتداداً لهم .

عاشراً : مفهومه الدينى هو مفهوم وحدة الوجود الذى يؤمن به ميخائيل نعيمه والذى يختلف عن مفهوم الإسلام الحق .

لم يكن الدكتور زكى نجيب محمود معروفا فى الأوساط الفكرية ألا بأنه إستاذ فلسفه فى الجامعه، يعتنق مذهب [الوضعية المنطقية] وهى النظرية المادية التى حمل لوائها فى الفكر الغربى اوجست كونت وكان معروفا أن كل واحد من أساتذة الفلسفة يعتنق مذهبا ما ، فكان عبد الرحمن بدوى يعتنق مذهب الوجودية ، وفؤاد زكريا يعتنق مذهب المادة التاريخية وهكذا ولكننا لم نلبث بعد وفاة الدكتور طه حسين ألا قليلا حتى طلع علينا الدكتور زكى بمقولة جديدة : أنه كان غافلا عن التراث (ويسميه العربى ولبس الإسلامى) ولكنه تنبه إليه أخيراً فدهش لأنه قضى العمر الطويل دون أن يعرف عنه شيئا فلما أخذ فى مطالعته دهش له . ومن ثم بدأت صلته بالفكر الإسلامى وهناك أطلق نظريته الانتقائية التى يرى فيها أن دعاة الباطنية والحلول والأتحاد وغيرهم هم أصحاب الفكر الحر وكان من رأيه أن علينا أن نأخذ من التراث ما نراه مناسبا لعصرنا وندع ما لا نراه مناسبا ، وكان كل مفاهيمه يصدر عن النظرية المادية الغربية التى نشأ عليها وتربى فى أحضانها والتى أصدر من خلالها كتابه « خرافه الميتافيزيقا » أى خرافة الغيب وهو كتاب لم يرجع عنه ولم يعلن فيما بعد أنه قد غير رأيه فيه .

ولم تكن نظريته متقبله فى دوائر الفكر الإسلامى لأنه لم يكن يؤمن أساسا بأن الأسلام منهج حياة أو نظام مجتمع وكان موقفه من الألوهية والنبوة والوحى غامض ولم يكن مفهوم أهل السنة والجماعة .

وكانت بعض الجهات قد أعلنت أن الدكتور زكى نجيب محمود قد اختير ليخلف الدكتور طه حسين فى قيادة حركة التغريب والغزو الثقافى ، ولكن كان على الدكتور أن يجعل كتاباته مقبولة فى نظر القراء وعند ذلك أعلن بعض التنازلات فأخذ يتكلم عن الدين وعن عظماء الإسلام وعن بعض المواقف التاريخية على نحو [illegible] به المثقفين الذين يشعرون أن القول بأن الكاتب [illegible] قد [illegible]

مسلما وهى نفس الخطة التى أختارها التغريب للدكتور طه حسين بعد موافقه الواضحة ضد القرآن والأسلام حين أعلن عن كتابته (على هامش السيرة) .

ولكن الدكتور زكى نجيب محمود يختلف أختلافاً واضحا عن الدكتور طه فهو لا يملك ذلك الأسلوب الموسيقى الرنان الذى يجذب القراء ، لأنه ليس أديبا وليست له حصيلة من القرآن والسنه أو قراءات التراث تؤهله ليكون فى مصاف الدعاة القادرين على إجتذاب الناس بأسلوبهم البليغ ، فضلا عن ذلك فأن الدكتور زكى نجيب محمود يحمل طابعا من والحدة العنف ، والعناد ، لا يليق بالدعاة إلى شيء ما ، فأن طبيعه الدعاة حتى إلى الغزو الفكرى والتغريب أن تكون لهم مرونة فى الحديث وخفه فى الخطو ، وإن لا يصدموا مشاعر الأمة ، وخاصة عندما يجابه الواحد منهم بالرد الكاسح الغاضب لمخالفتة للاعراف الأسلامية أو تجاوزه لما يراه الناس حقا، وقد ظل الدكتور زكى نجيب تتخبط، وقد فتحت له أكبر الصحف صدرها ، ومنعت نشر أى رأى مخالف أو معارض أو مناقش له، وهذا مالم يكن من طبيعة هذه الصحيفه فى تاريخها كله ، لقد أفردت له أكبر الصحف الصفحات واسعة، يصول فيها ويجول، بأسلوب جاف فلسفى، وحوار مغرب تضيق به الصدور ، وينصرف عنه الناس بعد سطور قليله ، فكيف يمكن أن يكون الدكتور زكى نجيب محمود عميدا للتغريب أو خليفه للدكتور طه حسين ، ثم هو حين اصطدم به الناس فى (قضية الحجاب) كشف عن قصوره التام عن آداء دوره المرسوم، وأنكشف عجزه عن مسايره الناس أو اقناعهم وسرعان ما تعرى ذلك (القناع) الذى يلبسه فأذاهو كاتب عنيف جاف لا يصبر على القول المرفوض والدنيا كلها من حوله تشيح عنه ، وما هكذا عهدنا الدعاة ، وإننا لنؤكد أن الدكتور زكى نجيب محمود قد سقط فى الأمتحان وأنه عجز عن أن يحمل لواء زعامة التغريب وعمادة الغزو الثقافى خلفا للراحل طه حسين وأنه إذا كان يظن من نفسه أنه زعيم فكر فما هو كذلك ، وما كان ذلك يوما ، وما هكذا تساق الأبل ياسعد ، وكيف برجل يهاجم تيارا قويا كاسحا ، سليما صادقا ، مرتبطا بالفطرة، متصلا بالايمان ، كيف يمكن أن يصور هذا التيار على أنه تخلف وهل

بلغت المغالطة إلى هذا الحد ، وهل يمكن أن ينتصر دعاة التغريب فى معركة حاسمة كهذه فى مواجهة قيم الامه ودينها وأخلاقها ، ما هكذا يمكن أن تقاد حركة التغريب وما هكذا يمكن كسب الانصار بأغاظة الناس وإبراز مكنونات النفس الخفيه الممتلئة كراهيه للاسلام ، والحقد على أهله ، والرغبه فى تدمير قيمه ، وما كان صاحبكم كذلك بل كان يستطيع أن يخفى أحقاده ، حين يتحدث وكأنه من المؤمنين أم أن حركة التغريب قد غيرت من أساليبها فانتقلت من إقناع الناس إلى إغاظتهم ، ومن كسبهم ، إلى سبهم ، نحن نعلم أن حركة اليقظه الاسلاميه الآن تسير فى طريق مختلف وأن أساليب التآمر على عقيده الأمة لم تعد تخدع أحداً ، ويخيل إلى أن دعاة التغريب يلقون بآخر سهامهم فى يأس غريب وفى أحساس بالفشل ولكن أما كان يمكن أن يكونوا أكثر تجملا ، على كل حال ، لقد كشفوا أنفسهم وخلعوا الثوب الخادع الذى كانوا يتسربلون به حتى يظن الناس أنهم من المصلحين ومن الناصحين المخلصين لهذه الأمه وبآن تماما وبما لا يدع مجالا للشك أنهم ظالمون لأنفسهم غاشون لأمتهم وأنهم يسيرون ضد تيار التاريخ واليقظه والصحوه ، وتلك نهايتهم مهما أفسحت لهم الصحف صفحاتها ومهما كان لأسماءهم شهره ولمعان خادع لم يعد يخدع أحداً .



الفصل العاشر

توفيق الحكيم

[تبعية للفكر الوثني والمادي من الشباب إلى الشيخوخة]

(١)

منذ أن بدأ توفيق الحكيم كتاباته الأولى كان واضحا أنه مغرب وأن أمانته للفكر الغربى أكبر من أمانته للفكر الإسلامى العربى وعندما كتب أكبر أعماله : أهل الكهف وسليمان الحكيم : إعتمد على التوراه مصدراً للقصة وبذلك جار على مفهوم الإسلام الذى قدمه القرآن الكريم وهو فى مختلف القضايا الكبرى المثارة يأخذ جانب التغريب [رأيه فى العرب ، الفن للفن ، لا يوجد اليوم شرق ، القبه] وهو الذى عاش فى كنف النفوذ الإستبدادى مؤيداً ومساندا حتى إذا تغير الوضع أعلن موقفا جديداً ثم هو الموالى لكل تيار : الاشتراكية ، الوجودية ، اللامعقول ، الفرعونية ، اليونانية ، وفى القصة انتقل من الواقعية إلى الرمزية ، إلى اللامعقول وفى آخر حديث له قال : إن كل أعمالى التى تعبت العمر فيها لا قيمة لها ، ضيعت حياتى فى كتب كان يخيل إلى أن لها قيمة ، ربما كانت لها قيمة فى الثلاثينات والأربعينات ولكن بعد الخمسينات لا أظن .

ولم يكن توفيق الحكيم إلا ناقل فكر غربى من مختلف مدارس المسرح والقصة وكان للمسرح والقصة اليونانية والغربية بهراً فى مطالع المرحلة ولكن ثقافة الأمة وذوقها قد تحول ، وبدأت أشياء جديدة تأسر العواطف والمشاعر .

أما موقفه من العرب ، هذا الموقف الكاره الذى يقوم على إنتقاص الأمة التى أختيرت لحمل رسالة الإسلام ، بعد أن تهاوت أمانة الرسالة لدى أمم أخرى ، فهو موقف مبنى من الأمم الحاقدة التى لها ولاء خلف الإغريق والوثنيات ، يقول توفيق الحكيم : فى مسرحية (شهر زاد) صدى الأفكار الكثيرة التى دوت فى ذهنى أثر إتصالى بالفلسفة الأوربية . كانت الفلسفة الأوربية فى ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا الكون وإن الله (جل وعلا عما يقولون عوا كبيراً) قد مات كما قال نيتشه وأن المتحكم فى مصائر البشرية هو الانسان وحده بحريته

المطلقة ، ولذلك كانت موجه الالحاد وإنكار الدين تغمر المحيط الثقافى الأوربى عندما ذهبت إلى باريس فى أعقاب الحرب العالمية الأول ، وقد صدم هذه العقلية الشرقية المتدينه التى أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتضادة متنفساً لهـا فى مسرحية شهر زاد » .

وتوفيق الحكيم الذى يعترف بأولياته ومصادره على هذا النحو هل إستطاع أن يتحرر منها بأن يعود إلى أصالته أم أنه مضى منطلقا فى هذا الطريق الذى شقه ومن قبله العلمانيون التغريبيون أمثال طه حسين ، ومحمود عزمى ، ..

الواقع إن توفيق الحكيم لم يغير طريقه وإنما مضى فيه إلى أبعد الحدود حين وصل إلى الحوار مع الله فى السنوات الأخيرة والسخرية من ملائكة الله ومن ملك الموت على وجه الخصوص فى عديد من كتاباته وأحاديثه .

أما وقائع حياته فهى تكشف عن تبعية واضحة للفكر الغربى فهو من أوائل الدعاة إلى القبعه الأوربيه وإتخاذ الحضارة الغربية منطلقا للعرب والمسلمين وهو الداعى إلى الاقليمية المصرية ذات الطابع الفرعونى الكاره للعرب والمسلمين وهو صاحب التبعيه للنسق الغربى فى الأدب والولاء للصهيونية العالمية والتلمودية ، وقد تساقطت دعاواه ومذاهبه ومنطلقاته على مدى الأيام حتى أعلن ذلك صراحة فى السنوات الأخيرة ، ولكن المرحلة الجديدة من أحـــوال مصر والبلاد العربية جددت فيه الأمل مرة أخرى إلى التشكيك وإثارة البلبلة واقتحام مجالات لايحسنها ، وعرفت عنه تقلباته المتوالية ، فبعد أن نعم بالعصر الناصرى ، عاد فأعلن هجومه عليه ، ثم فعل كذلك مع السادات .

وقد وصف توفيق الحكيم فى هذا المجال بالانتهازية ، وقيل له هل نسيت ماقلته مدحا فى عبد الناصر وعهده فلما ولى هاجمته هجوما مريرا فى كتابه (عودة الوعى) وخلص إلى نتيجة مؤداها أن هذا العهد قد جر الخراب على مصر وعمم الأرهاب وإعتذر لنفسه بأن كان فاقد الوعى لا يدرى ما كان يحدث ويجرى .

يقول أحد المعلقين : ولعل التربية غير السوية إنعكست على أفكاره وتصرفاته وأسلوب حياته فقد فشل فى تربية ولده الوحيد كما أنه فشل فى أن يكون انموذجا للأب الصالح الذى يعتز به الولد ، هذا إلى جانب فشله كأب فى أن يتمتع به مع أن الأبناء من متع الحياة الدنيا ، وزينتها ، لقد مات ولده مخوراً ، قتلته الخمر تحت سمع بصر والده المفكر الذى تطاول إلى الحديث مع الله ، وقد جاء فى ذلك فى إعترافاته التى رواها لمحررة مجلة صباح الخير .

ويعدون توفيق الحكيم الأب الروحى لمدرسة الأهرام التى أنشأها هيكل : (حسين فوزى ، وزكى نجيب محمود ، ونجيب محفوظ ، وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ، وعبد الرحمن الشرقاوى) وهى مدرسة موالية للتغريب والمادية والفكر الإباحى المنحرف ، كل على حسب وجهته والتى تمثل ظاهرة العلمانية التى تروج لها وتجعل من صحيفة الأهرام ميدانها والتى تحتمى فيها بنفوذ خطير ، يجعل من شأن هؤلاء الكتاب طرح تصوراتهم دون أن تسمح بمناقشتهم أو الرد عليهم .

ولقد كانت أكبر خطاياه ذلك الحوار الذى أجراه وأدخل فيه كلاما على لسان الله تبارك وتعالى مجترئا على هذا الجانب ، فاتحا الطريق إلى وجهه خطيرة لم يسبق أن جرؤ كاتب مهما بلغت درجته فى التغريب إلى الوصول إليها وعندما ذهب له العلماء يناقشونه قال فى صلف غريب : إنه مازال مصرا على ما كل غير مقتنع بأنه أخطأ وقال بالنص : إنى لم أرتكب خطأ لأن كلامى مع الله كان صريحا وليكن الأسلوب ما يكون ولكنى لن أغير كلمة واحدة منه وقد جاء فى مقالاته تجاوزات خطيرة :

أولا : الاجتراء على مقام الله تعالى حيث لا يجوز لمسلم أن يتخيل حديث مع الله فهذا إجتراء على مقامه .

ثانيا : التشكيك فى عصمة النبى ﷺ .

ثالثا : قوله إن الأديان نسبية ودعوته إلى التسوية بين الأديان السماوية .

رابعا : الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة .

خامسا : إدعائه أن العلماء التجريبيون غير المسلمين يدخلون الجنة .

سادسا : مهاجمته للغة العربية ودعواه أنه لا تنفع بها وأن عصرها قد إنتهى .

كشف توفيق الحكيم عن نفسه فى كتاب (زهرة العمر) فقال :

إنى أعيش فى الظاهر كما يعيش الناس فى هذه البلاد ، أما فى الباطن فما زالت لى آلهتى وعقائدى ومثلى العليا ، كل آلامى مرجعها هذا التناقض فى حياتى الظاهرة وحياتى الباطنة (١٩٤٣) .

والحقيقة أن مراجعات الحوار مع توفيق الحكيم التى أجراها العلماء عام١٩٨٣ ، وبعد أربعين سنة تحتاج إلى هذا النص حتى يمكن تفسيرها وتوضيحها .

وإذا كان توفيق الحكيم مزعجـه أن يواجه بأخطائه مما لم يحدث لطه حسين وغيره فإن عليه أن يعلم أن هذا ليس نفوذ علماء الإسلام بل هو طبيعة الصحوة الإسلامية فقد مضى العهد الذى كان التغريبيون يخوضون فى الأمور ما ليس من حقهم ثم لا يجدون من يواجههم ويكسر منطقهم الباطل ، وقولته (إن علماء الدين يريدون أن يكونوا لهم وحدهم حق تشكيل عقلية الأمة على أساس العلم الدينى الذى درسوه فى الكتب المعتمدة وطبقا للنصوص التى قرأوها وأقروها وحدهم دون أن يقبلوا تطورا فى أصولها أو أى شيء من المعارف التى تصل إلى تفكيرهم بالحياة على النحو الذى يعيش عليه الجزويت) .

إن هذا النص يوحى بأن توفيق الحكيم لم يستطيع خلال أكثر من أربعين سنة أن ينظر إلى اليقظة الاسلامية وما زال غارقا فى بحيرة الجزويت ومفاهيم المسيحية الغربية ، ونحن نقول له : أن المواجهة التى يلقاها ليست مواجهة علماء الدين ولكنها هى تصحيح لمفهوم الاسلام الأصيل الذى هو وحده الذى يشكل عقلية الأمة وليس هو العلم الدينى بمفهوم اللاهوت الغربى ولكن بمفهوم العلم الاسلامى الجامع المتكامل الذى يمثل حقيقة المنهج الصحيح للفكر والثقافة والذى

يوجه كل فكر وثنى تغريبى مادى علمانى يحاول أن يدخل ساحة الفكر الاسلامى متسللا على النحو الذى يقوم به توفيق الحكيم والتطور فى الوسائل وليس منهج الاسلام الذى يجمع بين الثوابت والمتغيرات والقابل للمتغيرات والتحويلات وليس بمفهوم التطور الذى يطبقه توفيق الحكيم على الأيدلوجيات والأديان البشرية .

من أخطائه فى هذه الأحاديث : أنه ليس من حق أى إنسان أن يقول أنه يفهم الدين كما يشاء ، فقد تفهم الفلسفات والأيدلوجيات ، أما الدين السماوى الإلهى فيجب أن يفهم كما فهمه محمد ﷺ ومن خيانة الأمانة أن يفسر أحد مهما بلغ من الثقافة العصرية أن يفسر الدين بعقله وأن أمور الدنيا يمكن أن تفكر فيها بالعقل ولكن الدين تفكر منه بعقلية عصر النبوة ، وأن القول بأن كل واحد ما دام قد تعلم وتنور وقرأ كتبا وصحفا فله أن يفهم الدين كما يشاء ، هذا قول مردود ، والدين لا يكون دينا إلا من مدرسه النبوة ، من النبع .

أما مسألة التخيل فى الحوار فإن ذلك مخالف للقرآن والسنة والشريعة وكذلك خطأه فى القول بنسبية الأديان وخاصة الدين الاسلامى وبقوله أنه لا يشترط لدخول الجنة شهادة (إن لا إله إلا الله : محمد رسول الله) أما دعوى الاجتهاد فإنه لا اجتهاد مع النص ، بمعنى أنه إذا وجد الحكم فيها وإلا فإنه لا يصح إلا للعلماء المتخصصين فى الدين أن يجتهدوا ، وهو ما لا يصح له .

أما دعواه بأنه إعتمد على القرطبى ، فإن الكتب فيها مسائل خلافية كذلك لا يؤخذ المعنى من هذه الكتب مبتورا أو يؤخذ من غير سياقه أو يقرأ على غير وجهه فإنه يأخذ ما يأخذ ويدع ما يدع وإذا كان لكل إنسان أن يفكر كما يشاء فإن ما يقدم للناس يجب أن يكون بعيدا عن ما يثير الشكوك والشبهات .

وعندما دعى إلى أن يعتذر إلى الله وأن يخرج من مقام الندية لله أصر على ما كتب وقال أنه يعبر عن شعوره الداخلى ، إذا كان ما قال يعزى إلى تصوفه

فإن التصوف لا يمكن أن يكون خروجا على الاسلام، أما حكمه على العلماء غير المسلمين بأنهم يدخلون الجنة فحكم باطل لأنهم ما لم يقولوا لا إله إلا الله فـلا يدخلوها .

وقد كشف العلماء له أنه استخدم عبارات غامضة ومجازات بعيدة من شأنها أن تشكك الناس فى أمر دينهم ، وأن المناجاة لا بأس بها ولكن التأليف والتخيل على لسان الله تبارك وتعالى فإنه يدخل فى تحت باب قوله تعالى :

(اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) لأن التأليف والتخيل غير حق .

وقال الشيخ الشعراوى : أنه نزع صفة كلام الله الأزلية ، وأعطاها صفة البشرية الزائلة التى تنقض غداً أو بعد غد ، ولكنه قيد مراد الله تبارك وتعالى فى إرادته هو فما يريده عقل توفيق الحكيم يقوله الله سبحانه وتعالى فى مقالاته ، ذلك لأنك عندما تنقل كلاما على لسان الله تبارك وتعالى فكأنك قيدت إرادة الخلق بإرادتك إنت أيها المخلوق .

أما عن دفاع الأدباء عن توفيق الحكيم فهو عن غير حجة تلزم من يقرأها ولكن عن عاطفة ، وعلى الذى تخافون على توفيق الحكيم الحى الآن أن يغاروا على توفيق الحكيم حين يلقى الله فيجنبوه أهوال هذا اليوم بالنصيحة وبالحكمة بدلا من أن يزينوا له طريق لا يرضى الله سبحانه وتعالى .

وقال الشيخ الشعراوى : أما إدعائه بأن اللغة لا ينتفع بها وأن عصرها قد إنتهى كيف يمكن أن ينقل العالم نتائج ما يحدث فى معمله إلا بإستخدام اللغة وكيف أن يمكن أن يقرأ أى إنسان ويستوعب ما فات إلا بإستخدام اللغة وكيف يمكن ترث البشرية كلها حضارة عن حضارة ، إلا بإستخدام اللغة .

إن اللغة التى يسخر منها توفيق الحكيم هى الأساس لكل شىء وهى آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، لتأخذ البشرية حضارتها جيلا بعد جيل وترتقى وتتقدم

ومن المستحيل على البشرية كلها أن يرث جيل الجيل الذى قبله فى عالم إلا باللغة».
أما نسبيه الأديان ويقول الشيخ الشعراوى : لا يمكن لأى إنسان أن يدعى أن الدين الخالص لله له حكم مع واحد وحكم مع آخر فالأحكام على كل خلق الله بلا تفرقة ، فالأديان كلها من الله وكيف تكون الأديان من الله سبحانه وتعالى ثم تنطبق عليها النسبية وهى شىء متغير ، هل النسبة بالنسبة للمصدر أم أن الله سبحانه وتعالى هو وحده مصدر كل هذا ، لا أعتقد أن هناك دينا قد جاء من السماء يقول لا إله إلا الله ودينا آخر يقول غير ذلك فالدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى لم تتغير من بدأ البشرية وإلى نهايتها فلا يوجد حكمان يتناقضان بالنسبة للشىء الواحد حتى يمكن أن نقول أنها نسبية ونسبية الأديان التى يقول بها توفيق الحكيم معناها إن الله متغير والله سبحانه وتعالى ثابت لا يتغير والعقيدة لم تتغير منذ آدم حتى الآن ولا يوجد أى تناقض أو تقابل والعقيدة فى كل الأديان سواء وكل نبى جاء بدين يؤكد ماقبله ولا يلغى ماقبله بل يضيف إليه ويصحح ماحرفته البشرية ارضاء لاهوائهم » .

* * *

ومن يطالع المحاورات التى دارت بين توفيق الحكيم وعلماء الإسلام يحس بأنه مراوغ كبير ، وفيه خبث شديد ، وفيه سذاجه فى الفهم إلا من كلمات ملقنه يرددها ، وهو بالطبع قد رحب بنشر هذه الأحاديث عملا بنصيحة المبشرين، أن يردد كلمات مسمومه فى وسط الأحاديث من شأنها أن تثير الشبهات فى نفوس الذين يقرأونها وكل الخيوط التى تجمعها هذه الأحاديث توحى بسخرية شديدة بالوقائع فضلا عن استشهاده بالأحاديث التى لم تثبت ومحاولة القول بأن هذه الأحاديث نشرتها الأهرام من غير إذنه وقد تحدث كثيرون عن الربط بين نشر هذه الأحاديث وبين إسلام جارودى، وحضوره فى مهرجان الأزهر والأمور فى نظر توفيق الحكيم محددة بالحدود المادية الصرفه ، وبالعصر الحالى وحده ، فهو ليس بقادر على أن يستشرف الآفاق التاريخية أو المقبلة بالرغم من دعواه بأنه

قصاص متخيل ، وتوحي أحاديثه بأنه يعيش مرحلة اليأس المنكفيء على النفس وقد ذهب كل ماقدمه ، كحصاد الهشيم ، دون أن يبقى منه شيء ، وأن الفكر الإسلامي في الصحوة القائمة قد بدد كل نظرياته التي قدمها عن الفن للفن وحرية الكاتب والقصاص في أنه يقول كل شيء دون تقدير لمفهوم الإسلام بتقديم الأخلاقي على الجمالي ، وبأن للفن في عالم الإسلام وجهة تختلف ، وكأنما يرى توفيق الحكيم إزاء الصحوة الإسلامية وهو يحيش بالكمد والكراهية .
ولا ريب أن قصوره على الفن في ثقافته يجعله عاجزاً عن استيعاب النظرة الشاملة الكلية للمفاهيم الإسلامية ، ويجعل رأيه ساقطاً في مجال التوجيه والتجربة لأنه عاش حياة المسرح وهو أب المسرح الحديث الفاسد على حد تعبير تلاميذه ، ولقد كان المسرح في الأفق الإسلامي لقيطاً فاسداً أحضره اليهودي « يعقوب صنوع وغذته الصهيونية والماركسية التي اعتبرته بديلاً عن الكنيسة والمعبد ومن ذلك دعواه إلى معارضة ادخال الدين في المدارس كمادة أساسية بحجة أن المسئولين عن التعليم لا يختارون في المقرر الديني إلا أصعب الآيات لفظاً ومضموناً .

ولا ريب أن نظرة « الإيمان بالفن » تمثل التبعيه الكبرى للفن الغربي الوثني الأغريقي الضال المتجدد في دوائر اللامعقول وغيرها وقصوره على الفن يجعله محدود الفكر ويجعل رأيه في مجال المجتمع والعقائد والشباب جزئي غير مكمل .

أما وصف الصحف له بالعملاق والشموخ ، وعمق الفكر والزيادة فهذه كلها كلمات لا تساوي ثمن الحبر الذي كتبت به ، فهو مغرب ، غريب على الفكر الإسلامي ، متداخل فيما لايحسنه ، عاجز عن الإصالة . ولو أن الصحيفة التي يكتب فيها فتحت الباب أمام الذين يراجعونه لانكشف زيفه واسقطت تلك الهالات الكاذبة التي يسبغها عليه دعاة التغريب) ..

ولا يزال توفيق الحكيم يكرر علينا أن أوربا هي العقل وبلادنا هي النفس

(ففى مصر الروح والنفس وفى اليونان المادة والعقل) وهو فى هذا لا يمدحنا بقدر ما يهجونا فنحن فى القسم الذى ليس فيه العقل ، وهذه ظلامة كبرى أن توضع فى جانب من لا يملكون العقل والحقيقة أننا نملك العقل والوحى معا ، وبذلك تتكامل نظرتنا بينما تبقى نظرة الغرب ناقصة لأنها قائمة على المادة التى تتصل بالمحسوس فى مفهوم العقلانيه عندهم ، وعجيب أن نظل توفيق الحكيم وهو فى عقد الثمانين مبهوراً بالعقل الأوربى ممجدا له ، عاجزا عن استيعاب عظمة الفكر الإسلامى وأن أعظم ما يتميز به العقل الأوربى وهو القدرة على التحليل وربط الأسباب بالنتائج ، ومعرفة تتابع الأشياء: هذه الرؤية إسلامية الأساس والمصدر، منقوله من عالم الإسلام إلى الغرب فى الحقيقة .

ومن ذلك قوله [أن مصر لم تنجب بعد جيل الثلاثينات] يقصد نفسه وجماعة العلمانيين طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وهم الذين يوصفون بأنهم جيل التنوير اقتباسا من جيل التنوير الغربى الذى لم يكن إلا من التلموديين أولياء المحافل الماسونية ، وهذا تصوير صحيح ولكن توفيق الحكيم لا يرى جيل اليقظة الإسلامية النامى يتصدى للتغريب والغزو الثقافى والذى صحح المفاهيم وأعاد الفكره إلى الأصاله والمنابع ، وهو الجيل الذى صنع ما يسمى اليوم (الصحوة الإسلامية) .

وحين يهاجم توفيق الحكيم (العقلية العربية) فإنما يخفى فى نفسه العداء والخصومة للقرآن والإسلام لأنه شيئا لم يكون العقلية العربية غيرهما ، والقرآن هو الذى صاغ هذه العقليه التى هى فى الحقيقة عقلية إسلامية أساسا ، أما ما يحاول أن يوجهه إلى هذه العقلية من إتهامات فهى ليست تتعلق بالمنهج الربانى وإنما يتعلق بالتطبيق البشرى ، ولقد حاول توفيق الحكيم الغض من شأن الإسلام بالحديث عن بعض عيوب التطبيق الإسلامى وأثارة الشبهات حول بعض الخلفاء

والمجتمات وهذا كله باطل لأن الإسلام المنهج هو وحده الأساس الصحيح أما الخطأ فى التطبيق فهى مسئولية الأجيال والمجتمعات .

ولقد شهد توفيق الحكيم على نفسه فى حديثه عن مسرحية شهر زاد إنه عندما بدأ تأليف قصصه كان واقعا تحت تأثير الفكرة الغربية الملحدة .

يقول « فى مسرحية شهر زاد صدى الأفكار الكثيرة التى دوت فى ذهنى أثر إتصالى بالفلسفة الأوربية ، كانت الفلسفة الأوربية فى ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا الكون وأن الله (جل وعلا عما يقولون علوا كبيرا) قدمات كما يقول نيتشه وأن المتحكم فى مصائر البشرية هو الإنسان وحده بحريته المطلقة ، ولذلك كانت موجة الإلحاد وإنكار الدين تغمر المحيط الثقافى الأوربى عندما ذهبت إلى باريس فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد صدم هذا العقلية الشرقية المتدينه التى أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتضاده متنفسا لها فى مسرحية شهر زاد ، فمسرحية شهر زاد » هى رد فعل ما كانت عليه أوربا فى ذلك الوقت على قلق نفسى من إنكار للدين وإيمان بالعلم الذى يصل إلى الدرجة التى يحل فيها محل الدين » .

ونحن نقول لتوفيق الحكيم : أما كان عليه أن يتطور مع الفكر الأوربى نفسه ، الذى تحول كثيرا الآن ، وقد كان معه على نفس الخط كثيرون منهم جارودى وبوكاى الذين تحولا سريعا واكتشفا عظمة الاسلام ، أما كان هو الأحق بذلك وهو المسلم العربى ، أم أن هناك ما حال دون ذلك ، ربما عناد نفسى ، وصل به أخيرا إلى الحديث عن « إسلام العجائز » أم أن هناك إصرار على هذا الموقف الذى يحمل الخصومة والكراهية لا شرف دين . . لقد تبين لتوفيق الحكيم أخيراً أنه لم يكن أكثر من ناقل لكل رماد الفكر الغربى ، وركام الزيف فيه عن تلك الأعمال المسرحية التى وصفت بالخلود والتى عبر عنها هو تعبيرا صحيحا حين قال :

« إن كل أعمالى التى تعبت العمر فيها لا قيمة لها فقد ضيعت حياتى فيما كان يخيل إلى أن له قيمة ، وقــد أحس بإنصراف الناس عنها وغلبة الأصالة عليها ، الأصالة التى كشفت زيف روائع الفكر الغربى التى طالما أشادوا بها فإذا هى ركام ورماد ، وقد تبين إنما هى فى حقيقتها أهواء النفوس المليئة بالشهوات والجنس والغرور فى بحيرة راكدة آسنة غرق فيها توفيق الحكيم وما زال غارقا .

* * *

ونستطيع أن نقول أن توفيق الحكيم المعدود من القمم الشوامخ قد سقط سقوطا شنيعا فى المجالات الآتية :

أولا : اعتماده على الأساطير فى جميع قصصه واعتماده على الأحاديث الموضوعة فى أغلب كتاباته .

ثانيا : فكرته المشوشه عن الأديان وخاصة عن الإسلام .

ثالثا : تأثره بالفكر الوثنى والفرعونى فقد إعتمد فى قصة (أهل الكهف) على نظرة فرعونية وكان لفكرته المشوشه عن الاسلام أثرا جعله يخلط بين مصر القديمة والأديان بصفه عامة ، فالمسلم يؤمن بأن هناك انقطاعا بفصل ما بينه وبين التصورات الوثنية والوضعية ، كما إنه يؤمن بأن الإسلام هو دين ممتد من لدن آدم حتى محمد عليه الصلاة والسلام يضع التصـــور المتكامل لعلاقة الانسان بربه ونفسه والآخرين ويرسم له منهاج الحياة ويحدد معالم المستقبل فى الآخرة .

وعن أهل الكهف يقـــول : إنه كان تحت تأثير مصر القديمة (لقد قرأته كتاب الموتى والتوراه والأناجيل الأربعة والقرآن) بينما إسم المسرحيه (أهل الكهف) توحى بأن معالجتها ستكون من خلال منظور إسلامى ولكنها جاءت مشوشة الفكر والمنهج .

أما (عودة الروح) فهى أيضا تحمل فكرة فرعونية قديمة (الكل فى واحد) أى أن الوجدان الجمعى والشعبى ينمحى فى زعيم واحد أو فرعون واحد .

(حلمى القاعود)

رابعا : الترويج لنظرية الفكر الصوفى المنحرف (نظرية وحدة الوجود) وما فى الجبة إلا الله ، كما حاول أن يسقط إسقاطات علمانية والحادية روج لها الفكر الوافد منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجرى إنطلاقا من المفاهيم الكنسية التى لا تتطابق بحال مع فكرنا الاسلامى .

خامسا : ناقش الله تبارك وتعالى فى أمر الأديان السماوية ونسى أو تناسى أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل، وعارض الله تبارك وتعالى فى أمر العقل وأجاز تداول الكتب السماوية بعد التعديل والتصحيح وهذا جهل بحقيقة الرسالات السماوية من جهة ومحاولة للدس على نقص كلام الله من جهة ثانية .

سادسا : رأى أن الايمان الحقيقى إنما هو عند العلماء الطبيعيين فلا عبرة عنده بالعقيدة ولا التوحيد ولا العمل ، وهذه قضايا خطيرة مؤداها الطعن فى معظم التراث الاسلامى ، — أن لم يكن كله — القائم على أعمدة التوحيد والعمل فضلا عن الترويج للفكر العلمانى القائم على الاعتراف بالحقائق العلمية وحدها مجردة من كل اتصال بالأديان .

سابعا : أساء الأدب إساءة بالغة عن ما خرج على مقتضى العرف الايمانى والأدبى السائد بين المؤمنين وبين خالقهم .

ثامنا : قصر الايمان على المعرفة أو هو ألغى التلفظ بمنطوق الشهادة فهو عنده إيمان تعبدى لفظى لا معنى له ، وهذا ولا شك مذهب طائفة من الفلاسفة والمتكلمين المنحرفين ونسى أن الاقرار باللسان شرط عند أهل الحق .

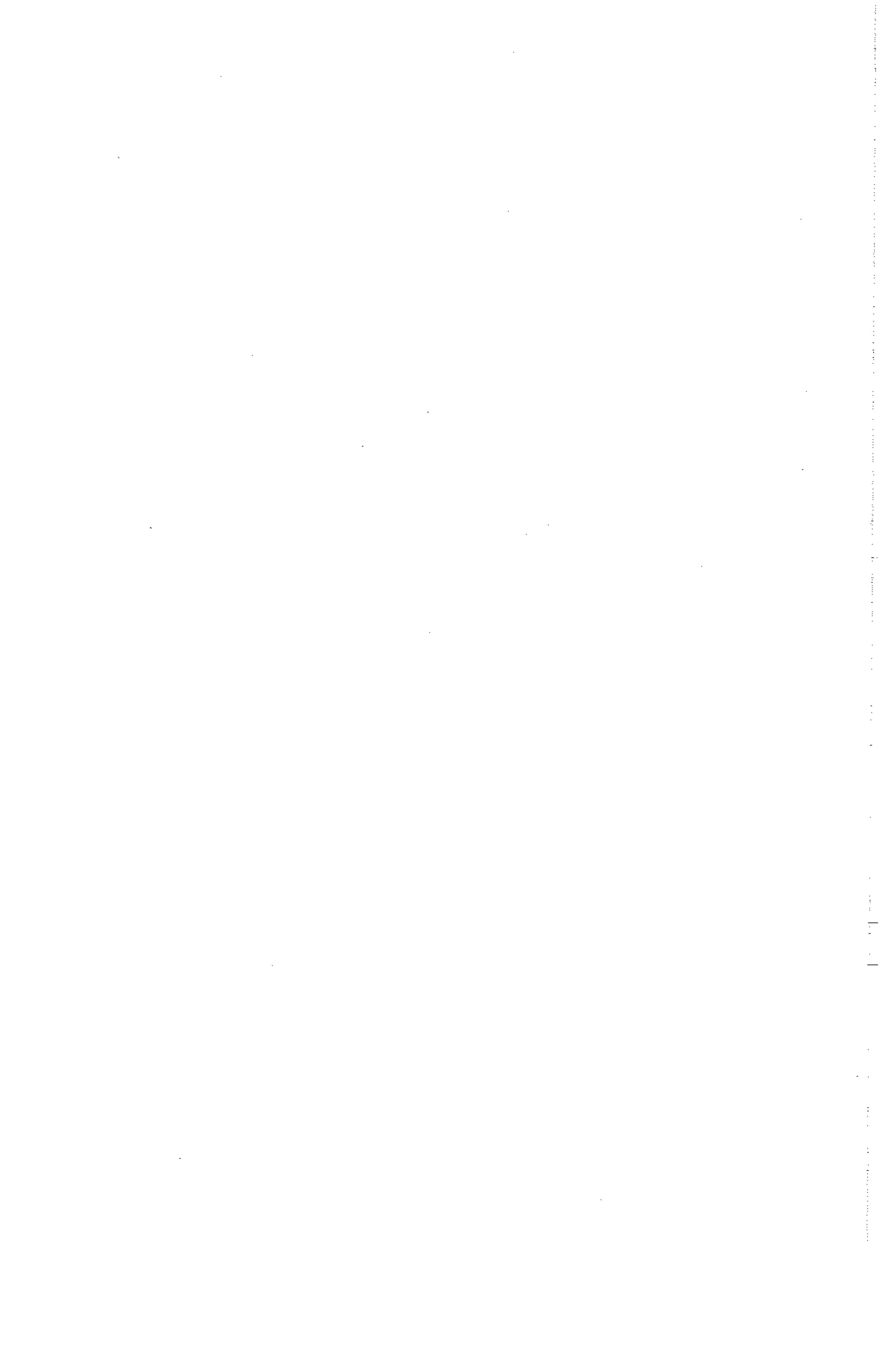
تاسعا : خول لنفسه أن يتكلم بإسم الله (قـل على لسانى ما تشاء على

مسئوليتك ، هذا منتهى العبث والاستهتار مما يشعرنا أن الرجل كان فى حالة غير طبيعية أثناء كتابه هذه الشطحات إذ كيف يتجرأ أن يروى كلاما مكذوبا على الله .

عاشرا : أنكر رؤية الله يوم القيامة وهى ثابته وتجاوز حدود البشرية بوصفه كلاما مخترعا منسوبا إلى الذات العليه هذا فضلا عن إفترائه وكذبه .

الفصل الحادي عشر

عبد الرحمن الشرقاوي



(١)

مخططات تكشف أهدافها ولم تعد تخدع أحداً

كانت الكتابات المضللة الماكرة فى العقود الماضية تمر دون أن تستوقف النظر أو ربما أستطاعت خداع مجموعات من القراء المسلمين الذين لم يصلوا إلى قدر كبير من معرفة أبعاد عقيدتهم ومسئوليتها الواسعة فى مجالات الاجتماع والتاريخ والحضارة ومن هنا عدت على عقول الناس وقلوبهم كتابات طه حسين عن هامش السيرة وعن الفتنة الكبرى بكل ما فيها من سموم ، وظن البعض أن هذا الذى يقرأون من صفحات الأسلام المكتوبة بأسلوب أدبى أو قصصى ، وتوقف أمامها القليلون كاشفين عما وراء ذلك من أهداف وأهواء ورغبات فى - تزييف - التفسير الإسلامى للتاريخ .

ولقد تبين من بعد أن هناك مؤتمرات غربية عديدة عقدت فى الجامعات الغربية واتخذت عدة قرارات من أجل تزييف تاريخ الصحابة وركزت كثيرا على قضايا معينة ، مثل قضية الخلاف الذى نشأ فى أواخر عهد سيدنا عثمان وقضية فى الدولة الأسلامية ، وقضية الزنج والقرامطة والإدعاء بأنها إنتفاضات إسلامية، كل هذا درس بدقة فى مؤتمرات بلتيمور وجامعات بريستون وغيرها وقدمت للباحثين القادمين من بلاد الإسلام المادة جاهزة ليضعوها فى أطروحاتهم من أجل إفساد التاريخ الإسلامى وتزييفه وكان لجهات أخرى لها ولاء مع الفكر الماركسى من ناحيه والفكر الباطنى والغنوصى والمجوسى القديم من أولئك الذين يكتبون عن فلسفات وحدة الوجود والحلول والاتحاد وينكرون فضل الأئمة أبى بكر وعمر وسابقتهما وأوليتهما دور كبير فى ظهور هذه الصيحات التى لاتكاد تستعلن حتى تجد مواجهة صادقة تكشف زيفها وتقف لها بالمرصاد .

ولعله من اللافت للنظر أن سبعة عشر مقالا نشرها الدكتور لويس عوض فى صحيفة تصدر فى فرنسا ووجهت بمائة وخمسين مقالا فى الرد عليها وتزييفها

والكشف عن فساد وجهتها فى مختلف مجالات العالم الإسلامى من المغرب إلى الهند فى حدود ماطالعنا وربما تجازتها إلى مناطق أخرى .

جمال الدين الأفغانى المفترى عليه

ذلك أن السيد جمال الدين الأفغانى كان ولا يزال فى نظر المؤمنين بنهضة المسلمين والصحوه الأسلامية اليوم رمزا بارزا من رموزها وقائدا من قادتها ولا يقبلون أن يضحون به إزاء تقارير أوردتها المخابرات البريطانية عنه تنتقصه وتحاول النيل منه ونحن نعرف أن جمال الدين الأفغانى كان له هدف طالما أعلن عنه وكشف مضمونه وردده وهو قوله إن هدفى هو تنكيس علم بريطانيا فى الشرق فكيف يمكن أن تكتب عنه تقارير جواسيسها شيئا فى صالحه ، وبالعكس من ذلك فإن كتابات المخابرات البريطانية العدو الشديد فى ذلك الوقت ـ وفى كل وقت ـ للإسلام ونهضته هى نياشين لوامع ودرر سواطع على صدر جمال الدين الأفغانى والمجاهدين منه ومهما حاول خصوم الإسلام والعروبة وأصدقاء الفرعونية والعلمانية أن يقللوا من قدره فلن يستطيعوا ، ولقد يجىء فى تاريخه العظيم هنة أو نقص ما ولكن من الذى لا يعرف النقص عن البشر وكل بنى آدم خطاء ولكن فى النظرة العامة وفى الهدف الأكبر فإن الرجل قد أقتحم أفاق العالم الإسلامى وهز المسلمين هزة كبرى جاءت إستمدادا من دعوة محمد بن عبد الوهاب وأصاب المسلمين إلى حركة اليقظة وإلى الصحوة الإسلامية التى يمر بها العالم الإسلامى اليوم فى مطالع القرن الخامس عشر ولقد باء لويس عوض بالخسران إزاء أكثر من خمسين كاتبا من أعلام الفكر العربى والإسلامى كشفوا زيفه ورفعوا القناع عن هدفه المبيت :

ولكن لويس عوض إسم على جبينه فهو لايزعج أحدا ولكن المزعج هو هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام وهم من أمته بالوراثة والجغرافيا وقد رأيت كيف كبا توفيق الحكيم كبوته الكبرى حين ظن أنه يستطيع أن يحطم سندا مقدسا فى الفكر الإسلامى حين أراد أن يجعل من حقه إدارة حوار قصصى

مع الله تبارك وتعالى وهو يعلم أنه يحاول التخلص من ضوابط أساسية فى الفكر الإسلامى تماماً كثيرون لأنها تتصل بالعقيدة فى أعلى ذراها ، وكتاب الدكتور عبد العظيم المطعى (الحكيم فى حديثه مع الله ومدرسة المتمردين على الشريعة) هو القول الفصل فى هذ القضية فليقرأه من يشاء .

إفتراءات ضد الاسلام :

ولكن الذى يلفت النظر أن تتوالى الأحداث هكذا فى مهاجمة الأسلام فيكتب لويس عوض فى (المصور) عن مصر العلمانية وعن مصر الفرعونية فيخوض أوحالا شديدة السواد والقتامة ولا يستطيع أن يصل إلى شىء ثم نجد تلك الصفحات التى وسمت بأسم (الأمام على) فى جريدة الأهرام والتى كتبها عبد الرحمن الشرقاوى وكيف جدد خصومته القديمة للإسلام تحت إسلوب براق من الأنتماء للإسلام ، وغفل عن أن تاريخه لا يزال معروفا ومذكورا وأن كتابه (محمد رسول الحرية) وتقرير الأمام أبو زهره مايزال بين أيدى الناس ، وللأمانه التاريخية والمسئولية التاريخية فإن تقرير الأمام أبو زهره أول من حصل عليه الأستاذ محمد نعيم ونشرته الأعتصام ١٩٧٥

فإذا تجاوره قليلا فرواية (الحسين شهيدا) قد دمغت أيضا من جماعة من من العلماء من بينهم الدكتور الطيب النجار بالظلم الشديد للمجتمع الاسلامى ، على الذى إفترى به طه حسين ، على العصر الثانى للهجرة فى كتابه (حديث الأربعاء) حين وصفه بأنه عصر شك ومجون وفيه جماعة التابعين والأعلام مثال أبو حنيفه والشافعى وأحمد بن حنبل والحسن البصرى ، وهو ما ذهب اليه عبد الرحمن الشرقاوى فى رواية (الحسين شهيدا) الذى كشف عن أن كاتب الرواية كان حريصا على تصوير المجتمع الأسلامى بعد وفاة الرسول ﷺ بنصف قرن فقط فى صورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تدالى وتهاوى وصار مجتمع عربدة وفجور ، ومجتمع شقاق ونفاق ، ومجتمع جبن وضعف ، ومجتمع خيانة ونكث للعهود ، مع أن المجتمع كان لايزال حافلا بعدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ وفيه عدد ضخم من

التابعين لهم بإحسان ، وقد وسم علماء الأزهر المسرحية بأنها تشهر بجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم قدوة لنا ، وقد ترددت فى المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الاسلام وعبارات اللعن والتعريض والتشنيع بالحرمان كما صورت المسرحية العصر الأموى تصويرا يجافى الحقيقة فى بعض النواحى فوصفته بأنه عهد الأقطاع والأطماع وجردت الأمويين من كل خير وقدمت القصة شخصيات لم يعيشوا فى مرحلتها التاريخية أمثال وحشى بن حرب الذى مات سنة ٢٥ هجرية فى خلافة عثمان رضى الله عنه وهناك نوع من القسوة فى الحكم على معاوية مع أنه صحابى ومن كتاب الرسول ﷺ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلا من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة وتردد فى المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجبارى حيث تناولت لأشخاص عبارات الاتهام باللهو والتمتع بالجوارى على سبيل التعرض والتهكم كما تناثرت فى المسرحية عبارات مأخوذة من جو غير إسلامى كقوله (ماجئت لألقى سلاحا ، لأملأ كل بيت بالمحبة ، جئت لألقى موعظه الخ .

كتابات الشرقاوى:

فإذا أضفنا هذا التقرير إلى تقرير الشيخ أبو زهره حول كتاب (محمد رسول الحرية) أمكن أن تتكون لنا صورة ذات هدف واضح من كتابات عبد الرحمن الشرقاوى الذى قدم صلاح الدين الأيوبى فى قصة (النسر الأحمر) فى قالب غير كريم ومجاف لحقائق التاريخ فهو يجعل منها دعوة مباشرة وصريحة للاستسلام والصلح مع الغرب وطلب السلام الخادع الكاذب ، وما كان هكذا صلاح الدين يوما فى حياته ولكنها محاولة لاستغلال النصوص التاريخية لأهواء العصر ولقد عاش صلاح الدين حتى آخر يوم من حياته مجاهدا مؤمنا يرفع رأية الجهاد فى سبيل الله ، وهكذا تترابط أعمال عبد الرحمن الشرقاوى على طريق واحد وهدف واحد وهو يتابع مخطط طه حسين حول بشرية الرسول ﷺ وكان كتابه (محمد رسول الحرية) حلقة رابعة لكتاب (على هامش السيرة) كذلك فقد كان كتابه عن (علىّ) هو الحلقة الثالثة من كتاب (الفتنه الكبرى) إنها نفس

الأفكار والعارية والغاية التى رسمها الاستشراق لاعادة كتابة للتاريخ الاسلامى بمفاهيمه الباطنية والوثنيه أعتمادا على مصدر غير مصادر أهل السنة والجماعة ، وللترسع فى الاساطير والخيال القصصى والأعتماد على كتاب الاغانى ومتابعة خصوم الشيخين أبى بكر وعمر ، كل هـذا لا يقدم عملا تاريخيا أو أدبيا له قيمة ذاتية .

أن درجة الوعى الأسلامى اليوم فى فهم تيارات التغريب فى تحريف التاريخ الأسلامى وتفريغه من طوابعه الحقيقية بوصفه مصدرا من مصادر اليقظة الاسلامية قد أصبحت عاليـه ودليل ذلك ما كتب فى الرد على لويس عوض وما وصل الصحف من ردود على توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى ، نعتقد أن هذه الأقلام لا تستطيع أن تكسب ثقة قارىء واحـد من الذين عرفوا خلفيات هذه التيارات ، وليعلم هؤلاء جميعا أن خطط التخريب والغزو الثقافى قد كشفت تماما مهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلعوا أوراقهم ، أما الصحف فإن مسئوليتها التاريخية كبيرة وفى إخفاء كلمة الحق فى الرد على الباطل ، وما كانت هكذا تدار المساجلات الفكرية فى الماضى حيث يسمح لكل صاحب رأى أن يدلى برأيه حتى تتبلور النتائج وينكشف الرأى الصحيح للجماهير التى تحترم صحفها وتثق بها ، إما أن تحجب الأراء كلها ويتبنى الرأى الواحد المصر على وجهة نظره فهذا ما لا يتفق مع أدنى أصول الحوار الصحفى .

إنها محاولة لتحطيم الصحوة والقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذى عبده المصلحون منذ ظهر الدين جمال الافغانى إلى اليوم ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الاسلامى الذى رسمه لهم القرآن الكريم .

(٢)

كتاب (محمد رسول الحرية)

« تقرير الشيخ أبو زهرة »

أن المناقشة التي قام بها الشيخ ابو زهرة ركزت على السموم الناقعة في الكتاب قال :

لم يسلم الكتاب من الخطأ ، أو با بالأخرى كان له إتجاهه غير إسلامي من البداية ، فهو ما درس محمدا - ﷺ - على أنه رسول يوحى إليه ، بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرها الكتاب على هوى ما يريد ، مدعيا أنه قصاص أديب يصوغ التاريخ في قالب قصصي فني

وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ﷺ ، ويهونون من أمره فتزيل عنه ما يتوهمون ، وتبين أن له شأنا ومقاما في تفكيره ومنحاه ، وإذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه فهي في ذاتها تصوير حسن في الجملة لغير المسلمين ، وفي هذا الحال فقط ، لكن يفسدها طمس الحقائق الكبرى أو تجاهلها .

مقام النبي الرسول ﷺ :

أما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبي ﷺ ، عندالله، ومقام الرسالة الآلهية التي حملها النبي ﷺ ، والتي هي مصدر علمه ، فأنه لا فائدة فيها من جهة ، وهي توهين للعقيدة الإسلاميه من جهة ثانية ، ثم هي غير صادقة من جهة ثالثة .

وإذا برر نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادىء محمد ﷺ ، فنشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة ومنفر للقلوب ومضعف للإيمان .

وأن أول مايلمحه القارىء من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلا :

أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحي ، فكل ما كان من النبي ﷺ : من مبادىء وجهاد في سبيل الله إنما هي عنده ، لا بوحي من الله تعالى ، وهي فيه بمقتضى بشريته لا بمقتضى رسالته .

ولعل العنوان الذي اختاره للكتاب ـ مع إردافه بعنوان آخر صغير ـ أراد أن يشير به إلى بشرية النبي ﷺ مبتوته عن الوحي ، وهذا العنوان : قوله تعالى معلما نبيه ﷺ « إنما أنا بشر مثلكم » فقد اختار هذه الجملة القرآنية ليعلن أن ما وصل إليه النبي ﷺ من مبادىء جاهد لاجلها ، إنما هو صادر من بشرية كاملة لا عن نبوة .

ولكي يتم له الاستشهاد ، إقتطع الجملة إقتطاعا عما قبلها وما بعدها ، فإن هذه الجملة وردت في نصين من نصوص القرآن الكريم أولهما : في أخر سورة الكهف وهو قول الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وثانيهما : في صورة فصلت وهو قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فإستقيموا إليه واستغفروه وويل للشركين » .

ونرى النص الذي إختاره شعارا لكتابة مقطوعا عما قبله وما بعده ، فما قبله هو قوله تعالى مخاطبا النبي ﷺ بقوله « قل » وهو يصرح بخطاب الله تعالى للنبي ﷺ ، وما بعده هو قـــوله تعالى « يوحى إلى » ، قد أبعده ولم يأت به لانه لا يتفق مع غرضه الذي يهدف اليه لانه يريد نفي الوحي عن الحياة المحمدية .

وإن القارىء ليسير قليلا في الكتاب ، حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب السماوي للرسول ﷺ ، فلا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ في العيان ، فهو يقول في أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه .

ولكن فى تلك الليلة من رمضان ، أغفى قليلا ثم نام ، فرأى من يعرض عليه كتابا ويطلب منه أن يقرأ ، فقال ما أنا بقارىء ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ ، فسأله ماذا أقرأ فقال له : « إقرأ بإسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم » : وعندما استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه فى النوم ويستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه ، فإذا به وهو بين اليقظه والنوم كأنه يسمع صوتا بعيدا يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل . ؟ (ص ٦٨ ، ٦٩) .

وأن تصوير الوحى فى هذا المقام أنه بالحلم فى النوم ، يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل عليه‌السلام ، كان يخاطب النبى ﷺ بالعيان لا فى المنام .

نعم قبل ذلك الخطاب بقوله ـ إقرأ ـ ونزول سورة القلم ، كان إرهاص الوحى يجىء إليه فيما يجىء فى رؤيا منامية حتى أنه كان يرى الرؤيا تجىء فى الصحو مثل فلق الصبح ، كما صرح البخارى ، ولكن لم تكن تعتبر خطابا من السماء ، حتى نزول الوحى ومخاطبة جبريل الأمين الذى تردد ذكره فى القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الالهية لأهل الأرض .

وأنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول ﷺ ، ويقطع الوحى عنه ، ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحيانا منسوبة إلى النبى ﷺ ، على أنها من تفكيره ، ومن قوله ، لا أنها قرآن موحى به وقائله ، هو الله سبحانه وتعالى ، وأن ذلك لمبثوث فى الكتاب بكثرة ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة .

(١) إنذار عشيرته الأقربين :

ذكر فى صفحة ٨٠ ما نصه (رأى محمد أن يجمع أسرته من بنى عبد المطلب وأن يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشيرته الأقربين) وتراه يذكر ذلك على أنه رأى إرتآه ويغفل الأمر القرآنى الثابت وهو قوله تعالى :

[وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين]، فتراه في هذا الكلام الذي قاله ينسب كل ما يكون بوحي قرآني إلى أنه رأي رآه النبي ﷺ .

(٢) تبت يدا أبي لهب :

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب - عم النبي ﷺ ، فيذكر الكاتب في ذلك ما نصه فاسمع يا أبا لهب اسمع لإذن ، سمعت الرعد ، تباً لك أنت ، تبا لك سائر يومك وسائر حياتك « تبت يدا أبي لهب وتب (ص ٨٣) فتراه في هذا ينسب إلى النبي ﷺ قوله تعالى « تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد » .

وبهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي ﷺ ، لا إلى الله سبحانه وتعالى ومثل ذلك جاء في (ص ٨٧) من الكتاب ، ففيها ما نصه : تبا لها (أي لامرأة أبي لهب) كما تبت يدا أبي لهب وتبت يدا أبي لهب وتب وامرأته حمالة الحطب .

(٣) القتال في الشهر الحرام :

يذكر استنكار المشركين لأمر النبي ﷺ بأنه قاتل في الأشهر الحرم فيقول في صفحة ١٨٣ (إنها لكبيرة أن يقتل عبد الله (أي ابن جحش) أحداً في الشهر الحرام ، ولكن الفتنة أكبر من القتل وصد الناس عن البيت العتيق وإخراج أهله منه أكبر) .

يذكر هذا الكلام منسوبا إلى النبي ﷺ على أنه من عنده، مع أنه في القرآن الكريم والله تعالى يقول : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

(٤) أسرى بدر :

إستشار النبي ﷺ بعد غزوة بدر أصحابه فى شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم وأشار أبو بكر بالعفو ، وتوسط النبي ﷺ فإختار أن يفتدوا من اهلهم ،وقد بين الله سبحانه لنبيه الحكم فى أخذه أسرى ، والمعركة دائمة مستمرة ، لانه لاأسرى إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال ، وقد نزل فى ذلك قوله تعالى : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم » .

هناك فى القضية عمل من النبي ﷺ ولوم وتوجيه من الله ، لكن الكاتب يقول إن النبي ﷺ بعد تأمل وتدبر قرر خطا الفداء ، وهذا نص كلامه فقد أطلق كثيرا من الاسرى ولم يعد - أى لم يبق - غير القليل ،فانقطع يفكر وخرج على أصحابه يقول : إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعا لنصيحة عمر ، فما كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض » . (صفحة ٢٠٣/٢٠٤) .

وبهذا يتبين أنه يرى أن هذا ليس وحيا ، ولكنه من تأملات النبي ﷺ ، وأن القرآن من عند محمد لا من عند الله .

(٥) إبطال التبنى من النبي ﷺ :

ينسب إبطال التبنى إلى النبي ﷺ ، ولا ينسبه إلى الله ، مع أن التبنى حرم بأمر الله ، فقد قال الله تعالى فى سورة الاحزاب (وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا أباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) .

ويقول سبحانه فى نفس الصورة : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » لكن المؤلف يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجة زينب بنت جحش ، وشكواه منها ، وقول النبي ﷺ له أمسك عليك زوجك ، ويبين أن الزوجين أصبحا لا يطيقان الاستمرار ، ويذكر اشاعة أن النبي ﷺ طمع فى جمالها ، وما كان للنبي أن يتزوج زوجه متبناه لانه ابنه ، ثم يقول :

ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم خرج يقول أن المتبنى ليس كالإبن تماما فالولد شيء آخر ، وأنه إنما تزوج زينب لكى يدركوا هذا ، وكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم ، فلا حاجة له بجمال زينب ، ولديه عائشة وحفصة (ص ٢١٦) .

فهو فى هذا يدعى أن التحريم للتبنى من محمد - صلى الله عليه وسلم - ويدعى أن محمدا تزوج زينب من تلقاء نفسه ، مع أنه فعل ذلك بأمر من الله تعالى فى قوله من سورة الأحزاب « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

فنراه ينسب التحريم إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وينسب الزواج لرأى إرتآه الرسول عليه الصلاة والسلام مع أنه ثابت بالقرآن ، ولكنه ينسب ماجاء بالقرآن دائما إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وإنا لنحمد له أنه لم يسر وراء المستشرقين فى إدعائهم أخذا بما جاء فى رواية ضعيفة عن بعض التابعين ، إن النبي صلى الله عليه وسلم فتن بجمال زينب وكان الطلاق لذلك فله منا التقدير لهذا .

ذكر - بعد أن قص أخبار موقعة أحد - العبر فيها - على أنها من قول محمد صلى الله عليه وسلم ، مع أنها من قول الله تعالى ، فهو يقول : (وأغفل محمد

صلى الله عليه وسلم - على الناس يحدثهم عن محنة أحد ويستخلص العبرة من أخطائهم عسى أن تضيء التجربة القاسية طريق المستقبل) .

وأن العبرة فى أحد كانت بقول الله تعالى فى آيات كثيرة من سورة آل عمران فى مثل قوله تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقـــد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) ولكنه دائما ينسب ما جاء فى القرآن إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، مما يدل على أنه يرى القرآن من قول النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر فى الصحيح من السنن أن النبى صلى الله عليه وسلم بين العبر فى أحد بغير تلاوة القرآن عليهم .

كذلك يذكر الكاتب أن تقسيم أموال بنى النضير كان بقول النبى ﷺ ويقول فى ذلك ، قال لهم (. إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال فإن شئتم قسمت أموال بنى النضير وأموالكم بينكم جميعاً وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة) .

والحق أنه لا يوجد ذلك التخيير وأن النص القرآنى فى ذلك صريح يبين هذا فالله سبحانه وتعالى يقول فى سورة الحشر [للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ولكنه كمنهاجة ينسب ما جاء فى القرآن دائما إلى رأى النبى صلى الله عليه وسلم وزاد هنا حالة التخيير التى لا نعلم لها مصدرا تاريخيا (ص ٢٠٠) .

وهكذا نجده يذكر كثيرا من معانى القرآن ، وينسبها للنبى صلى الله عليه وسلم فهو يذكر سورة (الكافرون) « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . . » على أنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٠٨) .

وينسب تحريم الخمر على أنه للنبى صلى الله عليه وسلم ، ويشير إلى تدرج التحريم فى القرآن الكريم ، ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك .

ويذكر قصص القرآن على أنها نتيجة تجارب النبى صلى الله عليه وسلم ويقول فى ذلك .. (وقسم محمد لياليه بين زوجاته الثلاث : سودة وعائشة وحفصة ، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة فى الصباح ليعظهن وفى المساء ليسمر معهن ، ويقص عليهن ما رآه فى رحلاته ، وكثيرا من الحكايات والأمثال).

وما كان قصص النبى صلى الله عليه وسلم إلا من القرآن، وما كانت له رحلات فى بلاد العرب ، بل أنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين إحداهما وهو فى الثانية عشرة والثانية وهو فى الخامسة والعشرين الأولى مع عمه والثانية فى تجارة بمال خديجة رضى الله عنها .

أخطر ما يقدم الكتاب التشكيك فى « القرآن » :

هذه أمثلة سقناها وأنها لكثيرة فى الكتاب ، وهى تدل على أنه يرى - أى الكاتب - أن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى الحقيقة أنه لم يذكر قط أن الله سبحانه وتعالى منزل القرآن وباعث محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، بل إن ذكر الله تعالى يندر فى الكتاب بل لا نجد له ذكرا قط (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) .

ولم يذكر القرآن إلا نادرا ، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التى تبلغ مائتين أو أكثر فلا تجد ذكرا لكلمة القرآن الكريم ، بل لكلمة القرآن قط ، وإذا ذكر آية ذكر أنها همهمة نفس النبي صلى الله عليه وسلم ، ولنضرب لذلك مثلا :

لقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا ، وكان ذلك في بعض الغزوات ، ثم يقول : فإذن لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود ، فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام ، ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر، والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعا عما يؤمن به ، وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلوا عليهم : [وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ، قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا ، (ص ٢٨٨) .

وأكبر علامات التشكيك في آيات الله ، أنه يذكر الهمهمة ثم يقرنها بآية على أنها من همهمته ثم يتلو آية أخرى غير ناسبها الى الله تعالى ولا لأحد فهي بمنطقه من همهمة النبي أيضا .

ثم يشير الى نوع من التشكيك لأن الآيتين يبدو بينهما تعارض،مع أن الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما ، فآية سورة التوبة (عفا الله عنك لم أذنت لهم) كانت في غزوة تبوك .

وقوله تعالى من سورة الأحزاب « واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب » كانت في غزوة الأحزاب وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب لله في مقام يومىء بالتشكيك في صدقه .

وأقرأ قوله في ص ٣٥٤ (بالنسبة للمرتدين الذين قتلوا بعض المؤمنين غدرا الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، يقتلون ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، وكان منهم رجل عهد اليه محمد « ﷺ » بكتابة القرآن ، ولكن الرجل كان يغير في القرآن على هواه ، يمليه محمد « ﷺ » « وهو السميع العليم » فيكتب وهو « الخبير الحكيم » ثم يذهب الى المنافقين في المدينة ، ويتندر بما يصنع ، ظل يصنع

هذا ، حتى اكتشف محمد أمره فهرب الى مكة ، ويظل يهزأ بمحمد « ﷺ » وبالقرآن ويؤكد للناس أنه حرف كثيرا من آياته ولم يكشفها محمد — صلى الله عليه وسلم — بعد) .

واقرأ قوله فى صفحة ٣٥٦ (أما الرجل الذى حرف فى القرآن الكريم فيعلن توبته ويحرق النسخة المحرفة أمام الجميع) ، وأن هذا البيان التاريخى يوهم بل يشير أن القرآن فيه تحريف وتبديل ، بدليل أن أحد كتاب الوحى قال ذلك .

تلفيق الأخبار :

والخبر على هذا الوجه غير صحيح ، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحى أحيانا وليس دائما ، وما كان للنبى ﷺ كاتب واحد ، بل كان يكتب الوحى من يكون بحضرته عند نزوله ممن يحسنون الكتابة ، وعندما يملى عليه النبى ﷺ ما أوحى إليه ، يقرئه ويحفظه من يكون بحضرته من الصحابة فما كان الرجل ملازما له ، وما كان الاعتماد على ما يكتب بل على ما يحفظ النبى صلى الله عليه وسلم وحفاظ الصحابة .

وما تكونت فى عصر النبى ﷺ نسخة مجموعة جمعا نهائيا ، ولكن كان محفوظا فى صدور كثيرين من الصحابة كأبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وعلى بن أبى طالب وغيرهم كثير رضى الله عنهم ، فلا يقال : أن هناك نسخة كانت محرفة وحرقت وما جاء ذلك فى سياق تاريخى قط وما قاله أحد قط من علماء الإسلام .

وأخيرا فإن الردة التى وقع فيها ذلك الرجل ، ما كانت نتيجة طرد النبى ﷺ له ، بل أنه ارتد من تلقاء نفسه ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب ، فما كانت حقيقة ولكنها إدعاء منه هو كاذب فيه .

فالنبى ﷺ ، يحفظ ما ينزل عليه ، وغيره يحفظ ، وما كان من المعقول أن يستمر ذلك التحريف دقيقة واحدة وأنه عند جمع القرآن فى مصحف ،

أى تكوين نسخة كاملة منه ، فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر ، وكان يبحث عن المكتوب غير المجموع ، إذ كانت الكتابة فى قطع متناثرة عند الصحابة وفى بيوت النبى ﷺ ، فيبين أن المكتوب كما حفظوا ، فيثبتونه فى المصحف .

توهين تواتر القرآن :

إن فى السياق الذى ذكره الكاتب توهينا لتواتر القرآن ، لا يصح أن ينشر بين المؤمنين فضلا عن أنه فى أصله كاذب فى ذاته .

ثم أنه ليوهن من شأن النصوص سواء أكانت قرآنا أم أحاديث ، عندما يقرر أن الحكم فى الاسلام بالقرآن والسنة أو الرأى على أنها متساوية والمسلم مخير بينها إلا أنها مرتبة .

ويقول فى ذلك ص ٢٧٥ (وفى رأى كل منهم ترسخ نصيحة محمد ﷺ « أحكم بالقرآن او السنة أو اجتهد برأيك ، والأمر شورى بينكم لا تختلفوا ولا تعلوا فى الأرض مفسدين » .

موقف الكتاب ومؤلفه من النبى ﷺ :

هذا موقف الكتاب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من الكتاب ، لا نكتب عنه مالم يكتب بل إننا نستمد البينات من كتابته .

فلنتجه بعد ذلك إلى موقفه من النبى ﷺ المبعوث من عند الله تعالى ، فإن الكلام الذى كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة ، بل على ما ينافى كل الحقائق التاريخية تماما .

أولا : إدعاء خروج النبى ﷺ إلى اليمين :

إدعى المؤلف أن النبى ﷺ سافر إلى اليمن مع عمه الزبير بن عبد المطلب فقد جاء فى ص ٤٢ ما نصه :

(وما هو ذا محمد يضطر إلى أن يشتغل أخيرا فى هذه القوافل ، ليعيش مما كان يملك بالدينارين أو الدينار ، ويخرج إلى اليمن مع عمه الزبير فى رحلة الشتاء).

وهذا القول لم يذكر فى الصحاح من تاريخ النبى ﷺ ، وقد يذكره المستشرقون من غير سند تاريخى ، بل بفرض يفرضونه ليتم لهم ما يبتغون من توهين شأن الدعوة الإسلامية ، بإدعاء أن محمدا ﷺ كان رحالة وأن ما جاء به نتيجة تجاربه لا بوحى من ربه .

ثانيا : يسترسل فى إدعاء أن محمداً (ﷺ) كان رحالة معنيا بما عند الرومان والفرس .

فهو يقول فى ص ٦٢ (لم تكن الجزيرة العربية وحدها هى التى تعنيه ، فقد طاف بالشمال والجنوب ، وعرف كثيراً مما يحدث فى بلاد الفرس والروم ، وفكر فى هذا كله ، ففى كل مكان يهدد الإنسان ، ويسيطر القحط أحيانا حتى لتمتد يد المرأة الخئون إلى قلب خصمها بعد أن يقتل ، فتأكل منه القلب وتلعق الدم .

وما زال الملاك الكبار فى بلاد الروم يصنعون بالرجال والنساء ما يصنعه المرابون الكبار فى مكة ، والرؤساء والدهاقين فى بلاد الفرس ، وهنا وهناك يقضى على الإنسان ما يقضى بإسم قوى الخفاء التى لا تقاوم ولا ترد ، وهى قوى لا تشبع من دم الضعفاء وتقتات بالهوان) .

ولا يهمنا من هذا الكلام إلا ما فيه من إدعاء أن النبى ﷺ ، قد جاب البلاد العربية شمالا وجنوبا ، وأنه كان معنيا بمعرفة ما عند الرومان والفرس ، مع أن ذلك كله لا يوجد ما يدل عليه فى التاريخ الإسلامى والمصادر الصحيحة ، بل لا يوجد شىء من هذا فى أى مصدر عربى قديم ، ولكنه خيال المستشرقين لحاجة فى نفوسهم .

ثالثا : ويذكر أن النبي ﷺ تعلم الكتابة من ملاحظته الحروف ، وهذا نص قوله فى ص ٣١٣ (فتناول محمد الصحيفة من على ومحا ما كتبه على ، وكتب هو ديباجتها ، كما أراد مندوب قريش كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أملى على كتبة القرآن) .. وهذا تحريف الروايات ، فإن الثابت أن عليا لما امتنع عن حذف كلمة الرسول أو محوها مد رسول الله ﷺ يده ومحاها بنفسه بعد أن استفسر من على عن موضعها ، وأتم على بقية الكتاب ولم يكتب محمد ﷺ بيده شيئا .

رابعاً : يذكر أن محمداً (ﷺ) قد سحر ، فيقول فى ذلك فى ص ١٧٩ ورأت اليهود موجة نشاط جديدة تهز القلوب فعادت تكيد . وكان من رجال يهود ونسائها من يقوم بأعمال السحر . وللسحر إذ ذاك سلطان مخيف على بعض العقول ، وضعت إمرأة يهودية سحراً يقعده عند الخروج ويمنعه من النساء ، ولقد ضاق هو بهذا السحر ولكنه تحداه . وخرج يقود إحدى السرايا وعاد إلى المدينة ساخرا بهذا السحر ، غير أنه امتنع عن النساء ، فأما سودة الزوجة الكهلة فقد صبرت للأمر عدة شهور ، وأما عائشة زوجته الجديدة الشابة فقد احتملت هذه الشهور ، ثم طالبته أن يصنع شيئا يبطل به هذا السحر ، وكان هو يدللها ويصطفيها ويتركها تتكىء بذقنها على كتفه أمام الناس ، وشعرها يلمس خده ، وهى ترى معه ألعاب الأحابيش فى ساحة المسجد .

وهذا الكلام فيه إدعاءات ثلاثة :

(أولها) : أنه سحر (ثانيها) أن ذلك أثر فى قوته التناسلية (وثالثها) أنه كان يدلل زوجته أمام الناس .

وهذه دعاوى باطلة ، أما السحر فقد ذكر فى بعض الروايات ولكن الثقات والمحققين من العلمـــاء ردوها وثبت بالدليل القاطع بطلانها ، ولو أن بعض

الثقات قد أدخلت عليه ، وأن المستشرقين يطيلون ذكرها توهينا لشأن الدعوة الإسلامية .

أما أنه أثر فى قوته التناسلية فهى مبنية على تأثرة بالسحر ، وقد ثبت بطلانها على أن أكثر الرواة لا يذكرونها .

أما تدليله لزوجته أمام الناس فذلك لم يصح وإنما الذى صح أنها كانت تنظر إلى ألعاب الأحباش وتتطلع من فوق منكبه وهو جالس دون أن يراها الناس .

خامسا : أن هناك نزعة نصرانية نجدها فى مواضيع كثيرة ، نذكر منها أن النبي ﷺ ينادى بياولدى ، ولا يذكر من المنادى، فقد جاء فى ص٩٤ ما نصه: (غريب أنت فى هذا التيه الذى يتنفس باللعنة والأكذوبة والمنكر، شارد حزين لا تنفك تتأمل فى السماوات والأرض ووجوه الرجال والنساء والأطفال .

ما تكاد تضحك مستمتعاً بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة التقية الحكيمة التي إختارتك للحياة) .

ولا تدرى من الذى يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك فى عدة مواضع فقد جاء فى ص ١٣٤ ما نصه :

(طريد أنت يا ولدى ، مسكين معذب كالمبشرين الأوائل) فمن ينادى هذا النداء ، إن الذى يمكننا أن نفسر به ذلك هو أن هذه نزعة نصرانية ، كما يجرى على ألسنة النصارى (آبانا الذى فى السماء) وأنه يصح أن يكون ذلك صوت الله يناديه فى زعم الكاتب ، ولكن لا أحد فى الدنيا يصح أن يكون ولدا لله تعالى : « قل هو الله أحد، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

هذا موقف الكتاب من القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى الخيال الروائى الذى يفتقر إلى الصدق التاريخى فى بعض الروايات عن حمزة وغيره والكتاب فى الجملة يسىء إلى الناس فى دينهم .

حاشية : هذا التقرير الذى كتبه الإمام محمد أبو زهرة عام ١٩٦٢ وقد حصل عليه منه قبل وفاته الأستاذ محمد نعيم الصحفى الإسلامى وقد احتفظ به حتى أتيحت له فرصة نشره عام ١٩٧٥م . وهذا الذى قام بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن .

• ثبت أن السحر لا يؤثر فى قلب النبى ﷺ ولا فى أسلوب التبليغ والدعوه .

• فى دعوى امتناعه عن النساء أنه ﷺ قد ثبت بعد ذلك إنجابه ابراهيم ابنه من مارية القبطية .

(٣)

(مسرحية الحسين شهيداً)

الأصابع الحمراء تشوه حقائق المعارك الاسلامية وتشهر بالصحابة الأجلاء (أحمد الشرباصي ، محمد الطيب النجار ، زكى البنهاوى) نشرت الاعتصام - مايو ١٩٧٥ عن هذه الدراسة للمسرحية تحت عنوان : (مسرحية الحسين شهيداً) .

(١) المسرحية تظهر شخصية الحسين وشخصية السيدة زينب رضوان الله عليهما وهما من آل بنت الرسول الأعظم وقد تكررت الفتوى من العلماء المسئولين بمنع إظهار هذه الشخصيات الطاهرة .

(٢) تردد فى المسرحية التشهير بجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول بمكانة أصحابه فى أكثر من حديث شريف ومن واجبنا أن نبرز مفاخرهم وتركز عليها ونهتم بها والا نطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أخطاء .

(٣) ترددت فى المسرحية عبارات الإتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعنة والتعريض الشنيع بالحرمان وهذا كله بين مجموعة تنتسب إلى الإسلام وجاءت فيها ألفاظ خارجة مثل (أبناء الأمهات الزانيات ، يا إبن الفاعلة ، يا إبن البرصاء ، الدعى بن الدعى) .

(٤) صورت المسرحية العصر الأموى تصويراً يجافى الحقيقة فى بعض النواحى فوصفه بأنه عهد الإقطاع والأطماع وجردت الأمويين من كل خير ونحن لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب ومآخذ ولكن هذا العصر شهد أيضا فتوحات إسلامية كثيرة وكان فيه جهاد ونضال فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ فى تصوير فساده كل هذه المبالغة .

(٥) المسرحية تعرض شخصية الصحابى (وحشى بن حرب) عرضا مخالفا للسيرة والتاريخ فهى تعرض هذه الشخصية المسلمة التائبة فى صورة سكير مخمور ، قد شرب (خمر الأرض) مع أنه من صحابة رسول الله ﷺ وروى عنه الحديث وقد جاءت أحاديث مروية عنه فى صحيح الإمام البخارى .

وتصور المسرحية مقابلته للرسول عند إسلامه تصويرا غير كريم وغير سليم لا تتفق مع التاريخ ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التى تحلى بها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين : رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فالرسول قد قبل إسلام وحشى وقال له (يا وحشى أخرج فجاهد فى سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله) .

(٦) والعجب كل العجب أن يوجد « وحشى بن حرب » بين شخصيات هذه المسرحية لأن أحداثها تدور فى سنة ستين للهجرة ووحشى حرب قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة فى خلافة عثمان رضى الله عنه فوحشى إذن لم يدرك شيئا من أحداث هذه المسرحية فكيف يضاف إلى أشخاصها .

(٧) هناك نوع من القسوة فى الحكم على معاويه مع أنه صحابى ومن كتاب الرسول ﷺ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلا من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة التى يختلف فى تحديدها المؤرخون والباحثون .

(٨) جاء على لسان الحسين رضى الله عنه وأرضاه أنه ذهب حينما اشتدت المحنة إلى قبر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال يخاطب النبى : حدىء أنا لا أعرف ما أصنع فأعنى ، والحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله تبارك وتعالى ، وجد الحسين هو نفسه القائل : إذا استعنت فاستعن بالله فضلا عن أن الواقعة لا نصيب لها من الصحة .

(٨) ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بمقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجس شراً من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه ولسنا ندرى لمصلحة من يظهر يزيد وهو حاكم المسلمين على أقل تقدير - فى مظهر حقير مثير لو كان أمراً واقعاً لما كان من الحكمة إبرازه .

فقد قدمت المسرحية عقب مقتل الحسين شخصا يبدو مخموراً والجوارى تمتطين ظهره وينخسنه فيسير بهن كالحمار والتاريخ يذكر فيما يذكر أن يزيد كان متهما بالإنحراف عن الآداب الدينية قبل المبايعة له فيما تولى الحكم إنصرف عن هذا الإنحراف أو على الأقل لم يجاهر بمثل ما كان يجاهر به من قبل .

(٩)أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامى بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنصف قرن فقط فى صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى ، وصار مجتمع عربدة وفجور ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف ومجتمع خيانة ونكث للعهود مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ وفيه عدد ضخم من التابعين لهم باحسان .

(١٠) تردد فى المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجوارى حيث تناول الأشخاص عبارات الإتهام باللهو والتمتع بالجوارى ، على سبيل التعريض والتهكم مثل هذه العبارات (ما تجيد سوى مصاحبة الجوارى) ، (تمتع بجواريك الأبكار الخرد)، (سوق الإماء) .

(١١)تناثرت عبارات مأخوذةمنجو غير إسلامى مثلهذه العبارات (ماجئت لألقى سيفا) (جئت لألقى موعظة) (لأملأ كل بيت بالمحبة ، جموع الفقراء (يا مطفىء نور الحضارة) .

(١٢) أختير لون السواد لطائفة من الممثلين والممثلات وهذا السواد شعار

طائفى مذهبى خاص فهل من المصلحة أثاره مثل هذه الطائفية ، وكذا بدا من قام بدور الحسين فى ثياب تشعر بأنها إيحاء بشخصية غـــير إسلامية وإن كانت شخصية لها مكانها فى نظر المسلم .

وكان هناك فى نص المسرحية نواح وندب وتعديد وقد طال هذا وإمتد فما مدى إتفاق ذلك مع تعاليم الدين .

كذلك جاء على لسان أحد الأشخاص من أتباع الحسين رضى الله عنه ما يفيد، أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين فهل يحكم على عقائد الناس بمثل هذه السهولة .

(٤)

مآخذ على كتابات الشرقاوى: (حول الامام على)

أولا : أن مصادر الكتابة عن الامام على ورفاقه ومنهج البحث فى سيرة الصحابة تختلف عن المصادر ومنهج البحث فى التاريخ العام ، وهو لم يلتزم بهذا المنهج بل عمد لكتب التاريخ وغير كتب التاريخ فاستقى منها مادته وأخباره ، فرجع إلى كتاب (الاغانى) وهو مرجع لمؤرخى الأدب فى العصر العباسى يجمع أخبار الشعراء والادباء والمغنيين والمغنيات ومجالس الشراب والطرب ، فاذا وجدت فيه معلومة عن صحابى أو تابعى فيجب الوقوف أمامها طويلا ، للبحث عما إذا كانت قد وردت فى مصدر تاريخى أصيل مما تتكفل به أصول البحث العلمى ، ومصطلح علم الحديث وأصول الرواية فى معرفة حال الرواة وصحة المتن وطريق التحمل ولكن الشرقاوى سوى بين المصادر القديمة لقدمها ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس .

ومن مصادر الشرقاوى (الطبرى) والطبرى لا يشك أحدا فى صدقه ولكنه اعترف فى كتابه أن الكتاب لا يخلو من الوقائع المكذوبه والاخبار المنحوله فلما هوجم الشرقاوى فى هذا دافع عن مصدره واهمل هذا التحذير الخطير الذى سجله الطبرى فى صدر كتابه .

وهكذا فإن المصادر التى رجع اليها الشرقاوى لم تكن كلها كفئا للموضوع فوقع فى ورطه لم تستجب لنصح الناصحين فيها .

(بتصرف عن بحث الدكتور المطعنى)

ثانيا : تناول أشخاصا لهم بلاء وغناء وسبق إلى الاسلام والجهاد فى سبيل الله ووصفهم بما لا يليق بامثالهم ، فهم تلاميذ محمد ﷺ والشوامخ الذين

هاجروا فى الله بعد مافتنوا وهاجروا وصبروا وقد قدم لنا الإمام على فى عماية فتنة وأعصار محنة ، وقديما قرر الفقهاء والعلماء والسلف الصالحون ممن أدركوا الفتنة وجاءوا بعدها الإمساك عن الخوض فيها فإن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ولكل منهم وجهه نظر واجتهاد والمخطىء فيه له أجر والمصيب له أجران .

لم يتناول الكاتب دور اليهود فى هذه الفتنة التى آثر الخوض فيها وما فعله عبدالله بن سبأ وأشياعه والمخدوعون به فهم أسبابها وما أشبه الليلة بالبارحه ولم ينهج نهج المحدثين وأهل الأثر من نقده الأخبار على مقتضى قوانين الرواية والجرح والتعديل الذى ميز الله به أمة محمد ﷺ وراح يسوق الأخبار ومنها الملفقة كأنها حقائق مسلمة ويبنى عليها اتهامات ويصدر أحكاما قاسية وهى أخبار واهية لا تحل روايتها فضلا عن اعتمادها فى تقرير حكم أو توجيه لوم خاصه إذا كانت تحمل فى ثناياها دليل بطلانها ولم يشر إلى مرجع واحد من مراجعه التى اعتمد عليها فإن كثيرا من أئمة المورخين قد ينقلون الشائعات والأخبار التى لا تصدق ولكن بأسانيدها اعتماداً على أن الناس سيبحثون الأسانيد فتقبلونها أو يرفضونها .

(عن بحث الأستاذ عبد المعز عبد الستار بتصرف)

ثالثاً : الحاحه فى قوله : [ليس لبنى اسماعيل فضل على بنى اسحق ولا لبنى اسحق فضل على بنى اسماعيل) والحق أننى ألمح منها كيدا خفيا من عمل اليهود وإفكا افتروه ، بعد أن عزلهم الله عن قيادة البشر وجعلها فى العرب من بنى اسماعيل فاليهود من يريدون إن يتساووا مع العرب والمسلمين ويتجاهلوا المبدأ ويقرروا أنهم يرتقون إلى مستوى المسلمين على مابهم من بغى وكفر وقساوة قلب وعلى أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وقولهم [ليس علينا فى الأميين سبيل] ونحن نقول : [بل لبنى اسماعيل اليوم فضل على بنى اسحق] وللعرب فضل على اليهود بعد ما اثبت اليهود ببغيهم وعداوتهم أنهم على مدى التاريخ وراء كل فتنة وسبب كل محنة وأنهم كالمشركين لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمه .

رابعا : غرق عبد الرحمن الشرقاوى فى أباطيل الرواة وفى الروايات الضالة

فأجرى على لسان (الإمام علي) عبارات ما كان يمكن أن تجرى على لسانه وتقول عليه أخباراً كاذبة كمثل ما نسب إليه من أنه قال أنه كان أولى من أبي بكر وعمر بالخلافة .

خامساً : إنزلق عبد الرحمن الشرقاوي في أعراض الصحابة واندفع بهدف ونية ميته وليس من باب الخطأ أو عدم الإحاطة بالمصادر ، ولما كانت هذه الفترة من تاريخ الإسلام شائكة ، وكان هو غير متخصص في التاريخ وقليل الدراية ، والصحابة بحيث أن يتناول تاريخهم بأسلوب مختلف ، يقوم على احترامهم ومعرفة قدرهم وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا حين قال : [أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم] ويقول [لاتسبوا أصحابي ، من سب أصحابي فقد سبني] .

وقد بدا القصد من سياق السرد وهو النيل من الآخرين ومن سابقته بالذات وهي نقطة مهمة كان لابد من أثارتها ، وكانت عبارات الكاتب تستهدف التنقيص ممن قبله من الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قصد الكاتب إلى إثارة خلاف في هذه الآونة بين طائفتين أو أكثر من المذاهب الإسلامية وإيجاد بلبلة وتباغض بين تلك الأمم والمذاهب ومن هنا دخل في الخطر الكبير الذي جاء عنه التحذير في بعض الآثار : (الفتنه قائمة لعن الله من ايقظها) .

الأخطاء كثيرة وكأن بالرجل يرمي إلى شيء من وراء هذه المغالطات غير العلم فابتعد عن الحقائق ، وماذا يقصد بأوصافه التي أتى بها خياله عن ليلة زواج ذي النورين عثمان رضي الله عنه من نائله ، وهو الذي كانت تستحي منه ملائكة الرحمن ، ومن أين له هذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التاريخ وأقرب ما يكون إلى روايات الجنس ثم كتاباته عن أم المؤمنين عائشة وعن الصحابة طلحة والزبير وغيرهم عنه ماوصفهم بغير أوصاف المؤمنين وهم المؤمنون حقا .

عن (عبدالله الأنصاري) بتصرف

سابعا : بدأ الشرقاوى خطته بأن ألف كتابه محمد رسول الحرية على أساس أن الإسلام مظهر للصراع بين الطبقات وأن الأصنام تم صبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية ومضى فى طريقه يفسر الوقائع بمعايير الفكر اليسارى ويقرأ كتب التاريخ غير مميزين حقيقة وشائعة ، وبين صحيح وموضوع وغير مدرك لمكانة الرجال الذين يتحدث عنهم فجاءت كتاباته بعيدة كل البعد عن المنطق العلمى ، كما جاءة بعيد الأثر فى الإساءة إلى الإسلام والصحابة وإلى الآمال المرجوه فى الصحوة الإسلامية وجمع الشمل وقد ردد الشبهات والنقط النقاط المشكوك فيها التى تعينه على باطله ومنها الخطبة المنسوبة إليه بأنه أولى بالخلافة من أبى بكر وعمر وهى خطبة تعنى أن الخلفاء الثلاثة كانوا مغتصبين حقا ليس لهم وأنهم طلاب دنيا وعشاق رياسة وأن جمهور الصحابة جبن عن مظاهرة صاحب الحق المقرر ، وهذا النسق يرمى إلى فتح الباب للطعن فى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

ودعواه أن بنى النضير اسلموا باطل فى اسلم بنو النضير يوما ، وأنهم حاولوا قتل النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان بينهم فى بعض الشئون وهناك قضية وهب لها الشرقاوى فكره ونشاطه ويريد أن يجر الإسلام إليها جرأ دون هوادة ، هل للمسلم أن يدخر أو يكنز بعد أن يؤدى الحق المقرر عليه فى ماله ، أم يجب إلا يمسك عنده شيئا فوق حاجته وهو يؤكد أنه لا يجوز استيفاء شيء لصاحبه فوق نفقته العادية ، أن هذا هو ميل إلى نظرية كارل ماركس (لكل حسب حاجته) ولكنه يصور الرأى الذى ارتآه على أنه من الكتاب والسنة ، وهو يحاول أن يحمل على ابن أبى طالب ضد رأس المال مهما أدى ماعليه من حقوق وهو يحاول أن يجعل عثمان كأحد الباشوات أو اللوردات الذين يشبعون شهواتهم ويرهبون المجتمع بفضول أموالهم ومن المقرر أن كتابات عبد الرحمن الشرقاوى لا تحكى تاريخا إسلاميا ، فهو يسارى يريد أن يجعل الإسلام وتاريخه مصبوغين باللون الأحمر والتفكير المادي ويسوق الحوادث سوقا لخدمة هذا الغرض .

فهل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان صراعا طبقيا كما يقول

الأغنياء يدافعون عن وجودهم والفقراء عن حقهم فى الحياة الكريمة وعن أحلامهم فى عالم أفضل ، أى أحلام هذه وهل صحيح أن موسم الحج كان « يستثمر هؤلاء الأغنياء أموالهم فى البيع والشراء والربا فيربحون ويربحون ، وهذه الأصنام هى التى تمنحهم كل سلطاتهم على الإجراء والمدونين والعبيد وأبناء السبيل وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، هكذا يقول الشرقاوى فى تصوير الرسالة لإسلامية : صراع بين الغنى والفقر لا وجود له إلا فى دماغ المؤلف .

وآية عدم إكتناز الذهب والفضة نزلت بعد اثنين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام أو الحرب التى شنها الإسلام على الوثنية من أول يوم . حتى الهجرة إلى المدينة جعل لها الشرقاوى أسبابا اقتصادية فإن المرابين فى المدينة كان ضغطهم أقل ، والهوان الذى يتعرض له المدنيون كان أخف ، تأمل قوله : هنا مجتمع آخر أكثر تقدما من مجتمع مكة ، هنا علاقات أجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد ، فالمرابى اليهودى لم يكن قادراً على استعباد المدين العربى إذا عجز الوفاء كما كان يحدث فى مكة ، ولم يكن له الحق فى أخذ امرأة المدين أو ابنته لإكراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش وأجير الأرض فى المدينة أعلى درجة من عبيد مكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف الخ .

ليس فى هذا الكلام كله ذره من صدق والقول بأن العرب كانوا يسترقون المدين المعسر ، ويستوفون ديونهم من استرقاق امرأته وابنته وارغامهما على الزنى ، كلام مكذوب ، ما كان شائعا لا فى مكة ولا فى المدينة وبالتالى فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلفة .

أن هذا الكلام ليس تشويه تاريخ ، بل هو تزوير تاريخ ، أو كما يقال فى مصر (سمك ، لبن ، تمر هندى) وليس فى القرآن ولا فى السنة المطهرة ولا فى السير المؤلفة عن صاحب الرسالة مايترك مثل هذا الانطباع الغريب عن الجو الذى بدأت منه تعاليم محمد (١) . كما يصف عبد الرحمن الشرقاوى الإسلام ونبيه وما نزل عليه من وحى وما تمخض عنه من حضارة .

عن الشيخ (محمد الغزالى بتصرف)

(٥)

أخطاء عبد الرحمن الشرقاوى

فى كتابه السيرة والتاريخ

فى كل كتاباته الإسلامية يظهر الغرض المبيت المدفون واضحا :
(محمد رسول الحرية - مسرحية الحسين ثائراً - كتاباته عن الإمام على)

إن درجة الوعى الإسلامى الآن فى فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية وما تعتقد أنها يمكن أن تخدع وهذه الأسماء معروفة الهوية ولذلك فهى لا تستطيع أن تكسب ثقة قارىء واحد من المؤمنين باليقظة الإسلامية ولعل هذا هو مايزعج هؤلاء ومن ورائهم ، أن خطط التغريب والغزو الثقافى قد كشفت تماما فمهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم ومهما نشرت لهم الصحف الكبرى ومهما حالت بين مقترباتهم وبين تصحيحها ، فلييئس هؤلاء تماما وسيرتد الكيد إلى نحور أهله .

إنها محاولة لتحطيم الصحوة وللقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذى أصبح صالحاً ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الربانى ، أنها محاولات يائسه لإفساد الفكر ولتزييف التاريخ ولهدم القيم تحت أسماء إسلامية ، ومن خلال صحف محتواه للتغريب والغزو الفكرى-فى روايته الحسين شهيداً كان حريصا على أن يصور المجتمع الإسلامى بعد أن إختار الرسول الرفيق الأعلى بنصف قرن فى صورة بشعة، وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى وصار مجتمع عربدة وفجور، ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف ومجتمع خيانة ونكث للعهود ، مع أن المجتمع كان لا يزال يدخر بعدد كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم باحسان (وهذه متابعة لخطة طه حسين) التى جرى عليها فى الهجوم على الصحابة وأتباعهم أما فى دراسة عن الإمام

على فقد اعتمد على مراجع معنية أغلبها مشكوك فى صحتها وفى مقدمتها الأغانى، وفى هذا تابع أهواء الدكتور طه وخطته حتى ليخيل إلى أنه إمتداد حقيقى وتجديد إستشراقى تغريبى لأفكار طه حسين المسمومة التى بثها فى كتابه الفتنه الكبرى وعلى بنوه فى الأربعينات يجددها الشرقاوى فى الثمانينات .

فقد جرى وراء القصص البراق ، واعتمد على المصادر المضلة وساير خصوم الباطنية للشيخين أبى بكر وعمر وحاول أن يلحق الإساءة بالسيدة عائشه على هوى بعض الفرق .

ويمكن أن نقول بوضوح أن عبد الرحمن الشرقاوى القصاص الذى يغلبه الخيال والبريق والرواية المثيرة لا يصلح مؤرخاً ولا يمكن أن يقبل منه كل ما كتب على أنه تاريخ وهو يمضى فى سلك واحد مع جورجى زيدان أولا وطه حسين أخيراً ومن العجيب أن أحداً ممن نقدوه لم يشر إلى متابعته لخطأ طه حسين فى هذا المجال .

وفى الوقت الذى يأتى كتاب غربيون يشيدون بعظمة الإســـلام ورسوله ورجاله ينحرف كتاب عرب لهم أسماء إسلامية عن هذا الخط ويخوضون إلى ما تحت ركبهم فى الأعراض والقبائح .

ولقد تأكد ما قاله الشيخ الشعراوى من أن الأهرام أصبحت وكرا لأعداء الإسلام وأن موقف الأهرام من إغلاق الصحيفة على كتابها دون أن تسمح بوجهة النظر الأخرى هو من الآثام التى سوف تحاسب عليها الأهرام عندما يكتب تاريخ الصحافة وما كانت هكذا تجرى المعارك الأدبية فى القديم حيث كان يسمح لكل طرف أن يعرض آرائه ، وها هى الأهرام تستخدم من قبل توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ، والشرقاوى لخدمة أعداء الإعلام .

ولقد صدق الشيخ محمد الغزالى حين وصف الشرقاوى بأنه يجمع القمامات

من كتب التاريخ ويصدق أيضا ما وصف بأنها مؤامرة لضرب الإسلام لحساب المسيحية ولضرب الصحوة التى أدخلت فى الإسلام أعلاماً كباراً أمثال جارودى وبوكاى .

ولعل أسوأ صفحات الشرقاوى هو أسلوبه فى الحـــوار وإدخاله الاقذاع والسخرية فهو كاتب يمكن أن يوضع فى صف الشعراء القدامى الذين تخصصوا فى الهجاء المقذع الذى يرفضه الإسلام أسلوبا للحوار فما بالك وصاحب الحق فى الرد لا يمكن من أن يقول كلمته فى نفس المكان ، أى ظلم هذا .

الفصل الثاني عشر

محمد التـــابعي

(١)

منشىء صحافة الآثاره :

الرجل الذى أنشأ صحافة البحث وراء أسرار البيوت والذى نقب عن خفايا الأسر والاعراض ، وهو الذى دعا إلى ديكتاتورية الحزب الواحد وحرض على الدعاة لله بالقتل والإبادة . وهو استاذ مدرسة الآثاره فى الصحافة المصرية والعربية والذى كون هـــذا الجيل الذى ظهرت آثارة بوضوح فى صحافة (أخبار اليوم) .

* * *

انتهت حيـاة الرجل الذى كان له أكبر الأثر فى إنشاء الصحافه الزلية : الكاريكاتير الساخر ، والبحث خلف أسرار الناس والتطلع إلى ما وراء الأبواب المغلقة . ذلك هو الأستاذ محمد التابعى الذى تصدر هذا الفن فى الصحافة المصرية الحديثة منذ عام ١٩٢٦ حينما تولى إصدار مجلة « روز اليوسف » مع السيدة فاطمة اليوسف هذه المجلة ، ثم أنفرد بهذا الفن حين أصدر مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٤ وكانت فنون الكاريكاتير السياسى والسخرية قد بدأها « سليمان فوزى » صاحب الكشكول التى كانت تحمل على حزب الوفد حملات قاسية مما دعا مكرم عبيد إلى أقتناص محمد التابعى ليحمل لواء هـذا الفن للدفاع عن الوفد بنفس أسلوب الصحافة الهزليـة والكاريكاتير والسخرية من كل القيم والايغال فى مهاجمة كل الأخلاقيات واقتحام أسوار الأسر والبيوت لابتداع فن الخبر الاجتماعى المثير الذى كان سلاحاً قاسياً فى ضرب السياسيين القـدامى ورجال الأحزاب بعضهم ببعض .

وقد بلغ الأستاذ محمد التابعى بإشرافه على مجلة روز اليوسف قمة التعريض والهجاء والنقد اللاذع عن طريق الخبر والكلمة والصورة .

وقد بدأ التابعى عمله فى الصحافة ناقداً مسرحياً ثم تحول إلى التعليق السياسى

وعندما حوكم وصدر الحكم عليه بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ لم يكن ذلك في سبيل الدفاع عن حقوق وطنية وإنما كان من أجل مقالات عن مغامراته في أوربا عنوان (ملوك وملكات أوربا تحت جنح الظلام) . يقول الصحفي المعاصر محمد على غريب : إنه لما كانت توجد مجلة الكشكول وقد تخصصت في مهاجمة سعد زغلول ولقيت الرواج العجيب، لذلك صح الرأى في أن تصبح روز اليوسف مجلة سياسية واستطاع التابعي أن يجهز على مجلة الكشكول وقد عرف أسلوب التابعي بالسخرية القاسية والدعابة العنيفة .

ويعد محمد التابعي صاحب هذه المدرسة التي سارت عليها من بعد كل صحف الكاريكاتير في مقدمتها روز اليوسف ، وأخبار اليوم .. ويعد مصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل وإحسان عبد القدوس من تلاميذ هذه المدرسة العتيدة . وقد تعود التابعي كما كتب على أمين في آخر ساعة ألا يعود من الخارج إلا ليحزم حقائبه لرحلة جديدة حتى إنه لم يكن يستقر في مصر أكثر من شهرين في السنة فيقضى الشتاء في سان مورتز والربيع في باريس ومونت كارلو ، والصيف بين رأس البر والاسكندرية وإيطاليا ، والخريف في القاهرة ليستريح من عناء رحلات الشتاء والربيع والصيف .. وإنه يوماً في جزيرة كابرى ويوماً في مونت كارلو وإنه يسافر ومعه أكثر من عشرين حقيبة تحوى ملابس للصيف والشتاء والربيع والخريف وملابس الصبح والضحى وبعد الظهر والمساء والليل وإنه ينزل في الجناح الملكي لفندق سوفرنيا .

وقد دمغ القضاء المصرى صحافة الكاريكاتير الهزلية هذه في كثير من المحاكمات التي قدم لها التابعي بأنها « تنشر فاحش القول وسقطه وإنها غالت في اقذاع في الناس ، والبحث وراء أسرارها في تعريض وتلميح ، وإن أصحابها يغمسون أقلامهم في السموم القاتلة والتصاوير الخلاعية التي كان لها أسوأ الأثر في قرائها من الشبان المراهقين . وكان التابعي حريصاً على فضح أسرار الأسر والبيوت وكشف خفاياها وأعراضها لحساب الخصومة الحزبية » .

هذا هو الأثر الأول والضخم فى حياة محمد التابعى الذى نماه من بعده وطوره أتباعه وتلاميذه وحواريوه بكل الدور الصحفية تقريباً والذى كان ولا يزال بعيد الأثر فى الصحافة المصرية الحديثة . وما كتابات إحسان عبد القدوس التى ينشرها بالأهرام هذه الأيام عنا ببعيد .

أما الأثر الثانى فى حياة محمد التابعى فهى موقفه الخطير فى التحريض على الدعاة فى سبيل الله ورجال الدعوة الإسلامية كراهية فى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وعملاً على تدمير القوى المؤمنة التى تحمل لواء الدعوة إلى تحرير الحياة الفكرية الاجتماعية من التحريض على الفساد والشهوات والصور العارية والقصص الماجنة وغيرها من الأساليب التى كان يعمل لها أصحاب التابعى وتلاميذه وهم يبثون فى ثنايا كتاباتهم ذلك اللون الخطير الذى أريد به إفساد شباب الأجيال وتدميرهم وإنحلالهم .

وقد وقف محمد التابعى مرتين موقف التحريض على « جماعة الإخوان المسلمين فى محاولات الحل الذى تعرضت له مرتين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٤ . وفى كل مرة كان قاسياً على أهل القرآن ، متهما إياهم بكل نقيصة ، محرضاً عليهم بالقتل والسحق والإبادة حتى لا يجد قلباً أو لساناً ينقد تصرفه الفاسد ودعوته الضالة .

أما الأثر الثالث الذى يوضع فى ميزان أعماله عند الحساب فهو دعوته الحادة المسمومة إلى ديكتاتورية « الحزب الواحد » وتنكره لكل أساليب الديمقراطية والنظم التى تسمح بالرأى الآخر أو وجهة النظر الأخرى .. وقد غالى التابعى فى الدعوة إلى الحزب الواحد وأغرى به حكام مصر فى فترة من أدق فترات التاريخ السياسى كان المصريون يتطلعون فيها إلى نظام دستورى يحقق الشورى والعدل ، فإذا به يظاهر دعوة الدكتاتورية القابضة على الرقاب والعقول والنفوس فكانت تلك هى آخر كلماته التى عارضه فيها أقرب الناس إليه وتلميذه الأثير « مصطفى أمين » . ثم أصابت التابعى على إثر ذلك ضربة القدر التى لا تتخلف إزاء كل ظالم ومدمر لقيم هذه الأمة وأخلاقها .

* * *

ومع أن محمد التابعي قد أنطوت صفحته ، فأن أصحاب المدرسة لابد أن يجددوه فيكتبوا عنه تحت عنوان خطر : (أخبار اليوم ٢٤/١٢/١٩٨٣) .

(صاحب الجلالة الذى نسيناه) :

حيث يكتب عنه تلميذه الأثير مصطفى أمين وانيس منصور موسى صبرى وهو يوصف بالعملاق ، وبمؤسس الصحافة المصرية ومحـــررها من سيطرة الأجانب ونسى هؤلاء أنه إذا كانت المدرسة المارونية (الأهرام ودار الهلال) قد وجهت الصحافة المصرية خلال أكثر من خمسين عاما وجهة التسليم للأحتلال وللغزو الفكرى والتغريب فأن مدرسة محمد التابعى هى التى مصرت هذه المؤامرة وكانت مرحلة المصريين أخطر من المرحلة السابقة ، ولكن كيف يمكن أن يقال هذا وهناك أقلام تصور السيء والقبيح والفاضح بصورة البطولة ، على النحو الذى وجدناه فى طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمد التابعى وماكان محمد التابعى الا ترجسيا مغرورا يتطلع إلى اتخاذ قلمه سلاحا لاذلال خصومه ، ويتخذ من الكلمات المدسوسة المضببه سبيلا لتهديدهم والسيطره عليهم ، وماكانت رحلاته إلى أوربا إلا غزوات فى سبيل الجنس والمتاع ومتابعة العورات واللذات المحرمة وما كانت غزواته ألا فى سبيل هذا الأتجاه ، وتلك السهرات التى كان يقيمها ويدعو إليها أم كلثوم وأسمهان وغيرهما ، وما هـذا البذخ والأسراف ألا على حساب الكلمة وسلطة القلم الذى كان يخيف البذخ به خصومه والأسلوب الماكر الخثيث المليء بالسخرية والتهكم الذى كان يجيـده وامله هـو الذى جعله صاحب جلالة فى بلاط صاحبه الجلاله ! ومن بعد ذلك معارضه لكل تطلعات الأمة إلى الضياء والنور ، وسخرية بالأزهر وعلمائه ، ودعاته ، وتبعية واضحة للتيارات السياسية الغربيـة ، ونفاق مع حركة يوليو والحاح على تمكين الحاكم من الدكتاتورية والاستبداد ودعـوه صريحه إلى الحرب الواحد لقد دخل الصحافة من باب المسرح وتحول إلى فن السخرية بالناس والبيوتات ـ لقد كان من الباحثين عن عورات الناس وعن أسرار البيوت وعن قفشات السهرات وتدقيما يتخذها سلاحا

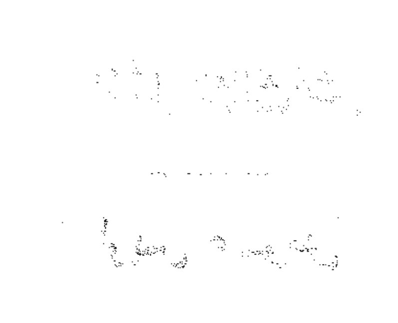
فى وجه خصومه وكان الناس يقبلون على روز اليوسف أو آخر ساعة من أجل التطلع إلى هذه العقوبات وحياته الصحفية كلها حياة المغامرة فى سبيل نزواته وفى سبيل تطلعاته ، هذه هى الريادة للصحافة الحديثة التى ورثها منه مصطفى أمين ، هى التجارة وهى تدمير الشباب وتحويلهم إلى الأهواء والمطامع ، وصرفهم عن القيم والعقائد .

ولقد أكد الكتاب فى هذا الاحتفاء بالتابعى على حقيقة أساسية هى متابعة هذا التيار ودعمه وتعميقه وهذا هو ماقام به مصطفى أمين ومدرسته .

وقد أشار عبدالله عبد البارى : أن التابعى ترك بصماته قوية وظاهرة على جيل بأسره هم مصطفى أمين ، إحسان عبد القدوس ، إبراهيم الوردانى محمد حسنين هيكل ، كامل الشناوى وغيرهم .

الفصل الثالث عشر

لويس عوض



(١)

مؤامرة توفيق الحكيم ولويس عوض :

• توفيق الحكيم يرى عزل مصر عن البلاد العربية وتحويلها إلى فندق سياحى عالمى للوافدين العرب تقدم لهم كرم الضيافة من المتعة والواحة .

• لويس عوض يحاول تحطيم دور مصر الرائد فى مواجهة الفكر العربى وموقفها التاريخى من الإعصار التترى والحروب الصليبية .

• كراهيتهم للإسلام ثابتة فى الأعماق لا تظهر على السطح ولكن تبدو فى التصرفات وطريقة معالجة القضايا والمشاكل .

• طه حسين يقول فى تمجيد الفرعونية وإعلاء شأنها على الإسلام : إذا كان الإسلام سيقف حجر عثرة فى طريق مصريتنا الفرعونية لنبذناه .

• كان الإسلام وما يزال روح المجتمعات ومهد الحضارات الإنسانية ووقود الحركات الوطنية والتحررية .

• لا غرو فالإسلام هو الذى صنع الشخصية المصرية منذ أربع عشر قرناً والإسلام اعتنقه المسلمون واعتنقه غير المسلمون حضارة وثقافة وعادات .

دارت التساؤلات حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أثاره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بالتاريخ العربى والإسلامى ، وبالدولة العثمانية والغرب ، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غارقة فى الوثنية أو منحازة إلى الغرب . وتتجاهل هذه الدراسات أن الاسلام هو الذى صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن التاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا يحتاج إلى مزيد من الايضاح ... سواء منهم الغربيون أو العرب من أنه قد حدث إنقطاع حضارى جب كل ما كان قبل دخول مصر فى الاسلام ، وأن تاريخا ضخماً طويلا إستمر أكثر من ألف سنة من تاريخ

اليونان والرومان فى هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى أفريقيا كل هذا التاريخ بقرائه ولغاته ومفاهيمه وقيمه قد أصبح فى خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنقت المنطقة كلها الإسلام .. اعتنقه المسلمون دينا واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات » . وقد أشار كرومر إلى هذا المعنى حين قال : إن المسلمين والمسيحيين يصدرون عن أساس أخلاقى واجتماعى واحد مع طول التأثر .

ولكن إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحة ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية منعزلة لم يصنعها القرآن أو الثقافة الاسلامية أو الفكر الاسلامى أو اللغة العربية ، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لغاتها القديمة بعد قرنين من دخول الاسلام إليها ، كذلك فقد كان الاسلام ولا يزال روح المجتمعات وشارة الحضارة ووقود الحركات الوطنية والتحررية ، ولقد كانت الدعوات إلى الاقليمية والقوميات واحدة الفكرة والمنهج .. ولذلك سرعان ما عجـــزت عن تحقيق أشواق النفس العربية الاسلامية . وستظل هذه الظاهرة الاسلامية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصناً حصيناً الشخصية المصرية ماعاشت . لأنها عميقة الجذور من ناحية ولأنها منصهرة فيها انصهاراً عضوياً يعجز خصوم الاسلام عن القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفرعونى الوثنى الذى سار عليه فى كل كتاباته وعرف به ومن ثم فقد أصبح فى تقدير الباحثين غير منصف ولا راغب فى معرفة الحقيقة الخالصة لوجه الحق وحده .

ولقد جاءت تساؤلات عن محاولات توفيق الحكيم فى تحييد مصر عن البلاد العربية وعزلها ، والدعوة إلى جعلها فندقاً عالمياً سياحياً يقدم للوافدين من كل مكان المتعة والترفيه ، وكان فى ذلك مشاركا للدكتور لويس عوض فى تحطيم دور مصر العالمى الذى عاشت تقوم به فى مواجهة التيارات الغازية والغزوات الطامعة

التى واجهت عالم الاسلام ، وكان لها دورها الخطير فى رد هذه الغزوات وحماية عالم الاسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث فى الاعصار التترى وفى الحروب الصليبية وفى الاستعمار الغربى الحديث ، وسوف يكون لها دورها الخطير فى دفع الغزوة الصهيونية ووقاية المسلمين والعرب منها ..

ولا ريب أن دعوة توفيق الحكيم تصدر عن مفهوم بعيد أشد البعد عن الانتماء العربى الاسلامى . ولقد كان توفيق الحكيم طوال حياته يفخر بذلك معلياً شأن العنصرية فى حديثه عن مصر ، كارها لطابع مصر العربى الاسلامى . وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية على الاسلام حتى قال قولته المشهورة : « إذا كان الاسلام يقف حجر عثرة أمام مصريتنا وفرعونيتنا لنبذناه ، بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين يرى أن رأى توفيق الحكيم فى العرب أشد تحاملا وتعصباً من رأى كثيرين من متعصبه المستشرقين أمثال رينان ودوزى . ولعل التقارب فى هذا الرأى بين توفيق الحكيم ولويس عوض يرجع إلى مصادر الثقافة الغربية الواحـــدة التى تأثر بها كلاهما فى فترة كانت البعثات الأجنبية سـواء إلى فرنسا أو إلى إنجلترا تستهدف سحق مقومات هـذه الأمة وإلقائها فى أتون الأقليمية فهى كراهية مشتركة للعروبة والاسلام ، وهى ممتدة إلى اللغة العربية وإلى القرآن وهى مبثوثة فى الأعماق لا تظهر على السطح ولكنها تبدو فى التصرف وفى تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم قـد لخص تفسير القرطبى وظن بعض الذين يأخذون بظواهر الأمور أنه فى الطريق للتعرف إلى الاسلام إلا أنه لم يلبث أن كشف عن تلك المحاولة المسمومة التى ترددها طائفة معروفة الآن باسم طائفة الخادعين المسلمين بالحديث عن الشريعة الاسلامية وذلك حين ردد ما كان يقوله منذ سنوات عن تطوير الشريعة الاسلامية وهى دعوة يحمل لواءها من وقت بعيد : محمد النويهى وعبد الحميد متولى ومحمد أحمد خلف الله وآخرون يهدف

تذليل الشريعة لتبرير أوضاع المجتمعات الحديثة وفى مقدمتها الربا وعلاقات المرأة والرجل خارج نطاق الزواج ، وإحتواء الشريعة الإسلامية ونصوصها فى داخل القانون الوضعى على النحو المسموم الذى دعا إليه عبد الرازق السنهورى منذ سنوات وهى دعوى ممتدة يغذيها النفوذ الأجنبى ليحول بها دون قيام المجتمعات الاسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ، ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالفرعيات) ويعتمد فى ذلك على نص الشيخ محمد عبده الذى يوظفه الماركسيون وأعداء الشريعة وهو لا يمثل الامام المجتهد ولا المتخصص فى هذا الأمر ، وإنما هى إجتهادات كان لها وضعها وظروفها فى وقت كانت الشريعة الاسلامية تضرب بالسياط على أيدى كرومر فى مصر وليوتى فى المغرب وهى لا تمثل إجتهادا يمكن الأخذ به ، كذلك الخطأ الذى وقع فيه على عبد الرازق حين أراد أن يصف الاسلام بأنه دين روحانى ويلغى نظامه الاجتماعى إلغاء تاماً وقد تلقف بعض المستشرقين هذه النصوص الزائفة التى لم يعتمد فيها على كتاب أو سنة لضرب الاسلام . كذلك هناك ما يثار من شبهة الثبات والتغيير ومحاولة وضع العقيدة فى مكان الثبات والشريعة فى مكان المتغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه . وأن الشريعة الاسلامية إنما جاءت خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم النمر شبهة توفيق الحكيم هذه التى ما زال يرددها منذ سنوات حين قال له : كان الحكيم يريد أن يجعل كل ما شرعه الله لتنظيم حياة الانسان خاضعاً للتغيير بتغير المجتمع وراءه ، ومن هنا تهب ريح الخطأ فى التفكير ، بل والخطر أيضا على شريعة الله إذ معنى ذلك ومؤداه لو قبلناه أن لنا نبيح الزنا والخمر والرقص متى قبل المجتمع ذلك ونتحلل من عقوبات السرقة والحرابة والزنا ومن كل شيء حرمه الله ورسوله لو قبل المجتمع ذلك ! ! وهذا اتجاه خطير يهدم الشريعة ويزلزل كيانها لأنه يجعلها كلها تابعة وخاضعة

لهوى الناس وما يتجهون إليه فى حياتهم فى أى مكان وفى أى عصر والله تبارك وتعالى يقول لرسوله: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فإتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون).

ونقول أن الجماعة ينتدبون أحدهم فترة بعد فترة ليثير القضية ثم ينتظرون ثمة ليعود آخر إلى إثارتها وكل همهم أن يخرج المجتمع الإسلامى العربى والمصرى من شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والتساهل فى أمر العرض وإستعراض المرأة لمفاتن جسدها ومراقصة الأجانب. وهكذا ..

الحقيقة أن قضية المرأة تأتى فى المقام الأول من عملية تحطيم المجتمع، وهى تهدف إلى تدمير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كثيرة منها القصة والمسرحية والأغنية والصورة العارية وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون التيارات التى تهدم المجتمع ممثلة فى بعض الروايات الجنسية والكرة والرقص.

وتجرى الصحف لاهثة وراء تفاهات يسمونها نصراً للمرأة سواء فى مجال الرقص أو الغناء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تستهدف إخراج المرأة من مكانها الحق ووضعها الصحيح. وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها بالروتارى والليونز ومخططات الهدم والتدمير.

* * *

سجلت صفحات الدكتور لويس عوض أحقاداً وسموماً بالغة الخطر عميقة الأثر:

(أولا) من أخطرها حملته على اللغة العربية الفصحى ودعاواه الكاذبة فى مواجهتها كراهية للإسلام والقرآن، وقد كان من أخطرها كتابه «مدخل إلى فقه اللغة العربية» التى حاول فيه الادعاء بأن العرب جاءت من القوقاز، وأن اللغة العربية لغة آرية ليس لها أى تميز خاص وقد خاض فى شبهات حول الإعجاز القرآنى وغيره على نحو مضلل.

(ثانياً) موقفه من الشعر العربى وهجومه على الأصالة واحتضانه لشعراء

التفعيلة من أمثال : صلاح عبد الصبور وأدونيس والسياب وغيرهم ودعوته إلى تحطيم عامود الشعر وكسر بلاغة اللغه العربية وهى دعوى قديمة ما زال يرددها ويجددها .

(ثالثاً) مواقفه المتعددة من التراث الإسلامى والفكر الإسلامى وهى مواقف توحى بالشبهة فى سلامه البحث وعلميته ، والالتجاء إلى أفكار المستشرقين ومتابعتهم وكراهية أمة العرب والاسلام ، والتى تكشف عن أحقاد دفينة .

وقد واجهه كثير من المفكرين وكشفوا زيفه ، وفى مقدمتهم الأستاذ محمود محمد شاكر فى كتابه « أسمار وأباطيل » .

(٢)

(التشكيك فى القرآن)

مقدمه فى اللغة العربية :

التشكيك بما يحمل فى طياته من جهل وتجهيل باللغة العربية وافتراء على التاريخ وتهجم على الفكر الاسلامى وقلب للحقائق بأسم العلم بتناول القيم الأسلامية صراحة ومن خلف ستار بالتشويه ، وهو يتخفى ثم يهجم على غرضه فى جرأة ولقد أبرز الخلط الذى ملئت به صفحات الكتاب (٦٠٠ صفحة) ذلك الكشف الجديد فى نطاق البحث عن كلمة (صمد) حيث قرر الدكتور أن العدد (٣) العربية مأخوذ من جذر هندى أوربى وهو فى المصرية القديمة من جذر غير هندى وأن ثلاثة المصرية القديمة هى خمت ، وخمت المصرية وصمد العربية وإذا كان الأمر كذلك - فى نظره ، كان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الأنبثاق ورفض مساواة المسيح لله فى الجوهر .

ثم يصل إلى القول بأن كلمة (صمد) فى العربية وهى من الأسماء الحسنى كلمة محيرة لأنها مادة جامده لم تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل وهى غامضة المعنى ، نادرة الاستعمال ، وأشهر استعمال لها فى الصمدية ولهذا ربط المفسرون معناها دائما بتوكيد التوحيد وأنكار التثليث فى مفهوم الصمدانية .

وهكذا حكم الدكتور على كلمة صمد بأنها تساوى كلمه (خمت) المصرية التى تعنى (٣) ثم يتساءل كيف يصف القرآن الكريم بها الله سبحانه وتعالى (قل هو الله أحد الله الصمد) إذ كيف تكون الكلمة تعنى ثلاثة أو ثالوث ويقول الله سبحانه أنها تعنى التوحيد المؤكد .

وخطأ الدكتور فى الربط بين كلمة (خمت) المصرية وكلمة (صمد) حيث

لا يوجد بينها أى تشابه وهى وسيلة من وسائل المستشرقين فى الاستنتاج يخالف الأسس العلمية من أجل الأهواء والاحقاد والطعن فى القرآن الكريم وما يتضمن والقضاء على يقرره كل دارس للعربية من أن القرآن دستور العربية الحافظ لها ، هذا لى ما ينشئه استنتاجه ذلك من تشكيك فى وحدانية الله الخالصة من شوائب الشرك ، ولم يقدم لويس عوض أى دليل مقنع للارتباط بين كلمة (خمت) المصرية وكلمة (صمد) العربية يقدم على سند صحيح ، وإنما سنده تحت الكلمات والتعمية خلف غريب المصطلحات ليغرق القارىء فى متاهات ، إذا كان التاريخ لا يوافق الدكتور فيما قال فأن علم اللغة يبرأ من كل ماحاوله باسمه فليس التشابه بين الكلمتين داعيا لأن يكون مدلولهما واحد ولو كان بين مخارج حروف الكلمتين تشابها أو تقاربا لقلنا توهم أو أخطأ ، أما يربط بين حرف الخاء الحلقى وحرف الصاد الصفيرى فهذا لايعنى ألا العبث والافساد المقصود .

ومن تضليله تعمده إلى قطع الكلمة عن اللغة العربية ، بعد أن جعل اللغة العربية فرعا ضئيلا من اللغات الأخرى فقرر أن الكلمة محيرة لأنها عادة جامدة تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل ، فعزل الكلمة عن الكلمات المتشابهة وجدها ليقول فيها ما شاء له الافتراء والهوى كأنها شاة أفترسها ذئب بعد أن تحايل فعزلها عن زميلاتها وهو فى سبيل ذلك يضرب بمعاجم اللغة العربية عرض الحائط ، ويتجاهل الشعر الذى تضمن الكلمة فى هيئاتها المختلفة .

أن الدكتور لو نظر فى معاجم اللغة لما قامت لقرينته قائمة ، فكيف يقرر أن الكلمة جامدة ، ومعجم متوسط من معاجم اللغة العربية مثل (لسان العرب) يصرح بأن (صمده ويصمده صمداً وصمد إليه كلاهما قصده وصمد صمدا لأمر قصد قصده وأعتمد وتصمد له بالعصا قصد وصمد رأسه تصميدا إذا لف رأسه بخرقه أو ثوب أو منديل وأصمد إليه الأمر اسنده ، والصمد (بالتحريك) السيد المطاع الذى لايقضى دونه أمر ، أو الذى يصمد إليه فى الحوائج أى يقصد والصمد من صفاته (تعالى وتقدس) لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقضى فيها غيره .

— والدكتور تجاهل سياق ورة الأخلاص فلايعرف أن السياق يؤكد هذا المعنى

إذ تقول السوره (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فوصف الله تعالى بالأحدية يعنى أنه غير متجزىء وليس كما يتوهم عدم التعدد والوصف بالأحديه يعنى عدم التجزؤ .

أما إذا كان الدكتور يعلم ذلك فأننا نكون فى صراحة أمام طاعن فى القرآن الكريم وأحكامه لأنه والحال هكذا يعنى أن الآيه الأولى من السورة تناقض الآية الثانية منها .

عن (دكتور إبراهيم عوضين) بتصرف

(٣)

(الهجوم على لغة القرآن)

فى مواجهة اللغة العربية : (لغة القرآن) رأينا الحملات الشرسة توجه دون كلل للنيل من إصالة هذه اللغة وصمودها .

وقد اتخذ الهجوم ثلاثة محاور :

(الأول) : قاده سلامه موسى وأمثاله من التغربيين وقد دعوا إلى طرح الحروف العربية جانبا واتخاذ الحروف اللاتينية بديلا وروج أصحاب هذا الاتجاه للزعم القائل بأن اللغة العربية جامده وخمودها سبب من أسباب تخلف العرب ونسوا أن أصحاب الحروف اللاتينية لم تشفع لهم حروفهم اللاتينية يوم إن كانوا متخلفين .

(الثانى) : أما المحور الثانى فقد جعل ألويته بعض تلامذة الغرب الذين رباهم على فكرة وسول لهم الباطل فراوه حسنا ولهذا فقد شجعوا العامية لغة : خطاب ولغة كتابه وساعدهم على ذلك تقدم وسائل الأعلام التى تبنت هذه القضية .

(الثالث) : المحور الثالث الشرس نجده يظهر فى حملة التشكيك فى أصل اللغة العربية وفى القرآن ثم فى أصل العرب ذاتهم وهذا مانجده فى كتاب الدكتور لويس عوض (مقدمة فى فقه اللغة العربية) .

وأهم أباطيله اثنان :

(١) إن العرب بصفة خاصة والساميين بصفة عامة منذ فجر التاريخ كانوا يقطنون مكانا آخر غير الجزيرة العربية وأن الجزيرة العربية لم يكن مهدهم الأول بل قدموا لها من مكان آخر - وهو مكان مشترك نزل فيه الساميون والأولون جميعا وأنه لايوجد جنس يسمى بالساميين إلا فى إطار الشجرة العامة الهندية الأوربية .

(٢) لم يهاجر السكان العرب من داخل شبه الجزيرة بل على العكس كانت الهجرة من خارج الجزيرة إلى داخلها .

ويتجاهل الدكتور لويس البراهين التاريخية وما يؤكده التاريخ من أن الهجرات السامية خرجت من الجزيرة العربية لأسباب اقتصادية ومناخية ، ودلائل التاريخ كلها تشير إلى أن بابل واشور وكنعان ومصر والحبشة كانت كلها هدفا لغارات من أقوام قدموا إليها من الجزيرة العربية ومع هذه الأدلة القاطعة نجد لويس عوض يصر على تجاهل الحقيقة ليجعل من العرب ولغتهم كما مهملا فى عرف التاريخ .

كذلك فقد ساق الدكتور عبد الغفار حامد تسعة أدلة علمية يثبت بها أن اللغات السامية ذات طريقة خاصة تختلف فى جوهرها عن اللغات الهندية الأوربية التى يزعم لويس أن العربية جزءاً منها أو نتاج للتعامل معها وتتلخص الأدلة التى ساقها فى بيان طريقة التعبير فى الساميات (ومنها العربية) فمثلا الجملة فى الساميات نوعان : اسمية وفعلية ففى الاسمية يوضع المسند إليه (المبتدأ) فى الصدر وتكون فعلية الجملة مسندا يختزنا بشىء من ذلك المسند إليه - المبتدأ أو الخبر - ولا توجد رابطة بينهما من فعل مساعد أو غيره (Tobe) كما هو الحال فى مجموعة اللغات الهندية الأوبية ، هذا الاختلاف الجوهرى يعد دليلا على تهافت رأى الدكتور لويس .

كذلك يحاول أن يتخذ من القول بقدم القرآن سلما يصل منه إلى تأثر المسلمين بالنصارى الذين قالوا - بقدم الكلمة - فى زعمهم ، والدكتور لويس يلجأ فى هذا إلى طريقة المشبهة والمجسمة الذين تناسوا قول الله تعالى (ليس كمثله شىء) ولهذا وقع الدكتور فى خطأ يسره له وسهله فى نظره إيمانه بالثالوث المزعوم وبأن لله ولدا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وفى الإسلام كلام الله النفسى قديم ليس بمخلوق أما حروف القرآن وكلماته المنطوقة فهى حادثة .

ويزعم الدكتور لويس عوض أن الخوارج والشيعة والمعتزلة كلها كانت ثورات مضادة لشرف قريش وسيادتها وكان الهدف منها إسقاط قريش من هذه المنزلة وبالتالى ينسحب هذا على العرب من وراء ذلك كله على لعتهم وهذا كلام ساقط فالأمر ليس ، كما زعم ويكفى أن ننظر إلى الشيعة لنرى تهاون مزاعم الدكتور لويس فالشيعة هم أنصار آل البيت وليسوا ضد قريش ولا يتورع الدكتور عن اتهام العلماء العرب بالتعصب بل والتطرف فى العصبية وهو مالم يقم عليه دليل اللهم إلا إذا كان الحقد قد أضيف إلى قوائم الأدلة العلمية .

ويكشف دكتور لويس عن حقيقة نواياه فيقول :

إن نظرية التعصب للغة العربية يجعلها لا تقبل الألفاظ الدخيلة وهو السبب فى دخول العربية فى مأزق شطرها إلى لغتين : لغة الكتاب المقدسة ولغة الكلام الدارجه ، ولو أننا أخذنا بمبدأ التعريب والامتصاص والتمثيل اللغوى السائد فى جميع اللغات لتغيرت حال معاجمنا ولجرت قوانين الصيرورة على النحو العربى والصرف العربى بما يقرب اللغة الفصحى من اللغة العامية .

نعم هذا مايريده لويس عوض للعربية لغة القرآن : يريد لها الفناء بالانصهار مع الزمن فى غيرها ليصير القرآن أبعد عن التأثير فى حياة المؤمن ، وهذا شبيه بما عرف من أن اليازجى كان قد شرع فى تصحيح لغة الإنجيل مما يشوبها من ركاكة إلا أنهم أشاروا عليه بالكف عن ذلك حتى لا يكون فيه تدعيم للعبارة القرآنيه أو لغة القرآن ، ويأتى لويس عوض هنا ليهدم العبارة القرآنية بالمكر والدهاء فهو يتمنى أن يرى اللغة العملاقة التى صرعت غيرها صريعه قلمه الواهى ولكن إنى له ولأمثاله ذلك .

وفى الحقيقة أن علماء العرب لم يكونوا متعصبين وكانوا فى دراستهم موضوعيين إلى أبعد الحدود فلا مجال لما يقوله لويس عوض وغيره مما لا يقوم عليه دليل صحيح وبرهان ناضج .

وتشير وجهه الدكتور لويس إلى هدف خفى يرمى إليه هو هدم التوحيد فى الإسلام وإن أمر الربط بين الألفاظ العربية وألفاظ اللغات الأخرى لا يمكن أن يتم على تلك الصورة التى حاولها لويس عوض بين (جبت) (ومحمد) لا ينبغى أن تتم على تلك الصورة التى تخرج عن نطاق المقارنات السديدة المبنية على ما أصله علم الأصوات الحديث وهى محاولة عرجاء بل عمياء إذ لم يحاول صاحبها أن يرجع إلى الأصول اللغوية والشرعية بل ساق الشبهة بلا دليل .

عن (محمد عبد الرحمن عوض) بتصرف

(٤)

أن لويس عوض يرى أن اللغة اللاتينية نوعت إلى لهجات هى الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية وقد تحولت هذه اللهجات إلى لغات وأن اللغة العربية مثل اللغة اللاتينية ، وإن لهجاتها العامية يمكن أن تتحول إلى لغات منفصلة تماما عن الأصل . قال لويس عوض نهيز الرأى وما يزال يصر عليه ويعمل له ، وقد نادى به فى مقدمة ديوانه بلوتولاند سنة ١٩٤٧ وعاد إلى هذا إلى الرأى عام ١٩٧٨ فى مقال بجريدة الأهرام (١١ مايو ١٩٧٨) حتى يكرر فى هذا المقال بكل تحديد ووضوح . أن اللهجات العامية تشبه اللهجات اللاتينية التى كانت منتشرة فى أوربا قبل خمسمائة سنة ، وهو يدعو الى أن تتحول اللهجات العامية الى لغات مستعمله ، وهو رأى مصر عليه ينادى به فى كل مناسبة ، وقد عاد الى هذا الرأى فى كتابه (مقدمة فى فقه اللغة العربية ـ الصادر ١٩٨٠ فالفكرة التى تسرى فى الكتاب هى فكرة التشابه بين اللاتينية والعربية واستقلال اللهجات العربية الأخرى عن أصلها ، وفى محاولة واسعة للتشكيك فى مكانه اللغة العربية العلمى ، وهو يحاول من أن يفصل من اللغة العربية والإسلام وبين اللغة العربية والعروبة وأنه من الممكن أن يكون هناك متعلمون بالعربيه لعدة أجيال مثل المصريين ولا يكون لهم شأن بالعرب والإسلام ، ويرى لويس عوض أن كتابته باللغة العربية العلمى هو خيانة لعهده الذى أخذه على نفسه بين أشجار الدردار عند الشلال فى كمبردج .

* * *

وينكر الدكتور لويس عروبة مصر ويصر على تجريد الثقافة العربية من اصالتها ويفتعل الأدلة التى تثبت أنها منقولة عن الثقافة الغربية ، وأن نقده للثقافة العربية نقد لامتهم ، أو هو ثورة ضد هذه الثقافة من داخلها وأنه يعامل الحضارة الإسلامية على أنها ديانة فقط فضلا عن انكاره لإصالة ابن خلدون ، والمعرى وابتكاراتهما وادعاؤه أن اللغة العربيه نفسها متأثرة باللاتينية أو تابعه لها ،

ودعوته إلى إحلال العامية محل الفصحى ودفاعه عن المعلم يعقوب وهو من أقباط مصر تعاون مع الفرنسيين أثناء احتلالهم لوطنه وحارب إلى جانبهم ، وقد اعتبره الدكتور لويس عوض داعية إلى الاستقلال بينما يحاول التشكيك فى أخلاص زعيم اسلامى كبير هو جمال الدين الأفغانى مثيرا من الشبهات حول علاقته بالإنجليز وإن الدكتور لويس عوض تتحكم فى كتاباته عقدتان : هما الإقليمية والطائفية وإن كان لويس عوض لم يقل فى قوميه مصر إلا ما كان يقوله أحمد لطفى السيد والعقاد وطه حسين وسواهم من كبار الكتاب الذين كانوا فى السياسة مصريين غير عروبيين .

(من حوار بين أحمد عبد المعطى حجازى ورجاء النقاش)

ما هو الحجم الحقيقى للدكتور لويس عوض ، وهل أصبح حقاً من الأساتذة الكبار بالرغم من مرور الأعوام الطوال ، لا أظن أنه أبدع شيئا مهما أو حصل علماً نافعاً أو اكتسب خبرة أو صقلته الأيام .

وإذا كانت نبرة لويس عوض هادئة باردة فليس لأنه لاينفعل أو لا يتعصب ولكن لأنه تمرس على القتل العمد فالهدوء ليس إتزانا وإنما هو احتراف للظلم ، وما درج عليه من براعة فى صناعة السموم ولم ينس محاوروه أن يسخروا منه فى إصدار الأحكام العامة دون معرفة أو علم أوشك أن يسدد إلى قلبه سهما نافذا لولا أنه اكتفى بأن يسكب على وجهه وثيابه زجاجة من الحبر الأسود وقد أقحم نفسه فى أشياء كثيرة لا يجيدها :

(١) حاول الشعر فى مطلع حياته وبشر بموت الشعر العربى وطالب بكسر عمود البلاغة العربية ولم يمت الشعر العربى ولم تتحطم أعمدة البلاغة العربية ولكن شعر الدكتور لويس عوض هو الذى مات وبادت نظريته فى أحياء البلاغة العامية وتهشم عمودها .

(٢) وحاول أن يكون مؤرخاً مع أنه لم يتخصص فى التاريخ ففشل فشلا ذريعاً وكثرت سقطاته وتضاعف عثراته ويكفى أنه أشاد ببعض الخونه والجواسيس الذين تعاونوا مع الحملة الفرنسية ضد أبناء وطنهم من أمثال المعلم يعقوب ورفعهم إلى مصاف الأبطال .

(٣) حاول دراسة الأدب العربى فما إستقام له منهج وما حقق شيئا فى هذا المجال ودليل فشله تحقق بشكل واضح فى دراسته (على هامش الغفران) - الأهرام فى الستينات - وقد حركت هذه المقالات قلم الأستاذ محمود محمد شاكر فعلق على

الموضوع فى مقالات متعددة صارت فيما بعد كتابا فى جزئين بعنوان (أباطيل وأسمار) وهو من أهم الكتب التى صدرت فى تاريخنا الحديث تحقيقاً وتأصيلا لمنهج العلمى فى الدراسة الأدبية إلى جانب ما فيه من متعة فنية وجمال فى العرض ودفاع عن تاريخنا ومقومات حضارتنا وسيظل هذا الكتاب العظيم دليلا عميقاً على أن الدكتور لويس عوض فى حجم البعوضة وأن الهالة التى منحتها له ظروف الحياة فى عقد الستينات : عقد الهزيمة اللعين ، لا تساوى جناح تلك البعوضة بل سيظل هذا الكتاب صحيفة سوابق أدبية للدكتور لويس تحمل بين طياتها سطوراً كثيرة تهدر كل قيمة علمية أو أدبية له ويكفى أن محمود محمد شاكر قد ضبط لويس عوض متلبساً بعدم معرفة قراءه الشعر العربى فبيت شيخ المعرة المشهور :

صليت جمرة الهجير نهاراً ـ ثم بانت تغص بالصليان .

الصليان بالياء المنقوطة ومن تحتها نقطتين تعنى نباتاً صحراويا كانت الأبل تأكله نهارا فى القيظ والهاجرة قرأها لويس عوض (الصلبان) بالباء المنقوطة من تحتها نقطة واحدة فتحولت إلى الصلبان جمع صليب وبذلك تغير معنى البيت تماماً كما فهمه الدكتور عوض ومن العجيب أن لويس عوض فهم البيت على هواه بعد أن حرفه ثم رتب عليه مجموعة من الأحكام تصيدها تصيدا من نقول مبتسرة لم يحسن نقلها كامله ، وبالتالى لم يفهمها .

ومن ذلك أنه حدثنا أن أبا العلاء تعلم فى اللاذقية كما تعلم فى إنطاكية وأنه فى إحدى رحلاته نزل بدير ولقى راهبا درس على يديه الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان وأدبهم فشك فى دينه وحصل له إنحلال .

وقد زعم الدكتور عوض أنه نقل ذلك عن طه حسين : تلك هى الفضيحة التى سجلها الأستاذ شاكر على الدكتور لويس والتى تدل على عدم بصره بالتحقيق التاريخى والدرس الأدبى وفعل مثل ذلك بقصة راهب دير الفاروس التى وهم فيها الدكتور عوض .

والذى يقرأ كتاب (أباطيل وأسمار) يعرف الدكتور لويس عوض تماما ويحدد بعيون عناه مكانته العلمية وقيمته الأدبية .

أن أى كلام يكتبه الدكتور عوض لا تأثير له وليست له أية قيمة وأنه قد سقط من غرابيل المعرى منذ ارتكب تأليف كتابه (على هامش الغفران) .

(عبد العزيز الدسوقى)

ترى ما الرأى لو جاء باحث بعد قرن من الزمان فنظر فى التقارير الأمنية عن الدكتور لويس عوض فوجد أنها خليط شيوعى أمريكى فاتهمه بالذبذبة ، والتلون ، ونظرا فى تراثه الفكرى فوجد فيه ريح الطائفية فرماه بالباطنية والنفاق وفى تراثه السياسى فوجده متصلا بأمريكا وانجلترا فدمغه بالعمالة وكتب عنه فتحدث عن أسطورة لويس عوض وأن له دوراً كان يؤديه لحساب مجهول وإن له ماضيا مريباً وتعاونا كاملا مع جهة ما وأنه مزدوج الشخصية أو مثلثها أو مربعها حسب الظروف وأن مواقفه وتحركاته جملة من المتناقضات كل ذلك بوثائق أمريكية وإنجليزية وفرنسية .

(شاكر مصطفى)

١ - فى أغلب ما يكتب يبدأ بإصدار أحكام مسبقة يكون مصدرها أوهام فى عقله أو متاهات فى وجدانه أو أغراض شخصية بحته ثم يتبع هذه الأحكام ببراهن وأدلة بعيدة عن الحقيقة كل البعد .

٢ - أنه يخاطب القارىء فى شىء كثير من التعالى فيحشو كلامه بعبارات مبهمة .

٣ - يعمل فى أبحاثه على أن مصر تتسول الثقافة على كل باب تطرقه أو فى محاولة لإثبات أن فى مصر فراغا ثقافيا .

٤ - الاصرار على أن الثقافة المصرية الحديثة مستوردة من أوربا جملة وتفصيلا ومحاولة إلغاء عروبة مصر وتأكيد إنتمائها إلى الغرب ، الاقلال من شأن الثقافة العربية .

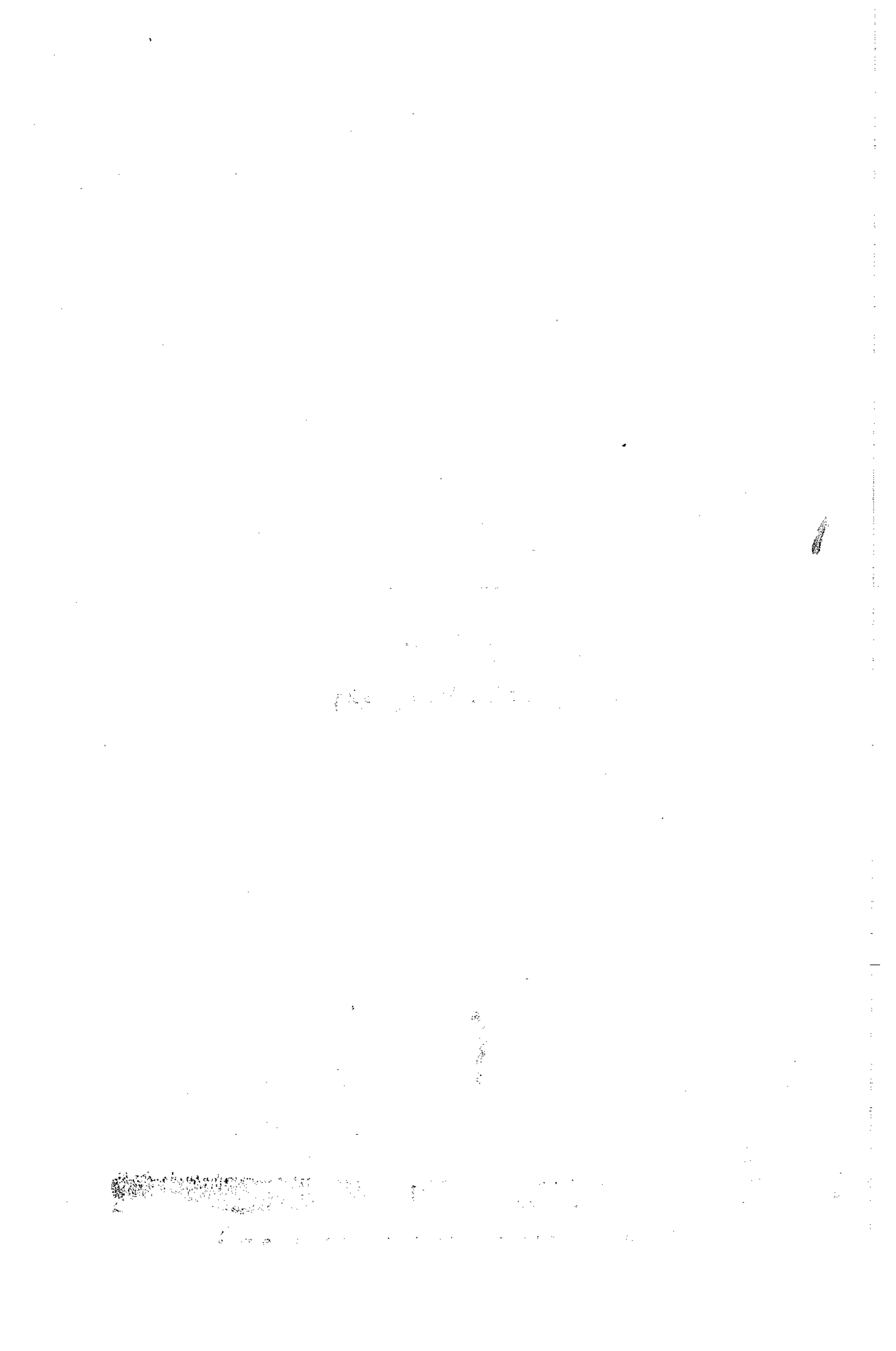
٥ - فى الوقت الذى يتمسك بدينه فهو يحاول ترديد كلمة العلمانية وهى عكس كلمة الدينية .

٦ - يحاول فى جميع دراساته عن التاريخ أو الثقافة أو الفن أن يزيف الأثر الإسلامى الواضح فى ثورة ١٩١٩ أو نظام الحكم أو المجتمع ويحاول أن يرد ذلك كله إلى الفرعونية فى محاولة باطلة خادعة لا تقنع أحدا فالأثر الإسلامى واضح فى جميع حركات التحرر والمقاومة وقد شهد بذلك مؤرخون أجانب منصفون .

الفصل الرابع عشر

مدحت وأتاتورك

(الرد على عبد الحميد الكاتب)



(١)

المؤامرة على تركيا الخلافة مؤامرة على الإسلام بدؤها مدحت . ووسطها الاتحاديون . وختامها أتاتورك .

لماذا هذا الحقد الشديد البالغ من أقلام عربية لكتاب مسلمين جغرافيا على الخلافة الإسلامية والجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامى الذى تشرق فى هذه الأيام شمسه وتبدو علاماته وتعلو راياته بعد أن تعددت كتابات الكتاب عن الصحوة الإسلامية بأنه « ضربة موفقة » أو قـــول أحد المؤرخين الشعوبيين : « وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية إلى الأبد » !

وقد نسى هؤلاء وأولئك حديث رسول الله ﷺ : « إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها لله جل جلاله . ثم يكون ملكا عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله . ثم يكون ملكا جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل فى الناس بسنة النبي ويلقى الإسلام بجرانه على الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض . لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته » وما ينطق عن الهوى . وهذا الحديث الصحيح يؤكد عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى على نحو أوثق صلة بحكم الله ونظامه الذى جاء به القرآن الكريم . ولقد كان سقوط الخلافة الإسلامية « حدثاً » خطيرا لم يكتب عنه بعد ، وكان له أثره فى نفوس العاملين فى حقل اليقظة الإسلامية . وقد كان مصدرا لقيام المفهوم الصحيح للإسلام بوصفه منهج حياة أو نظام مجتمع . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت على

أهلها العهد بالعمل لعودة الخلافة الإسلامية متى حان أوانها ، وما تزال الحركات الإسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة في هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الإسلامية العالمية هي بشائر الخير في هذا الطريق . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية أصبح اليوم عملا ضروريا بعد أن فسدت الدعوات الاقليمية والقومية ، وفي مقدمتها الجامعة العربية . ولابد للمسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقيقي لمواجهة تآمر الغرب والصهيونية والشيوعية عليهم وهو إحياء جامعتهم وإقامة خلافتهم .

معلومات مسمومة :

ولست أدرى لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسمومة كاذبة مضللة انتشرت زمنا وكانت أشبه بالمسلمات ، روجها اليهود والمارون ثم تبين زيفها وتكشفت الحقائق التي تدحضها ؟ !

لماذا العودة إلى الزيف بعد أن ظهرت الحقائق ؟ !

ولماذا الادعاء بأن مدحت مصلح . وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ؟ ! !

والحقيقة أن للرجلين ومن بينهما من رجال « الاتحاد والترقي » هم عملاء النفوذ الأجنبي والصهيونية . لقد تكشفت هذه الحقائق في العالم الاسلامي كله ولم يعد في إمكان كاتب ما أن يضلل الناس بإعادة هذه الأكاذيب ورصفها ، وخداع الناس في أمر رجل كان والده حاخاما يهوديا مثل « مدحت » أو رجل هو من الدونمة أصلا مثل « أتاتورك » - إن الدعاوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلا بتزييف « صفحة الدولة العثمانية » والسلطان عبد الحميد من أجل هدف معروف وواضح هو إسقاط هذا السلطان ، وإزالة الدولة العثمانية وهدم الخلافة الاسلامية لتمكين الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستقرار في القدس ! !

لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تجربة جديدة فاسدة أريد بها القضاء

على النظام الاسلامى وهدم الشريعة الاسلامية وإقـــرار نظام العلمانية والمادية والوثنيه فى المجتمع والتربية والسياسة فى البلاد الاسلامية ، ومحاولة لجعله مثلا أعلى للتقدم والتجديد . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاما لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هـذا الغزو التغريبى الذى جاءت ثورة إيران اليوم بمثابة الدليل الأكيد على فساد هذه التجربة وعلى سقوط هذا المنهج ومؤكده بأن المجتمع الاسلامى الأصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرنا يرفض العضو الغريب ، ويتأكد له بعـــد التجربة المتصلة مع الديمقراطية الغربية والاشتركية الماركسية وفشلهما أن السبيل الوحيد أمامه هو المنهج الربانى الأصيل، وإن الذين حرضوه طوال هذه السنين بالتماس المنهج الغربى (شرقية وغربية) سابلا للنهضة فى العالم الاسلامى لم يكونوا صادقين فى دعواهم فإن هذا الأسلوب فى الاحتواء والعمل على صهر المسلمين فى بوتقة الأممية الغربية كان من نتائجه سقوط الخلافة الاسلاميه ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والقدس فى أيدى الصهيونية ، والحيلولة دون إمتلاك المسلمين لارادتهم وتطبيق شريعتهم الاسلامية والعمل على منعهم من أداء فريضة الجهاد ، أو إمتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الاسلامية القائمة على العدل والرحمة والاخاء الانسانى .

مدحت باشا :

إن الصورة التى رسمتها تلك الكتابات المسمومة لمدحت باشا كاذبة ومضللة . فلم يكن مدحت بطلا قوميا ولكنه كان واحدا من قوى المؤامرة التى أعدت بإحكام للقضاء على الخلافه الاسلامية والدولة العثمانية ، وقد كان أمره مكشوفا لدى السلطان عبد الحميد الذى كان قد وضع يده على مخطط الدونمة بالاشتراك مع أحرار الترك الذين كانوا قد جندوا لخطة إزالة الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية من طريق الصهيونية بعـــد أن حققت قبل ذلك إزالة الجيتو بالثورة الفرنسية وما كان مدحت شهيدا فى الحقيقة ، لأن الشهادة لا تكون للخونة ، وما قتلوه فى

الحقيقة ولكنه قتل نفسه بخيانته لوطنه وللإسلام ، والعمل على تمكين اليهود من النفوذ ، وهو من الدونمة الذين دخلوا فى الإسلام تقية لإخفاء هويتهم ، ولتدمير الدولة العثمانية من الداخل . وكان يعمل بتوجيه من المتآمرين المقيمين فى باريس ، والمتآمرين المقيمين فى سالونيك . ولم يكن الدستور الذى دعا إليه مدحت إلا محاولة لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامى والشريعة الإسلامية وتغليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتمكينها من الانقضاض على الدولة .

وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ماتهدف إليه المخططات الصهيونية . ولقد شهد المؤرخون المنصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تسامحت إلى أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، ومكنتهم من أداء عباداتهم وإقامة شعائرهم ، وفتح المدارس وإقامة الجماعات إلى الحد الذى كان عاملا من عوامل تمكينهم من التآمر على الدولة وإسقاطها . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة فى الحقيقة لأنه وقف أمام مطامعهم وأهوائهم ، ورد (هرتزل) عن محاولاته ومؤامراته بالرد الحاسم وسمع من ممثل اليهود أن ذلك سيكلفه عرشه أو حياته فلم يتردد فى تضحيته وقد كشف السلطان عبد الحميد فى مذكراته دور الدونمة ورجال الاتحاد والترقى .

الانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية :

وإذا كانت هناك محاولة للانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية ، واتهامها بالتقصير . فإن هناك مايؤكد كذب ذلك ، وما أورده جمال الدين فى حديثه إلى المخزومى باشا فى كتابه (خاطرات جمال الدين) يكشف عن مدى قدرة السلطان عبد الحميد على فهم تيارات الغربيين ، وقدرته على ضرب مخططاتهم وضرب بعضهم ببعض . ولقد قام السلطان عبد الحميد بإعلان تلك الصيحة المفزعة التى عجلت به . وهى قوله : (يامسلمى العالم اتحدوا) وكان هدفه أن يجمع المسلمين من هم خارج الدولة العثمانية (العرب والترك) تحت لواء الخلافة والوحدة . وفزع الغربيون واليهود من ذلك فزعاً شديداً ، فقد مضى إليه بخطى حاسمة وحقق نتائج هامة .

ولقد كان عقلاء المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن المحافظة على الدولة العثمانية إحدى العقائد الإسلامية بعد التوحيد والنبوة . ومن ذلك محمد عبده وشكيب أرسلان ورشيد رضا وغيرهم . وقد كانت الدعوة الحقيقية هي محاولة إصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتعديل تنظيمات الحكم دون إسقاط الدولة وكان ذلك فهم أحرار العثمانيين والعرب جميعاً ، وقد كان هذا ممكنا لولا ذلك الدور الذى قامت به الماسونية واليهودية العالمية فى سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإحلال نفوذ الاتحاديين أعوانهم الذين تربوا فى محافلهم . والذين سلموا لهم فلسطين ، وسلموا للإيطاليين فى طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يحطموها ويقضوا عليها .

وحدة إسلامية وليست عنصرية :

كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن علاقة إستعمار بل إن كلمة استعمار لا تطلق إلا على النظام الغربى الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لواء الأخوة الإسلامية ، واستعانة البلاد المستضعفة بالدولة القوية ، والمصريون والجزائريون وغيرهم هم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها خوفاً من تجدد مؤامرات الحروب الصليبية .

زيف ما فى كتب الموارنة وأتباعهم :

ولا شك إنه من أكبر أخطاء الباحثين هو إعادة نشر ما جاء فى الكتب المدرسية و لدراسات التاريخية السابقة لظهور « بروتوكولات حكماء صهيون » عن السلطان عبد الحميد و ركيا العثمانية . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعوانهم من الموارنة . أما اليوم فإن الرؤية التاريخية المنصفة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف الباحثون عند الحملات الكاذبه المضلله و تجاهل الرؤية الصحيحة لإبعاد الواقع التاريخى، لقد حملت كتب جورجى زيدان وأحمد أمين وغيره صورة

مضللة زائفة للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهيه الاتحاديين الذين علقوا العرب على المشانق ومكنوا للصهيونيه وحطموا الدولة العثمانيه ، وهم الذين تربوا فى أحضان المحافل الماسونيه . وعلى الباحث المنصف أن يرجع إلى الإضافات الجديدة التي ظهرت بعد الخمسينات والتى تكشف فساد ما كتبه جورجي زيدان وفارس نمر وسليم سركيس .

والجديد يجلو الحقيقه ، فما كتبه جواد رفعت ومحمد جميل بيهم ، وعبد الله التل والعقاد وخليفه التونسى وعجاج نويهض وتوفيق برو فإن هذه الكتابات قد غيرت تلك الصورة الزائفه التى ما زال يعتمد عليها خصوم الاسلام .

والقضيه : أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف فى طريقهم نهائيا عملوا على تصفيته ، ومهدوا لذلك باتهامه بالاستبداد والفساد ، وأذاعوا ذلك فى صحف الموارنه فى مصر مثل المقطم والهلال والمقتطف وغيرها .

ثم جاء أحمد أمين وأمثاله فنقلوا منهم . لأن الحقائق لم تكن قد تكشفت بعد ، ولم تكن البروتوكولات قد ترجمت إلى العربيه ، فلماذا هذا التزييف بحجب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلاء شأن مدحت وأتاتورك ، وهما من هما فى الخيانه والتبعيه .

حقيقة أتاتورك :

إن أتاتورك فى الحقيقة لم يكن مجاهداً ولا مصلحاً ، وإنما كان تتمة الاتحاديين لقد أخروا دوره فى المرحله الأولى قبل الحرب ليتولى الدور الثانى . فالاتحاديون أسقطوا الدوله العثمانيه بأن أدخلوها الحرب لتصفى ماليتها ووجودها . وجاء أتاتورك ليفرض عليها اللون الغربى ، وينقلها نقله واسعه عن دوله الخلافة الاسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية ، ويقضى على الإسلام تماما ، ومعاهدته السرية المعروفة التى عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك فى وضوح .

وقد استطاع أتاتورك إخفاء وجهه الحقيقي حتى يؤدى دوره كاملا لخدع المسلمين في المرحله الأولى بالصلاة وإمساك المصحف ، وطلب الدعاء منهم . أما دوره في الجهاد في أزمير فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفا ، وأن غيره هو الذي قام بدور البطوله ، وأنه استلب منهم هذا المجد وحطمهم ونسبه إلى نفسه .

ولقد كان أتاتورك عميلا غربيا كاملا ، وعميلا صهيونيا أصيلا ، وقد أدى دوره تماما ، وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التي تركت آثارها من بعد على العالم الاسلامى كله ، والتي كشفت الأحداث في الأخير فسادها ، وتبرأ الأتراك المسلمون من تبعتها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصاله مرة أخرى دليل على أنها كانت تجربه زائفه مضادة للفطرة ولطبائع الأشياء ، والدليل إن المسلمين لم يتقبلوها بل رفضوها ، وقد كشف أكثر من مستشرق وفي مقدمتهم (هاملتون جب) إن العرب لن يقعوا في براثن هذه التجربه التي خرجت بهم عن الأصاله وعن الذاتية الاسلامية .

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال أتاتورك أنه عندما أحس بدنو أجله أن دعا السفير البريطانى ليتولى بدلا منه رئاسه الدولة التركية . وكان كعلامة من علامات الخسة والنذالة والخيانة ! !

وقد صفع المؤرخ العالمى أرنولد توينبي التجربه الكماليه التي يفخرون بها ويمجدونها الآن بعد أن رفضها أهلها وحكموا بفسادها . يقول توينبي : إن الأتراك كانوا عالة على الحضارة الغربيـة وأنهم تغربوا ولم يقدموا أى شيء إلى هـذه الحضارة ، فكانوا عاجزين عن الابداع في أى مجال من مجالات الإنتاج .

والواقع أن مصطفى كمال أتاتورك لم يكن كما يدعى المدعون شيئا جديدا ولكنه كان حلقه في المؤامرة التي بدأها مدحت وكان وسطها رجال الاتحاد والترقى للقضاء على السلطان والدوله العثمانيه . ثم ختمها أتاتورك بالقضاء على الخلافة الاسلامية ، ولا ريب أن انتقاص قـدر الدولة العثمانية وحكامها مجاف لواقع

التاريخ ، وهو من عمل أتباع التغريب والشعوبية ، وقد جرى ضمن مخطط يرمى إلى إثارة الخلافات والخصومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، وكان دعوة للوقيعة بين العرب والترك والفرس ، وهم عناصر الأمة الواحدة التى جمعها القرآن وقادها محمد ﷺ وآمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك خلافات فرعية فإنهم جميعا أمة واحدة ، ولو كان هناك قليل من الانصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا المزيفين لراجع الكاتب ما كتبه أستيورت وهو غربى فى كتابه (حاضر العالم الإسلامى قبل أربعين عاماً) وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ، ودورها الذى قامت به فى وجه الصليبية الغربية .

أما صيحة العناصر والأجناس التى حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية فإنها لم تكن كذلك فى ذلك الوقت ، وإنما هى المؤامرة التى عمد النفوذ الأجنبى بها إلى إستغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية ، أما المسلمون فلم يكونوا يعرفون مصرية وسورية وجزائرية وغيرها ولا كلمة العروبة نفسها ، ولكنهم كانوا مسلمين فحسب وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الإقليميات والقوميات بتحريض عناصر غير مخلصة لتفكيك عرى الوحدة ، وهدم هذه الجامعة الاسلامية التى كان الغرب يخشاها ، ولإقامة قومية زائفة هى القومية الصهيونية .

ولا ريب أن الأسلوب الذى اتخذ فى إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الاسلامى فى تاريخه كله وهو من صنع المؤمرة الصهيونيه التلمودية التى إستطاعت أن تحمى وتحرك هذا الخداع عن طريق قوة عسكرية تتحرك هاتفة بإسم السلطان خدعة ثم تكون فى نفس الوقت متآمرة عليه لخدمة هدف غامض على كل الذين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل وهو إعادة اليهود إلى فلسطين .

كذلك فإن ما قام به أتاتورك لم يكن نصراً عسكريا أو سياسيا وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربى : وتوقيع ملحق معاهدة لوزان وهو الذى فتح الطريق إلى كل شىء ، وبه حلت جميع المشاكل ، وانسحبت كل الجيوش ، وتحقق ما يسمى النصر والاستقلال ، وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب فى

تمجيد البطل الذى لم يكن إلا عميلا من عملاء الخيانه لحساب الصهيونية العالمية ، والنفوذ الغربى ، والشيوعيه أيضا فإن الشيوعيين هم أول من عارنه لقاء موقفه من عداء الاسلام .

ولا شك أن الضربة الذى وجهها أتاتورك إلى الخلافة الاسلامية قد فتحت صفحة خطيرة فى تاريخ الاسلام الحديث ، وأن الذى فرحوا لذلك من كتاب يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدى النظر فى فهم الأمور وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حافلة بالحقد والكراهية للإسلام ، وأن الخلافة الاسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هى العنوان الحقيقى للجامعة الاسلامية والتضامن الاسلامى ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الاسلامية (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وعندها ستنتكس رؤوس الظالمين .

المعاهدة السرية

التى عقدها أتاتورك والتى سميت بشروط كرزن الأربعة

ينص بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزن الأربعة على ما يلى :

أولا - قطع كل صلة بالإسلام .

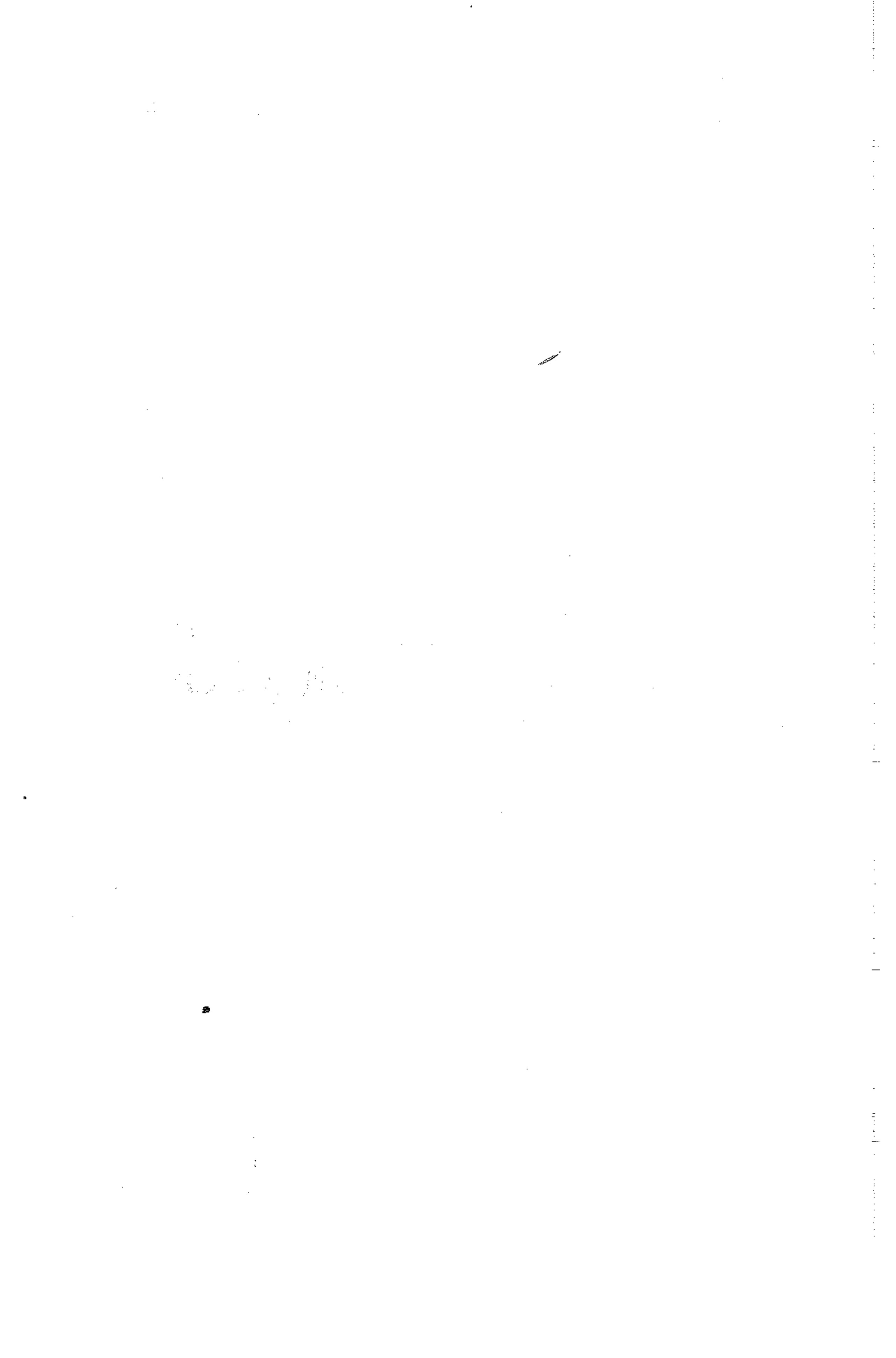
ثانيا - إلغاء الخلافة الاسلامية .

ثالثا - إخراج أنصار الاسلام من البلاد .

رابعا - إتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الاسلام

الفصل الخامس عشر

كيف سرق غاندى الحركة الوطنية من المسلمين



(١)

غاندى

غاندى سرق الحركة الوطنية من المسلمين

الهندوسى المتعصب الذى أخفى هندوسية البغيضة وراء المغزل والشاة .

وكان أول سياسى طالب بتأجيل الاستقلال منادياً بمهادنة السلطة وعدم مناوأة حكومة الاستعمار .

وكانت فلسفة غاندى التى استقاها من تولستوى ولقنوها لنا فى الشرق هى التغاضى عن تصرفات المستعمر والاستسلام له .

والحقيقة أن الزعماء المسلمين هم الذين أعلنوا استقلال الهند الحقيق وعينوا قضاة المحاكم وحكام المقاطعات وتجاهلوا جميع كل السلطات وقد ظهرت آثار المسلمين واضحة فى الحركة الوطنية وضعفت وطنية الهندوك فحاربوا المسلمين بكل سلاح حتى سلاح الفتنة الوطنية والدس الرخيص .

* * *

كان السؤال : حـــول غاندى وتكريمه ، والأحاديث التى تنشر عنه فى الصحف ، وتصويره بصـــورة البطل : ومحاولة القول بأنه كان رمزاً للمصريين إبان الحركة الوطنية المصرية بعـــد ثورة ١٩١٩ وكانت الإجابة كالآتى :

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند فى أحضان الحركة الإسلامية . وقد ازعجت الاستعمار البريطانى هذه الخطوة فعمدوا إلى القضاء عليها بأسلوب غاية فى المكر والبراعة فقد نحى المسلمون عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها إلى الهندوس ، وأجراها على الأسلوب الذى سيطر على الهند بعـــد ثورة ١٨٥٧ (

التي قادها المسلمون وكان الاستعمار البريطاني حريصاً على ألا تتحقق للمسلمين السيطرة على الهند بعد أن ظل الإسلام يحكم الهند أكثر من خمسمائة عام إلى أن أزاله الإنجليز .

والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد الإسلامية ، انتشرت في «لاهور» و «لكنئو» ولم تلبث أن حققت تقدما واضحاً في المجال . ثم اتجه العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة في لكنئو (بومباى) وكان يشرف عليها كبار المسلمين في الهند مطالبين بحقوق المسلمين في كوطنيين وكان الهندوك قد أعلنوا إنشاء المؤتمر الوطني العام وسموه المجلس الملى الوطني الهندي العام . وكان غايته أن ينالوا حقوقاً سياسية تخولهم السيادة على الأقليات (وهم لا يريدون من كلمة الأقليات غير المسلمين) وفي عام ١٩١٦ تنبهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبض على أعوانه : أبو الكلام أزاد ، حسرت مهانى ، ظفر الله خان ، محمد على ، شوكت على . ولما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات في قانون الهند . فاتفق الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمر في لكنئو يجتمع فيه زعماء الفريقين .

وفي عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة سراح المسجونين السياسيين المسلمين ، فاجتمع زعماؤهم في لكنئو بدعوة مولاى عبد البارى رئيس علماء أفرنجى محل فتداولوا في تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال وكان قد ظهر في هذا الوقت تآمر الدول الكبرى على تمزيق شمل الدولة العثمانية . وأطلق هذه الجماعة (جمعية إنقاذ الخلافة من مخالب الأعداء الطامعين) وتأسست جمعية الخلافة في بومباى (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميان حاجى خان . ودخل في عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون في الهند ، ودعت اللجنة المسلمين إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوزة الخلافة ، فأقبل المسلمون بسخاء وجمع ما لا يقل عن سبعة عشر مليون روبية إلى أضعاف ذلك كما يقول السيد عبد العزيز الثعالبي

الزعيم التونسى الأشهر فى تقريره الذى قدمه للأزهر الشريف فى يونيو ١٩٣٧ بعد زيارته للهند ودراسته لأحوال المسلمين هناك .

كان (غاندى) إلى تلك الآونة غير معروف فى الهيئات السياسية فى الهند ، وكان متطوعاً فى فرقة تمريض الجنود ، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها كانت جمعية الخلافة فى بدء تأليفها فأقبل عليها وكان إسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرفوه فى الناتل وجنوب أفريقيا . فتيادن به زعماء المسلمين رغم تحذير المولوى (خوجندى) وكان على صلة به من قبل ، ويعلم من أمره مالا يعلمون ، وبالأخص من ناحية تعصبه للهنادكة مع المسلمين . وشاءت الغفلة أن تنطوى هذه الحركة العظيمة على يديه . فقعد فى جمعية الخلافة مقعد الناصح الأمين وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية ، وندبوه للسعى إلى ذلك فقام وطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق ويقول المطلعون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنادكة ، ويتآمر معهم على شل الحركة الإسلامية ولما عاد من الرحلة سعى إلى إقناع جمعية الخلافة بانضمام إلى الكونجرس (المؤتمر الوطنى) الذى تأسس لملاحقة المسلمين وانتزاع حقوقهم فى الهند فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة إرتكازاً على الثقة فى (غاندى) وعقد الكونجرس اجتماعاً فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه فى مارس ١٩٢٠ فى بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما تلى عليهم القانون الأساسى أقترحوا تعديل المادة التى تقول بإصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ، وشرعت الأحزاب الهندية منذ ذلك الوقت تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء إصلاحات . بارتاعت الحكومة (البريطانية) لهذا التعبير وعدته فاجعة فى سياسة البلاد وعلى أثره ألقت القبض على الزعماء ، وزجتهم فى السجون . واجتمع قادة الحركة وعرض أبو الكلام آزاد اقتراحا باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان (الأمة الهندية) وبأن الحكومة الحاضرة غير شرعية . مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها فوافقت الجمعية ، وانعقد على على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) فأعلن موافقته أيضاً بالاجماع . وبعد أن جرى

تصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندى خطيبا وقال ، إن اتحاد الهندكة مع المسلمين يبقى متيناً ما لم يشرع المسلمون فى مناوأة الحكومه ، ويشهروا السلاح فى وجهها . ورد عليه أبو الكلام آزاد فقال :

« إن غاندى يتصور أن أعمال المسلمين فى الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادكة فقد آن له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم غاندى أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا الله عز وجل وعلى أنفسهم » .

وشرعت الأمه الهنديه عقب ذلك فى مقاطعه الحكومة وإظهار العصيان المدنى فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم ، وتخلى المحامون عن الدفاع أمام المحاكم . وأعاد الناس الرتب والنياشين ، والبراءات للحكومة ، وأحرق التجار المسلمون جميع ما فى مخازنهم من البضائع الانجليزية ، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم فى الحكومة فحل الهنادك محلهم وهاجر كثير من المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا أملاكهم وأرضهم فى الهند وأشتدت المقاطعة فى البنغال اشتداداً عظيما ليس له مثيل ، فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين حتى إذا أعيى الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص فى الصباح وتطلقهم فى المساء لأن السجون لم تعد تتسع للمعتقلين . وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) ف كلكتا فقال :

إنى شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدرى ماذا أصنع فيها .

ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين فى الحركة الوطنية ، وضعفها فى الهندوكية ولا شك الهندوكى بالغاً ما بلغ من النشاط السياسى لا يستطيع أن يجابه الحكومة ، كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس . وقد اجتمع الزعماء المسلمون فى عام ١٩٢١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالا فعليا وعينوا ولاة الولايات ، وحكام المقاطعات ، وقضاة المحاكم فى جميع المدن . فكان الوطنيون يرفعون قضاياهم أمامهم ، ويتجاهلون محاكم الحكومه وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة والبوليس ، وحدث ارتباك شديد فى

الدوائر العاليه بالهند غير أنها بدلا من أن تستعمل سلاح القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهى أشد خطراً ، وكان بطل هذه المناورات المهاتما غاندى ، فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل الوفاق القومى بين المسلمين والهندوك وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية بعد ستة أشهر . فقد نقل إلى اللورد الذى قال لغاندى :

« إن مصدر الحركه الاستقلاليه فى الهند هم المسلمون ، وأهدافها بأيدى زعماءها فلو أسرعنا وأجبناكم إلى طلباتكم ،وسلمنا لكم مقاليد الأحكام ألاترى أن مصائر البلاد آيلة للمسلمين . فماذا يكون حال الهنادكه بعد ذلك ؟ هل تريدون الرجوع إلى ماكنتم عليه قبل الأحتلال البريطانى وهل تفيدكم يومئذ كثرتكم وأنتم محاطون بالأمم الإسلاميه من كل جانب ، وهم يستمدون قوتهم منها عليكم . إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فعليكم أن تسعوا أولا لكسر شوكه المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومة وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين فى جميع الأعمال الحيوية وفى بلوغهم الدرجة المطلوبة فإنى أؤكد لكم أن حكومة بريطانيا لاتتمهل فى الأعتراف لكم بالاستقلال » .

وقبل انصراف غاندى أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد على) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه فى مؤتمر الخلافة ، وحمل فيه على الحكومة حملةعنيفة . يقول فى هذا التعليق :

« أن مافهمته الحكومة كان مخالفاً لمرادى » فصدع غاندى بالأمر ودعا محمد على لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير اللوردفكتب البيان تحت التأثير السحرى الذى كان لغاندى عليه . وماكاد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع فى جميع أقطار الهند بعد أن صورته الحكومة بمقدمة قالت فيها :

إن محمد على تقدم إلى الحكومة يطلب منها العفو عن الهفوة التى ارتكبها » .

وأتهم محمد على من المسلمين بالتراجع ، ورمى بالخور والضعف غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر فى كراتشى (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاتها . فتلقى منه الهنادكه والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ولكن عقب انفضاض المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين من الزعماء : شوكت على ، حسين أحمد ، كشار أحمد ، بير غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كتشلو . وساقتهم جميعاً إلى المحكمة المخصوصة للمحاكمة . فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملا بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن المتهم . ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام ، وحكمت عليهم بالحبس عامين مع الأشغال الموجهة إليهم . وبعد الحكم أصدر محمد على ، سيف الدين كتشلو منشوراً بتوقيعهما يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بعدم الاهتمام بما حصل ويعدانه بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم فى ديسمبر بمدينة (أحمد أباد) سواء رضيت الحكومة أم كرهت لاعتقادهما أن الكونجرس سيعلن بصفة رسمية استقلال الهند ، وتأليف حكومة وطنية هى التى ستقرر الإفراج عنهم . ولكن الحكومة لم تأبه لهذا المنشور لأنها كانت واثقة من أن الكونجرس لن يفعل . ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر سنة ١٩٢٠) حضر غاندى وقال :

« بما أن الزعماء معتقلون ، ولا سبيل للمداولة معهم فى منهاج أعمال المؤتمر فأقترح عليكم تعيينى رئيساً للمؤتمر ، وتخويلى السلطة المطلقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الإجراءات » .

فوافقته اللجنة على ذلك دون أن تنتبه إلى ما كان يضمره هو من المقاصد التى قد لا تتفق مع خطة المؤتمر ، وتقرر فيها أيضا إسناد رئاسة مؤتمر الخلافة إلى أجمل خان ، ومؤتمر مسلم ليك إلى حسرت مهانى . وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندى للحكيم أجمل خان :

« إن إعلان الاستقلال فى الظروف الراهنة غير مناسب » .

وما زال به حتى أقنعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسلمون كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وكانت الحكومه تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وما عساها تصنع لو تخلف غاندى عن الوفاء لها بوعده . وفى أغسطس ١٩٢١ أجمع الكونجرس تحت رئاسه غاندى فى أحمد أباد فأعلن أن الوقت الذى يصرح فيه المؤتمر باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاج الأعضاء وماجوا . وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافه ، وتهيب الحكيم أجمل خان أن يثير عاصفة من قبل المسلمين فأمسك عن إعلان الاستقلال . أما حسرت مهاني فقد أعلن فى مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تعرب بواسطتهم عن إرادتها فى الاستقلال . فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومه الملغاة . فأمرت الحكومة بالقبض عليه وحكم عليه بالسجن عشر سنين مع الأشغال ، وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة وخفضت العقوبه إلى سنتين . وعقب ظهور هذا الفشل الكبير فى سياسه البلاد إعترت المسلمين شكوك فى تصرفات غاندى ، واستيقنوا أن زعماء الهنادكه متفقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين :

هذا هو النص الذى أورده العلامة الزعيم عبد العزيز الثعالبى عن دور المسلمين فى الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه غاندى بالتآمر مع النفوذ البريطانى فانهار مخطط الاستقلال . وفى خلال سجن زعماء الحركه المسلمين تسلم غاندى الحركه وحولها إلى وجهه أخرى مخالفه مما دعا المسلمين من بعد إلى المطالبة بكيان خاص لهم .

هذا هو غاندى فى حقيقته التى لم تعرف فى بلادنا وفى المشرق . والتى أخفيت عنا تماماً خلال تلك الفترة التى كان المصريون بتوجيه من السياسه البريطانيه يعجبون بغاندى ويدعوته إلى الإستسلام للنفوذ الأجنبى وقبول ما يعرض وعدم العنف . وهذه هى الفلسفه التى استقاها غاندى من تولستوى وذاعت كثيراً فى بلاد المسلمين معارضه لمفهوم الاسلام الصحيح من الجهاد المقدس فى سبيل

استخلاص الحقوق المغتصبة أبان الحركة الوطنية المصرية حيث كانوا يجدون فى غاندى وأخباره مايؤيد النفوذ الأجنبى ويدفع الوطنيين المصريين ناحية التفاهم مع الاستعمار البريطانى ولذلك فإن هذه الصفحات التى ينشرها بعض الكتاب لرسم صورة مزخرفه لغاندى يجب أن لا تخدعنا كثيراً فإنه رجل هندوسى متعصب لهندوسيته كاره للمسلمين . وقد كان هو وتلميذه نهرو أشد عنفاً وقسوة فى معاملة مسلمى الهند ، وكانت أنديرا غاندى إبنه نهرو أبان حكمها قد حكمت على المسلمين فى بعض المناطق بتعقيمهم عن طريق العمليات الجراحيه عملا على الحد من تعداد المسلمين فى الهند . فيجب علينا أن نعرف الحقائق ولا تخدعنا الأوهام الكاذبة والصور البراقة التى يراد بها تغطيه حقيقة واضحة وجريمة كبرى هى أن غاندى فى الحقيقة سرق الحركة الوطنية من الزعماء المسلمين وتآمر عليهم مع الحكومة البريطانية وأدخل أمثال محمد على وشوكت على وأبو الكلام آزاد وهم من أقطاب المسلمين ، أدخلهم السجون ، وسحب بساط الحركة الوطنية بالتآمر من تحت أرجلهم ، وحال دون قيام حكومة هندية حرة يكون المسلمون فيها سادة . وذلك لخدمة الاستعمار البريطانى وتسليم الهند إليه لتحويل المسلمين إلى أقليه فيها مما دعا المسلمين إلى العمل على قيام باكستان والتحرير من نفوذ غاندى والهندوكية والاستعمار البريطانى .

راجع تقرير الشيخ عبد العزيز الثعالبى (البلاغ ١٩٣٧)

الفصل السادس عشر

سارتر بين عبد الرحمن بدوى وأنيس منصور

(١)

جرى التساؤل فى الندوة حول نظرية الوجودية بعد أن هلك سارتر وما هى الآثار متى تركتها على جبين الأدب العربى والفكر الإسلامى ؟

والواقع أن نظريه الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل وإن حاول هذا الشقى أن يمد من عمرها بانتمائه فى السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية إذ هو نصف يهودى كما كان يطلق عليه عباس العقاد لأن أمه يهودية . وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حتى أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين فى غزة . فما أن غادرها حتى كشف عن هويته الصهيونية وأعطى الماركسيين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عمالتهم هم ، ومكره هو والذين رافقوه ومع هذه اللطمة القاسية فإن كتابا مصريين وعربا مازالوا يذكرون سارتر ويتحدثون بمذهبه وبما يسمونه الوجودية العربية التى قادها عبد الرحمن بدوى وكان لها على فترة طويلة أعواناً وكانت كتب سارتر تظهر فى باريس بالفرنسية وفى بيروت بالعربية فى وقت واحد . وربما ندم بعض الكتاب عن تبعيتهم لسارتر ، وأحسوا أنهم أخطأوا الطريق بعد أن قرأوا ما كتبه « جاك بيرك » مثلا حين قال :

« إن سارتر عقل كبير ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسى وليس من الضرورى أن يكون العقل الكبير عقلا سياسياً ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يجابه من التيارات اليسارية ومنها الشيوعية بنوع من العقد نفسي .. ومن المؤسف أن سارتر الذى بنى معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به . لم يستطيع سارتر أن يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيونى . فاعتبر اسرائيل (صحيحه) وقلب القصه فاعتبر اسرائيل (مدعى عليها) وقد بلغت الدعايه الصهيونيه به أن يقلب الحقيقه التاريخيه فى أوربا كلها . إنهم ينفون أن يكون الوجود الصهيونى استعماراً » .

ويردد كثير من أنصار سارتر فشل سارتر وكيف تبخرت مفاهيمه التى ضللت الشباب العربى ردحا من الزمن ، وكيف انقشع بريق اسمه فظهرت الوجودية فلسفة للفوضى والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا النزعتين : الرأسمالية والشيوعية ورفضـــوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية فوضوية ومن ثم حاول سارتر أن يتقرب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثير من آرائه السابقة .

وفى مصر تقدم عبد الرحمن بدوى برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودى) ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك مع المستشرق بول كراوس وأعلن طه حسين أن عبد الرحمن بدوى أول فيلسوف وجودى مصرى ، وقد قدم بدوى الفكر الوجودى وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلبث عبد الرحمن بدوى أن اختفى وطوته الموجة التى تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة ، وكشف الفكر الإسلامى عن أصالته فى أنه يرفض كل ما ليس متصلا بقيمه الأساسية مهما بدأ يوماً وله بريق أخاذ .

لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه . لقد أضفت عليه ظـــلا مظلما مازال يلاحقه .

وقد كان عبد الرحمن بدوى قبل سارتر تابعاً للفلسفات الباطنية والمجوسية يحييها ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات قلقة فى تاريخ الإسلام ويشيد بأمثال الراوندى والحلاج وغيرهما من الزنادقة ، وإلى جانب ذلك فقد قدم فى الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفى المتصل بوحدة الوجود والحلول وأشاد بالسهروردى وابن عربى وابن سبعين : تلك الشخصيات الضالة التى عمل أستاذه الأول (ماسينون) على إحيائها . وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها فى الأدب العربى منذ أعاد انبعاث (إخوان الصفا) وكما سقط الفكر الباطنى سقط الفكر الوجودى وانهارت تلك الصروح على رؤوس أصحابها (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم) .

وإذا كان الأدب الغربى قد عرف وجودية كيركجارد ، وكامى ، وسارتر ، فإن ذلك كله مستمد من أصول أصيلة فيه تقوم على فكرة الخطيئة المسيحية ، أما فى الفكر الإسلامى فإن محاولة زكى نجيب محمود عن الوضعية المنطقية وفؤاد زكريا عن الفلسفة الماركسية وعبد الرحمن بدوى عن الفلسفة الوجودية هى محاولات ضالة باطلة سرعان مالفظها الفكر الإسلامى صاحب الصرح الشامخ القائم على فكرة التوحيد الخالص والأخاء الإنسانى والعدل الرحمة .

وقد ذابت محاولات إحياء الفلسفة الصوفية التى قادها بها (ماسينيون) أربعين عاماً بإحياء الحلاج لأن المسلمين عرفوا طريقهم إلى التوحيد الخالص . فقد اسقطت حركة اليقظة محاولات إحياء الفلسفة ، والتصوف الفلسفى ، والكلام ، والاعتزال ، وجملته ركاما حين أحيث (المنهج القرآنى) الأصيل حيث بدت كل محاولات الفلاسفة الإسلاميين المعاصرين وكأنها مقدمات موقوفه أنطوت صفحتها حين برز نور المفهوم القرآنى : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذى واجه المشائين القدامى أمثال ابن سينا والفارابى . وقد تكشفت نزعتهما إلى الباطنية الاسماعيلية فى الأخير بعد أن خدع بهما الكثيرون ، وحين يتنادى بإسمه علمان المستشرقين فإن الأمر لايخدع أحداً ، ذلك أن الحقائق التى تكشفت قد ردت كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف .

يقول أنيس منصور :

من الضرورى أن تفلت من جاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعك حريتك . لقد وقعنا فى غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوى ذلك أن كثيراً مما رآه كان رؤيته هو والذى وجده شافا كان مشكلته هو ، والذى أحبه كان مزاجه هو ولكن فى السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينابيعها التى أفزعنا منها عبد الرحمن بدوى فلم أجدها كذلك » .

وهكذا تبين أن هذه الهالة كانت باطلة ، بل إن أنيس منصور يبشرنا بأن سارتر عندما مات قال على فراش الموت : لا شىء ، كل شىء عدم .

ويستطرد أنيس منصور قائلا : سارتر الفيلسوف الوجودى الملحد كانت آخر كلماته لا شيء . أى لافائدة من أى شيء . فهو يرى أن الوجود والعدم لهما نفس المعنى كالليل والنهار لاينفصلان ، ولا تعرف على أى شيء أجاب سارتر لآخر مرة بكلمة لاشيء ، لافائدة ، لا معنى ، لا هدف ، كل شيء عدم ، أو كل وجود عدم ، أن كل موجود معدوم .

* * *

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين عاما من عمره قضاها فى تحسين هـذا الفكر وزخرفته وتقديمه إلى الشباب فى عشرات من الكتب التى طبع منها مئات الألوف ليخدعهم عن الحقيقة وليزيف لهم الواقع وليردهم عن الفهم الأصيل . عندما كتب مقالاته عن رحلته إلى الاراضى المقدسة ، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والعقائد ، وأن يصحح موقفه امام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة . واليوم يصف فلسفه الوجودية بأنها فلسفة المقابر ، لأن سارتر تحـدث عن الموت والدمار والخراب ، والوحدة والقلق والفزع ، والخوف والغثيان والعدم ، والتقت كل هذه المعانى السوداء فى قلبه وفى خياله . هناك وجودية ملحدة عند سارتر وكامى وهيدجر واسيرز وأونامونو . ووجودية مؤمنه عند جابريل مارسيل ، وبرديائف ، وجاك مارتيان .

(إيمان بمفهوم المسيحية المثلثة) .

وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامى الأصيل ويعرف زيف الوجودية جملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التى رسمها الدين الحق ، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما تمثل تحديا خاصاً مر بالشعب الفرنسى بعد سقوطه فى قبضة ألمانيا إبان الحرب . هذا السقوط الذى كشف كما قال زعيمه « بيتان » عن أنهياره الأخلاقى العاصف .

ولما كانت الصيهونية العالمية هى التى صنعت هذا بالأمة الفرنسية فإذا قدمت سارتر على جميع أجهزة الإعلام والدعاية لتفتح صفحة أشد عنفاً من الانهيار

الخلق والاجتماعى . تلك التى صنعتها فلسفة سارتر بظهور إجماعات الوجوديين الذين تشكلوا فى الغرف المظلمة والحوارى الضيقة وتحت أسطح العمارات ليمارسوا أسوأ صور الجنس ويعلنوا احتقارهم للمجتمع . ومنهم نشأت بذرة (الهيبية) التى تعم الآن العالم كله .

كان أخطر ما فى الدعوة الوجودية إنكار الله تبارك وتعالى والسخرية بالأديان واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان وأن أثر التعاليم الربانيـة على الانسان جد خطير لأنه يضيع عليه فرصة التمتع بالأهواء والتمرغ فى الشهوات . فالوجودى لا يؤمن بوجود الله (تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلق يسود على الانسانية . الإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه فحسب . لا أمام الله . وهكذا نجـــد سارتر يدعـو إلى الحرية المطلقة من كل قيـــد !!

ولقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دى بوفوار ، التى قالت لنساء مصر فى صراحـة تامة : نحن نريد أن نحطم (قوامة) الرجل ودعت إلى حياة زوجية محررة من « العقد الشرعى » كحياتها هى مع سارتر . ولقد كشفت إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر فى الفترة الأخيرة خفايا كثيرة فى هذه الزيارة اللعينة . فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسيمون كان رجلا يهودياً (كلود لانزمان) وهـو الذى وجه الزيارة على النحو الذى أرادته الصهيونية . وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلو سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشته هو أساسا . وذلك مثلا حين كتب أحـد الشيوعيين مقالا عنوانه (سارتر ضمير العصر (وكان سارتر يتساءل بعـدها (أنا ضمير العصر كله ؟ ! أنا لست حتى ضمـير نفسى) ثم يطلب ضاحكا من لانزمان أن يتحمل عنـه بعض هذه الألقاب .

وتقول الكاتبة : « لقد سمع ورأى ، ولكنه لم يتأثر قيد أنملة بما سمع ورأى » .

لقد كان استقبالنا لسارتر أشبه بمظاهرة ، وكان كلامنا معه أشبه بالصدى في وادى مهجور . إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة في قيادته إلى أهدافها . فقد دست (كلود لانزمان) بفكره الصهيوني المغلف بطبقة مزيفة من الفكر التقدمي للتضليل . دسته على سيمون في وقت كان فيه سارتر يتأرجح بين وجوديته والشيوعية فاستطاعت سيمون بتأثير من (لانزمان) أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءها منوماً أو كالمنوم . فانبهر بما قدم إليه فترة . قبل أن يعود إلى قواعدة سالماً . وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف في الظل وراء سارتر في كل زياراته ليسمعه صوت (هرتزل) واضحاً مجلجلا وهو يهمس به إليه » .

كان في مارس ١٩٦٧ وفي نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة . فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر في سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسواز جيرو وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التلفزيون الفرنسي كلمة سارتر التي قال فيها :

« إن قبولي لهذه الدرجة العلمية التي أتشرف بها له مدلول سياسي فهذا القبول يعبر عن الصداقة التي أحملها لإسرائيل منذ نشأتها » .

هذا سارتر الذى كتب (المسألة اليهودية) وهو الذى زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذى شارك في المظاهرات ، ووقع البيانات المؤيدة لإسرائيل . وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخريه من الجامعة العبريه بينما رفض من قبل كل الجوائز التي أهديت له بما فيها جائزة نوبل .

وكان سارتر قد قام بزيارته لإسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ ببضعة شهور . وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت في الأفق في مايو ١٩٦٧ فسارع سارتر ومجموعة من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان في تأييد إسرائيل التي سيدمرها العرب . ولكن إسرائيل بدأت بالهجوم . واحتلت من الأرض ، وقتلت من العرب ، ودمرت فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه

إلا بعد أن اشتعل النضال الفلسطيني بعد الهزيمه ، وامتدت نيرانه إلى بعض العواصم الأوربيه .

وبعد فلقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب ، لأن دعوته هي نوع من هوى النفس ، وهي مواجهه لتحد عاشه في عصره . ولكن الزمن يتحول ، والفكرة التي تكون اليوم استجابة لوضع معين . . فإنها سرعان ماتسقط مع تحولات الزمن والبيئات . ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهباً قائماً أو مستمراً . وهكذا كل الأيداوجيات البشريه التي صنعها الفلاسفة وظنوا أنهم قد استطاعوا بها حل مشاكل عصرهم . ذلك أن هناك منهجاً واحداً : هو الذى يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان في كل العصور والبيئات . ذلك هو منهج الله الحق (لا إله إلا الله) .

الفصل السابع عشر

طه حسين

(١)

عميد الأدب العربي الذي ما زالت مؤلفاته تحمل سموم الاستشراق وتهاجم الإسلام والقرآن.

(عن مجلة الاعتصام ـ عن مجلة المجتمع) (القعده ١٣٩٣ - ١٩٧٣)

استطارت فى صحف البلاد العربية كلمات عجلى واقطات سريعة خاطفة حاولت أن تسد فراغا صحفيا على وجه السرعة فلم تتمكن من أن تراجع التاريخ أو تتثبت من الوقائع ، وربما صاحب ذلك هوى من شأنه أن يتعارض مع الحق ، وربما كانت كتابات بعض المتصدرين فى مجال الصحافة ممن لم يحسنوا مراجعة الآثار المكتوبة حول القضايا المثاره ومنهم من شهد السنوات الأخيرة فنشأ طفلا يرى (طه حسين) رجلا كهلا تحيطه هالة ، أو تدرس كتبه فى الجامعات أو يشرف على بعض المؤسسات الثقافية واللغوية فظن هؤلاء ـ وبعض الظن إثم ـ أن الرجل له تاريخ مشرف جدير بأن يشاد به ويرثى ولقد حوت كتابات الكتاب الكثير من الخطأ ومن الهوى ، ومن عجب أى بعض المؤمنين لحق بمن كتبوا عن الإسلام أو هاجموا بعض خصومه أمثال لويس عوض وسلامه موسى وغيرهم فأخذوا يسقطون فى هوة الخداع إزاء طه حسين وهو أشد خطراً من هؤلاء جميعا وأبعد أثرا .

ولسنا الآن فى مجال الحديث عن موقع طه حسين من الأدب العربي أو الفكر الإسلامى فذلك أمر له من بعد دراسات ومراجعات ولكننا نقف عند حد تصحيح بعض الأخطاء التى تضمنتها هذه المراثى التى أعادت الرجل حيا بعد أن مات موتا معنويا منذ عشر سنوات عندما توقف عن الكتابة وداهمه المرض الذى كان حفيا بأن يفسح له سبيل العودة إلى الله لو أراد ولقد كان يتردد فى هذه السنوات بل كان الدكتور نفسه يقول :

إنه لا يسمع من الإذاعة غير القرآن المرتل وكان بعض السذج من الناس يقول : لقد تاب الرجل وأناب .

وكذلك قالوها يوم أصدر كتابه (على هامش السيرة) ولكن الفهم السليم للإسلام يدعونا إلى أن نتحرز من مثل هذه المظاهر الكاذبة وأن نتعمق مفهوم التوبة فى الاسلام وهو مفهوم يفترض على صاحبه أن يرجع عن كل ما خالف به أصول الاسلام أو حقائق القرآن وأن يعلن ذلك على الملأ وأن يحجب مؤلفاته التى نشرت ذلك من قبل ، بل وعليه أن يصحح ذلك ويوضحه وأمامنا مثلان :

مثل فى القديم هو (أبو الحسن الأشعرى) حين خرج عن فتنة الاعتزال إلى ضوء السنة الصحيحة فإنه لم يلبث أن وقف فى المسجد الجامع بعد الصلاة على كرسى عال وأعلن توبته بل وخرج من ملابسه وقال : لقد خرجت من الاثم الذى كنت فيه كما أخرج من ثوبى هذا وألقى إلى الناس بمؤلفاته الجديدة التى يعارض بها قديمة الذى خرج عنه وأمامنا الدكتور محمد حسين هيكل الذى أعلن فى مقدمة كتابه (منزل الوحى) أنه قد خاض فى شبابه لجج النظريات وكان مخطئا حين حاول أن يختار لبنى وطنه فكر الغرب أو منهج الفرعونية وأنه عاد إلى الحق حين تيقن أن الاسلام هو المنطلق الوحيد للمسلمين إلى النهضة .

فهل فعل طه حسين شيئا من ذلك إذا كان حقيقة قد تحول . نحن نعتقد أن طه حسين لم يتحول حتى مات عن مفاهيمه الأولى وأنه أصر على فكرة إصرارا كاملا حتى حين كتب إسلامياته المتعددة وأن المراجعة الدقيقة لهذه المؤلفات تكشف عن أنها تحول فى المظهر أو كما يقول الغربيون أن طه حسين غير جلده أو أنه حين سقط فى نظر الناس بعد كتاب (الشعر الجاهلى) إنما أراد أن يعود إليهم كاسبا ثقتهم بالكتابة عن « هامش » السيرة وكانت خدعة أخرى كشفها صديقه ورفيقه على الطريق فى المرحلة الأولى الدكتور هيكل حين قال إن إحياء الأساطير فى هامش السيرة خطر على السيرة نفسها لأنه يعيد إليها ما حررها منه

علماء المسلمين أربعة عشر قرنا وحرصوا على حمايتها منه وقال عنها مصطفى صادق الرافعي إنه تهكم صريح .

لقد خدع طه حسين الكثيرين بكتاباته الاسلامية ولكن هذا الخداع لم يطل فقد كشفه كثيرون في مقدمتهم محمود محمد شاكر الذي كشف فصولا متعددة عن (الفتنة الكبرى) .

* * *

من أبرز ما يحاول الذين رثوا طه حسين أن يثبتوه أن طه حسين في مؤلفاته وكتاباته كان خصما سياسياً للذين هاجموه وألبوا عليه وأن ما أورده في كتبه لم يكن على هذا النحو من الخطر في مهاجمة الاسلام .

وذلك هو أسلوب الاستشراق في مواجهة الأمور وهو نفس أسلوب طه حسين الذي كان إذا أراد أن يهاجم الاسلام هاجم الأزهر وإذا أراد أن يرد عادية خصومه قال إنما يهاجمون حزبه السياسي ولقد حرص طه حسين حين اشتدت الحملات عليه عاما بعد عام بعد كتابه الشعر الجاهلي أن ينفصل من معسكر الأحرار الدستوريين وأن يلجأ إلى معسكر الوفد حتى يحتمي به .

وقد أكسبه ذلك سناداً ضخما إعانه - ليس فقط على الاستمرار في الحركة - ولكن مكنه من توصيل إلى ضربة أخرى وجهها إلى الفكر الإسلامي تلك هي كتابه :

« مستقبل الثقافة » وكذلك فقد إستفاد طه حسين من السياسة فهي التي حمته من العزل ومن المحاكمة ومن أشياء كثيرة ، بل هي التي كانت تسهل له أن ينتقل بالرغم من مواصلة كشف أساليبه - من منصب أستاذ الجامعة إلى عميد كلية الآداب إلى مدير الجامعة إلى وزير المعارف .

وإذا كان رثاة طه حسين يريدون حقا أن يصدقوا الناس ويقولوا لهم أن

طه حسين عندما كان فى حزب الأحرار الدستوريين - قد هاجم سعد زغلول بأكثر من (مائة مقال) فى خلال سنوات (١٩٢٢ - ١٩٢٧) حتى وفاته فلما تحول طه حسين إلى الوفد بعد ذلك كتب عن سعد زغلول وخطب يرفعه فوق هام الدهر دون أن يحس بالخزى أو الخجل ودون أن يرى إبتسامات السخرية من سامعيه وقارئيه لكذبه فى الأولى نفاقه وفى الآخرة وتضليله وغشه .

وتردد مراثى طه حسين عبارات تقول أنه اضطهد ككل أصحاب الرسالات فأى نوع من الاضطهاد شهده طه حسين . هل أعتقل ليلة واحدة فى أى عهد هل قدم للمحاكمة مرة واحدة . هل عذب ؟ هل حيل بينه صيف واحد وبين السفر إلى فرنسا حتى فى أشد أيام أزمة الشعر الجاهلى . لم يحدث ذلك قط وإنما كان ذلك من لغو القول وباطله .

إن طه حسين كان يعرف أنه فى حماية قوى كبرى ربما ليست ظاهرة ولكنها تختفى وراء الأحزاب، وراء عدلى وثروت ، وتلتمس أسلوبها إلى ذلك بالعطف على الكفيف والرحمة بالمجنون . كما قال سعد زغلول للأزهريين : هبوا أن رجلا مجنونا قال ما قال ، وماذا علينا إذا لم يفهم البقر ! !

ويردد أصحاب المراثى أن لطه حسين حياة حافله بالنضال ولكنه أى نضال ، لقد بدأ طه حسين حياته فى محيط حزب الأمة الذى أنشأه كرومر وفى أحضان لطفى السيد داعيه الولاء للاستعمار البريطانى تحت إسم مصر للمصريين وعدو الجامعة الإسلامية والعروبة والشريعة الاسلامية واللغة العربية وتعليم أبناء الفقراء .

ولقد لقى طه حسين فى حياته (عبد العزيز جاويش) وبينه الحزب الوطنى ولكنه سرعان ما أعرض عنها ، لأنها ليست ممهدة الطريق ولأنها كانت تحمل مفاهيم النضال والجهاد ، وكسب صلته بأصحاب البيوتات وفى مقدمتهم آل عبد الرزاق الذى كان أثيرا لدى عطفهم ومعونتهم ولما عاد من أوربا اندمج فى حزب

الأمة الجدد تحت اسم (الأحرار الدستوريين) ولم يدخل الوفد إلا بعد أن فقد الحزب أمانته الأمة وانصهرت فيه العناصر اليسارية والشيوعية .

أما أخلاقه التي يشيدون بها فهي تنجلي صراحة في موقفه الظالم من أساتذته الذين عاونوه في أول الحياة والذين شقوا له الطريق فلم يلبث أن هاجمهم في عنف وصلف واحتقار ، بل وعارض مفاهيمهم الأصلية : وفي مقدمة هؤلاء الشيخ المهدي ومحمد الخضري وأحمد زكي باشا وأعلن أنه يرفض المنهج الذي رسمه الشيخ محمد عبده .

وقد سجل جميع الباحثين في سيرته وفي مقدمتهم أولياء الثقافة الغربية من أمثال إسماعيل أدهم أحمد أنه لم يكن عالما ولا صاحب منهج ، وأنه صاحب هوى وغرض وأن ذلك الطابع يسود كل إنتاجه .

أما مفاهيمه العامة فقد أثار الدنيا حين أعلن أن العرب استعمروا مصر كالرومان وحرقت مؤلفاته في ميدان عام في دمشق ، وقال أن مصر جزء من حضارة البحر المتوسط ، وهاجم المجاهدين من أهل المغرب في رسالته وصور إستعمار فرنسا على أنه خدمة عظمى تقدمها لهم فرنسا . وكانت له مواقفه في معارضة العروبة والرابطة الإسلامية في دعوته إلى تمصير اللغة وإلى تمصير الأدب ، وكلها دعاوى زائفة مشبوهه .

وكانت دعوته إلى الحضارة الغربية دعوى فاسدة لأنه لم يأخذ فيها بأسلوب الحيطة أو أسلوب العلم بل كان حريصاً على أن تنصهر مصر والبلاد العربية في هذه الحضارة على النحو الذي صوره حين قال (أن نقبل من الحضارة ما يحمد منها وما يعاب وما يحب منها وما يكره) .

كان داعية الفناء في الغرب تحت خدعة زائفة ظل يروجها وكانت موضع سخرية الناس لسذاجتها وهي قوله : أننا لن نستطيع أن نساوى الغرب إلا إذا سرنا سيرته ، وكيف يمكن ذلك وقد سارت تركيا ومع ذلك سخر منها الغرب

لأنها عجزت عن أن تقدم شيئاً فى مجال العلم وما زالت عالة عليه بعد أن فقدت شخصيتها الإسلامية .

ويكذب أو يخدع أولئك الذين يقولون أن طه استوعب ثقافة التراث أو أنه نقل ثقافة التراث أو أن وجهته فى الكتابات الإسلامية كانت خالصة لوجه الله أو العلم أو الحق ، ذلك أن طه حسين قد أراد أن يتخذ من التراث منطلقاً إلى تحقيق جانب من رسالته المسمومة ، تلك هى إثارة الشبهات والروايات الباطلة ، والتقليل من جلال أبطال الإسلام ، وتصويرهم بصور رجال السياسة فى الغرب المسيطرين على مطامع الحكم ومطالب الحياة والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفهم التراث أو يقدمه المسلمين فى هذا العصر إلا رجال آمنوا بالإسلام دينا ونظام حياة وعمرت قلوبهم تلك الأمانة للاسلام والغيرة على معطياته ومنجزاته ، أما طه حسين فقد عاش حياته كلها يسخر بعظمة أمة الإسلام وبما فى صفحاتها من بطولات ويفسرها طبقاً للمذهب الاجتماعى الفرنسى ، المتصل بالتفسير المادى للتاريخ القائم على الجبرية وهو مذهب ينكر عظمة النفس الإنسانية وجلال الروح ومكانة المعنويات ـ كان طه حسين كذلك إلى آخر ما كتب (مرآة الإسلام والشيخان) .

وكل ما يحاول الإغرار أن يجمعوه من آرائه عن القرآن أو الاسلام أو التاريخ فإنما يقدم إليه مفهومه الباطل فيجعله هباء منثوراً ، فهو لا يرى فى القرآن أكثر من أنه كتاب بلاغة ، ولا يرى فى البطولات إلا أنها من نتاج البيئة ، ولا يرى فى النبوة إلا أنها قدرة رجل عظيم استوعب فكر عصره ، فهو لا يؤمن بالنبوة ، وذلك واضح من كتاباته ومن مراجعات الباحثين لآثاره وهى كثيرة ومقدمتها كتاب غازى التوبة ومحمد محمد حسين والرافعى ومحمد أحمد الغمراوى وكاتب هذه السطور .

إن طه حسين مع الأسف لم يكن يؤمن بشىء ، كان ساخراً وكان مشككاً وكان متقلبا ولقد كدت أكتب عبارة (أولها حرف ر) .

وآية ذلك أنه ألقى العمامة فى البحر عندما ركب السفينة أول مرة إلى أوربا فى مشهد درامى، تمثيلى، وأنه كان يقول القول وينقضه فقد أعلن أمارة العقاد للشعر ثم سحب ذلك فى سنواته الأخيرة، أما قدره العلمى فقد كشف عنه سكرتيره ألبين برزان وسكرتيره زكى مبارك وظهر ذلك واضحا فى سقطات فاضحة.

من مثال قوله (وقد وقعت بين القيسيه واليمانية معركة (مرجرات) ثم اتضح من بعد أنها (مرج راهط) ولكن هكذا يكتبها المستشرقون وقد أشار زكى مبارك إلى ذلك فى دعاية ساخرة حين قال: أن طه حسين دخل حديقة المستشرقين بالليل ليسرق ثمرة أو ثمرتين فصادفته هذه الثمرة المعطوبة) ولا شيء يستطيع أن يحمى طه حسين من شبهة الاتصال بالصهيونية أو اليهودية العالمية فى مجال الفكر وربما عن طريق آخر بالإضافة إليهما (ربما تكون الماسونية). ولذلك قصة طويلة لها وقائعها الثابتة والأكيدة والمتصلة طوال حياته منذ أعلن عن عدم وجود إبراهيم وإسماعيل عام ١٩٢٦ إلى أن أصبح مديراً لدار الكاتب المصرى ١٩٤٦ وبين ذلك تاريخ طويل يمكن أن يروى فى مقال متصل ويؤيده ما قاله شارل مالك فى رثاء طه حسين.

هناك سؤال: لماذا انقلب إسلاميا داعيا إلى التراث؟

الإجابة السريعة قبل إيراد التفاصيل هى محاولة تمكينه من أن يكون مرجعاً إسلامياً يستغله التبشير والإستشراق فى السنوات الخمسين القادمة ولذلك فقد حوله من مغايظه الجماهير إلى إرضاء الجماهير، إرضائها بالخداع والزيف.

وكلامه عن الإسلام كله بمفهوم الإسلام الغربى المسيحى: أنه علاقة بين الله والإنسان، عبادة، لاهوت، فكر باطنى، مفهوم الحلول وليس أكثر من ذلك، وطه حسين يعتنق ما كان يعتنقه فولتير ورينان وغيرهما من التفرقة بين الإيمان بالقلب والفكر عن طريق النقل. هذه الازدواجية التى يعرفها الغربيون ويفخرون بها، وتعتنقها بعض الفصائل المضللة من توابع المستشرقين فى البلاد العربية ممن لا قيمة لهم ولا وزن وممن لن تتبقى لهم آثار ولا أعمال.

إن طه حسين بالعمل فى مجال الإسلاميات منذ أصدر هامش السيرة ١٩٣٣

ونشره فى الرسالة كان يفتح صفحة جديدة وأخيرة فى تاريخه وتاريخ الفكر الإسلامى هى صفحة [تقديم البديل من أجل القضاء على الأصيل] ومع الأسف فقد شارك فى هذا المخطط هيكل والعقاد وانكشف أمرهم عام ١٩٣٩ حين قال لهم إمام كبير :

بيننا وبينكم أن تؤمنوا بأن الاسلام نظام حكم ومنهج مجتمع ، فصمتوا صمت القبور . لقد عمد طه حسين من خلال كتاباته الاسلامية أن يصور الروابط بين الصحابة على نحو مؤسف ردىء ، وكان قد أعلن من قبل فى رده على العلامة : رفيق العظم احتقاره للتاريخ كما اتخذ فى بعض الشعراء الماجنين دلالة على فساد القرن الثانى الهجرى الحافل بأعلام المسلمين فى الفقه والعلم والتصوف والأدب والفكر كله .

لقد تحول طه حسين فى أساليبه يخوض معركة أشد خطراً ، هى معركة تزييف مفهوم الاسلام والتاريخ الاسلامى ، وقد جرى فى ذلك مع منهج الاستشراق الذى تغير فى أواخر الثلاثينات حين تحول من مهاجمة الاسلام علانية إلى خداعه بتقديم طعم ناعم فى أوائل الأبحاث ثم دس السم على مهل ومن خلال فقرات متواليات وكان هذا هو أسلوب الاستشراق اليهودى الماكر .

وقد استخدم طه حسين هذا المنهج ببراعة ونجح فيه . فلم يكن طه حسين يؤمن بالدين ولا بالتراث ولا بعظمة هذه الأمة ولا بأمجادها الاسلامية ولا بحركة اليقظة فيها ، ولقد تهدمت كل أعماله قبل وفاته وخذلته كل الكتابات الجديدة والايجابية عن الشعر الجاهلى وعن ابن خلدون ، وعن مفهوم العروبة المرتبط بالاسلام وعن هزيمة الفرعونية وعن إندحار دعوته إلى الغض من شأن الأزهر .

(٣)

ماذا بقى من طه حسين بعد أحد عشر عاما من وفاته

كان السؤال فى بدوة الاعتصام هو : لماذا الدكتور طه حسين وحده من دون كتاب مصر ومفكريهم هو الذى يقام له مهرجان سنوى فى جامعة المنيا ويقدم له عديد من المستشرقين وتهتم به الاذاعة والتلفزيون ويحشد له كتاب كثيرون لتمجيده وتقديسه وحتى الصحف كانت حامية له عندما يحاول أحد المفكرين أن ينقده أو يقدم عليه ملاحظة واحدة فاذا بالصحف تعجب لذلك كأنه قديس لا يجوز نقده .

والحقيقه أن طه حسين منذ سنوات طويله قد أخرجه المؤرخون من كتاب الأصاله والايمان بالعروبه والاسلام فقد حمل حملات شديدة على الدين بعامه وعلى الاسلام بخاصه وعلى الأزهر معقل الاسلام واللغه ، وهاجم العروبة والعرب ووصفهم بأنهم استعمار شبيه باستعمار الفرنسيين والانجليز ، وقال أن مصر ليست عربية ولكنها غربية ، بالبحر الأبيض وبالثقافه اليونانيه وقال عن نفسه أنه من أصل يونانى .

وقد أخرجه المؤرخون والباحثين من كتاب الأصاله والايمان بالمنهج العلمى منذ أن دعا إلى منهج الشك الفلسفى وعاش حياته يشكك فى كل شيء ، فى نصوص الأدب والشعر والتاريخ الاسلامى واللغه العربية وقد فتح الطريق أمام شبهات أعداء الاسلام من المستشرقين وبالغ فى (ديكارت) مبالغه خرجت به عن الحقيقة حين وصف نفسه بأنه وصل إلى وثائق لو أعلنها لاندك السربون ، ولم يعرف طه حسين أن مذهب الشك طريق إلى الايمان الذى دعا إليه (ديكارت) قد أخذه من مفكر إسلامى هو الامام الغزالى ومن كتابه (المنقذ من الضلال) فالمذهب إسلامى المصدر ولكن طه حسين الذى كان يلهو فى الأزهر لم يتعلم وقد سجل على نفسه الجهل بالمصادر الإسلامية .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة منذ فتح باب السرقه من المصادر دون الأشاره إليها فقد ظل يدرس فى الجامعة نظرية مرجليوث فى انتحال الشعر الجاهلى سنوات وسنوات دون أن يشير إلى المصدر مع أن المستشرقين الذين معه كانوا يعرفون ، بل أن بعض الطلاب كانوا يعرفون ، وهذا ما كشف عنه الأستاذ محمود محمد شاكر فى مقدمة كتابه (المتنبى)

ومن ذلك مافتح الطريق إليه وشجع تلاميذه فى هذا المجال الذى يعد الآن من المغامز الشديده الخطر فى الحياة الأدبيه المصرية ، وهناك وقائع ثابته ـ وليس هذا قول جزافى — وهناك اسماء معروفه فى المجال الجامعى ، وسجلتها كتب صدرت فى البلاد العربية وفى مقدمتها كتاب الدكتور محمد نجيب البهبيتى (مقدمات الأدب والتاريخ العربيين) .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصاله منذ حمل لواء الهجوم على أساتذته وعلى والده فى كتاب (مع الايام) وعلى الذين علموه ، وعلى الشيخ محمد عبده وأحمد زكى باشا شيخ العروبه والشيخ محمد الخضرى ، ومختلف أساتذته بل وزملائه أمثال أحمد أمين وزكى مبارك .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصاله منذ تابع أعداء الاسلام من المستشرقين بالهجوم على أبن خلدون والمتنبى وأساء إلى خالد بن الوليد وكثير من الصحابه ، ومنذ يوم أنكر وجود (عبد الله بن سبأ) اليهودى وسخر بكبار المسلمين ووصفهم بأنهم مجموعة من الساسيين المتصارعين .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصاله منذ أنكر وجود ابرهيم واسماعيل عليهما السلام وقال أنه لايؤمن بهما بالرغم من ذكرهما فى القرآن ، ومما قاله أن الاسلام بقى على هامش حياة المسلمين وأنه لم يستطع أن يفرض نفسه على حياة المسلمين أصحاب الحضارات المختلفة ،

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه من كتاب الاصاله منذ تقلب بين

الأحزاب ، الأحرار الدستوريين يوما ومع الوفديين يوما، بل وكذلك في الولاء الغربي فكان وليا للثقافة الفرنسية ، ثم عندما أصبح وزيراً نقل ولائه إلى بريطانيا ثم لما ظهر النفوذ الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية بدأ يقدم الفكر الأمريكي ويعلى من شأنه .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة منذ أيد الصهيونية وأنشأ مجلة الكاتب المصري في القاهرة وخطب في مدارسهم وتحدث كذبا عن فضل اليهود على العرب في مجال الأدب أو الفكر ، مع أن العكس هو الصحيح ، وفضلا عن أنه أمضى حياته كلها لم يكتب مقالا واحداً في تأييد قضية فلسطين .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة بعد أن والى الشيوعيين ومفاهيم الماركسية وأيد كتابهم في مصر وشجعهم على تحطيم التفسير الاسلامى للتاريخ بعد أن قدم تاريخ الاسلام من خلال التفسير المادى للتاريخ في كتابه (الفتنة الكبرى) وهي الخطوة التي تابعها بعد ذلك عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصاله بعد أن وصل في المبالغة إلى الكذب ، فقد ادعى أن يطل روايته (أديب) استودعه صناديق من الأعمال الأدبية ستهز الدنيا إذا نشرت ، وقد ثبت كذب هذا الادعاء ، كذلك فقد ثبت أنه لا توجد هذه الوثيقة التي إدعى أنه عثر عليها عن ديكارت :

قال أنه قد وصل في بحث ديكارت إلى نتائج غريبة قيمة لو أعلنتها فرنسا لا تدركت لها السربون ولاضطرب لها الكوليج دى فرانس ولأعلن لها المجتمع الفرنسى إفلاسه) هذه المجموعة من المخطوطات المدعاة لم تكن شيئا وإنما كانت كما ذكر الذين راجعوا هذه القصة، مبالغة ، أراد أن يخدع بها خصومه من علماء الأزهر ، لقد تخصص طه حسين في القصة المكشوفة ، ولا تستطيع أن

نترك هذا المجال دون أن نذكر ما قاله الأستاذ المازني عن طه حسين في (كتابه قبض الريح ص ٦٣ وما بعدها) ولقد لفتني في الدكتور طه في كتابيه حديث الأربعاء وهو مما وضع و(قصص تمثيلية) وهي ملخصة :

(إن له ولعاً بتعقب الزناه والعشاق والفجرة والزنادقه)

ولقد ظل طه حسين مكشوفا لجيله أكثر من أربعين سنة، ولم يغلب عليه طابع القداسة الكاذب إلا بعد أن مات الرافعي والعقاد وزكي مبارك والغمراوي ومحب الدين الخطيب وكل معاصريه الذين يعرفون خبيئته وهدفه .

أهذا هو أحد الشوامخ الذى تثار المعارك من أجل الدفاع عنه ، بينما تتجاهل هذه الدعوة الظالمة الرافعي ورشيد رضا وشكيب أرسلان وطاهر الجزائرى وأحمد تيمور والمويلحي والكواكبي وعلال الفاسي وعبد العزيز جاويش والبكرى والمويلحي والمنفلوطي والزيات والثعالبي وعبد الرحمن عزام وفريد وجدى وطنطاوى جوهرى وكثيرون .

أهم الشوامخ فحسب : طه حسين ولويس عوض وتوفيق الحكيم وزكي نجيب محمود الذين ترفع لهم الرايات وتتخلى صحف كبرى عن تقاليد الصحافة فتفسح لهم الكتابة فى المحظور وتمنع من يرد عليهم أو يصحح لهم أن ينشر له شيء .

ويكتب أحد التغريبين الصغار يقول أن طه حسين ما زال يتحدث إلى الناس حتى اليوم ، وهو لا يعلم أن كل أفكار طه حسين سقطت قبل أن يموت ، تحدث عن الفرعونية وسقطت الفرعونية ، وتحدث عن أن الدين خرج من الأرض ولم ينزل من السماء وهذه نظرية دوركايم الباطلة وأنكر وجود ابراهيم واسماعيل واعترف بها رجال الآثار والحفريات، وهاجم قدر المتنبي وإبن خلدون وأشادت بهما الدنيا كلها ودعا إلى أخذ الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها وكذبه جارودى وغيره وسرق من اليهودى مرجليوت نظرية الشعر الجاهلي ليحطم قاعدة من قواعد تفسير القرآن الكريم وقال أن فى القرآن نظم ضعيف ونظم

قوى وهى نظرية اليهودى جولد زيهر سرقها أيضا دون أن يذكر، وقال أن مصر غربية وليست عربية وهى نظرية الاستعمار الفرنسى والبحر الأبيض المتوسط وسرق من بلاشير تحقير بطولات العرب فى المتنبى فماذا بقى له بعد ذلك .

إن الذين كتبوا عن طه حسين وكشفوا خبيئته لم يكونوا إلا أقرب الناس إليه ، تلميذه محمود محمد شاكر الذى اتهمه بتدمير أسلوب البحث العلمى ، أم الدكتور نجيب البهبيتى الذى أورد عنه ما يعف قلمنا عن ترديده أم زميله فى الجامعة الدكتور على العنانى وقد وزع محاضرته مطبوعة على طلبة دار العلوم، أما ما كتبه سكرتيره أربعين سنة : فريد شحاته .

إذن ما قيمة ما يعرضه البعض من كتابات الدكتور محمد الدسوقى وهو لم يصاحب طه حسين إلا فى سنوات المرض بعد أن فقد ذاكرته وعاد يخلط فى الأمور ، وكيف أنه عجز عن مواجهة العقاد حيا فلما مات قال لم أفهم العبقريات وقد مجدها فى حياته ، ماذا بقى من طه حسين يستدعى بجيدة وقد زار إسرائيل مع حسين فوزى سراً وإذا كان سكرتيره الخاص مؤتمن فاقرأوا ما كتبه البير برزان سكرتيره الأول ، وكيف كان ينافق ثروت باشا ويكتب فى جريدة الاتحاد ضد الأحرار الدستوريين ثم يكتب فى السياسة ضد سعد زغلول، ثم يصل به المطاف إلى الوفد فإذا راجعه الأحرار فقال لهم : اسكتوا وإلا كشفت أسرار حزبكم - ولتقرأو كتاب معك الذى أملته السيدة سوزان اتروا كم كنيسه فى أوربا دخل ولم يدخل مسجداً واحداً وكيف كانت ترسم الخطط لمؤامراته مع الفكر الاسلامى و هذه الخطط التى كان يقودها لويس ماسينيون .

ماذا بقى بعد ذلك من طه حسين : حول شخصيته وحول فكرة مما يشاد به وبعلى ويسجل إلا إذا كانت سرقة المتشرقين فضيله وهدم التراث الاسلامى منة وإذا كان إدخال مذهب الشك الفلسفى إلى الأدب العربى هدية يعلى شأنها خصوم الاسلام حين يقولوا أنه هدم القديم البالى ، وكان هو يقصد بالقديم الاسلام حيث لا يستطيع أن يصرح بذلك .

أن الذين يتكلمون فى هذه المناسبات أحد اثنين : أما أحدهما فرجل قدم له الدكتور طه خدمة فى أثناء التعليم فبعثه الى بلد أو الحقه بعمل ، أما الثانى فهو مغرب علمانى يؤمن بأن طه حسين قد شق لهم الطريق الى العلمانية والماركسية والشعوبية وفتح أمامهم أبواب الهجوم على الفكر الاسلامى واعلاء أبى نواس وبشار وأخوان الصفا وابن عربى والحلاج ، وانتقاص الصحابة وابن خلدون والمتنبى لأن المستشرقين يرون ضرورة اعلاء الزنادقة وخفض العباقرة .

(٣)

أمانة الأجيال

• إنما المسئولية إزاء الأجيال الجديدة من الشباب والأمانة العلمية تجاه سموم ما زالت كتبها تصدر وتتداول .

• قد تكون كتابات طة حسين أدباً بمفهوم الأسلوب الموسيقى الإيقاعى ولكنه بالقطع ليس أدباً إسلاميا على الاطلاق .

(فى الرد على ثروت أباظة)

أولا : أن ما كتب عن طه حسين فى دراسة حياته وفكره هو أمر طبيعى قام به الدارسون بالنسبة لكل الكتاب البارزين، فليس فى ذلك من عجب ولم يكن طه حسين إلا واحداً من أصحاب الأقلام الذين يخطئون ويصيبون ، وقد تحدث الناس عن خطأه وصوابه وهو حى ، فليس من الغرابة أن يتناول فكره أو تناقش أعماله ، وليست تلك الكلمات المبالغه فى تصويره للناس يمكن أن تصل إلى مقام التقديس أو حجب الحقائق التى تمثل وجهة الكاتب فى علاقاته مع الساسة أو النقاد أو جهات العلم فى مصر أو الغرب ، وذاك جيل عرف بإتصالاته بالأحزاب وبالسياسة وبالصحافة وكان من أساليبه الهجاء والخصومة والتنقل بين المعسكرات (وان كان أسلوب الهجاء الذى عرف لهؤلاء أعلى وأكرم من هجاء المتأخرين الذى وصل إلى حد أسيف) ولقد كتب عن طه حسين كثيرون :

كتب الأستاذ محمود محمد شاكر كتابا وكتب الدكتور نجيب البهبيتى كتابا فى المغرب فى ثمانمائة صفحة ، وكتب الدكتور المحتسب فى الأردن كتابا وكتب الأستاذ أحمد حسين فى مجلة الثقافة : هذا فى الفترة الأخيرة ، أما فى حياة طه حسين فقد كتب أربعون كاتبا فى مقدمتهم العقاد وهيكل باشا وزكى مبارك ومحمد أحمد الغمراوى وفريد وجدى ، والخضر حسين، ومحب الدين الخطيب وساطع الحصرى

وكثيرون ، إذن فالقضية قضية أدبية كبرى ليس كتابنا فيها إلا شطيرة من الشظائر كذلك فنحن تناولنا حياة طه حسين وفكرة فى إطار الإسلام وبأسلوب الاسلام العف السمح الكريم الذى لا يتهم ولا يظلم ولا يرمى بالقبائح ، لقد علمنا الإسلام أدب الحديث وأدب الحوار وكنا ولا زلنا إزاء كل ما يرد به إخواننا الكتاب والأدباء ملتزمون بهذا مهما بلغ عبارات الهجاء التى ترددت على أقلام كنا نظن أنها تعف عن الدنايا ، فلا نرددها ولا تردها وإنما ونمر بها مر الكرام ونضعها دبر آذاننا ونحتسبها عند الله ولا ريب أن العبارات الجارحة غير الملائمة هى تعبير عن عجز فى الأداء وعدم القدرة على مناقشة الفكرة علميا أو مقارعة الحجة بالحجة (١).

ثانيا : أما الاتهامات التى وجهت إلى طه حسين بالعمالة مع الصهيونية أو مع الشيوعية أو أنه تنصر فى كنيسة فى فرنسا فذلك كله مما قاله غيرنا . الصهيونية كشبهة جاءت والدكتور لويس عوض يتحدث فى الأهرام عن تولى الدكتور عميد الأدب العربى لرئاسة تحرير مجلة « الكاتب المصرى » الصهيونية ، التى حيا فيها الدكتور طه وفود اليهود الداخلين فلسطين أما شبهة الشيوعية فقد جاءت نتيجة رسائل تبادلها معه الشيوعيين المصريين الذين جعلوه فى مجلة من مجلاتهم زعيما لهم أما شبهة التنصر فقد ذكرها سكرتيره فى حديث صاحب لمجلة الاذاعة وعلق عليها المرحوم الأستاذ أحمد حسين ، أما ما يشاع عن تبعيته لفرنسا فقد جاءت فى أحاديث نشرها فى الأهرام بعد أن ضربت فرنسا دمشق بالقنابل وأيد موقفها ذلك ، ومن موقف الأستاذ الفرنسى الذى أعطاه الدرجة النهائية عندما دخل الامتحان ومعه زوجته الفرنسية وهذه أثبتها طه حسين فى الجزء الثالث من الأيام وقد ابتسم وأعطى لأنه عرف أن هذا الكفيف سيخدم فكرهم فى جامعة شرقية ومع هذا فنحن لم نتحدث فى كتابنا بكلمة واحدة عما يسمونه (العمالة) أو التبعية وإنما هى أخبار متفرقة تداولتها كتابات هؤلاء الزملاء الذين تناولوا طه حسين وعاصروه وما عرضنا له فقد شككنا فيه وضعفناه ، أما تبعيته للمستشرقين فما قلنا بها وإنما هو الذى ذكرها فى رسائله إلى السيدة زوجته كما أوردته فى كتابها (معك) .

---

(١) كان ثروت أباظه قد أدلى فى حديث لمجلة النور بعبارات يعف عنها القلم .

ولقد أورد الدكتور محمد نجيب البهبيتى فى كتابه وقائع أخرى من حياة الدكتور طه حسين باعتباره أقرب تلاميذه إليه أيام الدراسة فى الجامعة نعف عن ذكرها ، كذلك فقد أشار الأستاذ شاكر إلى قضية ضخمه هى قضية (السطو الجامعى) التى إبتدعها الدكتور طه حسين وكيف أنه ردد نظرية المستشرق اليهودى مرجليوت عن انتحال الشعر الجاهلى عاما كاملا دون أن يشير مرة واحدة إلى المصدر وهى ما أسماها شاكر (حاشية طه حسين على متن مرجليوث) كل هذا ردده كثيرون وما كان لنا أن نخوض فيه ، وهو اليوم ينسب إلينا ظلما ، وكان من الحق أن ينسب إلى أصحابه .

ثالثا : والحقيقة التى قام عليها كتابنا ووجهتنا ليست هى التشهير أو الاساءة أو الظلم فإننا نعلم أن كل كلمة لها حسابها عند الله تبارك وتعالى وما بيننا وبين الدكتور طه حسين قره ، وإنما هى « المسئولية إزاء الأجيال الجديدة من الشباب والأمانه العلمية والتبعة إزاء مؤلفات مليئة بالسموم ما زالت منشورة وما زال يعاد طبعها ويظن شبابنا وهو ضعيف الخلفية الاسلامية أنها حقائق واسم طه حسين عميد الأدب : هذا الاسم اللامع مازال يخدع الكثيرين، فنحن نرجو أن نكشف هذه الحقائق ، وأن نبين رأى الاسلام فيها على قدر ما نستطيع ولا ندعى فى هذا تطاولا ، ولا استعلاء ، وكنا نود أن يكون الانصاف وقبول الحق رائدنا جميعا لا الأهواء الشخصية وأن لا يكون الولاء الحزبى أو العائلى صارفا لنا عن أن تذعن للحق ، فما قدم طه حسين خلال حياته الطويله إلا مجموعة من السموم التى حارب بها حقائق الاسلام وخاصه فى كتبه ، الفتنة الكبرى وهامش السيرة والشيخان ومرآة الاسلام ،ولكن هذا الزيف المسموم قد صنع فى ذلك الأسلوب الموسيقى الخادع الذى هو أداة الاقناع لدى البسطاء الذين لا يستطيعون أن ينفذوا وراء السموم المنثورة والشبهات والسخرية والتهكم بالصحابه فى هذه الكتب ولقد عرف الباحثون اليوم وتكشفت أمامهم الحقائق واضحة بأن الدكتور طه حسين هو صاحب [مذهب الشك الفلسفى] الذى روج له خمسون سنة فى العالم العربى كله وفى مختلف

كتاباته عن التعليم والأدب والسيرة والتاريخ ، وأنه هو الذى طلب إلى تلاميذه (نقد القرآن) على أنه كتاب أدب فيه الضعيف والجاف والقوى ، وقوله باطلا أن الرسول تأثر باليهود فى المدينة فذهب جفاف أسلوبه (وهو فى هذا يعتبر القرآن من عند الرسول وليس من عند الله) .

وأقرأ فى هذا كتاب الدكتور محمد البهى (الفكر الإسلامى الحديث) ومحاضر جلسات مجلس النواب ١٩٣٣ حيث قدم الدكتور عبد الحميد سعيد نصوص كراسة طالب فى كلية الآداب، وهو الذى أنكر فى كتاب[الفتنة الكبرى] شخصية عبد الله بن سبأ اليهودى وبالرغم من أن الطبرى وغيره ذكر مؤامراتها الضخمة التى انتهت بمقتل سيدنا عثمان، وادعى أنها شخصية خرافية، أما هامش السيرة فقد أضاف الأساطير التى محاها كتاب السيرة وأعادها إلى السيرة مرة آخرى على نحو أشد كذبا بإخلاق أدب الأساطير فى الأدب العربى أسوة بكتاب على هامش الكتب القديم للفرنسى فلان وفى كتاب الشيخان فقد تصرفات سيدنا عمر، وفى مراة الإسلام أنكر القراءات السبعة ، وفى كل هذا كان يتعامل مع الصحابة على أنهم من السياسيين المحترفين فى هذا العصر ويسوق إليهم عبارات السخرية والنقد مع أن صحابة رسول الله ﷺ ، له قدرهم ولكنه أراد أن يحطم هذه المكانه وأن يدرس تاريخ الإسلام فى هذه الفترة على أساس مفهوم التفسير المادى للتاريخ ، هذا المنهج لذى وضعه ماركس ومن بعد سار عليه الكتاب الماركسيون فى دراساتهم عن النبى والصحابة من أمثال عبد الرحمن الشرقاوى الذى صور النبى فى كتابه على أنه من دعاة الإصلاح وتحرير العبيد والذى لم ترد فى كتابه (رسول الحرية) كلمة الوحى ولا مرة واحدة أو كتابات أحمد عباس صالح عن اليسار واليمين فى الإسلام ، فلا ريب أن طه حسين هو الذى فتح هذا الباب الفاسد فى تفسير تاريخ الإسلام وفق نظرية التفسير المادى للتاريخ متابعاً المستشرقين فى هذا ، ومرضياً للاستشراق اليهودى الذى يلح على إنكار عبد الله بن سبأ اليهودى . ولن نذكر فى هذا المجال أنه أنكر وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأن ذكرهما القرآن فإذا كانت

كتابات طه حسين هى الأدب ، على أساس أنه صاحب أسلوب منغم موسيقى ، فنعم ، أما أنه أدب إسلامى فلا والف لا ذلك فإن مفاهيمه تتعارض تماما مع مفهوم الإسلام الأصيل :

هذه مقدمه ندخل بها إلى عرض آراء طه حسين المسمومة لنكشف لشبابنا المسلم تلك الخدعة التى يخدعه بها البعض وما كنا نظن أن الهوى أو الولاء الشخصى الذى اصطنعه طه حسين عبد البعض يستطيع أن يعلو فوق الحق ، وفوق الكلمة الخالصة لله تبارك وتعالى .

(٤)

كلمة حق فى الرد على المدافعين عن طه حسين

أن أصدق أساليب البيان هو أسلوب الوضوح والصدق والأمانة ، بالانطلاق من منطلق أصيل غايته الوصول الى الحق وهذا المنطلق يعوزنا جميعا حينما نبدأ من فرعيات صغيرة فى محاوله للوصول إلى هدف بعيد . وفى قضية « الأساتذه الكبار ، رواد الأدب فى هذا الجيل خلفية يجب أن يعرفها كل من يتحدث عنهم : تلك هى أنهم كانوا يعملون مع الأنظمة السياسية القائمة والتى كانت خاضعة خضوعا واسعا للنفوذ الأجنبي والاستبداد الحاكم إذ ذاك وأنهم كانوا يتصارعون تحت مظله الأحزاب السياسية وأن عملهم الأدبى كله — أوجله — كان فى خدمة هذه الأهداف وأن الذين درسوا (الأدب العربى المعاصر) علموا بما نص عليه هولاء الرواد فى صراحه أوضحنا من أن الدراسات الأدبية التى قدموها فى الصحافه ـ أذ ذاك ـ إنما كانت جزءاً من العمل السياسى والحزبى وأنها كانت تستهدف جلب قراء من المعسكرات الأخرى أو الأحـــزاب الاخرى وأن حزب الاحرار الدستوريين الذى كان ينتمى إليه جل هولاء (وعلى الاقل هيكل وطه حسين) كان معروفا بأنه حزب خصوم الاسلام بل وأطلق عليه فى فترة من الفترات حزب الملاحده فمنه ظهر على عبد الرازق بدعوته إلى أن الاسلام دين لاهوتى وأن الحكم ليس من أسسه ومنه ظهر طه حسين بدعواه عن فصل الآدب العربى عن الفكر الاسلامى والقول بأنكار وجود إبراهيم واسماعيل وأن قالت بوجودهما القرآن والتوراه ومنه ظهرت أراء كثيرة بالتنكر للاسلام ومفهوم العروبه والدعوة إلى الفرعونيه والاقليمية وغيرها غير أن مرحلة أخرى أشـــد خطورة جاءت بعد ، حين أضطرت هذه الاحزاب إلى مجاراة التيار الوطنى العارم وكسب الشعب بالكتابة عن الاسلام ومن هنا بدأت كتابات (حياة محمد) لهيكل جاءت كتابات (العبقريات) للعقاد ثم جاءت (على هامش السيرة) لطه حسين .

وقد كانت الخلفية وراء هذا التيار سياسية أصلا ولم تكن عملا خالصا لوجه الله ، وأن من يدرس هذه الكتابات دراسة أصيلة وفق مفهوم الإسلام يجدها قد أحتوت على كثير من التحريف والخلط والتماس المناهج الغربية والاستشراقية فى كتابتها .

بل أن هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ، إلى أنها أنما جاءت لأمرين خطيرين : لمواجهة التيار الماركسى الذى كان قد ظهر بعد الحرب العالمية الأولى فى معظم البلاد العربية وحمل معه مفاهيم عن الاجتماع تنكر (البطولة الفردية) ومفاهيم عن التفسير المادى للتاريخ تنكر كثيرا من المعجزات والوحى ، فكانت الدعوة إلى الكتابة الاسلامية بين هؤلاء الكتاب الذين كانوا فى أول أمر دعاة الفكر الغربى عملا هادفا له أبعاده ومضامينه ولم يكن ألا محاوله لخلق « بديل زائف » عن طريق أسماء لامعة للاصيل الذى كان قد بدأ يشق طريقة بقوة وهو حركة اليقظة الاسلامية متمثلة فى عديد من الهيئات الاسلامية كالاخوان والشبان وشباب محمد ومصر الفتاة والتمدن الإسلامى والمقاصد الإسلامية والأخلاق وغيرها من الهيئات الإسلامية على طول البلاد العربية وعرضها وفى دمشق وبغداد والقاهرة وأنهم قد انطلقو إلى هذا العمل لامن مفاتيح الفكر الإسلامى وإنما من مفاتيح الفكر الغربى بماديته ومسيحيته .

والهدف هو مواجهة دعوة الحركة الإسلامية التى تحمل لواء العودة إلى القرآن والتماس المنابع الاولى والعمل على تطبيق هذه المحاولة العصرية التى استهدفت أبراز الكتاب الكبار هولاء والتى ترمى إلى تقديم بديل ولكنه بديل زائف .

وقد ظهر ذلك بوضوح فى جلسة مجلس الشيوخ ١٩٣٩ حين استجاشت هذه القوى كلها للدفاع عن طه حسين بعد أن كشفت القوى الإسلامية زيفه فى هذا المجلس ودعت إلى طرده من منصب مستشار الثقافة فى وزارة المعارف ومصادرة كتبه المسموه (على هامش السيرة ، مستقبل الثقافه ، الآدب الجاهلى ، حديث الاربعاء) .

ويعد أن بين هؤلاء الكرام الاعلام على منبر مجلس الشيوخ هذه السموم (عبد الحميد سعيد ، الشيخ دراز ، رضوان السيد وغيرهم) قام على عبد الرازق والعقاد وهيكل وغيرهم بحملة مضادة للدفاع عن طه حسين ، وفى الحق أنها كانت محاولة للدفاع عن هذا التيار بدعوى أن الدستور يحمى حرية الفكر ، هنالك كشف الأستاذ الإمام حسن البنا فى مقال له بمجلة الاخوان هذه الحقيقه ، حين طالب هؤلاء الذين يتسمون بأسم الاسلام إن كانوا صادقين ـ أن يعلنوا إيمانهم بحقيقة الإسلام : كمنهج حياة ونظام مجتمع . فلم يجب أحد على كلمته وأدخلوها فيم يسمونه (مؤامره الصمت) وكان واضحا أن الهدف هو استغلال هذه الكتابات الإسلاميه لحجب الدعوة الحقيقية إلى مفهوم الإسلام الاصيل .

كل هذا كشف عنه كتابنا (طه حسين : حياته وفكره فى ميزان الأسلام) ولو أن المتصدرون للكتابه فى هـــذا الأمر قرأوا هذا الكتاب أساسا لو فروا كثيرا من الوقت والجهد ولوجدوا الإجابه على أسئلتهم ولكنهم يهاجمون الكتاب وكاتبه أنطلاقا من وجهة نظر خاصه ، هى أحـــدى وجهتين ، أما الدفاع عما يسمونه تراثا لامعا كان له دوره فى مرحله من مراحل حياة الفكر الأسلامى المعاصر ، أما متابعة لكاتب بعينه سواء للمعان أ. مه أو لأى هوى قومى أو وطنى خاص ، ولكن الحق هو فوق كل ماتهوى الأنفس وهو يعلو ولا يعلى عليه مهما بدت الصور براقه فى عيون لاترى أبعد مما تحت أقدامه ولقد كان للأدب العربى الأصيل المتصل بالفكر الإسلامى الصحيح دعاة وكتابا فى هذه الفتره هم أكثر إيمانا وأقوى يقينا وكانت كتاباتهم أبعد أثرا من هولاء اللامعين الذين كان للصحافة أثرها فى شهرتهم دون أن يكونوا على قدر حقيق بالنسبه لأمثال شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعى والدكتور محمد أحمد الغمراوى ، ريحى الدرديرى والخضر حسين وعشرات آخرين هم فى الحقيقة أعلام الآدب العربى الأسلامى ، هؤلاء لم يدرسهم أو يتحدث عنهم النقد الأولى لأنه كان يريد أن يظهر ويلمع هذه الاسماء وحدها ، ولعل الباحث المنصف يستطيع أن

يقرأ [موقف العلم والعالم من رب العالمين] من شيخ الاسلام مصطفى صبرى الذى كشف عن أخطاء هولاء اللامعين فى فهم الإسلام ولعله قرأ عشرات الابحاث عن أخطاء العقاد وطه حسين فى فهم الاسلام ومتابعتهم لاراء المستشرقين .

وإذا كان الباحث يريد من هذا كله أن يصل للدفاع عن طه حسين فأن الامر قد وضح اليوم وضوحا لاسبيل إلى غموض فيه ، وإذا كانت قد خدعته عبارات لطه حسين فى تقدير الحكومة الإسلاميه فى عهد أبى بكر وعمر فأنه بعد أن يذهب قليلا معه سوف يجد أن طه حسين إنما يريد من ذلك أن يصم عهد الخلفاء والصحابه باتهام خطير هو تقاتل الصحابه وتكالبهم على الحكم فهى تبرئه « الشيخان » من سموم العصر وذلك حين صور هؤلاء الذين قال النبى ﷺ أن أصحابى كالنجوم جاء طه حسين ليجعلهم أشبه بالسياسيين المحترفين المعاصرين طلاب الدنيا ودعاة الصراع والتآمر والخداع للوصول إلى الحكم وهذه هى السنة السيئة التى بدأها طه حسين للنظر إلى الصحابه وأننى أزعم أن لطه حسين صفحات أكثر أشراقا مما ذكر ولكنها ليست للحق ولا لوجه الله ولكنها للخداع فأن كتاب التغريب والشعوبين يعرفون هـذا الاسلوب جيدا الذى علمه أياهم الاستشراق بأن يخدعوا بعض القراء الذين ليست لهم خلفية واسعة بهذه العبارات ليحوزوا أعجابهم ثم لايلبثوا أن يقدموا السموم لهم ، ولقد كشفت هذا كله فى كتابى (طه حسين فى ميزان الاسلام) والحقيقة إن طه حسين لايؤمن بالإسلام كما أنزله الله كنظام مجتمع ومنهاج حياة ولكنه يؤمن به (دينا لاهوتيا كنسيامسيحيا) وكان من دعاة ذلك وكان عاملا من عوامل معارضة دعوة اليقظة الإسلامية الحقة ولم يكن هذا وحده هو خطأ طه حسين ولكنه كان مفسداً لأصالة الفكر الاسلامى فى كثير من عقائده رقيمة واسسه ولم تكن كتاباته هذه عن الاسلام فى كتبه (هامش السيره ، الفتنة الكبرى ، الشيخان) ألا تفصيلا لتلك الشبهات التى أثارها الاستشراق وإلا فأين طه حسين من الحكم الاسلامى حتى فى سلوكه الشخصى أو فى كتاباته وهو الذى لم يكتب مقالا واحداً عن فلسطين أو عن تطبيق الشريعة الاسلامية ولكنه هو الذى دافع عن عبد الله بن سينا اليهودى وأنكر وجوده

وأذاع أراء الزنادقه أمثال أبو نواس وبشار وهو الذى قال : أن القرن الثانى للهجره كان (عصر فسق ومجون) وهو الذى دعا المسلمين إلى الاخذ بالحضارة الغربية . (خيرها وشرها وما يحمد منها وما يعاب) وهو الذى استصغر شأن ابن خلدون علامة الاسلام فى أطروحته التى حصل بها على الدكتوره إرضاء لأساتذته اليهود وهاجم المتنبي عملاق الآدب لأن الاستشراق كان ينكره . أن الدفاع عن طه حسين لن يحقق نتائج ذات بال بعد أن كتب عنه تلاميذه اللصقاء من أمثال السيدة سوزان والاستاذ محمد محمود شاكر والدكتور نجيب البهبيتى وكشفوا عن خلقه الشخصى وأسلوبه العملى ومفاهيمه الوصولية وانتمائه الواضح للاستشراق العالمى ومتابعته لخصوم الاسلام ومهما بدأ بريق الكتابة أمام بعض العيون على النحو الذى خدع به بعض الناس مما كتب فى هامش السيرة وغيره فأن هامش السيرة فى حقيقتها سخرية عميقة بالنبي وإدخال للأساطير واستزادة فيها عما كان فى العصر الاول ، بعد أن حررها كتاب الإسلام على مد العصور من كل زيف .

وسلام على من اتبع الهدى .

(٥)

حقائق فى حياة طه حسين

تلقت جريدة (النور) رسالة من القارىء (...)

- هل زار طه حسين الجامعة العبرية بالقدس ١٩٤٤

- هل اعتنق النصرانية فى فرنسا

- هل كانت له علاقة بالصهيونية أو الشيوعية

- وقد عرضنا الرسالة على [أنور الجندى] فأجاب بما يلى :

إن حياة الدكتور طه حسين تكشف كلها عن وجهته ، وأن وقائع هذه الحياة ظاهرة جلية ، فهو رجل عرف دوائر الإستشراق منذ نشأت الجامعة المصرية القديمة ، وكان قليل الصبر على دراسات الأزهر ، راغبا فى الظهور والشهرة فاتصل بلطفى السيد فى الجريدة ، وبالمستشرقين فى الجامعة ، ومن ثم أخذ يسخر من الأزهر ومن العلماء بتحريض وكان محرضوه هم المستشرقين الذين كانوا يذهبون معه وبه إلى دروس الأزهر منهم فقد كانوا يريدون أن يوقدوا فى صدره جذوة الحقد على الإسلام والأزهر الذى بقى كامنا حياته كلها فى صدره لم يذهب ويدفعونه إلى أسئلة محرجه ، تدفع الأساتذة إلى ردود جافه ، ومن ثم نشأت فى نفسه تلك المشاعر الكارهه لهذه البيئة وشجعه أولئك على أن يقدموا له [الدكتوراه] خيرا من [العالمية] وفتحوا له الطريق إلى أوربا ، فكان هناك فى حضانتهم وعونهم وتوجيههم ، بل أن الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة وقد سئل فى ذلك فقال : إنه كان مواليا لهم ولأفكارهم ومذاهبهم قبل أن يسافر وآية ذلك أن أطروحته عن أبى العلاء التى قدمها فى الجامعة القديمة كانت تقوم على مذهب (الجبرية المادية) التى بثه المستشرقون فى طلبه الجامعة المصرية من أول يوم ،

فلا عجب في أن تتطور الأمور إلى الولاء الكامل والتبعية الكاملة والاحتضان الكامل ، على هذا النحو الذى حدث ، ولما كان الاستشراق فى هذه المرحلة مشبعاً بمفاهيم يهودية مادية فقد وجد فى طه حسين لسانه الناطق وحامل دعواهم التى كانوا يفضلون أن تصل إلى المسلمين والعرب عن طريق رجل يتكلم العربية ومن المسلمين ، ومن ذلك التشكيك فى وجود إبراهيم وإسماعيل وبنائهما الكعبة المشرفة وذلك يبدو واضحا فى الواقعة إلى أشار إليها طه حسين فى الجزء الثالث من الأيام حين ذهب يمتحن فى التاريخ الرومانى وكان أستاذه من القساة على الممتحنين الشرقيين وكان الكتاب المقرر فى أكثر من ثمانمائة صفحة ، وحين دخل طه حسين وخلت معه زوجته على حد تعبيره ـ ألقت بقصاصة إلى الأستاذ فقرأها وضحك وقال له :

إذن فقد سعدت بمرافقة هذه الآنسه ، وأننا سوف لا نسألك عن التاريخ الرومانى ولكن حدثنا عن تاريخ الأمويين فى دمشق ، وما أن مضى طه حسين قليلا فى الحديث حتى أوقفه الأستاذ وقال : لقد ظفرت بالدرجة العليا !

هذا يعطى خلفيات الأحداث وسرها ، كانوا فى فرنسا يعملون على إحتواء بعض العرب الذين يتعلمون فى المعاهد العليا هناك ليكونوا أولياء لثقافتهم فى مصر والبلاد العربية ، وكانوا يمهدون لذلك بأمور كثيرة ، منها الإغراء بالمناصب في البلاد التى سيعودون إليها ، ومنها الرحلات والمؤتمرات السنوية حيث يعقد مؤتمر المستشرقين هنا وهناك ، وكان هناك إغراء « الزواج » الذى يكون عاملا هاما فى هذا الصدد ، وقد تزوج محمود عزمى ، وعثمان أمين ، وكثيرون غير الدكتور طه ولكن زواج طه حسين كان صعبا فقد كانوا يعلمون وخاصة الأذكياء منهم من أمثال القسيس خال الزوجة مدى أهمية الدور الذى سيقوم به طه حسين فى مصر والدور الذى ستقوم به زوجته فى مساندته ، ولقد قال أقرب تلاميذ طه حسين إليه (الدكتور نجيب البهبيتى) إنهم حاصروا طه حسين

بمحاصرين : زوجته الفرنسية وسكرتيره القبطى ، وأنه لم يكن يستطيع أن يفلت من مهمته وأن نظرة واحدة إلى كتاب (معك) للسيدة سوزان يكشف بوضوح عن وجهة طه حسين وقد وصفه الأستاذ أحمد حسين بقوله أنه دخل عشرات الكنائس فى كل مكان ذهبوا إليه ولم يدخل مسجداً واحداً .

أما « معادلة » زواجه بالفرنسية فقد صورها الأستاذ أحمد حسين على هذا النحو : كيف بفتاه فرنسية منذ سبعين عاما تعيش فى باريس تقبل الزواج من كفيف فقير أفريقى وتقبل أن تنتقل معه إلى أفريقيا إلا إذا كان وراء ذلك هدف محدد واضح ، أما الهدف فقد كشفت عنه عشرات الكتابات وكيف خدع الناس عنه وكانت الحملات مستمرة ضده منذ صدور كتاب (فى الشعر الجاهلى) فى مجلس النواب ومجلس الشيوخ والصحف ومع ذلك فقد كان طه حسين ينتقل ويترقى من مدرس إلى أستاذ إلى رئيس قسم إلى عميد إلى مدير جامعة إلى مستشار ثقافى ، إلى مراقب عام، إلى وزير للمعارف بقوة خفية تسانده وتحميه وكان موضع تقدير الجامعات فى كل مكان لأنه كان يقول أنه ليس سفيراً للثقافة الفرنسية وحدها ولكنه سفير للثقافة الغربية كلها ، كانت الدول الغربية المختلفة تمنحه الدكتوراه ليؤازر نفوذها فى مصر ويرعى مدارسها ومعاهدها ولأنه فتح الباب واسعا أمام التبعية للفكر الغربى فى المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة .

فقد كتب عن الثقافة الفرنسية ثم وأيد مفاهيم النفوذ الإنجليزى عندما عمل وزيراً للمعارف ولما ظهرت ترجمة الأدب الأمريكى دعا إليه ، وأيدت كتاباته : مفاهيم الرأسمالية وعاون الماركسيين واليساريين حتى عدوه أستاذهم ، ولم يطلق كلمة فى واحدة سبيل فلسطين ، وكان ولائه للفكر الصهيونى واضحا فى جولاته فى المدارس الإسرائيلية بمصر أو إلقائه محاضرات يشيد منها بدور كاذب لليهود فى الجزيرة العربية والأدب العربى وإستقدم شابين يهوديين وأعطاهم مجالا للتبرير فى الجامعة أحدهما (إسرائيل ولفنسون) الذى إعتمدت له الجامعة أطروحة دكتوراه كلها

سموم صهيونية ، والآخر (بول كراوس) الذى كان يروج للفكر الباطنى والشعوبى من أمثال الحلاج وابن عربى وابن سبعين وعدد من الزنادقة وكانت رحلاته للقدس المحتلة فقد سافر مع لطفى السيد لافتتاح الجامعة العبرية وسافر مع حسين فوزى (الذى أعلن ذلك صراحة) لزيارة الأقسام الاستشراقية وأهدوه كتاب (أنساب الأشراف - البلاذرى) الذى اعتمد عليه فى كتابه (الفتنة الكبرى) مبرءاً عبد الله بن سبأ اليهودى من أثره المعروف والمجمع عليه فى مقتل عثمان وولاه اليهود فى مصر رئاسة تحرير مجلة الكاتب المصرى ودارها عام ١٩٤٧ وقد كشفت أطروحات علمية فى الجامعات المصرية دور طه حسين فى الصحافة الصهيونية فى مصر وشهد نوفون رئيس إسرائيل فى إبان زيارته لمصر فى عهد السادات أنه صحب طه حسين فى زيارة للمستعمرات اليهودية ، فهذه زيارة أخرى لم يعلن عنها فى وقتها .

وقد إشتهرت عنه كلمات لم تتحقق بعد ، ولكن تداولها ألسنة المعاصرين له منها قوله أنه يونانى الأصل ومنها هذا الشعر الذى يقول :

لو أن لى فى الناس حكما نافذا

ألزمت بالأفطار كل الناس

(أى الأفطار فى رمضان) ولقد كان يقال مثل هذا فى الجامعة سراً للطلاب فى أيامه وكان يشجعهم على إقامة أحفال الرقص المختلط فى البيوت ، وعلى أن ينقدوا القرآن بوصفه كتابا أدبياً وقد شهد الدكتور عبد الحميد سعيد فى مجلس النواب ١٩٣٣ حيث قدم كراسة لأحد الطلاب تحوى هذه العبارات ، أن القرآن فى آياته المكية جاف وفى آياته المدنية طرى والسر هو إتصال النبى باليهود ، وكل ما كتبه فى كتب تخدع الناس أسمائها اللامعة كهامش السيرة و (الشيخان) وغيرهما ملىء بالسخرية بالإسلام وفيه نصوص غامضة ترمى إلى القول ببشرية القرآن .

ومن أجل هذه الأمانة : [أمانة الأجيال] كشفنا هذه السموم وسنواصل كشفها لأن الكتب المسمومة ماتزال تطبع وتوزع فلابد أن نقدم لقرائها وجهة نظر الإسلام

فيها ، وهما ليست من عندنا ولكن كما صدع بها علماء الإسلام وكشفوا زيفها في فصول نشرت في الصحف وانطوت وبقيت الكتب التي تحمل هذه السموم .

ونحن إنصافا للحقيقة ، وخوفا من المسئولية أمام الله تبارك وتعالى لا نهاجم طه حسين (الإنسان) فذاك حسابه على الله ولكننا نكشف (أخطاء طه حسين المفكر) لأن كتاباته لا تزال بين يدي الناس وتخدع الكثيرين (راجع كتابنا محاكمة فكر طه حسين) وقد كشفنا هذا كله وطه حسين حي ، وقال بعض المدافعين عنه أنه رجع عن كثير من آرائه ولكنه شرط الرجعة هو (الإعلان) وهذا لم يحدث مطلقا بل أن طه حسين أعلن في أحاديثه الأخيرة أنه متمسك بكل ما قاله في حياته كلها ، وشرط الرجعة آخر هو منع بعض الكتب المسمومة من إعادة طبعها وهذا لم يحدث أيضا وكل ما يكتبه المضللون اليوم أو يذيعونه لن يخدع أحداً عن حقيقة أساسية واضحة : إن طه حسين كان تابعا وخادما للتغريب وأنه شهد على نفسه بأنه كان سفيراً للفكر الغربي في بلاده ؟

(٦)

لماذا لم يدخل طه حسين

مدرسة البيان فى النثر العربى الحديث

هذا هو السؤال الذى وجهه الدكتور طه وأدى أثناء مناقشة اطروحة الأستاذ حلمى القاعود بكلية دار العلوم عن مدرسة البيان فى النثر العربى الحديث فى مصر (فبراير ١٩٨٢) وكان الأخ حلمى قد عرض للأربعة الكبار : المنفلوطى والرافعى والزيات والبشرى بأعتبارهم أعلام مدرسة البيان ، وكان التساؤل لماذا لايضم إليهم طه حسين ، والحقيقه أن طه حسين الذى كان فى مطالع حياته معجبا بالمنفلوطى ، قد هاجم هذا التيار من بعد ، فقد نقد المنفلوطى نقدا شديدا كما هاجم الرافعى والزيات وحاول الغض من أسلوبهما الفنى ، أما قصة نقد طه حسين للمنفلوطى فهى معروفة وذائعه ، وقد أودعناها كتابنا (طه حسين حياته وفكره فى ميزان الاسلام) وهى تعطى صوره تقلب طه حسين الذى قال عنه زميله الزيات أنهم كانوا ثلاثتهم (مع طه وزناتى) ينتظرون المؤيد لقراءه مقال المنفلوطى مساء الخميس من كل أسبوع ، فلما كبر طه حسين واجتاحه التيارات السياسة المختلفة كان عليه أن ينقد المنفلوطى لحساب خصومه وقد نشر فى جريدة العلم (جريدة الحزب الوطنى) عدة مقالات تحت عنوان (نظرات فى كتاب النظرات) حشاها نقداً للألفاظ التى أحتواها كتاب المنفلوطى مع عبارات شديده من النقد وقد عجب كثيرون للطالب الأزهرى الذى استطاع فى هذا السن أن يتحدث عن هذه الكلمات التى أحتوتها القواميس العربية الكبرى ثم تبين من من بعد ونشر فى المجلد الأول من الرساله أن الكاتب اللغوى الجهبر (صادق عنبر) هو الذى وضع هذه التصحيحات التى حملت إلى طه حسين لنقلها بأسلوب فيه إقذاع كبير واستعلاء واضح ليكتبها وينشرها بأسمه فى صحيفة الحزب الوطنى

وربما فات الصديق حلمى أن يقرأ هذا النص فى كتابنا أو فى الرسالة وإلا لكان أستطاع أن يرد عن نفسه عادية التطاول الذى وجهه إليه الدكتور طه وادى الذى كان يعرف أن الأخ حلمى كتب أطروحته وهو فى بلدته البعيدة فى المملكة العربية السعوديه (الأحد - جيزان) حيث لم تتوفر له المراجع التى كل تعينه على كشف هذه الحقيقة، كذلك فأن الدكتور طه عندما كان يتولى تحرير الصفحة الأدبية فى السياسة عام١٩٢٣ لم يلبث أن ورد إليه خطاب من الرافعى فنشره مشهراً به على أنه (أسلوب قديم قد عفا عليه الزمن) ومن ذلك يعرف أن الدكتور طه كان معارضا لاتجاه مدرسة البيان، بل أن طه حسين حين أختلف مع الأستاذ الزيات هاجم أسلوبه وحاول الغض من قدره، ومن أجل هذا كله، كان من غير المعقول أن يوضع طه حسين بين زعماء مدرسة البيان، هذه المدرسة التى درسها بإفاضة وتمكن الأخ حلمى القاعود فى رسالته الضخمة التى نالت أعجاب الباحثين نظراً لقدرته على العرض والأداء على نحو يوحى بالنفاذ إلى سرائر الأدب العربى، أما كيف توصل الأخ حلمى إلى هذا الأسم لمجموعة المتأنقين فى الأسلوب، فأن صاحب هذه الرسالة لم يكن أول من أطلق عليهم هذا الاسم وأن كان أول من درسهم دراسة واسعة فى أطروحته التى أضافت جديدا حقيقيا فى هذا المجال، فقد كان معروفا أن مدرسة الرسل هى التى بدأت بعد وصول جمال الدين الأفغانى إلى مصر وتكوين هذا الجيل الذى آمن بالوصول إلى الغاية من أقصر طريق بعد أن كان الأسلوب الأدبى يقوم على كثير من السجع المتكلف والمحسنات اللغوية والمقدمات المسهبة ثم جاء هذا الجيل الذى تشكل والذى ولى أمر الوقائع المصرية وروضة المدارس فعرف بمدرسة الترسل ومنه إنطلق جيل مدرسة البيان الذى وفاه الأخ حلمى حقه من البحث فى دراسته التى يبدو أنها لم تعجب العصريين والتقدميين الذين يزعجهم أحياء كتابات وأعمال حماة اللغة العربية الفصحى والمفكر الإسلامى الوصين كالرافعى والزيات، ومن قبل شهد مدرج دار العلوم مناقشة رسالة الأخ مصطفى البدرى عن مصطفى الرافعى وقد لقى نفس النقد المغلف بالحقد والكراهية من الدكتور القط، فقد

أصبح مفروضا على دار العلوم أن تستقدم مشاركا فى مناقشة رسالاتها من كلية الآداب ، هؤلاء الذين يقوم نقدهم للرسائل على أساس الغض من قدر الدراسات الرصينة التى تتعلق بتراثنا العربى الأصيل ، وهم يسمون هذا المنهج : المنهج التقليدى ، ويفرقون بينه وبين المنهج الحديث الذى يعتمد على مفاهيم برونتير وتين وهى مفاهيم تخضع الإنسان لمفهوم مادى خطير ، وقد يتقبل النقد إذا كان صادراً من من نفس مخلصة ، ولكن إذا كانت الغاية مخبأة وراء عبارات براقة فأن الأمر يكون واضحا ، إنه أعتراض مؤدب على هذه المدرسة ذات الأصالة والغيرة على تراث الأدب العربى ، ومن ذا الذى ينكر أن المنفلوطى وقف فى وجه المدرسة المهجرية (جبران ونعيمة) وغيرهما فى اتجاهما الحاقد على اللغة العربية والأدب العربى ودعوتهما إلى (الثورانية) وقـــد وقف لهما المنفلوطى الذى أعتمد الأسلوب القرآنى بحسم فكان فى ذلك قضاء على ذلك التيار المسموم ، كذلك من ذا الذى ينكر فضل الرافعى فى معركة الدفاع عن القرآن إزاء محاولات الهجوم على الفصحى ومواقفه من بعد [تحت رآية القرآن] فى الرد على طه حسين ، أما الأستاذ الزيات فقد حمل لواء البيان العربى عصراً طويلا وفتح أبواب مجلة الرسالة أمام الاصالة فأحيا ذلك الاتجاه الكريم العميق ، فى حماية اللغة العربية والبيان العربى من محاولات التغريب وأعلاء شأن العاميات .

لعل هذا هو مايزعج النقاد الذين يودون أن تكون الرسائل والاطروحات عن أتباع المدرسة العربية وقد أعدت عنهم عشرات الرسائل ، وكان يجب أن تكون دار العلوم حصن اللغة العربية والاصالة دائما هى الحافظة لهذا الاتجاه ، الحامية له المدافعة عنه وقد عرفت منذ وقت طويل بأنها « المدرسة الوسطى » .

وإننا لننتهز هذه الفرصة ونتطلع إلى أساتذة الأدب العربى فى الجامعات وفى الأزهر الذى يتابع مناهج النقـد والتاريخ الأدبى الوافده دون قدرة على تبين الأصاله ، ندعوهم جميعاً إلى التماس منهج عربى أصيل يستمد معالمه وقوائمه من التراث العربى فلا يكون العرب عالة على المناهج الوافدة خاصه إذا كانت تختلف وتتعارض مع القيم الأساسية للمسلمين والعرب وأنها لدعوة نأمل أن تجد طريقها إلى دراسات الأدب العربى بمفهوم عربى بعد أن تبين فساد منهج

النقد الأدبي الوافد وقد كشفنا عن ذلك وبيناه في كتابنا « خصائص الأدب العربي » منذ عشر سنوات .

وما يزال السؤال قائما : وهو لماذا لم يدخل طه حسين مدرسة البيان في النثر العربي الحديث بالرغم مما عرف عن أسلوب طه حسين الموسيقى الذي يقرب من أسلوب التوقيع والترتيل ولكن هذا الاسلوب كما شهد جميع من درسوه لم يكن أسلوبا عربيا أصيلا بل كان أزدواجا من فقرات من الاسلوب الفرنسي وعبارات ومصطلحات غربية خالصة فضلا عن أن الأداء لم يكن في حقيقة على طريق أعزاز البيان العربي والفصاحة العربية ، والايمان بما وراء ذلك من مقومات الفكر الإسلامي ولكنه كان أسلوبا رنانا يراد به أغراء السامع والقارىء لإمكان خداعه وأدخال مفاهيم مسمومة واقده ، على النحو الذي عرف به في كل كتاباته من حيث دعوته إلى قبول الحضاره الغربية خيرها وشرها وما يحمده منها وما يعاب ، أو كلماته الرنانة في القول بأن الدين نابت من الارض ولم ينزل من السماء فكل هذه وغيرها مفارقات بلاغية استخدمت فيها اللغة العربية لحساب التغريب والدعوة للتبعية للثقافة الغربية ، هذا فضلا عن أن الدكتور طه حسين الذي كان حريصا على أن يدعو إلى الكتابة باللغة الفصحى لم يلبث أن كشف نفسه في محاضرة مشهررة حين أعلن أن اللغة العربية ليست ملكا لاحد وأن من حق الاجيال أن تمصرها ، وأن تغير في نحوها وصرفها ، وأن تمصرها وهذه الدعوة المسمومة التي تريد تدمير التراث الإسلامي والعربي ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا عن طه حسين ، وفي كتابنا عن المساجلات والمعارك الادبية ، وهي دعوى باطلة زائفه فأن اللغه العربية ليست لغة المصريين وحدهم وليست لغة العرب ولكنها لغة ألف مليون مسلم وهي ليست كما حاول طه حسين أن يصورها أشبه باللغه اللاتينية التي تفرغت عنها اللغات الادارية الحديثة .

من أجل هذا كله لايستحق طه حسين أن يدخل مدرسة البيان في النثر العربي الحديث ولكن من حقه دون منازع أن يدخل مدرسة التغريب في الادب المعاصر .

(٧)

إنكشاف ما خفي على الناس زمنا

(ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم)

منذ أن بدأ طه حسين معركته مع الإسلام بكتابة (فى الشعر الجاهلى) كان هناك أصرار منه على الاستمرار فى المعركة مهما كلفه الأمر وقد اقتضى هذا حياته كلها ، وكتاباته جميعها خلال أكثر من خمسين عاما ولم تكن وقفاته ومهادنته إلا محاولة لتخفيف التركيز عليه ثمة ، ولكنه كان متصل العمل فى حرب الإسلام سواء فى ميدان الأدب أو التاريخ أو مهاجمة الأزهر واللغة العربية ، أو فى مجال عمله (مديرا ووزيرا) فهى كلها خطوط ممتدة من بداية واحدة إلى غاية واحدة ولم يكن عمله سواء فى الجامعة أو وزارة المعارف أو فى اللجنة الثقافية بالجامعة العربية أو المجمع اللغوى أو فى البعثات السنوية ومؤتمرات المستشرقين إلا خيوطا متسقة فى الخطة الواحدة مهما بدا غير ذلك ، وكانت كل مرحلة تسلم إلى أخرى وكان هناك مخطط ينفذ له فروعه وزواياه بحيث يشمل الفكر الإسلامى كله ويدفع خطة (الشك الفلسفى) إلى غايتها ، وكان من وراء ذلك توجيه وإشراف وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحى جزء من هذا المخطط ، وكذلك تكوين الأجيال والأولياء الذين يحملون المخطط ويسيرون به إلى الأمام قدماً فى الصحافة والجامعات ومجلات الثقافة والصحف .

أما هذا الاحتفاء المبالغ فيه بطه حسين (فى مؤتمرات سنوية) فهدفه تثبيت قوى التغريب وخلفاء العميد ومواصلة الخطة والمضى فى تيار التغريب إلى غايته ، هذا التيار الذى بدأت يتزعزع فى الفترة الأخيرة بعد بروز الصحوة الإسلامية التى زلزلت كثيرا من القواعد والأركان الثابتة التى ظن الكثيرون أنها تغلغلت فى أعماق التربة المصرية والعربية ، إن العودة إلى الإسلام دعوة بدأت تشق طريقها

إلى العلوم والفنون والآداب تحت إسم مزلزل لقواعد الإلحاد والتغريب وهو (أسلمة العلوم) واليوم تجتمع المؤتمرات فى كل مكان من البلاد الإسلامية لتبحث إنشاء علوم الإسلام : علم النفس الاسلامى، علم الاجتماع الاسلامى، علم الاقتصاد الاسلامى ، نظرية الأدب الاسلامى وفى هذة المرحلة تشرح (الشين المشددة) كتابات طه حسين وأصدقائه المستشرقين وتنكشف زيوفها على النحو الذى إشتملت عليه « ندوة الأدب الإسلامى » فى الرياض رجب ١٤٠٥ ومن خلال هذا البحث الذى قدمه كاتب هذه السطور يتبين إلى أى مدى تنهزم ركائب التغريب :

نظرية الأدب الإسلامى

الموضوع الأول :

النقطة جـ :

الرد على المحاولات الداعية الانفصام بين أدب إمتنا فى الماضى والحاضر وتفنيد شبهات المستشرقين وغيرهم وأخطائهم فى دراسة الادب الاسلامى .

حاول البحث محاصرة التحديات فى خمسة عشر نقطة :

أولا : تبعية الادب العربى للمفهوم الغربى للنقد الادبى والاستسلام أمام مفهوم (تبين وبرونتير وساتت بيف) وهو مفهوم مادى صرف يفترض فى النظرة إلى الإنسان أنه حيوان يخضع لظروف البيئة وتسيطر عليه شهوتى الطعام والجنس على النحو الذى صورته الفلسفة المادية استمداداً من نظرية دارون على النحو الذى أشار إليه ستانلى هايمن فى كتابة (النقد الادبى ومدارسه) حيث حيث قال: أن النقد الادبى الحديث قد أعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم دراون وماركس وفريزر وفرويد وديوى .

وقد فصلنا مذهب كل هؤلاء فى الفكر ونظرته إلى الحياة وهى فى مجموعها تشكل مفهوما ماديا يطبق على الإنسان ما يطبق على الحيوان، ويعلى شأن الجنس والأسطورة .

ثانياً : تبعيه الأدب العربى لمنهج وافد فى كتابة (تاريخ الأدب) ذلك هو منهج تقسيم الأدب العربى إلى عصور أموى وعباسى وغيرها وهو تفصيل ظالم استتبع ظهور ما يسمى (عصر الانحطاط) وفصل العصور بعضها عن بعض ، وفى ذلك ما فيه من آثار خطيرة .

ثالثا : محاولة فصل الأدب العربى عن الفكر الإسلامى ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والأخلاق وهى دعوى تغريبية وافدة ترمى إلى تحرير الادب من قواعد الدين والاخلاق ودفعه إلى مجالات الغواية

والإباحة والكشف ، ومنها محاولة للفصل بين مقومات الاسلام والأدب العربى ، وقد كان لإقصاء الأدب العربى عن الفكر الاسلامى وفصله عن مقومات الاسلام فى المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى آثار بعيدة المدى فى إشاعة ورح الإباحة وإحياء تراث الزنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والأدب المكشوف من اللغات الغربية .

رابعا : إعلاء الشخصيات الزائفة والموصومة من الزنادقة والإباحيين فى الشعر: بشار وأبى نواس والضحاك وفى النثر أمثال إبن عربى والحلاج والسهروردى وقد دعت فى نفس الوقت إلى التجاهل والأغضاء وانتقاص الشخصيات ذات الأثر الحقيقى أمثال إبن خلدون وإبن تيميه والغزالى والمتنبي وتوجيه الاتهامات إليهم .

خامسا : ظهور طابع الأقذاع فى النقد الأدبى ووصوله إلى أعلى درجات الهجاء وإستعمال الأسلوب السياسى الحزبى النازل فى قضايا الأدب وقد صدرت أغلب معارك النقد الأدبى من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاتى وخدمة الثقافات الفرنسية والانجليزية والدفاع عن أحداها فى مواجهة الأخرى .

سادسا : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسمومة ترمى إلى إعلاء العامية أو التنكر للفصحى بما يسمى (اللغة الوسطى) أو تقريب الفصحى إلى العامية وكانت الدعوة إلى قتل الفصاحه وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لغتكم ولى لغتى . .

والهدف واضح جلى وهو فصل الأداء العربى المعاصر عن مستوى لغة القرآن على أمل أن تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم أو دخول اللغة العربية إلى المتاحف (ظنا منهم أن ذلك يمكن أن يكون) .

سابعا : محاولة محاكمة الأدب العربى الذى صدر عن النفس المؤمنة بالله ، والتى تعرف حقيقة الإنسان وجوهره الجامع (روحا ومادة) ومسئوليته

الفردية والتزامه الأخلاق والإيمان بالجزاء والحساب ، محاكمة الأدب وفق الماركسية النظريات والوجودية والفرويديه التي تعتبر الانسان حيوانا .

ثامنا : انبعاث أسلوب جديد على الأدب العربي هو الأسلوب المزدوج الذي يكتب به نصارى لبنان والمهجريين والذي يصيغ الجملة العربية صياغة غير أصيلة ومن عجب أن بعض الصحف العربية والاسلامية تنشر مثل هذا وتفسح له .

تاسعا : كسر عامود الشعر وإعلاء شأن الشعر الحر بمفهومه المناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحتقر لها والهادف إلى نفس الغاية التي تقدمها الأزجال والأمثال الشعبية من حيث صدورها من تقسيمات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية .

عاشرا : إحياء الأساطير والخرافات وخاصـــة ما يسمى تراث فينقيا وجلجامش والدعوة إلى مضامين كنسية وتوراتية وأسطورية قديمة مثل زيوس وباخوس وهي كتابات تحمل الصلبان والمناجل والمطارق ومحتواها قلق وتمزق وضياع وعصارة كل مذاهب الوثنية وتخييرات الأمية .

حادي عشر : إحيـاء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلكلور) التي تمثـل مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها وعقد المؤتمرات الحافلة لدراستها وكسب الأنصار لها بوسائل الاغراء المعروفة .

ثاني عشر : التنفير من الأدب البليغ الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان والذي تتمثل فيه التجربة الاسلامية الموحدة بين الشعوب المؤمنة بالله الواحد الأحد وتحقير هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية .

ثالث عشر : المؤامرة على القصة العربية الأصيله بإعلاء شأن القصة الغربية الزائفة التي لا تغير فيها إلى الأسماء والأماكن وتبقى عضايها التي لا تقبلها النفس الإسلامية ولا تقر فجورها وفسادها وانحرافها والجرى وراء أساليب منحرفة كاللامعقول واللاقصد . .

رابع عشر : محاولة فصل الأدب العربي إلى أقاليم وهي المحاولة الشعوبية التي

دعا إليها بعض التغريبيين رغبة فى تمزيق وحدة الأدب العربى الإسلامى والحيلولة دون إلتقاء جوانبه كممثل لأمة واحدة وليس كأدب مصرى وسورى وعراق ومغربى ، وتلك هى غاية الغزو الثقافى من تأكيد الاقليمية .

هذا فضلا عن تقسيم الأدب إلى عصور ، ومحاولة فصل العصر الحديث عن مسار الأدب العربى كله منذ فجر الاسلام تحت إسم الحديث والمعاصر .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من كتابات التغريبيين والتابعين للمناهج الغربية وترجمتها وإعطاء كتابها صورة البطولة والشهرة والتبرير وقيام مؤامرة الصمت والتجاهل أمام أصحاب الأصالة الحقيقية وهذه الدعوى هى مايطبق عليها « القمم الشوامخ » .

هذه هى النقاط الخمسة عشر فى مجال العمل للفصل بين أدب أمتنا فى الماضى والحاضر وإذا كان لنا أن نضيف إلى ذلك شيئا فإننا نتصور أن المخطط التغريبى يرمى إلى :

أولا : إفساد خطة تحقيق التراث وتجديده .

ثانيا : إفساد منهج الترجمة من الآداب الأجنبية .

ثالثا : تثبيت نظرية فصل الأدب عن الفكر وهدم أخلاقية الأدب .

رابعا : أثارة أسلوب الشك الفلسفى .

خامسا : الاعتماد على المصادر الزائفة فى إعداد البحوث .

سادسا : إقرار نظرية العلوم الاجتماعية والعلمانية والنظرية المادية .

وإذا كان لنا مطلب فى هذا المؤتمر الكريم فهو أن تخرج بمنهج إسلامى عربى لتاريخ الادب ونقد الأدب وإقامة منهج الأدب الإسلامى العالمى بعد أن طال تطلع الشباب المسلم إلى هذه الغاية الكبرى وتحقيق هذه القاعدة الأساسية فى بناء الأصالة الإسلامية ودعم الصحوة الإسلامية .

هذا وبالله التوفيق ؟

ولعل أبرز ما يستكشف اليوم على طريق الأصالة :

أولا : عودة تلاميذ طه حسين الأوائل إلى الحق : محمود محمد شاكر ، الدكتور محمد نجيب البهبي .

ثانيا : ظهور دراسات علمية أصيله حول فساد منهج طه حسين تدخل نطاق الرسائل العلمية .

١ - رسالة الدكتور ناصر الدين الأسد عن الشعر الجاهلي وهى التى أوردت بالنص المصدر الذى سرق منه طه حسين نظريته فى انتحال الشعر الجاهلي وهو بحث المستشرق (مرجليوث) .

٢ - رسالة الدكتور المحتسب وهى التى رفضت قبولها كاطروحة جامعة الأردن وقد نشرها الباحث فلاقت قبولا شديداً (طه حسين مفكرا) .

٣ - كتاب (مقدمه فى الأدب والتاريخ العربيين) فى ثمانمائة صفحة للدكتور محمد نجيب البهبي فى الرد على أفكار طه حسين .

٤ - كتاب الاستاذ محمود مهدى الاستانبولى الذى جمع فيه المعارك التى أثيرت فى الرد على شبهات طه حسين .

٥ - كتاب الاستاذ جابر رزق (طه حسين : الجريمة والإدانة) الذى أورد فيه عروضا وافية لما نشر فى مؤلفات الدكتور محمد محمد حسين ومحمود محمد شاكر وأنور الجندى وغيرهم .

(وكان كتابنا عن طه حسين : حياته وفكره فى مراد الإسلام) قد ظهر عام ١٩٧٢ وإعيد طبعه واليوم ظهر كتابنا المكمل له :

حيث يشمل أكثر من أربعين قضية من قضايا التاريخ والأدب التى أثارها وكشف رأى الإسلام فيها .

٦ ـ كتاب الدكتور سعد ظلام (آراء أدبية) والذى رض فيه فى عدة فصول لسقطات طه حسين فى منهجه الأدبى وما يتصل بالشعر الجاهلى والبقية تأتى .

(٩)

الكتاب الاسود

جمع الأستاذ محمود مهدى الأسلاميولى معارك طه حسين مع أبناء جيله وخصمائه وأثبت ردوده عليهم ودحضهم لاخطائه ، فى كتاب سماه (طه حسين فى ميزان العلماء والأدباء) وكان فى جمعه لهذه المعارك أمينا غاية الأمانه فهل هذا العمل جريمة حتى ينشر عنه هذا العنوان فى جريدة الأهرام :

(كتاب أسود عن طه حسين يشوه تاريخنا الثقافى)

وكيف يشوه تاريخنا الثقافى أن يقدم أجله العلماء مارد به العلماء على سموم طه حسين وأفساده لكثير من مفاهيمنا ، وهل يكون الكشف عن الأخطاء تشويه لتاريخنا الثقافى ألا إذا كان حجب هذه الردود هو الذى يمد تاريخنا الثقافى بالنماء والقوة .

هل يريد هؤلاء القوم أن نحجب أخطاء طه حسين ومزالق حياته وفكره ليظل فى نظر الأجيال الجديدة مقدسا ينظرون فى كتبه وكانها الشئ الذى لا ينقض ويضيقون بكشف فساد فكرة وتبعيته ، صحيح أنهم يكتبون عنه فى صحف كبرى تنشر على أوسع نطاق وما نكتبه نحن ينشر فى صحف متواضعه ، أو مؤلفات لا يطابع منها ألا ألاف قليله ، ولكن الحق هو الحق ، وهو ظاهر منتصر مهما ضيق عليه .

وقد جاء كتاب (محمود مهدى الاستامبولى) ليؤكد عالمية الكشف عن سموم طه حسين وأنه ليس ما نشر فى مصر وحدها سواء كان كتابنا (طه حسين : حياته وفكره فى ميزان الاسلام) أو مقدمة كتاب المتنبى (للاستاذ محمود محمد شاكر وإنما جاء من ثلاث جهات أخرى من الأردن فى كتاب الدكتور المحتسب (طه حسين مفكرا) ومن المغرب (مدخل فى

التاريخ والأذب العربيين للدكتور محمد نجيب البهبيتى ومن الشام فى كتاب الاستامبولى ، ثم جاء أخيراً فى كتاب الأستاذ جابر رزق (الجريمة والإدانة) ولا ننسى كتابا عن الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد وكتاب آخر للدكتور سعد ظلام وكلها تفنين لخطايا طه حسين وأخطائه ونحن نود أن يعرف أخواننا المدافعون عن طه حسين أننا لا نعتبر طه حسين فوق النقد ، ولا نؤمن بأنه قيمة قومية فى نقدها انتقاص لمصر ، ولا نعتبره متقدما على الكثيرين ، الذين قدموا الكثير ولم يكرمهم أحد ولم تعقد لهم المجامع ، فكيف يكرم رجل احتاطته الشبهات من كل مكان ، وثبتت فى وقائع حياته حقائق كثيره كشف عنها الذين عاصروه وعاشروه ، أمثال الأستاذ أحمد حسين ، وأحمد الحوفى ، وسعيد الأفغانى وبعضهم راجعه فى اخطائه فأعترف به ونصحهم بأن يستروها عنه ، ليس المعبرة بالخلاف فى المسائل الثقافية ولكن موضع النظر هو الاصرار على الأمر ، مع كتمانه ، والمراوغه فيه ، وترقب الفرص لإظهاره مرة أخرى والاختفاء عندما يكشف الستار عنه .

وغاية القول أن طه حسين) كان منذ أن بدأ معركته مع الإسلام بكتابه (فى الشعر الجاهلى) مصراً على المضى فيها إلى النهاية مهما كلفه الامر ، وقد انسحب ذلك على حياته كلها خلال فترة تزيد عن خمسين عاما — كان فيها حارساه — كما يقول تلميذه اللصيق به — سكرتيره القبطى وزوجته الكاثوليكة وقد شمل ذلك حياته كلها وكتاباته كلها ولم تكن وقفاته أو مهادنته ألا محاولة لتخفيف التركيز عليه ، ولكنه كان موقنا بالعمل ملتزما فى نظر أهل التغريب والاستشراق ، متعاهدا معهم ، كان متصل العمل فى حرب الإسلام ، سواء فى ميدان الاذب أو التاريخ ، أو مهاجمة الازهر ، أو اللغة العربيه ، فهى كلها خيوط ممتده ، من بداية واحده إلى غاية وحده ، وكان عمله سواء فى الجامعة أو فى وزارة المعارف أو فى اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، أو فى المجمع اللغوى ، أو فى البعثات السنوية ومؤتمرات المستشرقين وزياراته للجامعات فى المغرب ،

أو اتصالاته مع المستشرقين المسيحيين واليهود (أو اليساريين والامريكيين) بعد الفرنسيين والبريطانيين إلا خيوطا متسقة فى الخطة الوحدة مهما بدأ غير ذلك وكانت كله مرحله تسلم إلى المرحله الاخرى ، وكان هناك مخطط ينفذ له فروعه وزواياه بحيث يشمل الفكر الإسلامى كله و يمتد بخطة الشك الفلسفى إلى جميع جوانبه ، وكان من وراء ذلك توجيه وأشراف ، وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحى جزء من هذا المخطط وتكوين الاجيال والاولياء الذين ويحملون المخطط ويسيرون به إلى الإمام قدما فى الصحافة والجامعات ومجلات الثقافة .

فأين هذا كله من التمويه الذى يريد أن يضفيه على شخص معراة تماما أمثال مصطفى عبد الغنى أو سامح كريم وهم مع الآسف أما مخدوعون لا يستطيعون أن يستشرفوا أبعاد المخطط الخطير الذى يستخدمهم أو واقعون فيه .

ونحن إذا وجدنا المستشرقين يتحدثون عن ماسموه (عبقرية طه حسين) .

فهل يخدعنا ذلك وهم يقولون كلما كتب طه حسين شيئا : هـــذه بضاعتنا ردت الينا وإذا قالوا (علينا أن ننتظر طويلا قبل أن يجود الزمان بمثلها) نفهم أن أولياء التغريب الآن ليسوا على المستوى وانهم يتحسرون بعد طه حسين حيث لم يجدوا من يؤدى دوره ، وقد سقط الدكتور زكى نجيب محمود سقوطا شنيعا حين تقمص هذا الدور بالرغم من أن فتحت له صفحات الاهرام وطبعت مؤلفاته أرقى طباعه ولكن ذلك كله حصاد الهشيم وقبض الريح وفى الأخير دكتوراه من أمريكا تكشف ولاءه الجديد .

وحين يقول عبد العزيز شرف أن طه حسين تحول إلى تدعيم القيم من خلال فالدع عن الاسلام فى وجه التبشير الضارى الذى قام به المستشرقين الغربين نضحك ونسخر من خداع شرف لعقلية المسلمين فكيف يقاوم طه حسين التيار الذى نشأ فيه وكيف يخرج من البحيرة الآسنة التى غرق فيها ، لقد كان عمله فى حقل التاريخ الاسلامى محاولة لتركيز قيم معنيه يريد التبشير والاستشراق فرضها على الفكر الاسلامى من خلال كاتب عربى له اسم مسلم ، أشياء معنية : أفكار عبد الله بن سبأ اليهودى ، التقليل من شأن خالد بن الوليد ،

أثاره الشبهات حول الصحابة وأعتبارهم مجموعة من الساسة المحترفين ، هذه عناوين أعطيها طه حسين من القيادة التغريبية الاستشراقية يتناولها بأسلوبه الموسيقى فى الفكر الإسلامي وخدع لها الكثيرون ثم تنبهوا أخيراً .

حاشية :

يقول الاستاذ محمود مهدى الاستانبولى فى التعليق على ما كتب عن كتابه فى جريدة الأهرام تحت عنوان : كتاب أسود عن طه حسين فيما يتعلق بكتابات المسيحيين والعلمانيين والمستغربين على هذا الكتاب فأنهم يديرون أن يسموا بالحقى فأنى لم آت شيئا من عندى وإنما جئت بأراء وردود كبار العلماء والأدباء فى عصره وبعد عصره وطه حسين لا يعد بجانبهم شيئا مذكوراً وخاصة وهو قد رجع عن أرائه وأقواله كما يزعم الكثيرون مع العلم بأن التوبة لا تكون بكلمة يقولها القائل بعد ماترك الآثار المدمرة ، ولكن تكون برده عليها . قال الله تعالى [إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم (البقره ١٦٠)

وكتابى عن طه حسين يعد كتابا وثائقيا ليس لى فيه كبير أثر ألا القليل فالرد عليه معناه الرد على كبار الكتاب والعلماء والأدباء السابقين رحمهم الله تعالى واجزل ثوابهم وقد غابت هذه الرود وبقيت كتبه التى صدرت بعده فى فى طبعات جديده تسرح وتمرح وتفسد فى الارض .

ومنذ سنوات أقيم لطه حسين ، فى مصر احتفال ظهر على أثره كتاب (ذكرى طه حسين) أشاد به الكتاب والشعراء الابواق والمرتزقه ورفعوه مكانا عليا وهم بعملهم هذا يردون على العلماء والادباء الكبار والعظم الذين اثبتوا جهله وزيفه وهولاء فى حاجة إلى وضعهم فى قفص الاتهام ومحاكمتهم .

(١٠)

محاولة إعادة طه حسين إلى الازهر

ومن مخططاتهم أنهم حاولوا « إعادة إعتبار طه حسين » فى الأزهر بتكليف شاب كفيف بأن يكتب عن طه حسين أطروحة تناقش فى مدرج كلية اللغة العربية ولكن اليقظة التى عمت كل الجامعات كانت قد شجبت هذا العمل فقال الدكتور سعد ظلام : لو راجعنا الفكر الأدبى للدكتور طه حسين فى الفترة التى سبقت رحلته إلى فرنسا والتى تلت خروجه من الأزهر لوجدنا صورة التناقض واضحة فى شخصيته فمثلا نراه يقول فى إحدى قصائده « إن العشق رسول الفسق لأن فتاة نظرت إليه بإستخفاف وأعراض ثم إذا ما أشفقت عليه فتاة أخرى وأظهرت له شيئا من العطف عاد ليقول : العشق هو الحياة .

هذه واحدة والثانية : عندما يصف الزواج من الأجنبيات بأنه كفر ويكتب فى ذلك المقالات والقصائد محرما ، مانعا ، معترضا ولكن ما أن يعلم بقرار إبتعاثه حتى يدخل على أمه وإخوانه متهللا لأنه سوف يتزوج بأجنبية رائعة الجمال وليست كخفر عزبة الكيلو .

ثالثا : ظل طه حسين يؤكد على رسالة الأزهر وأنه أصلح مكان للتعليم لولا مالاقاه منه وأعلن أنه سوف يظل مرتبطا بالأزهر وبزيه الأزهرى وناقش رسالته فى جامعة فؤاد الأول بزيه الأزهرى ، وبينما هو فى الباخرة إلى فرنسا قطع سكون الليل صوت ضخم فزع الناس له ولم يكن هذا الشىء سوى عمامة الشيخ طه حسين وكأنه يعلن تخلصه من ولائه للأزهر فى الوقت يعلن فيه ندمه الشديد على ما فعل وهذا تناقض آخر فضلا عن تناقضه السياسى وهو أشد وأخطر .

ولا شك أن دكتور طه حسين عقلية جبارة لو أرادت أن تحرك الركود الفكرى فى مصر ولكن فرق بين تحريك الفكر وأثرائه وبين نقضه وهدمه فيلاحظ على كتابه (فى الشعر الجاهلى) بما فيه من خروج على الدين والطعن فى

التوراه وفى القرآن ، فهل كان هذا من قبيل تحريك الفكر واثرائه أم من قبيل هدم الصرح وتنفيذ الخطط الاستشراقى الذى تعلمه فى فرنسا فهو يحاول أن يستخدم المنهج الاستشراقى فى الطعن على الإسلام ويتخذ من بعض الأدلة المستقيمة وسيلة إلى أن يلوى ذراعها ويزحزحها عن مكانها ويطعن بها بدل أن كانت ضده أو ليست فى صفه على الاقل فهو يستدل ببعض النصوص من طبقات الشعراء ولكنه يحرفها ويأخذ منها مايتفق ورأيه ويقف عنده ولو أنه أكمل النص لكان يهدم كل الفكر مثل قول أبى عمرو بن العلاء (ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا) فهو يضيف إلى هذا النص بعض مايتفق وهواه ثم يقف به عند (بلساننا) تاركا الجزء الباقى .

أعلن طه حسين أنه يستخدم المنهج الديكارتى وهو منهج ربما يكون أسلم فى الاستعمال الادبى وغيره لو أحسن إستعماله ، ولكننا نراه لا يقف على هذا المنهج ولا يستعمل مبادئه الرياضية والعقلية فيبعد عنه بعداً كبيراً من حيث يقول أنه يطبقه ، وأساس منهج ديكارت الشك فى الشىء حتى تثبت صحته ومن شروطه نسيان كل المعلومات حول هذا الموضوع مقدما ولكن دكتور طه حسين طعن ولم يشك وكانت فى ذهنه النتائج التى يريد التوصل إليها ثم يحاول أن يتمحل لها مقدمات توصل إليها وهذا خلاف كل المناهج والاشكال المنطقية والاقيسة العقلانية . وإذا كان الدكتور طه حسين يذكرنا بأنه إستخدم المنهج الديكارتى فإننا بعد قراءة الكتاب نخرج بنتيجة واحدة هى أنه لم يطبق هذا المنهج إلا فى جزء واحد هو الشك وإذا كان الشك الديكارتى غايته للوصول إلى نتيجة سليمة فإن شك طه حسين لم يكن ديكارتيا بقدر ما كان طعنا وافتئاتا ومحاولة للوصول إلى الخروج على القيم الإسلامية والادبية التى لها طابع الاحترام والقداسة فهو لم يستخدم المنهج الديكارتى وإنما إستخدم منهجا أزهريا هو منهج الجرح والتعديل فى رجال الازهر .

وقال الدكتور إبراهيم دويدار : أن ما ورد عن طه حسين فى قصته الانتحال فى الشعر الجاهلى يمثل قمة الفساد الفكرى عند طه حسين ، ذلك لان مبدأ الانتحال

قائم من ناحية المبدأ والتزيد موجود فى كل عصر ، إنما أن يتحول الاستثناء إلى أصل فهنا اختلف الازهر والعلماء معه ، لقد إدعى طه حسين أن اشعر الجاهلى أضيف إلى الجاهلين وليس لهم وهذا يعنى أن العرب لم تكن لهم لغة جامعة يلتفون عليها ثم ينزل القرآن بعد ذلك متحديا لهم كمعجزة لمحمد ﷺ وهنا تكمن الخطورة فى فكر طه حسين الذى أراد أن يلغى معجزة القرآن الكريم بجرة قلم فهل بعد هذا فساد فى الفكر .

ويقول الدكتور صلاح عبدالتواب : لقد بدا طه حسين العداء للأزهر وعلمائه وحرص على إبراز العلماء فى صورة المتحدى الذى يحاول تحطيم أى كفاءة متفوقة ، وذلك لإحساسه بالتعالى والكبرياء وهو يحس أنه مساو لاعضاء اللجنة التى تمتحنه بل هو أحسن .

ولعل هذا الدافع الذى جعله يتجنى على الأزهر وهو يحاول تحدى علمائه بأن يجهر بآراء تسيء إلى الإسلام ، هذا أثار حفيظة الأزهر ضده حتى أوقفه عند حده وإعادة إلى رشده .

ويقول دكتور محمد رياض قناوى : لعل الشيء الذى لم يكن معروفا بالنسبة للبعض : أن كثيرا من آراء طه حسين كان مسبوقا إليها بآراء المستشرقين الذين حاولوا أن يطعنوا فى كل ما هو إسلامى ويستنتج من ذلك أن طه حسين حاول أن يتخذ منهجا استقر فى ذهنه للوصول إلى حقيقة معينة ولكنه أخطأ فى إستخدام المنهج ولعل مما تخفف من عنت القضية أن طه حسين لم يأت بكتابه فى الشعر الجاهلى من عند نفسه وإنما ردده عن فكر مرجليوث ونسبه إلى نفسه .

الفصل الثامن عشر

تحفظات

على الكتابة العصرية للسيرة النبوية



(١)

حول كتابات طه حسين وهيكل والعقاد

إن العمل الذي قام به الكتاب المصريون لتقديم السيرة ، قد أدى دوراً لابأس به وأحدث أثاراً طيبة في نفوس المسلمين ، ولكنه لم يكن عملا أصيلا على طريق التطور الطبيعي لكتابة السيرة من منطلق المفهوم الإسلامي الجامع القائم على أساس التقدير الكامل للوحي النبوة والغيبيات والمعجزات ، ومن هنا كان عجزه وقصوره الذي جعله في تقدير الباحثين قائما على التبعية والاحتواء للمناهج الغربية التي لم تكن عمليتها ، الأمظهراً خادعا يخفى من وراءه الأهواء والخلافات بين الأديان ونزعة الاستعلاء الغربية ومطامع النفوذ الغربي في السيطرة على الفكر الأسلامي والتاريخ الأسلامي حتى لايحقق إبتعاثه الأصيل هدفاً يجدد يجدد حضارة الأسلام ويفتح الطريق لقيام المجتمع الأسلامي .

لقد إحتوى هذا العمل على مجموعة من الأخطاء الأساسية التي كان مصدرها تبني أسلوب المستشرقين وتبني وجهات نظرهم وهم أساسا لا يعترفون بالاسلام دينا خاتمـا ولا بالنبي محمد ﷺ ، ولا يؤمنون بالوحي ولا يفرقونه كما يفرق المسلمون بين الآلوهيه والنبوة .

وفي مقدمه هذا البحث نؤكد أن كتابات العصريين في السيرة النبوية كانت في عصرها أمراً محببا أقبل الناس عليه وقدم سيرة الرسول ﷺ وعظمة الإسلام للجماهير التي كانت لاتلم بالدراسات العلمية ألا قليلا ، فقد كتبت هذه الفصول أول الامر في المجلات الاسبوعية الشهيرة (السياسة الاسبوعية ، والرساله) مما كان لها أثرها الواسع في الانتشار والذيوع ، وقد اختلفت فعلا عما سبقها من كتابات السيرة التي نشرت في مؤلفات لغلبة الاسلوب الصحفي الميسر .

ولقد كانت هذه الكتابات فى تقدير المؤرخين والباحثين على حالتين :

(الحالة الأولى) : العامل القريب والمباشر وهو ظهور حركة التبشير المسيحى الضخمة فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٢ وتنصير عدد من الطلاب المسلمين بها وكان ذلك جزءاً من موجة ضخمة قام بها الغرب بعد أن استردت الفاتيكان الأموال الضخمة التى كانت قد احتجزتها الحكومة الإيطالية عنها.

(الحالة الثانية) : أثر الحرب العالمية الثانية فى نفوس الناس بالدعوة إلى الرجعة إلى الدين والتطلع إلى آفاق جـــديدة تقدمها رسالات السماء وفى مقدمتها الإسلام .

غير أن هناك عوامل أخرى خفية وراء ظواهر الأحداث تحدثت عنها كتابات الباحثين والمراقبين لهذه الأحداث منها :

أولا : رغبة حزب الأحرار الدستوريين فى كسب مشاعر الوطنيين بعد أن عرف عنه أنه الحزب الذى يجمع دعاة التغريب وأساطينه والذى صدرت من عباءته الكتب التى أثارت الضجة وخالفت مفاهيم الإسلام الاساسية وهزت مشاعر الناس ، وفى مقدمتها (الشعر الجاهلى لطه حسين) و (الإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق) ، وكانت الفكرة التى استقر عليها الرأى هو الدخول إلى مشاعر المسلمين عن طريق الكتابة عن الرسول ﷺ (هذا بالنسبة لكتاب حياة محمد للدكتور هيكل) .

ثانيا : الموقف الذى أحدثته الحرب العالمية من ائتلاف بين البلاشفة والرأسماليين فى وجه النازية وما تسرب إلى البلاد العربية من دعايات شيوعية ورغبة الغرب فى مواجهتها عن طريق تزييف مفهوم الماركسية عن البطولة الجماعية ورد الاعتبار للبطولة الفردية التى كانت عنوانا على الفكر الليبرالى الغربى ومن هنا كانت الكتابة عن البطولات الإسلامية من منطلق غربى (هذا بالنسبة للعبقريات) .

* * *

وقد ظهرت هذه الكتابات متفرقة فى الصحف : [حياة محمد] فى ملاحق السياسة سنة ١٩٣٢ على إنها ترجمة و تلخيص لكتاب أميل درمنجم وكانت تنشر تحت هذا العنوان (حياة محمد ، تأليف إميل درمنجم . تلخيص وتعليق الدكتور محمد حسين هيكل) .

ثم ظهرت فصول (على هامش السيره) فى الأعداد الأولى من مجلة الرسالة التى صدرت ١٩٣٣ بقلم الدكتور طه حسين ، أما فصول (عبقرية محمد) فقد بدأت عام ١٩٤٢ بقلم الأستاذ العقاد فى أحد الأعداد السنوية الخاصة بالهجرة من الرسالة بعد أن اشتعلت الحرب العالمية الثانية بعامين .

وكان الكتاب الثلاثة من المعروفين فى مجال الدراسات الأدبية والسياسة بأنهم عصريون ليراليون علمانيون ، قليلوا الاهتمام بالدراسات الاسلامية ، بل كانت جريدة السياسة تحمل حملات ضخمة على الإسلام (هيكل — طه حسين — على عبد الرازق — محمد عبد الله عنان) وتوازر الغزو الثقافى ، بل لقد حمل الإستاذ العقاد حملة ضارية على الكتب الإسلامية التى صدرت عام ١٩٣٥ فى جريدة روز اليوسف اليومية وعدها ظاهرة خطيرة وقال أن هـذه الكتابات بمثابة مؤامرة على القضية الوطنية وتردد يومها أن الدكتور محمد حسين هيكل قد أحرز قدراً ضخما من الكسب المادى من كتابه ومن ثم أصبحت الكتابة الإسلامية موضع تقـدير فى نظر الكتاب ، غير أن أخطر ما هنالك أن الدكتور هيكل وعلى عبد الرازق أعلنا موقفا خطيرا فى مجلس الشيوخ عنـدما أثير النقاش فى كتابات طه حسين ورقفا للدفاع عنه ونبين من ذلك أن الكتابة عن الإسلام لم تكن تصدر عن إيمان برسالة الإسلام (بيتا ودوله) وإنما كانت من الأعمال السياسية ، والحزبيـة وإذا كانت كتب : حياة محمد وعلى هامش السيرة والعبقريات قد هزت وجدان الشعب المسلم وقتها وأحدثت نوعا من الاعجاب والتقدير فأن هـذا كان هدفا مقصوداً من الجهات التى شجعت ذلك وهو :

أولا : مواجهة حركة اليقظه الإسلامية التي كانت تهدف إلى تقديم الإسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع بكتابات إسلامية من أقلام لامعة لها مكانتها السياسية في الجماهير لتحويل التيار نحو المفاهيم العلمانية والليبرآليه بعد وهو مايسمى (تقديم البديل) المتشابه ظاهراً والمختلف جوهراً وهو بهذا استجابة ظاهرية للموجة الإسلامية ومحاولة لاحتوائها .

ثانيا : فرض المفهوم الغربي على السيره والتاريخ الإسلامي وهو المفهوم المفرغ من الوحي والغيبيات والمعجزات .

ولكن هذه الظاهرة بالاعجاب بكتب الليبراليين عن السيرة لم تدم طويلا فقد تكشفت خفاياها وظهر أن منهج الكتابه في هذه المؤلفات لم يكن أسلاميا أصيلا وإنما اعتورته التبعية لمفاهيم الاستشراق والتغريب حتى ليمكن أن يقال في غير ماحرج أن المؤلفات الثلاثه الكبرى :

(حياة محمد - على هامش السيرة - عبقرية محمد) هي نتاج غربي يعتمد على مذاهب الكتابه الغربية ويخضع لكثير من أخطائها ويسقط بحسن نية وراء مفاهيمها الكنسية والمادية ويختلف أختلافا واضحا عن مفهوم الاسلام الجامع .

ولقد تطورت الدراسات الاسلاميه في ظل حركة اليقظة الإسلامية واستطاعت أن تتحرر من هذه المرحلة التي كانت تمثل التبعية للفكر الغربي في دراسات التاريخ الإسلامي وكتابة السيرة وهي التي قامت على مفهوم يتسم بالتأويل للمعجزات ومحاولة حجب الكثير من وجوه الأعجاز ومتابعته المستشرقين في مفاهميهم لسيرة النبي الكريم .

وفي الكتب الثلاثة نجد أن العمل يبدأ غربيا ثم يفرض على سيرة ﷺ .

١ - فالدكتور هيكل يبدأ عمله في كتابة السيره بترجمة كتاب (اميل درمنجم) الكاثوليكي الفرنسي ويتبنى كثيرا من آرائه التي يمكن أن توصف بالخطأ أو عدم

القدرة على فهم الإسلام أو تبنى عقائد النصارى أو متابعة هدف يرمى إلى التقريب بين الأديان أو الدعوة إلى وحدة الأديان (وهو هدف ضال) .

٢ ـ والأستاذ العقاد يبدأ عمله بمنطلق غربى محض هو فكرة (العبقرية) التى تداولتها كتابات الغربيين شوطا طويلا عن نوع من الامتياز أو الذكاء فى مجال الفن والموسيقى والشعر والقصة فى الغرب ويسحب هذا الوصف على النبى ﷺ المؤيد بالوحى وعلى العظماء من الصحابه دون تفرقة واضحة بين النبى والصحابى .

٣ ـ والدكتور طه حسين يعلن فى غير ما حرج أنه استوحى (هامش السيرة) من كتاب جيل لوميتر عنوانه (على هامش الكتب القديمة) وأنه يحشد فيه كل ما استطاع من اساطير اليونان والمسيحية واليهودية والاسرائيليات وهكذا يتبين تبعية هذه الدراسات أصلا للفكر الاستشراقى .

ويمكن تصنيف الأخطاء التى وقعت فيها المدرسة التغريبية فى كتابة السيرة على هذا النحو :

أولا : متابعة مناهج ودراسات كتاب الاستشراق فقد عمد الكتاب الكبار الثلاثة إلى البدء فى كتابة السيرة من منطلق غربى استشراقى ، فالدكتور هيكل معجب بكتاب أميل درمنجم وما يحويه من أراء تقرب مسافة الخلف بين الإسلام والنصرانية ومن ذلك نراه يتابعه فى مجموعة من الآراء تختلف مع مفهوم الإسلام الأصيل ، كان هيكل قد رد آراء المستشرقين الأوائل إلا أنه قد خضع لمناهج المستشرقين ومفهومهم فى الفلسفة المادية ، بالنسبة المعجزات ، وبالنسبة للاسراء والمعراج وبالرغم من نوايا الدكتور هيكل الطيبة فى تقديم صورة بارعة للرسول ﷺ فأن موقفه من إنكار المعجزات والغيبيات وتجاهلها ـ حتى وإن وردت فى القرآن والسنه على حد قوله ـ كان مأخذا كبيرا فى تقليل قيمة العمل الذى قام به .

فقد أنكر عدداً من المعجزات الثابتة بصريح القرآن ومتواتر السنة ، كنزول الملائكة فى بدر ، وطير الأبابيل ، وشق الصدر ، والأسراء ، وأن (أقرا) كانت مناما ، وقد أول ذلك كله إرضاء للمنهج العلمى الغربى الذى أعلنه وأعلن التزامه به فأعتبر الإسراء سياحة الروح فى عالم الرؤى ، ووصف الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين فى غزوة بدر بالدعم المعنوى ، ووصف طير الأبابيل بداء الجدري وأعتبر شق الصدر شيئا معنويا ، وأعتبر لقاء جبريل بالنبي فى حراء مناما ، وبذلك عمد إلى تفريغ تاريخ ﷺ من الحقائق الغيبية والمعجزات وقصر موقفه على إن للنبى معجزة واحده هى القرآن الكريم مع أن الخوارق والمعجزات لا يمكن أن تتنافى فى جوهرها مع حقائق العلم وموازينه وقد سميت خوارق لخرقها لما هو مألوف أمام الناس ، وما كان للألف أو العادة أن يكون مقياسا عليا لما هو ممكن وغير ممكن ولما كان الله تبارك وتعالى هو صانع النواميس فأنه هو القادر على خرقها متى شاء .

يقول الشيخ محمد زهران :

ولقد علل الدكتور هيكل إنكاره جميع المعجزات المحمدية (غير القرآن) بأنها مخالفة للسنن الآلهية ، وزعم أن روايات معجزاته (ﷺ) موضوعه ، قصد واضعها إما أن يجعل لنبينا مثل ، ماموسى وعيسى عليهما السلام وأما أن يشكك الناس فى صحة آية (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ولا شك أن دعوى استحالة خرق العادات المعبر عنه فى كتابه بمخالفة السنن يستلزم التسليم بها إنكار الإسلام من أصله وتكذيب الأديان كلها ومنها انكار الأحاديث التى اتفق على قبولها أئمة الحديث وغيرهم مع تواترها والإجماع على مضامنيها .

ثانياً : موقف النبى ﷺ من وفاة إبنه إبراهيم

كذلك فقد كانت الصورة التى رسمها الدكتور هيكل عن حزن الرسول ﷺ لوفاة إبنه ابراهيم مما لا يتفق مع جلال النبوة وعظمة الرسالة إذ صوره صلوات

الله وسلامه عليه واضعا ولده فى حجره وعيناه تذرفان الدموع مدراراً ولسانه ينطق بألفاظ يشيع منها الحزن والأسىٰ وتقطر غما وتأثراً مما يشبه أن يكون ضعفا عن إحتمال صدمة الحادث .

« والحقيقة أن رسول الله ﷺ أسمى قدراً من أن يصدر منه ما صوره الدكتور هيكل هياما فى الخيال والشعر والقصص ، وإنما أظهر من حزن سام وزرفت عيناه دموعا مطهره لايذرفهاإلا الله ولا يمكن أن يكون الرسول(ﷺ) قد بدرت منه ألالفاظ التى نسبها إليه الدكتور منساقا مع شعوره حين حزن هو على فقد ولده ولأجل هذا غير اسم كتابه رحلة إلى أوربا إلى عنوان (ولدى) . إن رسول الله ﷺ يعلم علم اليقين وحق اليقين أن الله يفعل ما يشاء ويحكم مايريد ، وأن ولده ابراهيم لن يعيش طويلا حيث يقول تبارك وتعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) لقد مات له ولدان من قبل احتسبهما فى رضى وإيمان .

٣ ـ تقبل وجهات نظر درمنجم فى مسائل اساسية :

وقد أخذ على الدكتور هيكل تقبل وجهات نظر أميل درمنجم ، فى تصوره أن النبي قد تأثر بأهل الكتاب فى الجزيرة العربية أو فى ذهابه إلى الشام أو فى ارسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية ، فقد جرى(هيكل)وراء عبارات درمنجم دون أن يتبين مكره وخبثه حين حاول أن يصوران دعوة النبي أصحابه إلى الحبشة من أجل أنها مسيحية .

ويتساءل الدكتور حسين الهراوى الذى ناقش هيكلا فى هذه النقطة :

هل حقيقة كانت الهجرة إلى الحبشه لأنها مسيحيه ، ويقول إن درمنجم شأن المستشرقين بتر هذه القصة بصفة مشوهة للحقيقة ، فلم يكن الدافع للنجاشى ورعه وتقواه ولم يكن سبب عطفه ورحمته ذلك الدافع الدينى بل الدافع الحقيقى أن هذا

النجاشي كان عادلا وهذه هي الخلة التي ذكرها النبي حين قال (لأن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق) .

ومن مراوغات درمنجم تفسيره للآية الكريمة :

(فأن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك) يريد درمنجم أن القرآن طلب إلى النبي سؤال أهل الكتاب وأن الله تعالى رضي للناس الإسلام دينا مع بقاء الأديان التي سبقت ، وحدة مندمجه مما أسماه الكمال الروحي ، ولاريب أن هذه مراوغة خطيره من الاستشراق يحاول بها أن يفسر الآيات القرآنية تفسيرا يخدم به أهدافه والحقيقة أن الأسلام جاء ليظهره الله على الدين كله وأن الأديان كلها التي سبقت كانت موصلة إليه لولا أن قادتها حرفوها .

ثانيا : ظاهره إنكار المعجزات وتأويلها إرضاء للمنهج الغربي وباسم إعلاء نظره العقل: هذه الظاهرة واضحة تماما في كتابات هيكل وطه حسين والعقاد وقد قامت عليها كتاباتهم في (حياه محمد وهامش السيرة والعبقريات) وكانت لها جذور ممتده في كتابات الشيخ محمد عبده وفريد وجدي وقد هاجمها الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية في كتابة الضخم (موقف العلم والعالم من رب العالمين) .

وقد جرى الكتاب الثلاثة هذا المجرى باسم (المنهج العلمي الغربي) .

والحقيقة أن المنهج العلمي هو منهج إسلامي الأصل والمصدر على خلاف دعوى بعض المتأثرين بالدراسات الغربية ، ولقد كان من أبرز أهداف التغريب التأثير في أسلوب كتابة التاريخ الإسلامي وفي مقدمة ذلك (سيرة النبي الأعظم) إيمانا منهم بأن هذه الصفحات الباهرة من شأنها إذا عرضت عرضا صحيحا أن تبعث الأحاسيس العميقة في قلوب شباب المسلمين ومن هنا كانت محاولتهم المسمومة في إدخال أسلوب عصري له طابع براق ولكنه يخفي من وراء ذلك إطفاء الأضواء

التى يقدمها هذا التاريخ من حيث الصلة بالله تبارك وتعالى والاعجاز الربانى الواضح فى كل مواقف حياة النبى ﷺ وفى تاريخ الإسلام وفتوحه ، ولما كان هذا العمل هو بمثابة هدف واضح الدلالة فى مخطط الاحتواء الغربى الذى يرمى إلى التقليل من شأن البطولات الإسلامية ووضعها موضع المقارنة مع البطولات الغربية من خلال النواحى المادية وحدها فقد حجبت هذه الدراسات جانبا كبيراً من أثرها المعنوى والروحى الذى يهز النفوس ويملأها بالثقة واليقين فى عظمة هذا الدين الخاتم وفى سعة العطاء الربانى لنبيه .

ومن هنا كان ذلك الاسلوب المسمى بالعلمى الذى اصطنعه كتاب لهم اسماء لامعة ولم تكن لهم سابقة فى الدراسات الإسلامية بل كانوا غارقين فى دراسات الغرب وبطولات رجاله (جان جاك روسو ، فولتير ، مونتسكيو ، أرسطو الخ) فى محاولة للتقليل من قدر أحداث السيرة النبوية تحت اسم العقلانية وإنكار المعجزات والجوانب الغيبية والاعراض عن الجوانب ذات الصلة بالإيمان والعقيدة واليقين والتقوى وغيرها .

ولقد استطال الدكتور هيكل فى مقدمة كتابه باعجابه وتبنيه للطريقة العلمية الحديثه وأشار إلى ميزاتها وافضليتها ، ولكن الشيخ محمد مصطفى المراغى فى مقدمه لكتاب حياة محمد لم يخفى عليه هدف هذا فقال :

أما أن هذه الطريقة حديثة فهذا مايعتذر عنه وقدساير الدكتور (هيكل) غيره من العلماء فى هذا ، ذلك لأنها طريقة القرآن كما أعترف هو ولأنها طريقة علماء سلف المسلمين ، أنظر كتب الكلام تراهم يقررون أن أول واجب على المكلف معرفة الله فيقول آخرون : لا : إن أول واجب هو الشك ، ثم إنه لاطريق للمعرفه إلا البرهان وقد جرى الامام الغزالى على الطريقة نفسها ، وقد قرر فى أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقدر ورتب ووازن وقرب وباعد ثم انتهى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق وإلى ما اهتدى إليه من الآراء ، وا... واجد فى كتب الكلام فى مواضع كثيرة حكاية (تجريد النفس) عما القته

من العقائد ، ثم البحث والنظر فطريق التجريد طريق قديم وطريق التجربة والاستقراء طريق قديم ، والتجربة والاستقراء التام وليدا الملاحظة فليس هناك جديد عندنا ، ولكن هذه الطريقة بعد أن نسيت فى التطبيق العلمى والعملى فى الشرق وبعد أن فشا التقليد وأهدر العقل وبعد أن أبرزها الغربيون فى ثوب ناصع وأفادوا منها فى العلم والعمل رجعنا نأخذها ونراها طريقة فى العلم جديدة ، ا.هـ

وهكذا تبين للمدرسة الحديثة إن الإسلام هو واضع الأسس لهذا المنهج العلمى الذى أخذوا به ، وإن لم يعطوه حقه من الإصالة الإسلامية بل قصروه على الجوانب المادية ففاتهم خير كثير ، نظراً لأن خلفياتهم مع الأسف كانت غربية ولم يكونوا قد قرأو من التراث الإسلامى ما يمكنهم من معرفة الحقيقة كاملة .

لقد كتبت هذه الدراسات بالرغم من حسن النية عند البعض - بصورة قاصرة خالية من الإيمان اليقين تحت أسم العلم الذى لايعترف للنبى ﷺ إلا بمعجزة واحدة هى القرآن ، وكان من رأى فريد وجدى وهيكل الأعراض عن الخبر الصادق التى ثبت فى الكتاب والسنة إذا عارض طريق العلم وبذلك حجبوا عن السيرة النبوية أهم جوانبها وأخطرها على الاطلاق وهو :

(جانب معجزة الوحى الإلهى وعالم الغيب) .

ولطالما ردد هيكل وطه حسين وغيرهم كلمة العلم والمنهج العلمى ، والحقيقة أنهم ما كانوا يقصدون (العلم التجريبى) الذى يقوم فى المعامل على أساس الأنابيق ، وإنما العلم الذى قصدوا إليه والذين لقن لهم هو الفلسفة المادية التى قدمها التلموديون وكانت قد استفحلت فى الغرب بعد القضاء على الفلسفة المثالية المسيحية والمعروف أن أساتذتهم جميعا كانوا من اليهود روركايم ، ليفى بريل الخ .

وهى فلسفة التنوير كما يقولون ، قامت على إنكار جوانب الإنسان الروحية والمعنوية وتصويره بصورة الحيوان والحيوان الناطق والخاضع لشهوتى الطعام والجنس (ماركس وفرويد) وقد امتد هذا الأثر إلى علوم الاجتماع والأخلاق والتربية والأدب والسياسة جميعا ولم يكن هذا فى الحقيقة هو العلم ، وما كانت هذه الصيحات تساوى شيئا لأن هذه المفاهيم كانت سرعان ما تتعثر وتسقط أمام

المتغيرات فضلا عن أنه قد ثبت من بعد عجز العلم التجريبي عن أن يقول (كيف) وعجز الدراسات المادية أن تكشف سرائر العلوم الإنسانية .

و لقد كانت هذه الدراسات مع الأسف خاضعة لفكرتين مسمومتين قائمين فى نفوس وعقول كتاب الغرب والتغريب هما :

(أولا) فكرة (إخضاع الدين لمقاييس العلم) فى أفق الفكر الإسلامى كما فعل الغرب وهى فكرة مردودة لعمق الفوارق بين الاسلام وبين المسيحية وقد تبين من بعد أنه ليس فى الامكان إخضاع الدين لمقاييس العلم .

(ثانيا) تخليص الفكر الاسلامى من سائر الغيبيات التى لا تخضع لمقاييس العلم الحديث .

ومن هنا كانت محاولة إخضاع السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى لهذا المفهوم وهو ماجرى عليه كتاب التغريب من استبدال السند والرواية وقواعد التحديث وشروطه بأسلوب جديد (زائف) من الاستنتاج الشخصى المتصل بذوق ومزاج كل كاتب على حده ، فطه حسين تابع لمذهب العلوم الاجتماعية والعقاد تابع لمذهب العلوم النفسية وهيكل تابع لمذهب تين وبرونتير الخ ، هذا الأسلوب الذاتى خطير جدا لأنه لا يقوم على قواعد أساسية علمية وإنما يقوم على أساس (الظن وما تهوى إلا نفس) هذا الأسلوب يتيح لأصحابه أن يقبلوا وقائع وأحداثا وأن يغضون عن غيرها مما تحيله مع وجهتهم المسبقة ، ومن هنا كان خطورة هذا المذهب فى :

(استبعاد مايخالف المألوف مما يدخل فى باب المعجزات والغيبيات) فى سيرة النبى ﷺ .

كذلك فقد حاول دعاة التغريب الاستفادة من هذا الاتجاه ملحظا خطيرا هو القول : بأن الغاية منها هو ما أطلق عليه (فكرة الاندماج الكلى فى الكمال الروحى) وأنها جميعا وحدة متصلة تربط البشرية فى فكرة واحدة .

وهذه محاولة مضللة من مفهوم الباطنية والحلول لأن الأديان مترابطة من

حيث أن أولها يوصل إلى آخرها ولكن رؤساء الأديان غيروا ولذلك جاء الإسلام مرة أخرى يربط نفسه بدين إبراهيم ليعيد هذه الوحدة فى مفهومها الصحيح » .

ثالثا : إنكار معطيات الرسالة الخاتمة :

ومن ذلك ما أورده الدكتور زكى مبارك فى كتابه (النثر الفنى) عن أن كان للعرب فى الجاهلية نهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقيه واجتماعية وفلسفية كان الاسلام تاجا لها ، أى أن الاسلام كان نتيجة وتاجا لتلك النهضة لا سببا لها : يقول : لأنه لا يمكن رجلا فرداً مثل النبى محمد عليه السلام أن ينقل أمة كاملة من العدم إلى الوجود ومن الظلمات إلى النور ومن العبودية إلى السيادة القاهرة ، كل هذا لا يمكن أن يقع من دون أن تكون هذه الأمة قد استعدت فى أعماقها وفى ضمائرها وفى عقولها بحيث استطاع (رجل واحد) أن يكون منها (أمة متحدة) وكانت قبائل متفرقة وأن ينظم علومها وأدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها وتجاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وأفريقيا وأوربا فى زمن وجيز ، ولو كان يكفى أن يكون الإنسان نبيا ليفعل مافعله النبى محمد لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا لأن أممهم لم تكن صالحة للبعث والنهوض » . اهـ .

وهذا واحد من اتهامات التغريب والاستشراق المسمومة حملها فلم رجل ملقن اعتقد هذا الاعتقاد وتعلم فى الغرب على أيدى اليهود يحاول أن يرد نهضة العرب بعد الاسلام لا إلى النبوة والرسالة وما أنزل الله على الرسول من دين ولكن إلى علوم وآداب وتجارب كانت عند العرب ، وإن كل مافعله النبى هو أنه نظمها حتى استطاع أهلها أن يسودوا فى القارات الثلاث فى زمن وجيز .

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى : أن تاريخ العلوم فى الأمة العربية بعد الاسلام معروف كما أن مقاومة العرب للنبى ودعوته ومحاربتهم له ولها معروفة ، ولكن الرجل ينكر التاريخ ويفترى تاريخا آخر ، ويزعم زعما لا يجوز ولا يستقيم فى منطق أو تفكير إلا إذا كان القرآن كلام النبى ، كلام محمد العربى ، لا كلام الله ، عندئذ فقط يعقل أن يكون العرب على ماوصف الدكتور من نهضة

وعلم وأدب لأن القرآن أكثر من نهضة وعلم وأدب ولا يعقل أن كان كلام بشر أن يأتى صاحبه فى أمة جاهله كالتى أجمع على وجودها قبل الاسلام مؤرخو اللغة العربية من شرقيين ومستشرقين ومؤرخو الاسلام .

وهكذا نجد الدكتور زكى مبارك يهدر مقام النبوة الاسلامية بمقاييسه المادية البحتة التى صورت له كما صورت للمستشرقين أنه من المستحيل أن تؤدى رسالة النبي محمد فى خلال بضعة عشر عاما إلى قيام هذا الملك الباذخ وهذا هو إنكار المعجزات والغيبيات ، فى فهم السيرة النبوية وتاريخ الاسلام .

رابعا : إحياء الأساطير فى سيرة النبي :

يقول الدكتور طه حسين فى بحث نشره فى كتاب (الاسلام والغرب) الصادر عام ١٩٤٦ فى باريس : لقد حاولت أن أقصى بعض الأساطير المتصلة بالفترة التى سبقت ظهور النبي — ﷺ — ثم قصصت مولده وطفولته ، ونشرت هذه السلسلة تحت عنوان مقتبس من جيل لومتير وهو (على هامش السيرة) ويتحتم أن نعترف بأن كتابين فرنسيين كانا بمثابة الشرارتين اللتين أشعلت موقدين كبيرين : أحد الكتابين لجيل لومتير عنوانه (على هامش الكتب القديمة) والثانى : حياته محمد لاميل درمنجم .

أما كتاب جيل لومتير فأنى بعد أن شغفت به كثيرا وضعت فى نفسى الأسئلة الآتية :

هل يمكن إعادة كتابة مآثر الفترة البطولية فى تاريخ الاسلام فى أسلوب جديد أم أنه يتعذر ذلك ، وهل تصلح اللغة العربية لإحياء هذه المآثر .

وقال عن كتاب (على هامش السيرة) :

هذا الكتاب من عمل المخيلة ، اعتمدت فيه على جوهر بعض الأساطير ثم أعطيت نفسى حرية كبيرة فى أن اشرح الاحداث واخترع الاطار الذى يتحدث عن قرب إلى العقول الحديثة مع الاحتفاظ بالطابع القديم .

وكان الدكتور طه يتحدث بهذا إلى المستشرقين فى أول مؤتمر للحوار بين المسيحية والإسلام ويعد كتابه هذا خطوة فى هذا السبيل من حيث دمج الأديان كلها فى كتاب واحد وفى اختراع أخطر بدعة من إحياء الأساطير فى الأدب العربى هذا ما كشف عنه طه حسين بعد سنوات طويلة من ظهور (على هامش السيرة) فماذا كان موقف الباحثين منه ، يقول صديقه وزميل دربه الدكتور محمد حسين هيكل :

استميح طه العذر أن خالفته فى اتخاذ النبى (ﷺ) وعصره مادة لأدب الأسطورة ، وأشار إلى مايتصل بسيرة النبى - ﷺ - ساعة مولده وما روى عما حدث له من إسرائيليات روجت بعد النبى ثم قال .

ولهذا وما إليه يجب فى رأيى أن لا تتخذ حياة النبى - ﷺ - مادة الأدب الأسطورى ، وإنما تتخذ من التاريخ وأقاصيصه مادة لهذا الأدب ، وما إندثر أو ماهو فى حكم المندثر ، وما لايترك صدقه أو كذبه فى حياة النفوس والعقائد أثراً ما . والنبى (ﷺ) وسيرته وعصره يتصل بحياة ملامين المسلمين جميعا بل هى فلذة من هذه الحياة ، ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثرا ، وأعلم أن هذه « الاسرائيليات » قد أريد بها إقامة ميثولوجية إسلامية(١) لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ، ولتشكيك المستغربين ودفع الريبة إلى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه (ﷺ) فقد كانت هذه غاية الأساطير التى وضعت عن الأديان الأخرى) من أجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى جميع العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام ، ولا ريب أن كلام الدكتور محمد حسين هيكل هذا هو اتهام صريح لطه حسين فى اتجاهه وتحميل له المسئولية من أخطر المسئوليات ، وهى :

إعادة إضافه الأساطير التى حرر المفكرون المسلمون سيرة النبى ﷺ منها طوال العصور ، إعادتها مرة أخرى لخلق جو معين يؤدى إلى إفساد العقول

(١) الميثولوجيا مصطلح غربى معناه : القصص الأسطورى الذى يحرك العواطف وإن يكن له أثر من الصحة .

فى سواد الشعب وتشكيك المستنيرين ودفع الريبه إلى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه (ﷺ) .

وهذا الذى كشفه هيكل مازال كثيرون يجهلونه وما زال المتابعون لحياة الدكتور طه حسين وتحولاته يرون أن هذا أخطر تحول له وأن هذا التحول جاء ليخدع الناس عن ماضيه وسابقته فى إذاعة مذهب الشك وطارت الدعوات تقول : إن طه حسين عاد إلى الاسلام وأنه يكتب حياة الرسول ولم يكن هذا صحيحا على الاطلاق ولكنه كان تحولا خطيرا وفق أسلوب جديد لضرب الاسلام فى أعز فلذات حياته وهى سيرة الرسول الأمين - ﷺ - ولقد دمغه هيكل حين قال : لقد تحول طه الرجل الذى لايخضع لغير محكمة النقد والعقل إلى رجل كلف بالأساطير يعمل على أحيائها وإن هذا ليثير كثيرا من التساؤل ، إذ أن طه وقد فشل فى تثبيت أغراضه عن طريق العقل والبحث العلمى - لجأ إلى الأساطير ينمقها ويقدمها للشعب إظهاراً لما فيها من أوهام فى ظاهرها تفتن الناس .

وقد كان هذا مصوراً لما أورده الأستاذ محمد النايف فى كتابه [دراسات عن السيرة] حيث قال : إن على هامش السيرة هو فى حقيقته [على هامش الشعر الجاهلى] ومتمم له ، فهو على طريق تطاوله على الاسلام ولكن مع المراوغة والمداهنة .

ومن أبرز مايلاحظ أنه خلط تاريخ الاسلام بأساطير المسيحية واليهودية وقساوسه مصر والشام وحمير ونصارى اليمن ، كما عنى عناية كبيرة بأساطير اليونان والرومان ، وخلط هذا كله خلطا شديداً مع سيرة النبى ﷺ وأراد بذلك إثارة جو من الاضطراب بين الاسلام المتميز بذاتيته الخاصة وبين ما كان قبل الاسلام من أساطير وخرافات وقد اهتم بتراث اليهود فقدم لهم قصة (مخيرق) اليهودى ...

وقد أخذ فى كتابة بالأحاديث الموضوعة وفى نفس الوقت رد أحاديث صحيحة لأنها خالفت هواه ، وعول كثيرا على الاسرائيليات التى جاءت فى تاريخ

الطبرى وأكثر من إيرادها ، وحشد قدراً كبيرا من الأساطير فى قصة (حفر زمزم) على يد عبد المطلب ، وبالغ جدا فى قضية ولادة الرسول ﷺ مع أنه لم يثبت منها إلا حديث واحد وأخذ بالأخبار الموضوعة فى قصة (زينب بنت جحش) وجسم بعض المعجزات التى حدثت للرسول ﷺ عند مرضعته حليمة السعدية وأثناء سفر النبى فى تجارة خديجة رضى الله عنها .

وقد خص الشياطين باهتمام بالغ فتوسع فى الحديث عنهم وصور مؤتمراً يتصدره إبليس للشياطين ورسم صورة للشيطان الذى حضر خلاف قريش على الحجر الأسود وكان على شكل شيخ نجدى .

وعلى ندرة الصفحات التى خصصها لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت هذه الصفحات مليئة بالمغالطات والذى سلم من التحريف كان للمتعة والتسلية ومن أخطر مزاعمه أن النبى قد أحب زينب وهى زوجة لزيد وهذا بهتان عظيم .

وإذا كان طه حسين قد أشار فى المقدمة إلى أنه اهتم باختراع الأحاديث فإن الحرية التى أباحها لنفسه لم تكن إلا لهوى معين وهدف واضح هو أن يقدم عن طريق القصص من السموم ماعجز عنه عن طريق النقد والكتابة الأدبية .

يقول (غازى التوبه) فى دراسته عن طه حسين وهامش السيرة :

أن طه حسين ينصب نفسه أماما للاساطير اليونانية و ضع السيرة فى مصاف (الالياذة)ويطلب من المؤلفين والكتاب أو يفتتنوا فى الحديث عنها أفتتان أوربا بأساطير اليونان ، كى يرضوا ميول الناس إلى السذاجة ويمتعوا عواطفهم وأخيلتهم ، ولكن هل يتساوى الأثران فى المجتمعين (الالياذة فى المجتمع اليونانى والسيرة فى المجتمع الإسلامى) وهل كانت السيره يوما ما فى التاريخ موضوعا لتسلية قصصية أو مباراة لفظية » .

ولم تكن السيرة يوما من الأيام وسيلة للتسليه والترفيه كما يهدف طه حسين

ولكنها كانت مصدراً لابتعاث الهمم ودفع النفوس المؤمنة إلى النهوض بالمجتمعات في ضوء حياة النبي وسننه .

ولقد تحدث كثيرون عن الشبهات الواردة فى (على هامش السيره) ووصفها الأستاذ مصطفى صادق الرافعى بأنها « تهكم صريح » وقالت صحيفة الشهاب الجزائرية (ذى القعدة ١٣٥٢) الموافق ١٩٣٤ تحت عنوان :

(دسائس طه حسين)

ألف كتابا اسماه على هامش السيرة (يعنى السيرة النبويه الطاهره) فملأه من الاساطير اليونانية الوثنية وكتب ما كتب فى السيرة الكريمة على منوالها فاظهرها بمظهر الخرافات الباطله وأساطير الخيال حتى يخيل للقارىء أن سيرة النبي ﷺ ماهى إلا أسطورة من الأساطير وفى هذا من الدس والبهتان ما فيه ، والدكتور طه الذى كان يقول فى الإسلام ماشاء ولا يبالى بالمسلمين أصبح اليوم يحسب للمسلمين حسابا فلا يكتب ألا ويقول إنه مسلم وأنه يعظم الإسلام ولكن ما انطوى عليه صدره يأبى إلا الظهور كما بدأ جليا فى كتابة هذا (على هامش السيرة) .

وقال الدكتور زكى مبارك (البلاغ - يناير ١٩٣٤) وأنا أوصى قرائى أن يقرءوا هذا الكتاب (على هامش السيرة) بروية فأن فيه نواحى مستورة من حرية العقل عرف الدكتور كيف يكتمها على الناس بعد أن راضته الأيام على أيثار الرمز على التأليف فأنه (بعد ضربة الشعر الجاهلى) آثر أسلوب الرمز لتغطية أهدافه) .

وقال الدكتور هيكل فى دراسة لهامش السيرة الجزء الثانى (ملحق السياسة ٢٥ / ١٢ / ١٩٢٧ أن اليهود لهم باع طويل فى دس الأسرائيليات فى الإسلام والحق أنى كنت أشعر أثناء قراءتى هذا الجزء الثانى من هامش السيرة وكأنما أقرأ فى كتاب من كتب الأساطير اليونانية وليس فصل (نادى الشياطين) بأشد إمعانا فى درب الأسطورة من سائر فصول الكتاب) وقد عرف تبعيه الدكتور طه حسين لمفهوم الأسرئيليات ووجهة نظر اليهود فى قضايا كثيرة مثل موقفه من عبد الله بن الله سبأ فى كتاب الفتنة الكبرى .

خامسا : الفوارق العميقة بين النبوة والعبقرية :

إن التفرقة بين (النبوة) و (العبقرية) هى من أخطر ما ما تعرضت له كتابات العصريين للسيرة النبوية فليس من المعقول أن تطلق تسمية (العبقرية) على الرسول ﷺ المؤيد بالوحى وثم تطلق أيضا على صحابته أمثال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وقد وصف الرسول ﷺ بالعبقرية فى كتابات العقاد والبطوله فى كتابات عبد الرحمن عزام ، وبطل الحرية فى كتابات عبد الرحمن الشرقاوى ، وكل هذه مسميات تحجب عن القارىء المسلم الصفة البارزه والمهمة الأساسية وهى « النبوة » المؤيدة بالوحى .

إن دراسة حياة النبى ﷺ تحت أى أسم من شأنها أن تعجز عن استيفاء جوانب هذه الشخصية العظيمة ، وليس ثمة غير منهج واحد هو أنه نبى مرسل من قبل الله تبارك وتعالى ، إن هذا الفهم وحده هو الذى يكشف عن الحقائق الناصعة ويكشف عن صفحات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى .

إن كلمة (العبقرية) : هى مصطلح عرف فى الفكر الغربى وتناولته الأقلام ودارت حوله المعارك والمساجلات ، وفى عام ١٩٣٥ انتقلت هذه المعارك إلى المجلات العربية فدارت عنه مناقشة طويلة بين محمد فريد وجدى والدكتور أمير بقطر .

والتقطها الأستاذ العقاد واختزنها فى ذاكرته ليجعلها عنوانا لدراسة عن الرسول التى بدأها عام ١٩٤٢ .

ومن مجمل الدراسات التى دارت يتكشف أن هذه النظرية تجرى حول التميز والذكاء والتفوق فى مجال الفن والموسيقى والتصوير ولم يرد فى الأسماء التى تناولتها الأبحاث أى اسم من أسماء المصلحين أو أصحاب الرسلات .

ولقد قصر أمير بقطر العبقرية على الذكاء ، وقال أنها تجىء عن طريق الوراثة وأنها غير مكتسبة ، وأوردت دوائر المعارف وصفا للعبقرية بأنها لغة الكامل فى كل شىء ، ويكون مبلغ رقم قياسى ذكاء العبقرى فوق المعتاد ، وبينما

يقصر (أمير يقطر) العبقرية على مسالة اختبار الذكاء فأن (فريد وجدى) يرى أنها (هبة آلهية ثمرتها فوق القدرة البشرية يمنحها الله لبعض الأفذاذ لتبرز على السنتهم أو على أيديهم فى أمور لا يستطيع العقل البشرى أن يستقل بإيجادها .

ولعل هذا هو المعنى الذى جعل العقاد يختارها ليصف بها الرسول مع أن جميع علماء الغرب لم يصفوا بهـا أحـدا من الأنبياء كالمسيح أو موسى عليهما السلام والحقيقة أن مقاييس الجاه والثروة والعظمة التى جاءت بها العلوم المادية الحديثة تختلف تماما عن التقديرات التى جاءت بها النبوة .

وأن أى قدر من الموهبة الآلهيـة التى وصف بها العبقرية تختلف اختلافا واضحا عن النبوة .

وبالرغم من الاختلاف فى فهم العبقرية بين كتابات العشرات من الباحثين الغربيين فأن أحداً لا فى الغرب ولا فى العرب أدخل النبوة والأنبياء فى هذه الدائرة ولكن يبدو وأن الأستاذ العقاد أراد أن يتفوق على صاحبه (هيكل وطه) وقد سبقاه لعشر سنوات فى كتابة السيرة باتخاذ هذا المصطلح .

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى : يجب أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شىء كثير ، وليس كل ما كتبه المستشرقون يقبله المسلم ولا كل نظريات الغرب تتفق وما قرره القرآن ولكن العقاد أعتقد من هـذه النظريات ما أعتقد فهو ينظر إلى القرآن من خلال ما أعتقد منها ويبدو أن من بين ما أعتقده العقاد نظرية (فريزر) فى نشوء الأديان فهى عنده ليست سماويا ولكنها أرضية نشأت بالتطور والترقى إلى الاحسن ومن هنا تفضيل العقاد للاسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وأذن فهو خيرها ويقول : أن لم يكن هـذا هو تفسير أطلاق اسمية الغربيين على كتابة (عبقرية محمد والفلسفة القرابية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغى أن يتنبه إليه قارىء الكتابين من المسلمين لينجو ما أمكن مما توحى به التسميات

من أن محمداً ﷺ ، عبقري من العباقره لانبي ولا رسول بالمعنى الديني المعروف في الأديان المنزلة ويؤكد هـذا الايحاء أن جاء الـكتاب واحداً من سلسلة كتب العبقريات الإسلامية ولن يكون أولها ، فالناشيء الذي يقرأ بعـد عبقرية محمد عبقرية أبي بكر وعبقرية عمر مثلا لايمكن أن يسلم من إيحاء خفي إلى نفسه أن محمداً وأبا بكر وعمر من قبيل واحد ، عبقري من عباقرة وإن يـكن أكبرهم جميعا ، كالذي سمى النبي ﷺ بطل الأبطال فأوهم أنه واحـد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور وليس من صنف أختتم به ﷺ : صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله ، فالنبي والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله وحي ومن كتاب ، ولا كذلك العبقرى ولا البطل ، فالنبوة والرسالة فوق البطولة بكثير ، كم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين له ﷺ بأنه رسول الله إلى الناس كافة في ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين .

ويقول الأستاذ غازى التوبه : كتب العقاد العبقريات دفاعا عن العظمة الانسانيه في وجه المتطاولين والحاقدين والمشوهين ، هذه العظمة الانسانية التي تحتاج إلى رد الأعتبار في عصره ودفاع العقاد عن العظمة الإنسانية هي حلقة من دفاعه عن الفرد وإيمانه به ولـكن ما هي الأخطار التي هـددت الفرد والعظمة وجعلته يستل قلمه سنة ١٩٤٢ ليكتب أول عبقرية من عبقرياته ، في الحقيقة أن الأخطار المباشرة التي هـددت الوجه الآخر من إيمان العقاد بالفرد هـو النظام الديمقراطي ، هددته ثلاثه أخطار هي الفاشية والشيوعية والمـد الإسلامي تصدى للفاشية في (هتلر في الميزان) وتصدى للشيوعية في كتابة (الشيوعية والانسانيه) وأفيون الشعوب ، أما تيار المـد الإسلامي فحاربه بسلاح الشخصيات فـكتب العبقريات ليؤكد صحة أفكاره في أولية الفرد في التاريخ واحقيته كمحرك له وليطعن ويشوه الإيمان بالجانب الجماعي في الإسلام ويشكك في دور العقائد والتربية في توجيه الاشخاص فالعظيم عظيم بفطرته والعبقرى عبقرى منذ نشأته ، كذلك فقد ركز العقاد على العوامل الوارثية والتـكوين الجسماني والعصبي ووضع لهذه الاسباب في المرتبة الاولى في توجيه الشخصية بحيث تأتى العقيدة الاسلامية والتربية في

المرتبة الثانية إن كان هناك دور للعقيدة أو التربية والعقاد فى موقفه هذا متأثر ببعض المدارس الأوربية التى تقدس الفرد والفردية وتفسر مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين ، وقد أورد العقاد ذكراً لأحدى هذه المدارس التى تحدد صفات العبقرى انطلاقا من تكوينه الجسدى وهى مدرسة (لومبروزو) .

وهكذا قولب العقاد الشخصيات الإسلامية ضمن نظرياته الجاهزة فى الفرد والطوابع الفردية .

وهو فى هذا قد حجب الجانب الربانى المعجز ، وحجب الغيبيات .

فهو فى موقفه من انتصار الرسول (ﷺ) فى غزواته لا يعرض مطلقا لوعد الله تبارك وتعالى لرسوله ورعايته والملائكة المقاتلون والنعاس الذى تغشى المسلمين أمنة ، والمطر الذى طهرهم والرياح التى اقتلعت خيام المشركين وتثبيته لافئدة المقاتلين وقذفه الرعب فى قلوب الكافرين ، فليست العوامل المادية وحدها هى قوام مكانة الرسل العسكرية ولكن العوامل الربانية يجب أن تضاف إلى ملكات الرسول فى التخطيط .

كذلك فهو لم يكشف عن دور الإسلام فى بناء شخصية الرسول ﷺ ، فالأسلام هو الذى أعطى النبى (ﷺ) ذلك الإيمان بالله تبارك وتعالى والإيمان بأحقية الموت فى سبيل الله وذلك القدر من الثبات والتضحية والاقدام والعزم والصبر .

هذا الجانب الذى تجاهله العقاد واكتفى بالمقارنة بين سيدنا محمد ﷺ وبين نابليون من النواحى المادية والعسكرية ، كذلك لم يتبين الفارق بين حروب محمد ﷺ وبين حروب نابليون وأنها كانت خالصة فى سبيل الله ونشر الإسلام وليست فى سبيل المطامع والسيطرة .

ذلك أنه ناقش عبقرية الرسول العسكرية فى ضوء العبقريات البشرية ، ولم يتنبه للفوارق العميقة ، التى يتميز بها شخصية الرسول بوصفه نبى مرسل

أو تلك التى هداه إليها الإسلام ، وأن تمييزه هذا يختلف عن البطولات والعبقريات البشرية الأخرى ، ومن هنا يبدو النقص فى وزن النبى ﷺ بالعبقريات البشرية الأخرى .

كذلك هذا التمييز الذى عرفت به شخصية محمد ﷺ ذ نبيا ، ومرسلا وهاديا ، تختلف فى المقارنة بينه وبين الأبطال العالميين الآخرين من ناحية كما أن شخصيته عليه السلام تختلف عن شخصية كل من أبى بكر وعمر وغيرهم .

لقد تحدث العقاد عن الجانب المادى فى شخصية الرسول ﷺ وحجب تماما الجانب الروحى المتصل بالوحى وأظهره كمجرد انسان يعمل بمواهب ممتازة وملكات خاصة ، وهكذا فأن (العبقرية) التى حاول العقاد أن يقدم رسول الله ﷺ من خلالها ، كان حجمها ضيقا ومجالها ناقصا ، وأخطر ما أخذ عليه هو أنه لم يظهر أثر الإسلام فى بناء شخصية الرسول ﷺ وهو العامل الأكبر فى حياته وتصرفاته على النحو الذى وصفته السيدة عائشه رضى الله عنها بقولها (كان خلقه القرآن) هذه الربانية الخالصه التى تعلو على طوابع البشر ، وقد وصفها القرآن فى قوله تعالى :

(قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) .

كذلك فقد تحدث عن أفتتان المسلمين بشخص الرسول وانبهارهم بمواهبه واعتبر أعجابهم به سببا وحيدا لدخولهم فى الإسلام وعزا اجتماع الصداقات المتنوعة حوله نتيجة لمزاياه النفسية وبذلك أنكر أثر عظمة الإسلام نفسه فى إيمان أصحاب النبى ﷺ وليس من شك فى أن إعجاب المسلمين بالرسول له أهميته فى مرحلة الدخول فى الإسلام ولكن تقدير المسلمين للاسلام هو العامل الذى ثبتهم بعد ذلك على الإيمان بالإسلام وحفزهم للدفاع عنه .

إن الاستاذ العقاد وقد حارب مذهب التفسير المادى للتاريخ الذى قدمه ماركس والشيوعية حربا لاهوادة لها خضع مع الأسف للمذهب المادى الذى لا يعترف بالآثار المعنوية المترتبة على الإيمان والعقيدة فى بناء الشخصية كما تجاهل

جانب الغيبيات ولم يفهم النبوة فهما صحيحا ، ولذلك فأن الجانب الروحي القادر على العطاء فى بناء الشخصيات والذى صنع شخصية رسول الإسلام تراه باهتا غائما عنده ، وذلك لأنه أعتمد فى دراسة الشخصيات والبطولات على مذاهب غربية بتجاهل النبوة والوحي والغيبيات والمعجزات ولا تجعل لهذه العوامل الروحية والمعنوية أى وزن وأى أعتبار وأنما قامت أعتباراتها على جوانب الحس وتركيب الأنسان المادى والوراثيات وغيرها .

سادسا : تطور جديد : التفسير الماركسى للسيرة .

ثم جاء بعد ذلك تطور جديد فى كتابة السيرة العصرية وهو أخضاعها للتفسير الماركسى على النحو الذي كتبه عبد الرحمن الشرقاوي تحت إسم (محمد رسول الحرية) .

وقد قال الشيخ محمد أبو زهره فى توصيف هذا العمل : أن الكتاب كان له اتجاه غير دينى فى دراسته فهو ما ذكر محمدا ﷺ على أنه رسول يوحى اليه بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرها الكاتب على ما يريد ، وقد تبين أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحي فكل ما كان من النبي من مبادىء وجهاد فى سبيلها إنما هى من عنده لا يوحى من الله تعالى ، وهى بمقتضى بشريته لا بمقتضى رسالته ، والعنوان (إنما أنا بشر مثلكم) يعلن أن ما وصل اليه النبي ﷺ من مبادىء جاهد من أجلها إنما هو صادر عن بشرية كاملة لا عن نبوة ، وقد أقتطع هذه الجملة مما قبلها وما بعدها ونصها الصحيح (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى إنما الهكم آله واحد) وهو بهذا الاقتطاع ينفي الوحي عن الحياة المحمدية .

كذلك فهو ينفي الخطاب السماوي للرسول ﷺ ولا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ فى العيان وتصويره للوحي بأنه حلم فى النوم يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل كان يخاطب النبي ﷺ بالعيان لا فى المنام : الأمر الذى تردد ذكره فى القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ

الرسالة الآلهية لأهل الأرض ، كذلك فهو يقطع الرسالة عن الرسول ويقطع الوحى عنه ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحيانا منسوبة إلى النبى ﷺ على أنها من تفكيره ومن قوله لا أنها قرآن موحى بها وقائله هو الله سبحانه وأن ذلك مبثوث فى الكتاب بكثرة ، وهو ينسب بعض آى القرآن إلى النبي وكذلك ينسب إبطال التبنى إلى النبى ﷺ ولا ينسبه إلى الله تبارك وتعالى ، وكذلك ينسب تحريم الخمر إلى النبى ﷺ ، كما أنه يذكر قصص القرآن على أنه نتيجة تجارب النبى ﷺ ، وما كانت قصص النبى إلا من القرآن وما كانت له رحلات فى بلاد العرب بل أنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين أحدهما فى الثانية عشره والثانية فى الخامسة والعشرين ويرى الكاتب أن القرآن من كلام محمد ولم يذكر قط على وجه التصريح أن الله تبارك وتعالى هو منزل القرآن وباعث محمد بالرسالة بل أن ذكر الله تبارك وتعالى يندر فى الكتاب بل لا تجد له ذكراً قط ولم يذكر القرآن إلا نادراً بل لا تجد له ذكراً قط ، وإذا ذكر آية وذكر أنها [همهمة نفس] النبى ﷺ ، وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب لله فى مقام يومى بالتشكيك فى صدقه ويوهم بأن به تحريفا وتبديلا ومحاولة النقاط واحد ممن كانوا يشتركون مع العشرات فى كتابة الوحى لاثارة هذه الشبهة .

ولقد كان التطور فى كتابة السيرة نتيجة للادوار التى مرت بها على أيدى السابقين .

سقوط المدرسة المادية فى السيرة :

قامت المدرسة على أنكار الغيب والمعجزات فى آن وانكار الوحى والنبوة فى أن آخر ، وحاولت أن تفسر الإسلام وسيرة الرسول تفسيراً ماديا وجرت فى خضوع منكسر وراء العقلية الأوربية وتحت لواء مازعموه المنهج العلمى الحديث وكانت هذه المدرسة رد فعل أثارة الانبهار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين ترى أن تتابع الأوربيين فى فهم الدين والعقيدة .

ولكن سرعان ما تكشفت هذه النزعة وسقطت وجهتها ، وبرزت كتابات

مدرسة الأصالة التى أنكرت هذا الأسلوب الفلسفى المادى ، وأقامت مفاهيمها على الاساس القرآنى الأصيل وظهرت تلك الكتابات بأقلام حسن البنا ومحمد الغزالى وسعيد رمضان البوطى وأبو الحسن الندوى وكثيرون غيرهم فردت إلى السيره النبويه أعتبارها وأعادت تقدير جانب معجزه الوحى الآلهى والغيبيات والمعجزات .

وقد جاءت كتابات مدرسة الأصالة فى السيرة النبوية مصححة لأغلاط كثيرين ممن كتبوا عن السيرة فى هذا العصر وأماطت اللثام عن المغالطات التى كانت ولا تزال تدسها أقلام كثير من المستشرقين والتغريبيين وهى أغلاط ومغالطات قامت لتغذيتها وترويجها مدرسة التبعية .

إن هذه المدرسة لم تعد تخدع إلا قلة من بقايا المفتونيين باسمها وإن الحقائق الناصعة فى حياة النبى ﷺ ستظل هى المشرقة والسائدة .

وليس أذل على ذلك من هذه المؤتمرات العالمية الحافلة للسيرة التى حشدت عشرات من الأعلام للكشف عن الجوانب المختلفة فى حياة هذا النبى الكريم الذى هدى البشرية أى طريقها واخرجها من الظلمات إلى النور .

المراجع :

دراسات فى السيرة : محمد النايف .
الفكر الإسلامى المعاصر : غازى التوبة .
فقـــه السيرة : محمد سعيد البوطى .
كتابات الدكتور محمد أحمد الغمراوى ومحمد محمد حسين .
العبقرية : محمد فريد وجدى .
تقرير الشيخ محمد أبو زهرة عن كتاب محمد رسول الحرية .
مقالات الدكتور حسين الهراوى (ملاحق السياسة ١٩٣٢ - ١٩٣٣) .
مجلة الفتح : محب الدين الخطيب .

(٢)

الحملة على نوابغ الإسلام

الحملة على (جمال الدين الأفغانى) = لويس عوض

لقد كان من أبرز ماقام به الشوامخ الزائفون الحملة على نوابغ الإسلام ، فكانت حملتهم على ابن خلدون ، وعلى المتنبى ، وعلى الأمام الغزالى : اشترك فى هذه الحملات طه حسين ولويس عوض ثم كانت الحملة على صلاح الدين الأيوبى ومحمد الفاتح وجدد عبد الرحمن الشرقاوى الحملة على الصحابة بكتابة عن الإمام على وسار فى نفس الطريق الذى شقه طه حسين وكانت الحملة الغربية على جمال الدين الأفغانى التى قادها الدكتور لويس عوض .

وكان الهدف هو محاولة أقتلاع جذور الصحوة الإسلامية بالإساءة إلى هؤلاء الرواد . وتضليل الجماهير ويسويه تاريخ اليقظة الإسلاميـة وقطع روابط الماضى المعتد منذ فجر الإسلام بالماضى القريب القائم على وحدة الامة الإسلامية .

ولما كان الهدف من تشويه جمال الدين الأفغانى هو إثارة ظلال الشك حول عدد من تلاميذه : محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم فقد فتح لويس عوض النار على جمال الدين من خلال ما اسماه وثائق بريطانيا وهى فى الحقيقة تقارير الجواسيس ، ولم تكن هذه الوثائق غير المعلومات التى قدمتها المخابرات البريطانية التى كان جمال الدين أعدى أعدائها وقد كانت المعلومات التى قدمتها جامعة طهران فى عهد الشاه موضع شك ولم يكن لويس عوض فى الحقيقة موضع الثقة من الناحية العلمية لتبعته الواضحة للفكر الماسونى الغربى وكراهيته الشديدة للاسلام ودعوته إلى الفرعونية ولكن هناك حقيقة أخرى ظهرت أخيراً .

فقد كشفت الدكتوره لطيفة سالم عن حقيقة هامه فى شأن الحملة التى شنها الدكتور لويس عوض على السيد جمال الدين الأفغانى بمقالاته تحت عنوان (الإيرانى الغامض فى مصر) والتى أشار الباحثون إلى أنها أعتمدت اعتماداً كليا على تقارير المخابرات البريطانية التى أفرج عنها فى السنوات الأخيرة .

تقول : اسجل أن لويس عوض فيما نهج عليه لم يكن نابعا فى اجتهاده أو اعتماده على معلومات استقاها من منابع متعددة أو من نظرية جديدة جاء بها نتيجة بحثه وغرضه للوصول إلى الحقائق التاريخيـة ولـكنه تأثر فى كل ماقدمه لنا بكتاب (السيد جمال الدين الأفغانى) للموزخه نيكى كيدى أستاذة التاريخ بجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس والصادر عن مركز دراسات الشرق الأدنى لتلك الجامعة وطبعته مطبعتها عام ١٩٧٢ (٤٧٩ صفحة من الحجم الكبير) .

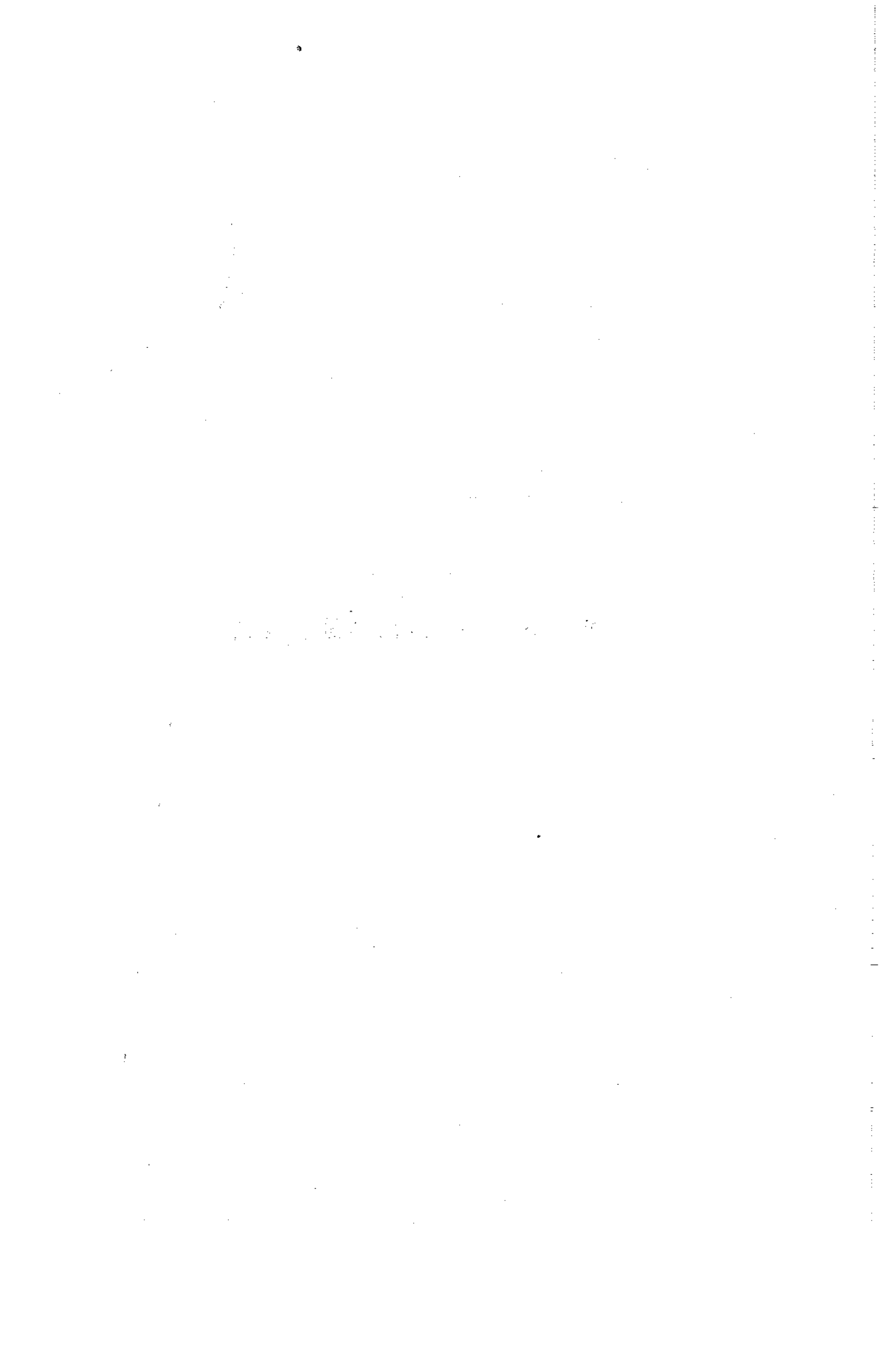
وقد تنقلب الباحثة بين إيران ولندن وترددت فى إيران على مكتبة البلدية حتى وجدت مجموعـة أوراق الأفغانى ١٨٩١ وفى لنـدن اعتمدت على الوثائق البريطانية المحفوظة فى دار المحفوظات العامة وعلى مجلدات حكومة الهند بمكتب علاقات الـكمولث وعلى أوراق جلادستون المحفوظـة فى المتحف البرطانى وفى استانبول استخدمت مجموعة بالدز التى تغطى فترة حكم السلطان عبد الحميد وفى باريس حصلت على معلومات من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية .

ومع أن المعلومات التى أعطاها لنا مفيدة وقيمة عن هذه الشخصية ، إلا أنها تأثرت لبعض اتجاهات انساقت وراء تياراتها وبذلت جهدها فى اثباتها وهى التى تبناها دكتور لويس عوض وأعطاها الصداره فى كتابه ومما تجدر الاشارة إليه أنه لم يتأثر باتجاهها الإيجابى لشخصية الأفغانى وإنما أحتوى الجانب السلبى الذى أثير حوله التشكيك وراح يسرده معتقداً أنه خرج بنظرية جديدة أطاحت بالحقائق القائمة والمحيطة بالأفغانى ليدخله فى دائرة الألغاز ولتعطى الصور المبهمة بل الغامضة له حتى توقع الحيرة والريبة للمؤمنين بدوره القيادى فى العالم الإسلامى .

وعليه فلم يأت دكتور لويس عوض بجديد حيث أن ماتناوله نشرته المؤرخة الأمريكية قبل سنوات .

الفصل التاسع عشر

اخطاء منهج القمم الشوامخ وجيل العمالقة



(١)

الحقيقة الواضحة التى لا مراء فيها أن كتاب مصر كانوا حزبيين بمعنى أو بآخر ولم يكونوا وطنين بمعنى مواجهة الانجليز أو معارضين لهم أو كاشفين لآثارهم المتغلغلة فى الاجتماع أو الاقتصاد أو التعليم، كانوا خصوما سياسيين وأصدقاء فى مجال الفكر، هذا هو منطق مدرسة سعد زغلول التى قامت عليها الأحزاب.

كان أبرز كتاب مصر فى هذه الفترة فى صف حزب الأقلية (حزب الأحرار الدستوريين) لطفى السيد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وإبراهيم المازنى وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى ومنصور فهمى.

وكان كتاب مصر فى هذه الفترة يعارضون النفوذ الأجنبى السياسى برفق شديد من داخل دائرة التفاهم معه، ولكنهم كانوا يقبلون أنظمة الغرب الليبرالية والرأسمالية ويؤيدونها بل كانوا ينقلون مذاهب الغرب فى النقد الأدب والشعر.

وقد حمل العقاد والمازنى لواء الدعوة إلى المدرسة الإنجليزية فى النقد (هازلت وآخرون) كما حمل طه حسين وثمره لواء المدرسة الفرنسيه.

ومن هذا المنطلق الليبرالى العلمانى المغلف بالتبعيه، البعيد عن الوعى بمفهوم الإسلام خدع كتاب مصر فى عدد من الشخصيات الموصومة فى مقدمتها (ماكس نوردو) اليهودى خليفة هرتزل الذى كتب عنه العقاد والمازنى بكثير من التقدير كما خدعوا فى عباس البهاء زعيم البهائية وكتبوا عنه فى الهلال والعصور (العقاد واسماعيل مظهر).

ومن هنا فأن الشهرة التى أعطت أسمهم هذا اللمعان الشديد كانت سياسية أو من مصدر العراك الحزبى والجدل السياسى وأسلوب الهجاء المقذع الذى برع فيه طه حسين والعقاد، ولم يكن مصدر هذه الشهرة الأداء الأدبى نفسه.

كذلك فإن من يراجع (المعارك الأدبية) التى دارت فى هذه المرحلة (راجع كتابنا المعارك الأدبية فى مصر من ١٩١٤ — ١٩٣٩) يجد أنها معارك حزبية مشوبة بالمداخل الأدبية ، وتحس فيها روح الإثارة والعراك وليس روح النقد العلمى ، وربما كانت من أبواب الحياة السياسية أيضا .

ولقد كانت هذه التفرقة بين الاستعمار الغربى (البريطانى والفرنسى) وبين الثقافة العربية عاملا خطيرا من عوامل استمرار تبعية الأدب العربى للنفوذ الأجنبى فقد كان كتابنا الكبار مبهورون بالحضارة الغربية والنهج الليبرالى الديمقراطى وكانوا فى نفس الوقت قناطر لنقل الفكر الغربى إلى اللغة العربية .

وعندما أحسوا بأن اليقظة الإسلامية تحاول أن تغير مفاهيم الفكر والأدب أسرعوا فسيطروا على الموجة من أجل أن يقدموا مفاهيم غربية وافدة للسيرة النبوية وللقرآن والإسلام على النحو الذى كتبه هيكل (حياة محمد) وطه حسين [هامش السيرة] والعقاد [العبقريات] وكل هذه الكتابات تنقصها روح الإسلام الحقة وعليها تحفظات كثيرة [١] .

وليس هناك أخطر من تصدر التغريبين للصحافة المصرية على النحو الذى حجب رجال النهضة الإصلاء أمثال الرافعى وجايش وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وغيرهم .

ولكن حركة اليقظة الإسلامية كانت قادرة على كشف هذا التيار الخطير الذى مازال يدافع عنه أمثال الدكتور بيومى مدكور بعد أن تبين تبعية المجرى الذى جرى فيه هولاء .

أولا : كشف الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه [موقف الدين والعلم من الله رب العالمين عن أخطاء كتاب السيرة العصريين فى شأن معجزات النبى ﷺ [فريد وجدى وهيكل] .

---

(١) راجع بحثنا عن كتابات السيرة .

ثانيا : كشف مصطفى عبد الرازق وتلاميذه وفى مقدمتهم [على سامى النشار] عن إصالة الإسلام و فساد دعوى التبعية لمنهج أرسطو وأعلنوا أن الإمام الشافعى هو المعلم الأول المسلمين :

ثالثا : كشف السيد محب الدين الخطيب عن خطط التبشير بترجمه كتاب [الغارة على العالم الإسلامى] .

رابعا : كشف الدكتور فروخ والدكتور خالدى عن خبايا التبشير والاستعمار

خامسا : كشف مالك بن نبى عن مخططات التعريب والغزو الثقافى .

سادسا : كشف الدكتور محمد محمد حسين عن فساد بعض كتب الغرب المترجمة .

سابعا : كشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن أخطاء لويس عوض و عن سرقات طه حسين فى منهج الشعر الجاهلى .

ثامنا : كشف الدكتوره نفوسه زكريا سعيد عن مؤامرة العامية .

تاسعا : كشف الأستاذ حسن البنا عن أن وجهة كتاب السيرة المعاصرين غربية وأنهم لايؤمنون بمنهج الإسلام الجامع .

عاشراً : كشف كثير من كتاب المسلمين عن منهج التغريب والغزو الفكرى .

(٢)

عريضة إتهام عنيفة

ضد طه حسين وجيله

وقد وصف رجاء النقاش كتاب الاستاذ فتحى رضوان [عصر ورجال] بأنه عريضه إتهام ضد طه حسين وتلاميذه وإن هذه عريضه تتلخص فيما يلى :

أولا : إن معظم رجال هذا الجيل قد ساروا وراء تعاليم مدرسة حزب الأمة والتى يمثلها لطفى السيد ولم يسيروا وراء تعاليم مدرسة الحزب الوطنى التى تمثلها مصطفى كامل . ومدرسة حزب الأمة هى التى كانت تدعو إلى مهادنة الإنجليز والتعايش معهم بينما كانت مدرسة الحزب الوطنى تدعو إلى مقاطعة الانجليز ومحاربتهم بلا هواده ولقد كان سعد زغلول - وهو من مدرسة حزب الأمه - فيما يرى فتحى رضوان - يقول عن الإنجليز - حتى فى أشد مواقف العداء - أنهم خصوم شرفاء معقولون .

وحول هذه المدرسة نشأ معظم معظم الكتاب والمفكرين لذلك - كما يقول فتحى رضوان -- لم يكن غريبا أن يرتسم فى الذهن المناضل العنيد للانجليز إذا ما ذكر اسم واحد من كتاب العصر الذى نؤرخ له .

ثانيا : كان الصراع الحزبى الذى اشترك فيه كتابنا تافها وضئيلا [وكانت ساحته ضعيفه وصغيرة وكان كل ما يقال أو يكتب مكررا معادا فلم يؤثر فى كتابنا جميعا فى هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد : كتب العقاد والمازنى وعزمى وغيرهم الألف من المقالات السياسية والحزبية فلم يبق منها شىء مطلقا ، ولم يذكر العقاد ولا المازنى ولا هيكل فيما كتبوه عن انفسهم مقالا سياسيا ذا قيمة أدبية أو فكرية حين احتدم الصراع الحزبى .

ثالثا : أن دعاة التجديد من هولاء لم يثابروا على دعوتهم بل تحولوا عنها بسرعة يقول - فتحى رضوان (مازلت أذكر محمود عزمى والقبعة على رأسه فقد كان هذا المسلك منه تحفزا للتجديد واعلانا له ولكن عزمى خلع القبعة وعاد إلى

الطربوش بعد شهور من هذه المحاولة ولم يفكر بعد ذلك قط فى القبعة فكان أشبه شيء بموقف طه حسين من نظرية : أن الكتب المقدسة ليست وثائق علمية لاثبات التاريخ ، وموقف على عبد الرازق من نظرية أن الخلافة ليست أصلا من أصول الحكم الإسلامى ، قالا بالنظريتين مرة كما لبس عزمى القبعة مرة وخلع عزمى القبعة إلى غير رجعة كما خلعا نظريتهما إلى غير رجعة .

رابعا : عجز الجيل عن خلق تيارات فكرية متصله (فهيكل الذى ألف كتابا عن روسو فى جزئين لا يكاد يذكر روسو فى كتاب بعد ذلك وكأنه لم يقرأ له أو يقرا عنه، دع عنك أنه ألف كتابا طويلا عن حياته وأفكاره، وكذلك العقاد والمازنى وغيرهما.

خامسا لم يقرن هذا الجيل بين الفكر والحياة بصورة سليمة ، كما كانوا يكتبون مقالات عن فرانس ونيتشه وعن الفلسفة الغربية كتبوا عن الإسلام ونبيه وصحابته فما من شى تغير فى حياتهم بتغير موضوع دراستهم وكتابتهم ، وما من شى تأثر فى اسلوب تفكيرهم ، وكان الطبيعى وقد بلغ الأعجاب عندهم بالاسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينعكس على مسلكهم فى الحياة العامة ، وعلى تفكيرهم السياسى وهم رجال سياسة وصحافة ، هذا القدر من الاعجاب ولكنك لاترى له أثرا وليس هذا ألا مظهرا كاشفا عن موقف كتاب هذا الجيل كله فالكتابه عندهم لم تكن معاناة روحيه ولم تكن أعلانا عن إيمان ولا ارتباطا وتصحيحا وقد عجل هذا التحلل بنهاية هذا العهد .

(٢) فأذا أضفنا إلى هذ اتهامات محمود محمد شاكر أنكشف أمامنا فهم عميق للمخطط التى خرجت بها الحياة الأدبية والفكرية من الأصالة إلى التبعية حتى أعادتها مرة أخرى حركة اليقظة الإسلامية :

أضاف محمود محمد شاكر :

١ — (قضية السطو) : (طه حسين)

٢ — تهديم اللغة العربية والدعوة إلى أحياء اللهجات باستعمال العامية (لطفى السيد)

٣ — محاوله تصور تراثنا العربى على أنه فن ارابيسك ومجرد حفريات قديمـــه : (زكى نجيب محمود)

الفصل العشرون

محاولات مضللة لتزييف تاريخ الفكر الإسلامي

والعمل على إحياء سموم كتب على عبد الرازق وقاسم أمين ومنصور فهمي

(١)

● رجع منصور فهمى عن رأيه فى حياة النبى الاجتماعية وحاول التكفير عنها

● رجع الدكتور هيكل عن رأيه فى الفرعونية والغرب واعتبر الإسلام هو المنطلق الوحيد للنهضة .

● رجع قاسم أمين عن رأيه فى تحرير المراه وانكشف له أنه خدع .

● حاول الشيخ على عبد الرازق أن يرجع عن فكرته فى الإسلام وأصول الحكم وأنكر الدعوة إلى تجديد كتابه .

● لم يصر على مقولاته الباطلة طوال حياته ألا طه حسين نتيجة الحصار الذى كان واقعا فيه .

☆ ☆ ☆

كان الحديث فى ندوة الاعتصام عن تلك المحاولات التى تجرى لإعادة الحياة إلى العمالقة والقمم بعد أن فقد الناس الثقة بهم : تجرى هذه المحاولة التى يقودها سامح كريم حين يحاول أن يضفى طابع الإسلام على كل من كتب ولوحتى مقالا واحداً فى تاريخ نبى أميه أو نبى العباس ، وهى محاولة زائفة ، تجرى تحت عناوين كبيره معناها إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، التى رأى أنها كانت من أعظم المشروعات الثقافية وهى إعادة كتابة تاريخ الإسلام (أحمد أمين ــ العبادى ــ طه حسين) أولا على طريقة الفصل بين المناهج وهو مذهب غربى يختلف عن الإسلام حيث تجرى تقديم (الحياة العقلية ــ الأدبية ــ السياسية) كل على حدة وقد فشل هذا المشروع لأنه لم يكن قائما على مفهوم حقيقى لتجديد تاريخ الإسلام وأن الكتابه فيه لو تمت ــ ونحمد الله أنها لم تتم ــ كانت ستجرى وفق تفسيرات المستشرقين ومن خلال المنهج المادى للتاريخ وأنها كانت تساوق ما كتبه طه حسين فى الأدب الجاهلى ومستقبل الثقافة وحين قام أحمد أمين بكتابة الحياة العقلية فى كتبه فجر ، وضحى الإسلام فكشف عن تبعيته للاستشراق ومواقفه الجريئة ضد الإسلام وضد السنة على النحو الذى بيناه فى فصول هذا الكتاب

والذى أورثه لإبنه حسين أحمد أمين، أما عبد الحميد العبادى فنحن لا نتهمه ، ولكن مراوغة سامح كريم تبدو واضحة فى خلط الأوراق ودس اسماء بعض الدعاة الاسلاميين الذين هم موضع ثقة الباحثين والمثقفين المسلمين بين هؤلاء التغريبيين حيث يضيف أسماء مصطفى صادق الرافعى ومحمود محمد شاكر مع خصومهم طه حسين وغيره وليت شعرى كيف يمكن الجمع بين التغريبيين والإسلاميين إلا فى محاوله ماكرة خبيثة ، وكيف يمكن أن يوضع فى صف القمم الإسلامية على عبد الرازق بكتابة الذى جرد الإسلام فيه من مفهومه الصحيح ، أو توفيق الحكيم ، أو أمين الخولى . والحقيقة أن سامح كريم قد حاول خداع القارىء المسلم خداعا كبيرا بوضع هولاء فى صفوف القمم الإسلامية ولقد قلنا له مراراً أن كتابات طه حسين فى التاريخ الإسلامى هى كتابات استشراقية معادية وفى هذا الكتاب فصول تكشف ذلك بكل وضوح وتزيف دعاوى الذين يرون أن طه حسين أو هيكل أو العقاد كانوا رواداً لكتابة التاريخ الإسلامى من جديد ولست أدرى كيف يتناقض سامح كريم باعجابه بطه حسين وفى نفس الوقت يرثى لضحيته محمود محمد شاكر وفى الحقيقة فإنه لابد من الوقوف اما فى صف طه حسين ومحاولته الماكره الخبيثه التى كشف عنها محمود شاكر أو فى صف شاكر الذى كشف هذه المؤمره وهذا يوحى بالهوى الذى يصدر عنه سامح كريم فى دعواه تحت اسم (الإسلام فى فكر هؤلاء) ونحن نسأله : أى أسلام فى فكر هولاء ، هل هو الإسلام الذى يفهمه الغربيون من كلمة (دين) بمعنى اللاهوت ، أم هو الإسلام بمفهومه الأصيل دينا ودوله ومنهج حياة ونظام مجتمع وهى القضية التى أثيرت منذ كتب العقاد وهيكل وطه حسين فى الإسلاميات لخداع الشباب المسلم عن المفهوم الصحيح وينتهز سامح كريم فرصة شهر رمضان المبارك فيسابق السابقين فى الصفحات الدينية ليقدم كتبا رفضها الفكر الإسلامى ووقف منها المسلمون ومن كتابها موقف الريبة والتكذيب والاتهام بالتبعيه ، ولا يتوانى عن الجرآة فى أن يقدم هذه الكتب تحت عناوين مثيرة (كتب هزت العالم الإسلامى) والحقيقة أنها كتب رفضها المسلمون وكشفوا زيفها فيقدم كتاب

والإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق ، وتحرير المرأه لقاسم أمين ، ثم يقدم كتابا لم يطبع يوما بالعربية وإنما هو رسالة دكتوراه قدمها صاحبها إلى المحافل الاستشراقية تحت عنوان (حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية) ثم قامت عليها وعلى كاتبها القيامة فأنكرها ولم يعترف بنسبتها إليه بعد وعاش حياته يستغفر ربه عنها ويحاول أن يقدم شيئا يغفر الله به عملها .

ويحاول سامح كريم أن يبرر المحاوله ويصورها تصويرا خاطئا ويدعى أن هذا العمل كان إسلاميا ، كما يحاول فى مقاله هذا وفى مقال سابق نشره عن منصور فهمى أن يبرىء الرجل من اتجاه أعترف هو من بعد أنه مضى فيه وأنه كان مخطئا وأنه عاد عنه إلى ساحة المغفره وقد أعلن منصور فهمى فى صراحه ووضوح :

أنه وقع تحت تأثير المستشرق اليهودى المتعصب ليفى بريل الذى خدعه وصور له أن أن يكتب عن تعدد زوجات النبى ﷺ على أن النبى خالف الشريعة التى جاء بها حتى قال فى رسالته :

[أن محمداً يشرع للبشرية ويستثنى نفسه] .

وكان فى ذلك أول من كشف خداع المستشرقين واحتوائهم لابنائنا المسافرين إلى الغرب وقد كان لهذه الرسالة أثرها الخطير فى دوائر الفكر والثقافة الإسلامية حتى أن منصور فهمى الذى عاد من أوربا عام ١٩١٥ ظل مبعدا عن الجامعة حتى عام ١٩٣٠ تقريبا وإن أحدى الصحف هى التى عملت على مد حبال رزقه ، حتى هدأت الضجة ، ولكن الرجل كان صادقا مع نفسه فقد أصلح خطأه وحرر نفسه من الاحتواء العلمانى والصهيونى الذى أحاط به وكان مثلا للذين سافروا من بعده إلى الغرب ، فقد تحرزوا بالرغم من تبعيتهم أن يقعوا فيما وقع فيه فقد تبنى طه حسين مستشرق يهودى آخر هو دوركايم وهو الذى دفعه إلى هدم ابن خلدون وتبنى زكى مبارك مستشرق اخر فى كتابه (النثر الفنى) وتبنى محمود عزمى مستشرق آخر دفعه إلى أنكار الترابط بين الاقتصاد والأسلام ، ومن هنا يتبين

تضليل سامح كريم الذى يقول أن منصور فهمى زين له شبابه أن يأتى بتفكير جديد مدفوعا بالتيار العام الذى كان ينادى بتحرير المرأة ، ذلك أن تيار تحرير المرأة هذا قد أنكشف أمرة من قبـــل وتبين مدى المؤامرة الخطيره التى قام بها كرومر وصالون نازلى فاضل ، ورجاله الذين أعانوه على النحو الذى جلته حركة اليقظة الإسلاميه منذ وقت بعيد ولم يعد يخدع أحداً .

والموقف من منصور فهمى وكتابه الذى لم يطبع ، شأنه شأن كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وكتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلى عبد الرازق فهى كتابات مسمومة من وراء قوى النفوذ الأجنبى الخفية ، التى أرادت أن تحدث دويا ، والتى أنكشف أمرها من بعد ولم يعـد يخدع أحـداً ولو أعيد نشر هذه الكتابات كل يوم وفى كبريات الصحف .

وأنا لنأسف أن يسمح بنشر هذه الكلمات فى صفحات رمضان الدينية وهى ليست ألا حربا على الإسلام تتجدد على أيدى غلمان المستشرقين والحقيقة المعروفة أن هذا الجيل من الرواد والقمم الشوامخ قد بات عاريا وقد تبين للشباب المسلم أنه لم يعد يخدعه أحداً وأن هؤلاء جميعا وقعوا تحت تأثير الاحتواء التغريبى العلمانى الذى أثر فى كتاباتهم جميعا ولكن — والحق يقال — أن منصور فهمى والدكتور هيكل كانا من أصدق الناس جرأة فى الاعتراف بالخطأ والعودة إلى الحق .

وليس فيما كتب منصور فهمى فى كتابه هذا ما يدخل تحت عبارة (حرية البحث العلمى) الخادعة التى يرددها الدكتور إبراهيم مدكور ، وما كان منصور فهمى يطمع أو يطلب كما قيل طبع رسالته أو ترجمها إلى اللغه العربية أو تدريسها كما يدعى صاحبنا بل كان يتمنى كما تمنى على عبد الرازق من بعد أن ينسى الناس أن له بحثا على هذا النحو وقد وعى منصور فهمى أطراف المؤامرة التى دبرت له وقام هو نفسه بالعودة إلى الاصاله والحق فما ترك حفلا إسلاميا كالمولد النبوى أو الهجرة إلا خطب فيه ، وقد أعلن أنه سيفسر القرآن ليكفر عن خطيئته تلك وأن كان الزمن لم يمكن له من الوفاء بوعده .

والحقيقه أن بعض دعاة التغريب يتشدق دائما بعبارة (حريه البحث العلمى) ولا يريد أن يعرف الناس حقيقتها التى هى عـــدم الخروج عن حدود مفاهيم الإسـلام ، وإلا فأين حرية البحث العلمى من كلام يتهم الرسول ﷺ بأنه شرع للناس ونسى نفسه كما جاء فى رسالة منصور فهمى أو أن الإسلام كان عقبه فى نهضـة الأمة كما جاء فى رسالة قاسم أمين أو أن الدين الإسلامى دين روحى ليس له نظام حكم كما إدعى على عبد الرازق ، هـذا الكلام كله ليس مسموحا به تحت مظلة حرية البحث العلمى التى توجب على المسلم أن يؤمن إيمانا يقينيا بكل ماجاء به دينه وألا يعرضه للشك أو الأرتياب ، أما قول إبرهيم مدكور بأن حرية البحث العلمى أفسح صدراً وأسمى من أن يعتدى عليها بسبب لفظ أو عبارة سقطت من قلم صاحبها فذلك حق ، ولـكن هل كتابة رسالة ، كاملة قدمت كاطروحة ونوقشت بواسطة اساتذه ومستشرقين وتناولت حياة النبى الاجتماعيه كلها وقامت أساسا على فـكرة أن النبى ﷺ شرع للناس واستثنى نفسه بزواجه من أكثر من أربعة ، ومايتصل بذلك من عرض وشرح وتدليل بالوثائق والمستندات وهو لب الرسالة وقلبها ، هل هذا يعد كل كما ذكر إبراهيم مدكور لفظ سبق أو عبارة سقطت على قلم صاحبها أمهو أعتداء مع سبق الاصرار على حقيقة كبرى فى الإسلام ، كذلك فإن القول بأنه هذا ــ على حد تعبير سامح كريم ــ هو مجرد خروج على موروثاتنا وتقـاليدنا ، تزوير باطل فليس هذا من من التقاليد والموروثات لـكنه من صميم العقيدة التى يصبح المؤمن بها مؤمنا .

وما كان لسامح كريم أن يثير هذا القول كله وقدطواه صاحبه رحمه الله وأعان عودته إلى الحق وحاول أن يـكفر عنه بما كتب من بعد فى تـكريم النبى ﷺ ، ولاريب أن عرض هذا الموضوع هذه المرة وفى المره السابقة يوحى بالهدف الذى يراد أذاعته وهو التهوين والتبسيط من شأن أقتحام حياة النبى من مثل هـذه النواحى بوصف ذلك كله بأنه كلمه سقطت من قلم صاحبها أو تصويره على أنه من التقاليد ، والحقيقه أن الموقف فى عرض هذه الـكتب وإعادة تصويرها على

نحو يجعلها هينة وبسيطة فى نظر الشباب المسلم اليوم هو عمل خطر غير مقبل وهو خيط من تلك الخيوط التى يجرى تشابكها حول الكتابة عن الصحابة باستهانة وحول الدعوة إلى وحدة الأديان وحول مايردده البهائيون والقديانيون وغيرهم .

ولا ريب أن التقييم الحقيقى لهذه الكتب ولكتاب منصور فهمى بالذات هو أن شبابنا الذى ابتعث إلى الغرب فى أوائل هذا القرن قد تلقفته أيدى الصهيونيين الذين كانوا ولازالوا يشرفون على رسائل الدكتوراه وقد صنعوا بهم ما صنعوا فلما عادوا إلى مصر وضعوهم فى مكان الصدارة والقيادة ، وأنشأوا بهم هذا الجيل من يسمونهم العمالقة والقمم الشوامخ وأساتذة الجيل وعمداء الأدب وقد تكشف ذلك كله ووضح ولم يعد أحد يصدق زيادة هؤلاء ، وإنما الريادة لمجموعة كبرى من الأبرار الذين لايذكرون الآن لأنهم قاوموا حملة التغريب والغزو الثقافى وقد عرف شباب الإسلام اليوم حقيقة هـــؤلاء وكشفوا سمومهم ولم يعد مثل هذه الصفحات التى يطلقها أمثال سامح كريم بالتى تجد سميعا أو مجيبا .

ولقدكان من حق التاريخ على سامح كريم وقد أورد قصة منصور فهمى ورسالته مرتين أن يعود إلى الحق فى شأن الرجل الذى رحل وهى أنه أعلن خروجه على هذا الفكر الذى أثبته فى هذه الرسالة كله وأنه عاد إلى الحق ، كما أعلن الدكتورهيكل فى مقدمة كتابه (منزل الوحى) نزوله عن آرائه الفرعونية والغربية وكيف أنه آمن بأن الطريق الوحيد لنهضة هذه الأمه هو التماس منهج الإسلام .

هذا وبالله التوفيق

(٢)

وسقطت مدرسة التبعية للفكر الوافد

آمن هؤلاء بأن الحضارة العربية هي وحدها المنطلق الحقيقي للنهضة في الشرق وعالم الإسلام ، وقد كشفت حروب النكبة والهزيمة والنكسة جميعا عن فساد دعوى هذه المدرسة المضلة ، خدعهم المستشرقون بالنظرية واغروهم بالمناصب والمراكز ، ولكن هناك من اكتشف الحقيقة أمثال الدكتور محمد حسين هيكل الذى قال أن هذا البذر الغريب لاينبت وأن هذا الطريق لايؤدى ، قال هذا هيكلا بعد أن استعلنت كلمة المدرسة الإسلامية ، وكذلك رجع منصور فهمى عن مقولته .

كان تغمر نفوس هذه الجماعة شعور النقص ومحاولة الاستعلاء بالتقليد ، وعجزوا عن أن يفهموا أبعاد المسائل وخلفيات الأمور ، عجزوا عن أن يعلموا أن مصدر النقص هو الغفلة عن المنبع الأصيل وأن الطريق الوحيد هو العودة إلى المنابع .

لقد هزت نفوسهم ماديات الحضارة : كانو يكتبون عن باريس وعن المتاحف والقصور والكنائس ، وكأنها كل شيء في الحضاره ، كان الانبهار بالتقدم المادى يلهب عقولهم ويسيطر على نفوسهم فينظرون إلى أوطانهم بعين الازدراء ، ولكن أصحاب الحضارة الذين أغروهم بهذه الأكذوبه (اكذوبه أنه لا نهضه للشرق ألا بتقليد الغرب والتبعية له والانصهار فى بوتقته) كانوا مكرة فهم لم يقدموا لنا [العلم] الذى نصنع به التقدم المادى ، وإنما قدموا لنا [الفلسفة] التى تفسد العقول والقلوب، غمروا هذا الشرق الإسلامى بالايدلوجيات والنظريات والنحل وتركوه يصارعها وتصارعه وينقسم عليها ويضرب بعضها ببعض ، أعادوا الفكر الوثنى القديم : أخوان الصفا والباطنية والحلول والاتحاد وجروا وراء أوهام الفكر الغنوصى والأغريقى .

وكان رجالهم قناطر تنقل سموم الفكر البشرى ، إلى عالم الإسلام ، ولم

يكن واحد منهم زعيم أو صاحب أيدلوجية ، يمكن أن يضاف إلى قائمة الرواد الحقيقين . .

كان وراء ذلك اساتذتهم اليهود (دوركايم وليفى بريل وماركس وفرويد) ووثنيات دارون وهيجل وسبنسر أوجست كونت وسارتر وكفكا .

ومن خلفهم الفكر التلمودى المصاغ صياغه جديدة فى أسلوب العصر ، واستطاعوا أن يخدعو بعض الناس ثمة ، ولكن أنظر الآن ، تجد أن كل ماتركوه ركاما أسودا وتجد جريرتهم واضحة فأنهم هم الذين خدعوا هذه الأمة حتى أوصلوها إلى مرحلة التصدع وكان للفكر المختلط: المسيحى اليهودى ، الماركسى ، اليونانى ، الرومانى أثاره البعيدة .

فلما أرتفعت كلمة الله ودعوة الإسلام التى وجدت الأستجابه الحقيقية لأنها الدعوة الربانية ذات الفطرة والأصالة والمجددة لروح هذه الأمة ووجدانها وضميرها الخفاق ، وأحسوا أنهم يسبحون ضد التيار بدأو فى حملات المكر والتشويه ، ولما وجدو أن الدعوة الأسلامية تغلبهم حملوا عليها وهاجموها وحاولوا أن يقتحموا نفس المجال بالكتابه عن الإسلام والسيرة ولهم دعوة عريضه إلى النهضة ، تريد أن تخلط الإسلام بالوثنيات الغربية تحت اسم الأصالة والمعاصرة ، حاولوا أن يوجدوا بديلا تحمله أقلام لامعة لها شهرتها وصحف ذائعة ، ومؤلفات بارعة ، ليكون ذلك (البديل) عاملا فى ضرب (الأصيل) . والقضاء عليه .

هذه البدائل تتمثل فى كتابات التاريخ الإسلامى لطه حسين وهيكل والعقاد وتوفيق الحكيم : ذلك أن هذه الكتابات مهما أدت من دور مرحلى فأنها لم تكن خالصة لوجه العلم وحده ، ولكنها كانت تستجيب لأهواء دفعت الأقلام إليها .

كانوا يحاولون ضرب الشيوعية الزاحفة .

كانوا يحاولون بها ضرب مفهوم الإسلام الصحيح الجامع .

كانوا يحاولون بها أنكار المعجزات وفرض مفهوم علمانى ينكر الغيبيات ثم حاولوا بها بعد ذلك على أمتداد تطورها على أيدى عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح وحسين أحمد أمين تفسير التاريخ الإسلامى تفسيرا ماديا .

ولقد أقام العقاد كتاباته الاسلامية على (التصور الفلسفى) وأقام طه حسين كتاباته الاسلامية على (التصور المادى) كذلك فقد كان أسلوب العقاد المستمد من علم النفس فى مقابل أسلوب طه حسين المستمد من علم الاجتماع وكلاهما فنظره بعيدة عن الاصالة .

وليس كلاهما هو مفهوم الاسلام ، وتأثرت العبقريات بمذهب غربى فى تحليل الشخصيات وتأثرت (الفتنـــة الكبرى لطه حسين) بمذهب التفسير المادى للتاريخ .

لقد كانو يحجبون روائع التراث الاسلامى والتاريخ الاسلامى وراء فكرة الانقطاع التى اقاموها فاصلا بين الحاضر والماضى فلما بدأ التراث الاسلامى يشرق ويكشف عن جوهـــرة الأصيل زيفوه بكتابات طه حسين عن الفتنة الكبرى وهامش السيرة ثم جاءت المرحلة التالية على أيدى الماركسيين الذين إعتبروا أن طه حسين رائدهم الذى فتح لهم الطريق وازال من أمامهم العقبات (كما فتح الطريق أمام الحوار المسيحى الاسلامى) .

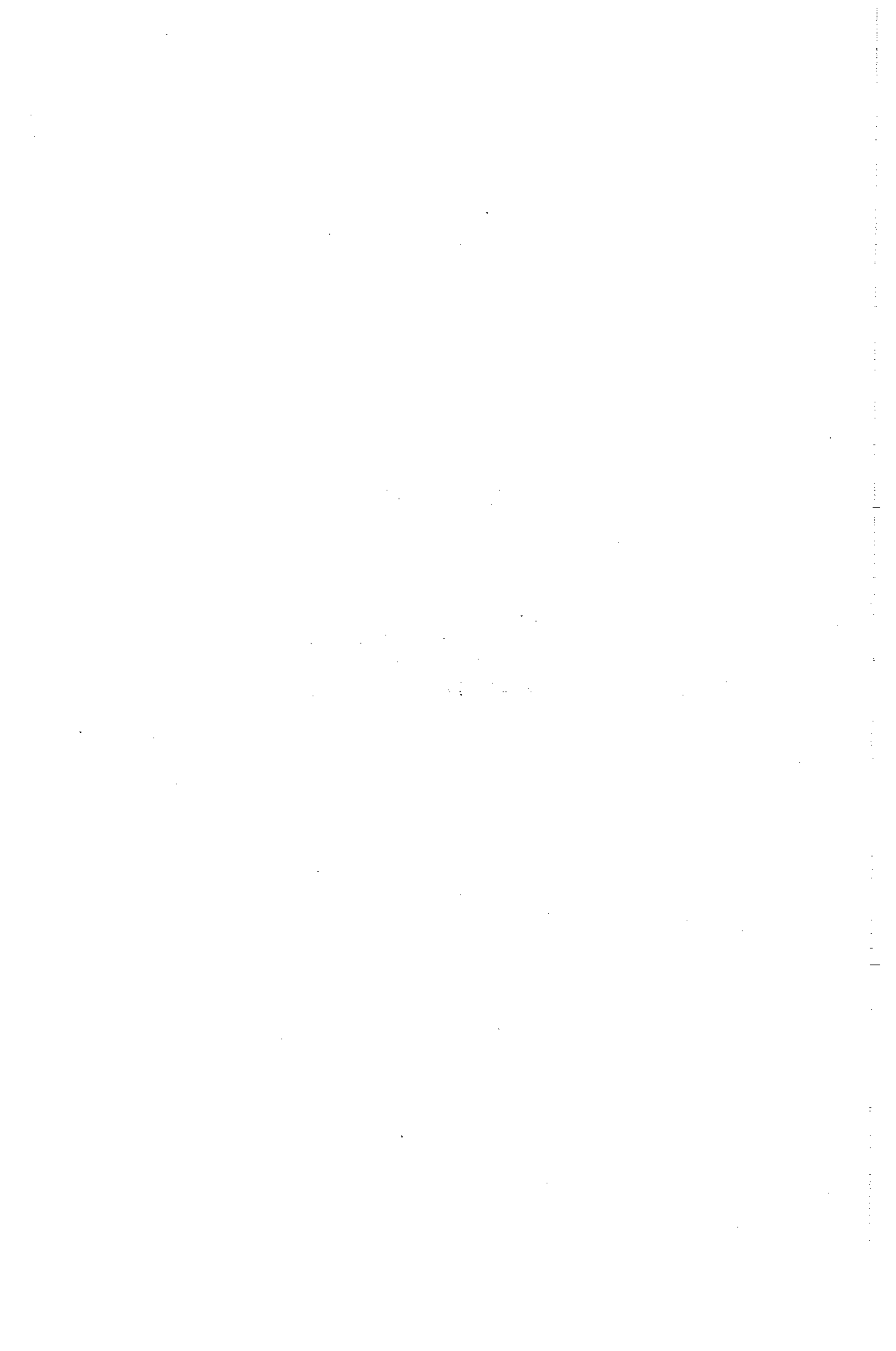
ثم جاء زكى نجيب محمود ليكتب الصفحات المظلمة من تاريخ الوثنية التى تجددت بعد الاسلام تحت اسم أخوان الصفو المعتزله والباطنية والفكر الفلسفى والفكر الصوفى الفلسفى ، والقرامطه الذين سرقوا الحجر الأسود وروعوا حجاج بيت الله الحرام بأعتبار أن هذا هو التراث الاسلامى الذى يجب تجديده ، لقد جددوا التراث بالفعل ولكنهم جددوا التراث الزائف المسموم وحجبوا التراث الحقيق .

وتعود مرة أخرى إلى المقوله الصادقه للدكتور محمد محمد حسين : أن الاسلام نظرية فى السلوك بمثل ما أنه نظارية فى المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر أسلامى أو أدب اسلامى من مفكر أو أديب لا يمارس الاسلام ولا يلتزم به ، ومعروف أن هولاء جميعا لم يكونوا ممارسين الاسلام فى صولهأ الأصيلة » .

الفصل الحادي والعشرون

الدكتور ابراهيم بيومي مدكور

تصور زائف لحركة اليقظة الإسلامية



(١)

هل كان لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين من تلاميذ الشيخ محمد عبده

هل كان محمد عبده هو قمة اليقظة أو مرحلة من مراحلها

هناك محاولة جديدة لاتهام حركة اليقظة الإسلامية التى تمضى اليوم على مفهوم الإسلام الأصيل ، الذى يستمد وجهته من المنابع الصحيحة : القرآن الكريم والسنه المطهرة بأن هذه الحركة قد خرجت عن الخط الذى رسمه لها الشيخ محمد عبده والذى يدعى بأن لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين قد ساروا فيه ، وتخلف عنه الذين نقلوا اليقظة الاسلامية من مرحلة الفكرة إلى مرحله الدعوة ، وهى دعوى ، مبطلة تماما لأن المستقرىء لتاريخ اليقظة الاسلامية منذ ظهور دعوة التوحيد التى دعا بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية ودعا بها كثير من تلاميذ فكر التوحيد الخالص الذى قدمه ابن تيميه وابن القيم واتباعهما يؤمن بأن الأمة الأسلامية كانت قادرة على الأنبعاث من من داخلها عندما تنحرف بهما الطريق أو تتجمد الخطوات ، ولا ريب أن هناك مرحلة غلبت فيها جبرية الصوفية على المفاهيم الاسلامية بعد أن مرت مرحلة الجهاد فى مقاومة حملات الصليبيين والتتار وتوقف المسلمين عن فتح باب الاجتهاد خوفا من دخول الفكر الوافد وحرصا على سلامة مفاهيم الاسلام ، وقد كسر هـذا الجمود انطلاقة المصلحين الاسلامين أمثال محمد عبدالوهاب والشوكانى وخطيب مسجد المؤيد فى فى القاهرة بالدعوة إلى التوحيد الخالص .

ومنذ ذلك الوقت سارت حركة اليقظة الاسلاميـة فى طريقها مرحلة بعد مرحلة فسرعان مادخلت مرحلة الجهاد بالسيف فى مواجهه الغاصب (عبد القادر الجزائرى فى الجزائر ومحمد أحمد المهدى فى السودان ، وعبد الكريم الخطابى فى المغرب ، وأحمد بن عرفان فى الهند الخ)

ثم أنتقلت حركة اليقظه الاسلامية إلى مقاومة حملات الهجوم على الاسلام التى بدأها التبشير والاستشراق وهى المرحلة التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد

عبده وهى مرحلة خصبة انتقلت فيها حركة اليقظة الاسلامية إلى منطلقات واسعة فى سبيل رسم التصور الاسلامى الصحيح : عقيـدة وفـكرا ، وكان من أبرز ما قامت به أعادة مفهوم الاسلام إلى منطلقه الاصيل من التوحيد الخالص وتحرير ارادة المسلم والخضوع وكسر قيود الجبرية الصوفية وأنكار الانسحاب من الحياة ودفع المسلم إلى أصلاح المجتمع على حد تعبير جمال الدين الأفغانى (فناء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله) .

غير أن هذه المرحلة لم تصل إلى جوهر المفهوم الاسلامى الأصيل بل شابها بعض القصور ، لأنها صدرت من منطلق مفاهيم المعتزله ، وعلماء الكلام فمضت بها ثمة وكان إهتمامها باعلاء العقل على النقل ، وأعتمادها على المنطق ، وهذه مرحلة طبيعية لابد أن تظهر بعد مرحلة الجبرية الصوفية وكان فى مواجهة العاملين فى هذه المرحلة إحساس واضح بالحملات المثارة على الاسلام من المستشرقين وكتاب الغرب فكان لابد للدعاة أن يتحدثوا عن الاسلام بنيته وقدرته على الوقوف فى وجه الاتهامات بأنه بكير من شأن الغيب والمعجزة والخوارق فكانت تفسيرات الشيخ محمد عبده التى أرادت أن تدفع عن الإسلام اتهام المستشرقين على النحو الذى ظهر فى أنكار شق الصدر وأعتبار الإسراء بالروح ، والقول بأن الطير الأبابيل هى الوباء إلى غير ذلك مما مضى فيها بعض خلفاءالشيخ محمد عبده مما سمى بالمدرسة العصرية فى الاسلام على النحو الذى كتب به فريد وجدى ومحمد حسين هيكل والمراغى .

هنالك كان لابد لحركة اليقظة الاسلامية أن تصحح نفسها وأن تدخل مدرسة التفسير القرآنى للاسلام وأن تتحرر تماما من أسلوب الاعتزال والتأويل ، كذلك فقد خرجت حركة اليقظة الإسلاميـة من « الفـكرة » إلى « الدعوة حيث بدأت تربى جيلا جديدا تربية إسلاميـة على النحو الذى فعله النبى ﷺ فى مكة قبل الهجرة ، ومن ناحية ثالثة فقد استعلنت اليقظة مفهومها الصحيح للأسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، وأعلنت لأول مرة وقوفها فى وجه الحضارة الغربية وأساليب الغزو الثقافى والتغريب وإعـادة الفـكر الإسلامى إلى مجرى الأصالة والمنابع ، وتحريره من التبعية والأذابة التى جرت خطة العمل بها عن

طريق الصحافة والجامعة وقبول مفاهيم المستشرقين الذين جاءت بهم الجامعة ليسيطيردا على علوم الفلسفة والنفس والاجتماع والاقتصاد والأدب ومن ثم فرضوا مناهجهم الغربية عليها وأصبح الفكر الإسلامى محجوبا تماما عن أهله .

هذا هو الخط الذى سارت فيه حركة اليقظة وهو خط طبيعى وتطور صحيح ، وانتقال من المرحله التى قام بها جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا إلى المرحله التالية تماما فهل يمكن أن يوصف هذا بأنه تراجع ، أو انحدار أو تحول عن الطريق الصحيح ، لقد بدأت الفكرة الإسلامية طريقها واستعلنت ثم مضت فى نفس الوقت تبنى جيلا جديدا على مفاهيمها .

أما جماعة المجددين الذين أدعـــوا كذبا وضلالا أنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده أمثال لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين وغيرهم فهولاءهم الذين خانوا أمانة اليقظة الإسلامية ، أو أمانة حركة الأصلاح ، بانحرافهم إلى التبعية وقبولهم مفاهيم الغرب وأنزلاقهم إلى خدمة أهداف التغريب .

لقد أصبحت هذه المجموعة السائرة فى فلك النفوذ الغربى والقابلة لفكرة التأويل والعمل لتحقيق أهداف الحاكمين سواء فى قبول الربا والفتوى به ، أو صنع القانون المدنى استمداداً من القانون الوضعى حيث لا يذكر فيه التشريع الإسلامى ألا فى المرحلة الثالثة حيث لا يوجد نص غربى أو عرف أقليمى ، وكذلك الفتوى بالتأمين وشهادات الاستثمار .

كذلك فقد تكشف انحراف المجموعة التى عملت فى ميدان كتابة التاريخ الإسلامى والسيرة : هيكل والعقاد وطه حسين وأحمد أمين وغيرهم .

ولولا يقظة حركة اليقظة الأسلامية لذلك كله لما أنكشف أمره ولمضى التغريب بأيدى علماء لهم أسماء أسلاميه .

لقد نعى الدكتو ابراهيم بيومى مدكور على حركة اليقظة أنطلاقتها ووصفها بأنها نكسه تهدم ولا تبنى ، لانها وقفت أمام ذلك الخط الذى رسمه النفوذ الأجنبى واستخدم له الذين تسموا كذبا بخلفاء الشيخ محمد عبده من أمثال لطفى السيد

قاسم أمين وطه حسين ، ومن بعدهم كل الذين حاولوا التأويل لخدمه الربا وتحرير المرأة وتبرير القانون الوضعي .

أن الدكتور إبراهيم بيومى مدكور يرى فى أرتباط الدين بالسياسة خلطا وضلالا ويتابعه فى هذا كل أعداء حركة اليقظة الإسلامية ، الذين يرثون إنزواء مدرسة تجديد الفكر الديني ، هذه المدرسة التى كان يطمع النفوذ الغربي بأن تحقق أهدافه من خلال مجموعة من علماء الاسلام يفتون بإباحة الربا ، وبتحرير المرأه ، والقانون المدنى وبالتبعيه للفكر الغربي ، والذين لا يقفون أى موقف بالنسبة بفساد المجتمعات وانهيارها ولا يطالبون بتطبيق الحدود الاسلامية لانها تتنافى مع المدنية .

ومن العجيب أن ترى رجلا مثل الدكتور إبراهيم بيومى مدكور يحاول أن يؤرخ للحياة الفكرية على هذا النحو المضطرب الزائف ونراه يدافع عن انحدار المرأة فى المجتمعات تحت اسم تحريرها ويقول : لارجعة فى هذا المضمار بحال ، ولن تنزل المرأة عن حق اكتسبته وهى جادة فى كسب حقوق أخرى ، لعلك تدهش ياسيدى الدكتور بأن المرأه قبلت بأرادتها العودة إلى الله والعودة الى بيتها وعرفت أن مثل دعوتكم هذه ضالةمستقاة من بروتوكولات حكماء صهيون .

نحن نؤمن بأن حركة اليقظة قد تطورت تطوراً طبعيا وأن محمده عبده وفتاواه وأفكاره هى مرحله من هذه المراحل جاءت بعدها مرحله أخرى أكثر صلة بالقرآن والأصول الأصيلة للأسلام بعيداً عن التبريرات التى كان يدافع بها المسلمون عن أنفسهم أزاء الغزاه .

أما لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين ومن برروا الربا والقانون المدنى فهم خارجون عن هذه الحركة ودخلاء عليها وأن دعواهم فى الاصلاح الاسلامى كاذبه وأشدهم كذبا مؤرخ هذه الحركة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور .

* * *

العمالقة والقمم الشوامخ الحقيقية

جمال الدين الأفغاني   عبد العزيز الثعالبي   حسن البنا   مصطفى السباعي
أحمد السكندري   علال الفاسي   فريد وجدي   محمد فريد
أحمد تيمور   الفاضل بن عاشور   محمد عبد الله دراز   محمد عبدة
أحمد زكي باشا   بهجت الأثري   محمد أبو زهره   المنفلوطي
أحمد كمال الأثري   مالك بن نبي   محمد عبدالله العربي   مصطفى صادق الرافعي
أمين سامي   محمد جميل بيهم   رشيد رضا   أحمد حسن الزيات
أمين الرافعي   محمد عزه دروزه   رفيق العظم   أبو الفضل إبراهيم
البشير الابراهمي   محمد اقبال   شبلي النعماني   أحمد حسين
حسين الهراوي   مصطفى صبري   شكيب أرسلان   دكتور زكي علي
حفني ناصف   محمود شيت خطاب   طاهر الجزائري   عمر فروخ
عبدالرحمن الكواكبي   محب الدين الخطيب   طنطاوي جوهري   قدري طوقان
عبد السلام ذهني   مصطفى السباعي   عبد الحميد بن باديس   د. محمد صبري
عبد العزيز جاويش   محمد المبارك   عبد الرحمن الرافعي   محمد محمد حسين
عبدالوهاب النجار   محمد أحمد الغمراوي   عبد العزيز الثعالبي   عبدالقادر عودة
علي بهجت   المراغي   علي يوسف   محمد بن علي السنوسي
أبو الحسن الندوي   محمد مسعود   محمد عبد الوهاب   محمد العربي العلوي
المودودي

(تناولنا دراسة هذه الشخصات في موسوعتنا – أعلام القرن الرابع عشر الهجري)

خاتمــة

هناك عدة حقائق أساسية لابد من الالمام بها عن مواجهة المفاهيم الوافدة التي قدمتها مدرسة التبعية والغزو الفكري :

الحقيقة الأولى : هي أن لكل أمة مزاجها النفسي وذاتيتها الخاصة القائمة على أساس من عقائدها وقيمها وآدابها ومفاهيمها التي عاشت عليها منذ ألوف السنين وأن هذه الأمة حين تواجه أي قضية من القضايا أو حدث من الأحداث أو موقف من المواقف إنما تستمد استجابتها من هذه المضامين .

الحقيقة الثانية : هي أن العرب والمسلمين لهم أيدلوجيه أساسية هي في محل النظرة إلى الكون والحياة والله (تبارك وتعالى) والإنسان والمجتمع ، هذه النظرة مستمدة أساسا من القرآن الكريم ومن تطبيق نبي الاسلام ورسوله في حياته في بيانه ومن منطلق واضح محدد قوامه :

١ - أن الاسلام هو خاتم الرسالات وجاء امتداداً لها وخاتما وناسخا لها ورسالة إلى الناس كافة في [ليظهره على الدين كله] : (ومهيمنا عليه)(على الكتب السماوية) .

٢ - أن القرآن هو النص الموثق الذي لم يصبه أي تحريف : كتاب الله المنزل بالحق الذي أعطى البشرية منهجا كاملا للحياه والمجتمع والأخلاق وعقيدة ناصعة قوامها التوحيد .

الحقيقة الثالثة : هي أن الفكر الإسلامي انما قام أساسا على القرآن والسنة الصحيحة وأنه استكمل نهجه قبل أن تنقل مترجمات الفلسفات الشرقية والغربية وأنه في مواجهة هذه الفلسفات ظل قادراً على الاحتفاظ بذاتيته ومقوماته .

الحقيقة الرابعة : هي أن الفكر الاسلامي قد أقام منهجا فكريا مستقلا يختلف أختلافا جذريا عن مختلف مناهج الأمم وفلسفاتها وعقائدها وأنه أقام منهج

المعرفة الإسلامى على أساس عقلى ورحى معا فجعل للعقل منطلقه فى مجال العلوم والمحسوسات وجعل للروح منطلقها فى مجال الغيبيات وما وراء الطبيعة وأن الإسلام أقام ميثولوجيا خاصة به يختلف عن نظرية اليونان ومناهج الأديان القديمة وفلسفاتها .

الحقيقة الخامسة : هى أن هناك مؤامرة دائبة وحرب مستعرة لغزو الفكر الاسلامى وأخراجه عن قيمة ومناهجه ومحاولات لتدمير مقوماته وأدخال مفاهيم أخرى للقضاء على استقلاليته وذاتيته واذابته فى الأممية العالمية .

الحقيقة السادسة : هى أن هناك حربا تشنها القوى الاستعمارية والالحادية والصهيونية على مقومات الفكر الاسلامى بأعتباره آخر الحصون التى تثبت للمقاومة فى وجه الغزو السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

الحقيقة السابعة : هى أن الاستعمار حين سيطر على العالم الاسلامى إنما كان يستهدف تفريغ الذات الإسلامية من مقوماتها النفسية والروحية والاجتماعية المنبثقة عن الإسلام .

الحقيقة الثامنة : هى أن أهم مايجب أن تعرفه أن هناك نظريتين فى مختلف مجالات النفس والعقائد والاجتماع .

- نظرية عربية إسلامية أصيلة مستمدة من قيمنا وتتفق مع ذاتيتنا ومزاجنا النفسى وقائمة على طوابعنا الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

- نظرية غربية قامت فى بلادها واستمدت مقوماتها من قيم فكرها ووجودها الاجتماعى أو النفسى الخالص .

الحقيقه التاسعة : هى أن الفكر الاسلامى يرفض النظريات الوافدة فى مجال النفس والاجتماع والثقافه ولكنه يقبلها فى مجال العلوم والحضاره ذلك لأسباب

عميقة بعيدة المدى : أهمها قيام المجتمعات العربية والاسلامية أساسا على الترابط والوحدة وقيام مناهجها على أساس أخلاقى دينى وكون الاسلام دين ومنهج حياة وكون نظرية المعرفة الاسلامية ذات جناحين : مادى وروحى ، عقلى ووجدانى بينما تصدر هذه النظريات فى دائرة الغرب فى مواجهة تحديات مجتمعاتها .

الحقيقة العاشرة : هى أن استجابة المجتمعات الاسلامية لهذه النظريات الوافدة ليست استجابة أصيلة وإنما هى تحدث تحت تأثير أغراء البريق وعقدة النقص وتقليد الغالب وفى ظل الفجوة المادية من نقص المعرفة الأصيله بمناهج تفكيرنا ومقوماته .

هذا وبالله التوفيق ؟

أضفنا إلى هذا الكتاب مادة كتابنا : (شخصيات إختلف فيها الرأى)

* * *

افاق البحث

رقم الإيداع ٨٥/٣٧٨٢

مطبعة أسامة

إمبابة المنيرة الغربية ٦ شارع الشيخ

معيب - متفرع من شارع القريب